رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب الشخصية

دراسة دعوية

عبد المحسن بن عثمان بن باز
كلية الدعوة والإعلام
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

الجزء الأول

دار إشبيليا
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

هــذا الكتاب

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها الباحث إلى قسم الدعـوة والاحتساب في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمـام محمـد بـن سـعود الإسلامية، وقد نوقشـت بتـاريخ ١٤١٨/١١/٢٧هـ حيـث تكونـت لجنة المناقشة من:

د. أحمـد بـن سـيف الديـن تركسـتاني، الأسـتاذ المشــارك بقســم الإعـلام مشرفـاً

د. حمد بـن نـاصر العمـار عميـد الكليـة والأسـتاذ المشـارك بقسـم الدعوة والاحتساب عضواً

د. إبراهيـم بـن صـالح الحميـدان، رئيـس قسـم الدعـوة والأسـتاذ المساعد بقسم الدعوة والاحتساب عضواً

وقد نال الباحث بفضل الله وتوفيقه درجة الماجستير بتقديـر ممتـاز مع التوصية بطباعة الرسالة وتداولها بين الجامعات.

مُقَدِّمَة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ با لله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده ا لله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلاّ ا لله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله[1]، صلى ا لله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ..أما بعد..

فإن ا لله تعالى قد تكفل بحفظ هذا الدين ؛ وذلك بحفظ كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

ومن رحمة ا لله تعالى بهذه الأمة أن جعل لها في كل عصر من العصور طائفة من المؤمنين يدافعون عن الدين ويُظهرون شرائعه، ويذودون عن حياضه، قال ﷺ: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر ا لله، ما يضرُّهم من كذَّبهم ولا مَن خالفهم، حتى يأتيَ أمر ا لله وهم على ذلك)[2].

---

(١) هذا المقطع جزء من الخطبة المسماة (خطبة الحاجة) كما سماها العلماء ، وأثبت الشيخ محمد ناصر الدين الألباني صحة بعض طرقها التي استقصاها في رسالة بعنوان (خطبة الحاجة) انظر : محمد ناصر الدين الألباني، خطبة الحاجة [بيروت- المكتب الإسلامي- ط الرابعة- ١٤٠٠] (ص١٣-١٤).

(٢) أخرجه البخاري، الإمام البخاري، صحيح البخاري، [دمشق -دار ابن كثير- ط الخامسة ١٤١٤هـ] كتاب : التوحيد، باب: قول ا لله تعالى:﴿ إنما قولنا لشيء ...﴾ (سورة النحل: ٤٠) [ك١٠٠- ب٢٩- ح٧٠٢٢] (٦/٢٧١٤) .

ومن تمام منّته سبحانه وتعالى وكرمه؛ أنه كلما انطمس العلم واستشرى الجهل وتعطلت معظم أصول الدين ودعائمه في كل قرن من القرون؛ بعث الله لهذه الأمة على رأس هذا القرن من يجدّد لها دينها ويعيد إليه ما اندرس من معالمه.

فقد روى أبو هريرة ﷺ أنّ النّبي ﷺ قال: (إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها)[1].

ومن هؤلاء المجددين لدين رب العالمين؛ الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- مجدد القرن الثاني عشر الهجري؛ حيث شهد له الجمّ الغفير من أكابر أهل العلم والدين بأنّه من جملة المجددين لما جاء به رسول رب العالمين، وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم أن (أكابر أهل عصر

---

(١) أخرجه أبو داود ، الإمام أبو داود، سنن أبي داود، [حمص -دار الحديث- ط الأولى ١٣٩٣هـ] كتاب: الملاحم -باب: ما يذكر في قرن المائة، [ك٣١- ب١- ح٤٢٩١] (٤/٤٨٠) ، وصححه الحاكم في مستدركه، الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين، [بيروت- دار الكتب العلمية- ط الأولى ١٤١١هـ] برقم (٨٥٩٢) (٤/٥٦٧)، كما صححه السخاوي، وقال: سنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات ، السخاوي ، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، [بيروت- دار الكتاب العربي- ط الثانية ١٤١٤هـ] (ص١٤٩)، ووثق رجاله العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الألباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، [بيروت- دار الكتب العلمية- ط الثالثة ١٤٠٨هـ] (١/٢٤٣)، وقال الألباني- من المعاصرين-: السند صحيح رجاله ثقات رجال مسلم، الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، [الرياض، مكتبة المعارف- ط جديدة ١٤١٥هـ] (ح/٥٩٩) (٢/١٤٨).

الشيخ شهدوا له بالعلم وأنه من جملة المجددين لما جاء به رسول رب العالمين وكذلك أهل مصر والشام والعراق والحرمين والهند وغيرهم)[1] فرحمه الله رحمة واسعة وأجزل له الأجر والمثوبة. وممن عدّه من المجددين أيضا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز[2]، وكذلك الشيخ محمد رشيد رضا [3]وعبد المتعال الصعيدي في كتابه المجددون في الإسلام[4].

وقد قام هذا الإمام -رحمه الله- بجهد مبارك في الدعوة إلى الله تعالى وتنقية عقائد المسلمين مما علق بها من أدران الشرك والبدع، وتحرير عقولهم من مظاهر التعصب المقيت والعودة بهم إلى نصوص الكتاب والسنة؛ لينهلوا من معينها الصافي على ضوء ما فهمه السلف الصالح من مدلولات هذه النصوص.

وقد كان من حكمة هذا الإمام -بعد توفيق الله تعالى له- أن استخدم في دعوته معظم الوسائل الدعوية المتاحة في عصره؛ كالخطب والمواعظ، والدروس، وتأليف الكتب وبثّ المعلمين ونشرهم بين البلدان؛ ليربُّوا الناس

---

(١) جمع : الشيخ عبد الرحمن بن قاسم الدرر السنية، [ط الخامسة ١٤١٣ هـ]، (١٢/٩).

(٢) انظر مقدمة الطبعة الثانية لكتاب الشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي ، الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، [مكة المكرمة- مطبعة الحكومة- ١٣٩٥هـ] (ص٣).

(٣) انظر : الشيخ محمد رشيد رضا، تاريخ الشيخ محمد عبده [ط١٣٥٠ هـ] (١/ح).

(٤) انظر : عبد المتعال الصعيدي، المجددون في الإسلام، [مكتبة الآداب- ط١٣٧٠ هـ] (ص٤٣٧).

على دين الله ويفقهوهم بشرعه القويم.

وكان من أبرز الوسائل الدعوية التي استخدمها الإمام -رحمه الله- في دعوته؛ وسيلة المراسلة ؛ تلك الوسيلة المباركة التي استعملها النبي ﷺ وكان لها أثر عظيم في نشر دعوته ﷺ، كما استعملها خلفاؤه من بعده، ومن جاء بعدهم من سلفنا الصالح رحمهم الله جميعاً، وأفادوا منها أيما أفادة، فكان لها أعظم الأثر في مجالات عديدة.

وإن من توفيق الله تعالى ورحمته؛ أن يسَّر لكتّاب التاريخ من معاصري الإمام محمد -رحمه الله- ومن جاء بعدهم ؛ تدوين آثار هذا الإمام وحفظ تراثه العلمي، ومن ضمن هذا التراث؛ رسائله الشخصية التي كان يرسلها -رحمه الله- إلى أشخاص بأعيانهم، أو إلى بلدان معيّنة، أو إلى فئات مخصوصة ومحددة من شرائح المجتمع.

وإن المتأمل لتلك الرسائل الشخصية التي كتبها الإمام -رحمه الله- ليدرك أنها تميّزت عن باقي آثاره العلمية بعدة مميزات؛ فلئن كانت تشترك مع باقي آثاره في بيان ما اتصف به -رحمه الله- من العلم العميق والفهم الدقيق لمسائل الدين، وما فتح الله على الإمام من أبواب التأمل في نصوص الكتاب والسنة، فإن الرسائل الشخصية للإمام قد تميَّزت إضافة إلى ذلك بالكشف عن الجانب الآخر من شخصية هذا الإمام؛ فلم يكن الإمام مجرد عالم محقق؛ بل كان -رحمه الله- داعيةً حكيماً، يدرك طبائع النفوس، ويتقن فن التعامل معها ويستخدم لكل حال ما يناسبها من الأساليب الدعوية

المؤثرة.

كما أن الرسائل قد كشفت عن العديد من العوائق التي تعرَّضَ لها الإمام في دعوته، وكيف تمكن من تجاوزها، وتضمنت الرسائل أيضاً منهجه -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب، وموقفه من خصوم الدعوة وأهل البدع ... إلى غير ذلك من المعالم المهمة في دعوة الإمام، تلك المعالم التي يحتاجها الدعاة اليوم ليفيدوا من هذه الدعوة المباركة الناجحة، فيبدأوا دعوتهم من حيث انتهت لا من حيث بدأت.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة العلمية لإلقاء الضوء على شيء من الفوائد والقواعد والدروس المستفادة من هذه الرسائل.

١- تعريف بمفردات الموضوع:

أ) الرسائل:

١) المعنى اللّغوي:

(الراء والسين واللام) أصل مطّرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد[1]، والإرسال في اللّغة: التّوجيه والاسم منها الرَّسالة والرِّسالة (بالفتح والكسر)[2]، والرسالة: كتاب يشتمل على قليل من المسائل تكون في

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، [بيروت - دار الجيل ط الأولى ١٤١١هـ] (٢/٣٩٢).

(٢) ابن منظور الأفريقي، لسان العرب، [بيروت- دار الفكر- ط الأولى -١٤١٠هـ] (٢٨٣/١١).

موضوع واحد[١]، وهي الصحيفة التي يكتب فيها الكلام المُرْسَل، وجمعها رَسائل ورِسالات[٢]، وقد وجدت عدة ألفاظ ومصطلحات ترادف مصطلح الرسالة؛ كالكتاب، والصحيفة، والألوكة [٣].

والرسالة في المفهوم الإعلامي: (هي الركن الرابع من أركان العملية الإعلامية وهذه الأركان هي:

١- المرسِل [ويسمى القائم بالاتصال].

٢- المستقبِل [ويسمى المتلقي].

٣- الأداة [وتسمى الوسيلة].

٤- المضمون [ويسمى (الرسالة) والموضوع])[٤].

المفهوم الدّعوي (لرسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب الشخصية) في هذا البحث:

بما أن الدعوة الإسلامية تقوم على (أربعة أركان هي: الداعي، والمدعو، والرسالة أو [المضمون]، والوسيلة)[٥]، فإنه يمكن أن نعرّف رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب الشخصية بأنّها:

---

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، [تركية- دار الدعوة- ١٤٠٦هـ] (١/٣٤٤).

(٢) المنجد الأبجدي، [بيروت دار المشرق- ط الرابعة ١٩٨٦م] (ص٤٨٢) .

(٣) سيأتي مزيد من البسط والتفصيل حول تعريف الرسالة واشتقاقها اللغوي ومرادفاتها وتطور مدلولها الاصطلاحي وذلك في المبحث الثاني من الفصل التمهيدي .

(٤) انظر د. عمارة نجيب الإعلام في ضوء الإسلام، [الرياض- مكتبة المعارف- ط الأولى ١٤٠٠هـ] (ص١١٠).

(٥) علي بن صالح المرشد ، مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ، [دمنهور ــ مكتبة لينة ــ ط الأولى ١٤٠٩هـ] (ص٢٨) .

تلك الخطابات والكتابات [الوسيلة] التي أرسلها الإمام محمد بن عبد الوهاب [الدّاعي] -رحمه الله- إلى شخص معين[١]، أوفئة معيّنة من النّاس[٢].

[المدعو] متضمنة جملة من التعاليم والمبادئ ذات الأغراض الدّعوية في العقائد والعبادات والمعاملات [المضمون].

ويخرج من هذا التعريف بقيّة كتابات الإمام -رحمه الله- العامّة التي كتبها أو وجّهها إلى عامّة المسلمين لا إلى شخص معيّن ولا إلى فئة معيّنة محصورة من النّاس، ومنها كتبه -رحمه الله- ككتاب التوحيد، وكذلك رسائله العلميّة مثل رسالة كشف الشبهات والأصول الثلاثة وغيرها[٣].

- والمقصود بالدّراسة الدّعوية لرسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب:

أنها تلك الدّراسة التي تتناول (رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-) من الجانب الدّعوي الذي يركّز الباحث من خلاله على دراسة

(١) مثل رسالته إلى السويدي(عالم من العراق) وإلى فاضل آل مزيد(حاكم ورئيس بادية الشام) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ [الرياض- مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- ١٣٩٨](الشخصية) (٥/٣٦ - ٣٢).

(٢) سواءً كانت هذه الفئة أهل بلد معيّن، مثل رسالته إلى أهل القصيم وإلى أهل الرياض ومنفوحة وإلى أهل شقراء وإلى أهل سدير، وأمثالها كثير ، انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٨- ١٨٦-٢٩٢- ٢٩٦) أو كانت الفئة أهل صفة مخصوصة كالمعلمين ، والعلماء ، والعامة، انظر : رسالته للمعلمين ورسالة تلقين التوحيد للعامة : جمع عبدالرحمن بن قاسم ، الدرر السنية، [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١/١٧٠ ــ ١٥١) ورسالته إلى علماء الإسلام ، مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/١٧٦) .

(٣) انظر الفرق بين الرسائل الشخصية والرسائل العلمية في ملحق الرسائل في نهاية هذا البحث.

تلك الرسائل من حيث كونها وسيلة دعويّة ناجحة، فيعتني باستخراج مضامينها، والأساليب الدعويّة المستخدمة فيها، وآثارها على المدعوين، ويقوم بدراستها من زاوية دعويّة تميزها عن الدّراسة الفقهية والتاريخية و ....

٢- أهميّة الموضوع وأسباب اختياره:

- أهميّة الموضوع :

تبرز أهمية هذا الموضوع من عدة جوانب منها :

١- حاجة الدعاة الماسّة إلى رؤية تجارب دعوية ناجحة لدعاة معاصرين عاشوا في ظروف مشابهة لظروفنا، وتعرضوا لعوائق مشابهة لتلك التي نتعرض لها، ومع ذلك نجحوا بفضل الله تعالى ثم بفضل أساليب ووسائل استخدموها في دعواتهم كان لها أعظم الأثر -بعد توفيق الله- في نجاح دعواتهم وقبولها لدى النّاس .. فهل من الحكمة أن تموت هذه التجارب وتذهب بذهاب أصحابها.ويبدأ من يأتي بعدهم من بداية الطريق؟ أم أن الحكمة تكمن في الإفادة من تجاربهم والبدء من حيث انتهوا؟.

٢- إن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- تعدّ من الدعوات الجديرة بالدراسة حيث كانت أنموذجا حيّاً لدعوة كُتِبَ لها النجاح والظهور،حتى أصبحنا اليوم -بفضل الله تعالى- في هذه البلاد وبلاد أخرى عديدة- نتفيأ ظلالها الوارفة وننعم بثمراتها اليانعة، فجزى الله من قام بالدعوة ومن ناصره عنا أفضل الجزاء، ورحمهم رحمة واسعة وأسكنهم فسيح جناته.

٣- عدم تمكن كثير من الدعوات الإصلاحية من تحقيق ما تصبو إليه، وذلك لأسباب عديدة منها -كما قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: (قلة علوم بعض الدعاة التي يستطيع بها أن يوجّه الناس بالأساليب المناسبة والعبارات اللائقة والحكمة والموعظة الحسنة) أ.هـ[1].

بمعنى أن عدم إتقان بعض هؤلاء الدعاة لما أتقنه الإمام محمد بن عبد الوهاب من الأساليب المناسبة والعبارات اللائقة،تلك التي ظهرت جلية واضحة في رسائله الشخصية كان من أهم أسباب عدم بلوغهم لما كانوا يأملونه في دعواتهم الإصلاحية من النجاح والتمكين والظهور.

٤- رغم أن دعوة الإمام -رحمه الله- قد حظيت بدراسات كثيرة ، وبحوث متنوعة من مختلف جوانبها؛ إلا أن هناك جوانب لم تأخذ حقها من الدراسة والتحليل، ومن أهم هذه الجوانب: الجانب الدعوي في حياة الإمام وما يتعلق به من أساليب دعوته، ووسائلها، ونحو ذلك.

٥- غفلة كثير من الدعاة اليوم عن استخدام وسيلة المراسلة في الدعوة إلى الله ؛ تلك الوسيلة التي استفاد منها الأنبياء عليهم السلام والصالحون -رحمهم الله- واستفاد منها الإمام محمد بن عبدالوهاب من جوانب متعددة، ونتج عنها آثار عظيمة .

وقد استغل أعداء الإسلام هذه الوسيلة في عصرنا الحاضر استغلالاً كبيراً،

---

(١) سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الشيخ محمدبن عبد الوهاب دعوته وسيرته، [الرياض- إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد] (ص٢٥).

وتوصلوا عن طريقها إلى كثير من أهدافهم المشبوهة، ومن هنا كان من المتعيّن أن يهتم أهل الإسلام بهذه الوسيلة العظيمة، ويعدوا الدراسات والبحوث التي تعينهم على حسن الاستفادة منها.

- أسباب اختيار الموضوع:

أ- أسباب تتعلق بشخصية الإمام -رحمه الله-:

١- لعلّ من أهم الأسباب التي تدعو الباحث إلى التّركيز على شخصية الإمام محمد ابن عبدالوهاب -رحمه الله- ودراسة رسائله هو كون هذا الإمام من العلماء المجددين بشهادة كثير من العلماء(١) ممّا يجعلنا ندرك أبعاد شخصيته، ويجعلنا نطمئن إلى أنّ النتائج والدروس والفوائد الدّعوية التي سيستخرجها الباحث من رسائل هذا الإمام بالذّات ستحظى -بإذن الله- بالاهتمام من قبل شريحة كبيرة جداً من أبناء الأمّة الإسلامية الحريصين على اتباع السنة والالتزام بمنهج السلف الصالح ونبذ البدع والخرافات، خاصّة وأنّ الباحث -بعون الله وتوفيقه- سيقوم قدر الإمكان بالتّأصيل الشرعي للأساليب التي استخدمها الإمام في رسائله ، وسيذكر أدلّتها من الكتاب والسنّة وهدي السلف الصالح.

---

(١) سبقت الإشارة إلى أنّ أهل العلم والدين (وأكابر أهل عصر الشيخ شهدوا له بالعلم وأنه من جملة المجددين لما جاء به رسول رب العالمين وكذلك أهل مصر والشام والعراق والحرمين والهند وغيرهم) ذكر ذلك الشيخ عبدالرحمن بن قاسم في الدرر السنية، [مرجع سابق] (٩/١٢) وممن عدّه من المجددين أيضا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز. (انظر مقدمة الطبعة الثانية لكتاب الشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي، محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] وكذلك الشيخ محمد رشيد رضا تاريخ الشيخ محمد عبده [مرجع سابق] (١/ص (ح) في التصدير) وعبد المتعال الصعيدي في كتابه المجددون في الإسلام [مرجع سابق] ص٤٣٧.

٢- اختار الباحث رسائل هذا الإمام نظراً لما تميّز به -رحمه الله- من الالتزام بمبدأ التمسك بنصوص الكتاب والسنة في كل دقيقةٍ وجليلة ... ذلك المبدأ الذي كان له -بعد توفيق الله- أعظم الأثر في نجاح دعوته، هذا بالإضافة إلى ما وهبه الله من دقة الفهم واتساع العلم، كل ذلك يجعل الداعية يطمئن إلى أن ما يأخذ به الإمام من الوسائل والأساليب في دعوته إلى الله إنما هي أساليب ووسائل شرعية استقاها الإمام -حسب مبدئه[1]- من الكتاب

---

(١) فهو يقول عن منهجه في دعوته: (وما جئنا بشيء يخالف النقل ولا ينكره العقل) جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] (١/٦٤) ويقول أيضا في رسالته إلى الشيخ عبد الله الصنعاني: (والمقصود بيان ما نحن عليه من الدين وأنه عبادة الله وحده لا شريك له فيها بخلع جميع الشرك ، ومتابعة الرسول فيها بخلع جميع البدع) ويقول أيضا : (وأما متابعة الرسول فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ آل عمران، آية رقم (٣١)، الدرر السنية، (١/١٣٥). وقد عقد الشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي في كتابه عن الإمام مبحثا تحت عنوان (ثناء العلماء على الشيخ من المسلمين والغربيين الكافرين) وبين أن من أعظم ما أثنوا به عليه شدّة تمسكه بنصوص الكتاب والسنة في كافّة أموره ، ومن عباراتهم في ذلك ؛ قصيدة الشيخ /محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني -مؤلف سبل السلام- التي مطلعها:

سلامي على نجد ومن حلّ في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لايجدي

ثم قال :

وليس له ذنب سوى أنه أتى ... بتحكيم قول الله في الحل والعقد

ويتبع أقوال النبي محمد ... وهل غيره بالله في الشرع من يهدي

ومنها أيضا ماجاء في قصيدة الشيخ العلاّمة/ محمد بن علي الشوكاني -مؤلف نيل الأوطار- التي رثا بها الإمام محمد بن عبد الوهاب، ومطلعها :

مصاب دهى قلبي فأذكى غلائلي ... وأصمى بسهم الإفتجاع مقاتلي

ومما قال : دعا لكتاب الله والسنة التي ∴ أتانا بها طه النبي خير قائل

أنظر : أحمد بن حجر آل أبو طامي ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه [مرجع سابق] (ص٨٠).

والسنة.

٣- كما اختار الباحث رسائل هذا الإمام لأن شخصيته تعدّ -إلى حدٍ كبير- إحدى الشخصيات المثالية للداعية الناجح، حيث كان -رحمه الله- مدعّما بالعلم الشرعي (الذي هو مادة الدعوة وزاد الداعية) بالإضافة إلى معرفة الواقع الذي يعيشه -لكثرة أسفاره ومخالطته للمدعوين- كما أنّه كان قادراً -بفضل الله- على معرفة نفسيّات المجتمع المحيط به، والأسلوب المناسب لدعوة كل شريحةٍ من شرائحه.

وقد ظهر الإمام أيضا بشخصية الإداري النّاجح؛ فلم يكن يعلّق المدعوين بشخصه بل كان يعيّن مساعدين له من طلاّبه، وممّن اهتدوا على يديه، وينشرهم سفراء له في أنحاء البلاد.

٤- اختار الباحث دراسة رسائل هذا الإمام لكونه أحد النماذج الواضحة للدّاعية الذي تمكّن من تطبيق إنكار المنكر بدرجاته الثلاث: القلب، واللسان، واليد، حتى وصل إلى أعلى مراتب الإنكار وهي مرتبة الجهاد في سبيل الله.

ب- أسباب تتعلق بطبيعة دعوة الإمام -رحمه الله-:

١- ما تميّزت به دعوته من الشمول والإحاطة بمعظم أبواب الدعوة إلى الله من جهاد وتعليم وتربية وإدارة وسياسة وتأليف وخطابة وغيرها

٢- كما أنّ من أبرز ما يميّز منهج الإمام في دعوته ويزيد من حرص الباحث على البحث في رسائله ودعوته؛ ما عرف به الإمام وكان سبباً في

عداوة كثير من أقرانه[١] له من دعوته إلى إعمال الفكر وفتح باب الاجتهاد ونبذ التقليد المطلق (الأعمى)[٢] حيث كان -رحمه الله- يدعو إلى الإقبال على القرآن والسنّة وطلب الهدى منهما، وعدم الإعراض عنهما بحجة أنّه لا يفهمهما إلاّ المجتهد المطلق الموصوف -عند البعض- بأوصاف لعلها لا توجد تامّة في أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- ولا يخفى أنّ الدعوة والدعاة اليوم أحوج ما يكونون إلى مثل هذا المنهج الذي يفتح لهم آفاقاً واسعة في أساليب الدعوة ووسائلها، مراعين في ذلك ما يتفق مع نصوص الكتاب والسنّة دون الحاجة إلى الجمود والتقيّد باجتهادات بشرية قد تخطئ وتصيب، وقد كان بعضها سببا في شلّ تفكير المسلمين وتشويه تعاليم دينهم.

٣- اختار الباحث هذا الموضوع لكون دعوة الإمام -رحمه الله- قد نشأت في فترة وظروف مشابهة لتلك الظروف التي تمر بها اليوم مناطق كثيرة في أنحاء العالم الإسلامي من حيث الانحراف العقدي والسلوكي، والتدهور السياسي والاقتصادي والاجتماعي.. وقد تعرض الإمام في دعوته لعلاج كثير من هذه الانحرافات..الأمر الذي سيساعد الدعاة على البدء من حيث انتهى الإمام والإفادة من تجاربه.

٤- تميزت دعوة الإمام -رحمه الله- بالاقتداء بدعوة المصطفى ﷺ بالبدء

---

(١) اتهموه بأنه مبطل لكتب المذاهب، وأنه يدّعي الاجتهاد وغيرها من التهم الباطلة: انظر مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/ ٤٠ - ١٤٤- ٦٤).

(٢) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢/ ٩٤).

بالأولويّات حيث بدأ الإمام -رحمه الله- كما بدأ النبي ﷺ -بإصلاح العقيدة في نفوس النّاس وتجريدها لله وحده، ثم انطلق بعدها لإصلاح بقية ما فسد من أحوالهم.

٥- واختار الباحث أن تكون دراسته حول هذه الدعوة لتميّزها بأحد أهم أسباب نجاح الدّعوات؛ وهو اتّحاد السلطة الدينية والسياسية، فقد كانت أنموذجا للدّعوة التي اتّحدت فيها هاتان السلطتان، واتّضحت فيها كثير من المسائل الشرعيّة التي يحتاج الدعاة إلى فقهها عند اتحاد هاتين السلطتين.

ج- أسباب تتعلق بطبيعة الرسائل الشخصية للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب:

١- إن من أهم أسباب نجاح دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب استخدامه -رحمه الله- لوسائل دعوية ناجحة ساعدت على نشر دعوته والتمكين لها، وكان من أهم هذه الوسائل؛ وسيلة المراسلة التي وظّفها -رحمه الله- في عدة جوانب ، واستفاد منها في عدّة مجالات.

وقد اختار الباحث هذا الموضوع ليفيد من هذه الوسيلة المهمة، ويتعرّف على كيفية استغلالها، والجوانب التي يمكن تناولها بهذه الوسيلة.

٢- إدراك الباحث لتلك الثروة العلمية الكبيرة والفوائد الدعوية العظيمة التي تضمنتها رسائل الإمام الشخصية، ورغبته في إخراجها للدعاة، وتمكينهم من الاستفادة منها.

٣- إنّ من أهم الأسباب التي حالت بين الدّعاة وبين الانتفاع بهذه الرسائل والإفادة منها اتسامها بالصفة الشخصية والخصوصية ..فهي رسالة من فلان إلى فلان ، أو إلى الفئة الفلانية فقط .. مما يجعل القارئ يشعر أن الأمر لا يعنيه ولا يفيده، ولذلك اختار الباحث هذا الموضوع ليقوم -بعون الله تعالى- بإخراج هذه الرسائل من هذه الصفة الشخصية إلى الصبغة المنهجية العامة التي يمكن للجميع من خلالها أن يستفيدوا من الجانب الدعويّ في هذه الرسائل.

٤- إذا كان لأسلوب الكاتب أثر في اكتشاف حقائق شخصيته؛ فإن رسائله الشخصية أبلغ في إلقاء الضوء على تلك الحقائق من كتاباته الأخرى، ومن هنا جاء اختيار الباحث لهذا الموضوع وهو -رسائل الإمام الشخصية- من أجل إلقاء الضوء على مزيد من الحقائق حول تلك الشخصية الفذّة ،والاستفادة من تجاربها الناجحة.

٥- رغبة الباحث في إحياء هذه الوسيلة الدعوية المهمة التي كان لها أعظم الأثر في دعوة المصطفى ﷺ وانتشارها، وهي صالحة للدعاة في هذا الزمان، وأعني بها وسيلة الرسائل الشخصية بعد أن غفل عنها كثير من الدعاة، رغم ما تتميز به من مزايا تجعلها من أهم الوسائل.

٦- عدم وجود بحث أو رسالة علميّة -حسب علم الباحث- تناولت الرسائل الشخصية للإمام محمد بن عبد الوهاب بدراسة دعوية مستقلّة.

٧- كون هذا الموضوع -وهو موضوع دعوي- يتناسب مع تخصص الباحث حيث تخرّج في قسم الدعوة والاحتساب .

٣- تحديد نطاق البحث:

بما أن البحث يتناول دراسة الرسائل الشخصية للإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله-؛ فإن الشواهد على أساليب الرسائل ومضامينها ستكون مقصورة على الرسائل الشخصية ،ولن يلتفت الباحث إلى الشواهد المشابهة في مؤلفات الإمام الأخرى .

وقد بدأ الباحث أولى خطواته في هذا البحث بحصر رسائل الإمام الشخصية التي ستقوم عليها هذه الدراسة، وذلك بالبحث عنها في المراجع الموثوقة، وقد انتهت الدراسة بحصيلة طيبة من الرسائل قوامها ستٌّ وستون رسالة شخصية[1] جُمعت على النحو التالي:

أ- الرسائل الشخصية الواردة في القسم الخامس من مجموع المؤلفات الشخصية، وعددها إحدى وخمسون رسالة شخصية، وقد أدخل منها في

(١) وجد الباحث أن من غير المناسب وضع جميع تلك الرسائل في ملاحق هذا البحث لأسباب منها:

أ) كبر حجمها، حيث تبلغ صفحات قسم الرسائل الشخصية الذي طبعته الجامعة (٣٢٣) صفحةً، كما تبلغ صفحات الملحق الذي أضافه الباحث -والذي اشتمل على الرسائل الشخصية التي لم ترد في قسم الرسائل الشخصية الذي طبعته الجامعة- أكثر من مائة صفحة . بمعنى أن الملحق لن يقلّ عن أربعمائة صفحة ، ولا شك أن إضافة ملحق بهذا الحجم فيه إثقال على الرسالة.

ب- أن مصادر هذه الرسائل كلها مطبوعة ومعتنى بها ، ويسهل الحصول عليها لكل أحد فهي تباع في المكتبات التجارية وتوجد في معظم المكتبات العامة.

ولذلك اكتفى الباحث بوضع ملحق في نهاية البحث قام فيه بتعيين جميع الرسائل التي أجريت عليها الدراسة وبيان مواضعها والجهات التي وجهت إليها بشكل موجز.

الدراسة خمسون رسالةً واستبعدت الرسالة رقم (١٧) من (ص١٠٩- ١١٥) المسماة (رسالة إلى أهل المغرب) وهي منقولة من الدرر السنية (١/٥٦-٥٩) حيث ثبت أنها ليست من رسائل الإمام، وأنها كتبت عام ١٢١٨هـ أي بعد وفاة الإمام باثنتي عشرة سنة، ولعل كاتبها هو الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب الذي كان مرافقاً لسعود بن عبدالعزيز حين استولى على مكة عام ١٢١٨هـ، حيث ذكر الجبرتي في أحداث هذه السنة أن (الوهابي) أرسل هذه الرسالة إلى شيخ الركب المغربي أثناء فترة الحج[١].

ب- رسائل شخصية أخرى جمعها الباحث من مصادرها الأصلية، و لم ترد ضمن القسم الخامس من مجموع المؤلفات وعددها ست عشرة رسالة.

وسيأتي -إن شاء الله- في الملحق في نهاية هذا البحث تعيين جميع الرسائل التي أجريت عليها الدراسة وبيان مواضعها والجهات التي وجهت إليها، إضافة إلى توثيق تلك الرسائل والتأكد من صحّة نسبتها للإمام -رحمه الله- وإمكانية تصنيفها ضمن الرسائل الشخصية للإمام وفقاً لمفهوم الرسالة الشخصية الذي سبق تحديده في التعريف الإجرائي للرسائل الشخصية[٢].

٤- المنهج المتبع في البحث:

يقد راعيت -بتوفيق الله تعالى- في هذا البحث عدة أمور، منها:

---

(١) انظر : عبدالرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، [الرياض -دار الفارس للطباعة والنشر- ب ت] (٢/٥٨٨) .

(٢) انظر ما سبق ذكره في هذه المقدمة تحت عنوان (تعريف بمفردات الموضوع) .

١- عزوت الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى سورها، حيث ذكرت اسم السورة ورقم الآية في الهامش.

٢- قمت بتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية بذكر المؤلف، واسم المرجع، وأذكر معلومات النشر في أول ورود المرجع، ثم أبيّن موضع الحديث بذكر اسم الكتاب، واسم الباب، ورقمهما ورقم الحديث، ثم أذكر رقم الجزء والصفحة، كما حرصت على بيان الحكم على الحديث -إن كان في غير الصحيحين- من خلال ما ذكره العلماء المتخصصون من السابقين أو المعاصرين.

٣- حرصت على جمع المعلومات لهذا البحث من المصادر الأصلية الموثوقة، وبعض المخطوطات، مع الاستفادة من المراجع الحديثة في بعض جوانب البحث، كما أني حرصت على أن أرجع إلى أكثر من مصدر في المسألة الواحدة في معظم جوانب البحث لتوثيق المعلومة وإثرائها، وقد اعتمدت -في تسمية الكتب والألقاب العلمية لمصنفيها- على ما كتب في غلاف الطبعة التي رجعت إليها، دون أن ألتفت إلى التسميات الأخرى للكتاب إن وجدت.

٤- قمت بوضع الهوامش في الرسالة حسب قواعد البحث العلمي، والتزمت عند النقل من أي مرجع أو الاستفادة منه الإشارة إلى اسم المؤلف ثم اسم الكتاب، ثم معلومات النشر، وهي بلد النشر، ثم الناشر، ثم رقم الطبعة وتاريخها -إذا توفرت هذه المعلومات في المرجع- وذلك في أول ورودها في الرسالة، ثم في فهرس المصادر والمراجع في آخر الرسالة، وأختم

بتعيين رقم الجزء والصفحة. وإذا نقلت المعلومة بالمعنى بدأت التوثيق بعبارة (انظر).

٥- جعلت المرجع في رسائل الإمام الشخصية ما طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ضمن مجموع مؤلفات الشيخ وهو الجزء الخامس (الرسائل الشخصية) لما بذل في هذه الطبعة من العناية والمطابقة بعدة نسخ، أما بقية رسائل الإمام الشخصية التي لم ترد ضمن هذا الجزء فإني أرجع فيها إلى المراجع القديمة الموثوقة التي سبقت الإشارة إليها آنفاً عند تحديد نطاق الدراسة.

٦- ترجمت لمعظم الأعلام الواردة أسماؤهم في متن الرسالة ممن لهم علاقة قوية بموضوع البحث؛ كالأعلام الواردة أسماؤهم فيما نقلته من رسائل الإمام الشخصية، ولم أترجم للمشهورين كالأنبياء -عليهم السلام-، والخلفاء الأربعة -رضي الله عنهم أجمعين- لمزيد فضلهم وعلو مكانتهم التي تغني عن التعريف بهم. وأما من لم أعثر على ترجمته ممن وردت أسماؤهم في رسائل الشيخ -بعد اجتهادي في البحث والتقصي- فأقول: لم أجده.

٧- حرصت على شرح المفردات الغريبة ، وتشكيل بعض العبارات الموهِمة الواردة في البحث.

٨- أحياناً أكرر الشاهد في أكثر من موضع لاشتماله على أكثر من وجه للاستشهاد.

٩- حرصت على إيراد عبارات الإمام بنصّها رغبةً في التوثيق، وإن كان

في بعضها ميل إلى الأسلوب العامي أحياناً لما اعتاده الإمام من مراعاة طبيعة المخاطبين.

١٠- قمت بوضع فهارس علمية عامة للرسالة تعين القارئ على الرجوع إلى مايريد منها بيسر وسهولة، وهي تشمل:

أ- فهرس الآيات القرآنية مرتباً حسب سور القرآن .

ب- فهرس أطراف الأحاديث النبوية مرتباً حسب الحروف الهجائية .

جـ- فهرس الأعلام المترجم لهم مرتباً حسب الحروف الهجائية.

د- فهرس المصادر والمراجع مرتباً حسب الحروف الهجائية.

هـ- فهرس الموضوعات.

وقد بذلت قصارى جهدي في جميع مراحل البحث طمعاً في أن ينفع الله به كاتبه وقارئه ، فإن وُفِّقت وأدركت الصواب فمن الله عز وجل، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان، أعاذني الله وإخواني المسلمين من شرهما.

٥- تقسيم الدّراسة:

مقدمة البحث : وتتضمن العناصر التالية :

١- تعريف بمفردات الموضوع.

٢- أهمّية الموضوع وأسباب اختياره.

٣- تحديد نطاق الدّراسة.

٤- المنهج المتبع في الدّراسة.

٥- تقسيم الدراسة.

٦- الصعوبات التي واجهت الباحث.

٧- الشكر والتقدير.

الفصل التمهيدي

المبحث الأول: البيئة الفكرية والاجتماعية التي كتبت فيها هذه الرسائل (وترجمة الإمام رحمه الله)

المطلب الأول: الحياة في نجد زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

المطلب الثاني : ترجمة موجزة للإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

المبحث الثاني: (الرسائل) وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، واستخدام الإمام (رحمه الله) لها

المطلب الأول : الوسائل التي استخدمها الإمام في الدعوة إلى الله ومنها وسيلة المراسلة

المطلب الثاني : وسيلة (المراسلة) مشروعيتها وخصائصها ومجالاتها

الفصل الأول

مضمون رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)

المبحث الأول : بيان العقيدة الصحيحة

المطلب الأول: منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في تلقي العقيدة.

المطلب الثاني: تقريره أركان الإيمان بالله تعالى.

المطلب الثالث: بيانه لنواقض الإسلام.

المطلب الرابع: موقف الإمام من المبتدعة ورؤوسهم.

المبحث الثاني: الدعوة والاحتساب

المطلب الأول: بيانه فضل الدعوة والاحتساب وحثه على القيام بهذا الواجب

المطلب الثاني: إنكاره على من فرّط في الدعوة والاحتساب وترهيبه من ترك ذلك الواجب

المطلب الثالث: قيامه بواجب الدعوة والاحتساب بنفسه

المطلب الرابع: بيانه الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية والمحتسب

المطلب الخامس: معوقات في طريق الدعوة والاحتساب

المبحث الثالث: تفنيد الشبه وردّ ما ألصق بالإمام من التهم

المطلب الأول: التُّهم التي ألصقت بالإمام وردّه عليها.

المطلب الثاني: الشبه التي أثيرت على دعوة الإمام رحمه ا لله.

المبحث الرابع: مسائل متنوعة في الفقه وأصوله وعلوم الحديث وقضايا الدعوة

المطلب الأول: مسائل في الاجتهاد والتقليد:

المطلب الثاني: مسائل في الفقه والأحكام:

المطلب الثالث: مسائل تتعلق بالسنة وعلومها:

الفصل الثاني

أساليب رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه ا لله)

المبحث الأول : الأساليب المستخدمة في رسائل الإمام رحمه ا لله

المطلب الأول: القدوة

المطلب الثاني: الموعظة الحسنة

المطلب الثالث: الجدال بالتي هي أحسن

المطلب الرابع: أسلوب غرس الثقة بالداعي في نفوس المدعوين

المطلب الخامس: أسلوب البلاغة في التعبير (الوضوح -القوة- الجمال):

المبحث الثاني: تنوع الأساليب في رسائل الإمام (باعتبار المدعو)

المطلب الأول: مراعاة مكانة المدعو

المطلب الثاني: مراعاة حاجات المدعو الفطرية واستثمارها

المطلب الثالث: مراعاة حاجات المدعو الروحية

الفصل الثالث

آثار رسائل الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه ا لله ـ وكيفية الاستفادة منها في العصر الحاضر.

المبحث الأول : آثار رسائل الإمام -رحمه ا لله-.

المطلب الأول: عوامل تأثير رسائل الإمام رحمه ا لله.

المطلب الثاني: معوقات تأثير رسائل الإمام رحمه ا لله.

المطلب الثالث: بعض آثار رسائل الإمام رحمه ا لله.

المبحث الثاني: كيفية الاستفادة من رسائل الإمام -رحمه ا لله- في العصر الحاضر.

المطلب الأول: كيفية الاستفادة من سيرة كاتب الرسائل ـ رحمه الله ـ ووسائله الدعوية في العصر الحاضر .

المطلب الثاني: كيفية الاستفادة من مضامين رسائل الإمام في العصر الحاضر.

المطلب الثالث: كيفية الاستفادة من أساليب رسائل الإمام في العصر الحاضر .

المطلب الرابع: كيفية الاستفادة من آثار رسائل الإمام في العصر الحاضر.

خاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العلمية: وتشمل فهرس الآيات، وفهرس الأحاديث، وفهرس الأعلام، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

٦- الصعوبات التي واجهت الباحث:

واجه الباحث بعض الصعوبات في هذا البحث، وقد يسّر الله له تجاوزها، ولكن بعد أن استنفدت منه الكثير من الوقت والجهد، وعزاء الباحث أن هذا الوقت والجهد قد بذل في أمور نافعة -إن شاء الله-، ونسأل الله تعالى أن يصلح النية والعمل.

ومن هذه الصعوبات:

١- كان التصور المبدئي للدراسة -كما هو واضح من المخطط المعتمد- أن يقوم الباحث مباشرة بدراسة الرسائل الشخصية للإمام دراسة دعوية، وهذه الرسائل كان من المعروف أنها مجموعة وموثّقة في القسم الخامس من مجموع مؤلفات الإمام، إلا أن الباحث -بعد استشارة المشرف- وجد أنه

بحاجة إلى إعادة جمع الرسائل من مصادرها الأصلية، والتحقق من نسبتها للإمام وفقاً للتعريف الإجرائي للرسائل الشخصية الذي تم اعتماده في هذه الدراسة.

والحق أن جمع وتحقيق رسائل الإمام الشخصية يحتاج إلى دراسة مستقلة، ولكن الباحث وجد نفسه مضطراً للقيام بهذه المهمة لضرورة توافر مثل هذه الدراسة قبل البدء في البحث.

٢- اقتضت طبيعة البحث أن يقوم الباحث بتحليل مضامين جميع الرسائل التي جرت عليها الدراسة وهي ستٌّ وستون رسالة استغرقت ما يربو على أربعمائة وأربعين صفحة تقريباً، وقد صمّمت استمارة خاصة لهذا الغرض تحت إشراف فضيلة المشرف، ولا يخفى ما يحتاجه الباحث من الوقت والجهد عند تحليله لمضامين هذه المادة الكبيرة.

٣- قد يشتكي كثير من الباحثين من قلة المراجع في مسألة ما ، لكن الباحث في سيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب يشتكي من كثرة المراجع وحاجته إلى الإلمام بها وقراءتها جميعاً للخروج بالرأي الأصوب، خاصة مع كثرة الاختلاف في الآراء بين المؤلفين والكتاب في بعض جوانب سيرة الإمام.

٤- رغم كثرة الكتابات حول سيرة الإمام ودعوته إلا أنه مازال هناك العديد من الجوانب الغامضة والشخصيات المجهولة التي وردت في رسائل الإمام -رحمه الله- فهو أحياناً يشير إلى أحداث معيّنة وينفعل معها، وعند البحث عن تفاصيل هذه الأحداث في الكتب التي أرَّخَت لتلك الفترة لانجد لها أثراً أو ذكراً.

وكذلك فإن كثيراً من الشخصيات التي راسلها الإمام وتحدّث عنها في

رسائله تبقى شخصيات مجهولة لم يعثر الباحث على ترجمة لها ، فيما اطّلع عليه من الكتب المطبوعة والمخطوطة التي ترجمت لأعلام تلك الفترة ، ربما لأن أولئك الأشخاص لم يكونوا (أعلاماً) بل كانوا أفراداً عاديين و لم يشتهروا بعلم أو إمارة أو نحو ذلك.

ولاشك أن العثور على تراجم لهؤلاء الأشخاص سيعين على فهم أعمق لرسائل الإمام الشخصية .

٧- الشكر والتقدير

وفي الختام: فإني أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره وأثني عليه بما هو أهله، ولا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، فله الحمد والشكر على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة التي لا تُعَدّ ولا تحصى، والتي منها أن هداني للإسلام ويسَّر لي سبيل التزود من العلم ثم أعانني على إتمام هذا البحث؛ حيث سهّل لي صعبه، وذلّل أمامي عقباته، وهيأ لي من عباده الصالحين والعلماء الناصحين من أخذ بيدي وأخلص في توجيهي وإرشادي.

واقتداءً بقول الرسول ﷺ : (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[1]، فإن أولى الناس بشكري هما والداي اللذان ربياني وشجعاني على طلب العلم، ويسّرا لي سبل مواصلة التحصيل، فجزاهما الله عني خير الجزاء، وأسأله

(١) أخرجه الترمذي ، الإمام الترمذي ، الجامع الصحيح وهو: سنن الترمذي، [بيروت- دار إحياء التراث العربي- ١٤١٥هـ] كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك [ك٢٥- ب ٣٦- ح١٩٥٩] (٤/٣٣٩) قال أبو عيسى الترمذي: (وهو حديث حسن صحيح).

سبحانه أن يعينني على طاعتهما وبرهما، وأن يمتعني بطول بقائهما في الدنيا على طاعته، ثم يجمعني بهما وبإخواني المسلمين في الآخرة في مستقر رحمته، في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وبعد ذلك أرى لزاماً عليّ أن أتقدم بوافر شكري وعظيم امتناني لشيخي وأستاذي المشرف على هذه الرسالة الدكتور: أحمد بن سيف الدين تركستاني، الذي رعى هذا البحث منذ كان بذرة حتى استوى على سوقه، والذي لم يبخل عليّ قط بتوجيهاته السديدة، وآرائه القيّمة، بل كان يرعى البحث رعاية أبوية كريمة، وفتح له قلبه، وأولاه الكثير من وقته الثمين، وكان لي بعد الله نعم العون طيلة إعداد هذا البحث، فأسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء وأوفره.

كما أن من واجبي أن أعترف بالفضل لذوي الفضل؛ فأتقدم هنا بموفور الشكر وجزيل الثناء إلى حصن العلم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على ما أولته وتوليه لطلبة العلم ورواده من رعاية واهتمام.

ولكلية الدعوة والإعلام ممثلة في عميدها ووكيليها وأعضاء مجلس القسم ومجلس الكلية وكافة الأساتذة الفضلاء على جهودهم الطيبة. فلقد كنت أجد دوماً منهم الدعم المستمر والتشجيع المتواصل.

كما لا يفوتني أن أقدم شكري وتقديري للشيخين الفاضلين والأستاذين الكريمين:

فضيلة الشيخ الدكتور: حمد بن ناصر العمار، عميد كلية الدعوة والإعلام والأستاذ المشارك بقسم الدعوة، وفضيلة الشيخ الدكتور: إبراهيم بن صالح

الحميدان، رئيس قسم الدعوة والأستاذ المساعد بالقسم اللذَيْن تفضلا بقبول مناقشة الرسالة، والتضحية بجزء من وقتهما الثمين في سبيل إفادتي، وتقديم النصح لي، رغم كثرة مشاغلهما.

وأعمم الشكر المقرون بالدعاء إلى كل من أعانني على إتمام هذا البحث أو أفادني بمعلومة أو توجيه أو إرشاد من الأساتذة الفضلاء، أو الزملاء الكرام، وأسأل الله أن يجزل لهم جميعاً الأجر والمثوبة وأن يوفقنا وإياهم جميعاً لما يحب ويرضى.

وختاماً: فإن هذا البحث كغيره من أعمال البشر التي لا تخلو من الزلل والقصور، فالكمال لله وحده دون سواه، وأسأل المولى جل وعلا أن يكون بحثاً جيدا نافعا في بابه، وأن أكون قد وفقت فيه للحق والصواب، وأن يكون مؤديا لغرضه، فإن كان لي ما أردت فهو مقصودي وأحمد الله سبحانه وتعالى عليه فهو وحده ولي التوفيق، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان ومنزهان عنه وعن كل عيب ونقص، وحسبي أن أديت ما بوسعي، وأستغفر الله وأتوب إليه من كل خطأ وزلل، وأسأله سبحانه وتعالى أن يعاملنا بعفوه، وأن يجعل أعمالنا كلها صالحة ولوجهه خالصة ، ولايجعل لأحدٍ فيها شيئاً إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبدالمحسن بن عثمان الباز
ص.ب ٤٨٤٧
الرياض ١١٤١٢
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام

الفصل التمهيدي

المبحث الأول

البيئة الفكرية والاجتماعية التي كتبت فيها هذه الرسائل (وترجمة الإمام رحمه الله)

المطلب الأول: الحياة في نجد زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

المطلب الثاني: ترجمة موجزة للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

المبحث الثاني

(الرسائل) وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى واستخدام الإمام محمد بن عبد الوهاب لها

المطلب الأول : الوسائل التي استخدمها الإمام في الدعوة إلى الله ومنها وسيلة المراسلة

المطلب الثاني: (المراسلة) مشروعيتها وخصائصها ومجالاتها

١) سندها الشرعي

٢) خصائصها ومميزاتها

٣) مجالاتها في الماضي والحاضر

المبحث الأول

البيئة الفكرية والاجتماعية التي كتبت فيها هذه الرسائل

(وترجمة الإمام رحمه الله)

المطلب الأول : الحياة في نجد زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)

أولاً: نجد وعلى ماذا تطلق في تلك الفترة

ثانياً: الحالة الاجتماعية في نجد في زمن الإمام رحمه الله

ثالثاً: الحالة الاقتصادية في نجد في زمن الإمام رحمه الله

رابعاً: الحالة السياسية (لمحة موجزة عن الحالة السياسية في نجد واليمامة منذ فجر الإسلام حتى القرن الثالث عشر الهجري)

خامساً: الحالة الدينية في نجد في تلك الفترة

المطلب الأول

الحياة في نجد زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

لعل من المناسب- قبل الحديث عن ترجمة الإمام -رحمه الله- وعن رسائله- أن يتم عرض نبذة موجزة عن البيئة الفكرية والاجتماعية التي كتبت فيها هذه الرسائل ، وأن يُلقى الضوء - في البداية- على تلك البقعة التي عاش فيها الإمام - رحمه الله- وكانت محضن دعوته، والميدان الرئيس لأغلب مراسلاته، ألا وهي منطقة نجد والعارض.

أولاً: نجد، وعلى ماذا تطلق في تلك الفترة

نَجْد: من حيث التعريف اللغوي معناها: الأرض المرتفعة ، فهي صِلاب الأرض وما غلظ منها، وأشرف وارتفع واستوى [١]. وتعددت الأقوال عند العرب في حدود (نجد اليمامة)، ويذكر ياقوت الحموي: (أن نجداً كلها من عمل اليمامة) [٢]، وحدودها التقريبية هي :جبال شمّر (شمالاً) والحجاز (غرباً) والربع الخالي (جنوباً) والدهناء والأحساء (شرقاً) [٣]. وتحسن الإشارة هنا إلى أن هناك عدة بقع يطلق عليها اسم (نَجْد)؛ فنجْدُ أهلِ مكة: هي نجدُ اليمامة

---

(١) ابن منظور الأفريقي ، **لسان العرب** [بيروت ـ دار صادر ـ ط الأولى ١٤١٠هـ]: باب الدال، فصل النون (٤١٣/٣) .

(٢) ياقوت بن عبد الله الحموي ، **معجم البلدان** [بيروت ـ دار صادر ـ ١٣٧٦هـ] (٣٠٤/٥).

(٣) حسين خلف الشيخ خزعل، **حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب** [طبعة خيرية بدون معلومات نشر] (ص١٣) . ومحمود شاكر ، **شبه جزيرة العرب (نجد)** ، [بيروت ــ المكتب الإسلامي ــ ١٣٩٦هـ] (ص١١) .

آنفة الذكر، ونَجْدُ أهلِ المدينة : هي بادية العراق، والأخيرة هي التي رجّح كثير من أهل العلم[١] أنها المقصودة في حديث: (اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا) ... قالوا: وفي نجدنا، قال: (هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان) [٢].

وعلى أية حال فإن نجداً المقصودة في هذا البحث هي نجد اليمامة بحدودها المشار إليها، وهي التي فيها ولد الإمام، وفيها نشأ وترعرع، وفيها بدأ دعوته ودوّن رسائله .

ولعل من المناسب – بعد أن اتضح المقصود بنجد– أن يشار إلى المقصود بموضعين آخرين يكثر ذكرهما في آثار الإمام وما كُتب عنه، هما: العارض، واليمامة .

فالعارض : من حيث أصل التسمية (اسم للجبل المعترض) [٣]،ولعارض اليمامة مفهوم قديم ومفهوم حديث .. فأما قديماً، فكان هذا الاسم يطلق

(١) منهم ابن حجر والخطابي ، انظر: أحمد بن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** [القاهرة ـ دار الريان للتراث ـ ط الثانية ١٤٠٩هـ] (٥١/١٣) .وقد أيّد هذا القول أيضاً جمعٌ من أئمة الدعوة ومؤيديها، منهم: الشيخ حمد بن معمر ،والشيخ عبدالرحمن ابن حسن آل الشيخ، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ ، وكذلك السهسواني والألوسي وابن سحمان، وحمود التويجري، والألباني، انظر: د. عبدالعزيز العبداللطيف، **دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عرض ونقض،** [الرياض ـ دار الوطن ـ ط الأولى ـ ١٤١٢هـ] (ص١٨٤ ـ ١٩٢) .

(٢) أخرجه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، **صحيح البخاري** بعناية د. مصطفى البغا [دمشق ـ اليمامة للطباعة والنشر ـ ط الخامسة١٤١٤ هـ] كتاب الاستسقاء ، باب : ما قيل في الزلازل والآيات (ك٢١ب٢٦ح٩٩٠) (٣٥١/١) .

(٣) ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** [مرجع سابق] (٧٤/٤) .

على جبل اليمامة (طويق) بطوله، الذي يمتدّ من شمال نجد إلى جنوبها، مسافةً تزيد على الألف كيلومتر[١]..أما ما اصطلح عليه أخيراً، بل وحتى قبل قرنين من الزمان، فهو ما بيّنه الشيخ عبد الله بن خميس في معجم اليمامة، حيث ذكر أن العارض -بالمفهوم الحالي- أصبح يطلق على جزء من (جبل اليمامة) وهو ما بين منطقة (الشعيب) في حريملاء[٢] إلى منطقة (الخرج) أي الرياض وملحقاتها [٣]، ولذا فإن المتأمل في **رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)** التي وجهها إلى علماء الأقاليم الأخرى والمنتسبين إليها يجد أن المفهوم السائد في زمن الإمام عن حدود منطقة العارض هو هذا المفهوم الأخير ؛ أعني ما بين منطقة الشعيب (شمالاً) إلى الخرج (جنوباً) فقط، وليس الجبل بطوله الذي يبلغ- كما يقول أبو زياد الكلابي[٤]-: مسيرة شهر كامل[٥]، أي ما تزيد مسافته على ألف كيلومتر كما سبق ذكره.

---

(١) انظر : عبدالله بن محمد بن خميس ، **الدرعية العاصمة الأولى** ، [الرياض ـ مطابع الفرزدق التجارية ـ ط الثانية ، ١٤١٤هـ] (ص٢٢) .

(٢) المرجع السابق (٥٦/٢) .

(٣) عبد الله بن محمد بن خميس ، **معجم اليمامة** [الرياض ـ مطابع الفرزدق ـ ط الأولى١٣٩٨] (٣٣/١) (١٢٩/٢) .

(٤) هو أبو زيد يزيد بن عبد الله الكلابي ، عالم بالأدب، له كتاب (النوادر) و(الفروق) (ت: نحو ٢٠٠هـ). انظر: خير الدين الزركلي **الأعلام** [بيروت – دار العلم للملايين – ط السابعة ١٩٨٦م] (١٨٤/٨) .

(٥) عبد الله بن محمد بن خميس ، **معجم اليمامة** [مرجع سابق] (١٢٩/٢) .

علاقة إقليم العارض بنجد:

يتضح مما ذُكر أن إقليم العارض - بمفهومه اليـوم- جـزءٌ مـن إقليـم نجـد، فما هو إلا جبل معترض فيه ، ولكنه يعطف- في بعض المواضع - على إقليـم نجد، لا لأنه قسيم له، بـل يكـون ذلـك -علـى مـا يبـدو- مـن بـاب عطـف الخـاص علـى العـام. ومـن شـواهد ذلـك قـول الإمـام في إحـدى رسـائله: (...وشاهد هذا أن عبدا لله بن عيسى مـا نعـرف في علمـاء نجـد ولا علمـاء العـارض ولا غـيره أجـلّ منـه ..)[١]، أي: في علمـاء نجـد عامّة ، وعلمـاء الـعارض على وجه الخصوص.

اليمامة وعلاقتها بنجد:

وأما **اليمامة**: فهي قلب جزيرة العرب[٢]، وعلى ذلك فـإن (نجـداً) جـزءٌ من اليمامة [٣]، وكذلك (العارض) المسمى (جبـل طويـق) هـو أيضـاً -مـن باب أولى- جزء من اليمامة، وهو (عمودها الفقري، وهيكلها الرئيسـي)[٤]. فإقليم اليمامة إذاً يشمل اليوم نجداً وعارضها الذي يدخل فيـه -كمـا ذُكـر- (الخرج) و(الشعيب) و (المحمل) و(ضرما)، ويدخل فيـه إقليـم سـدير، الـذي

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (١٨٧/٥) .

(٢) عبد الله البكري ، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** [بيروت ـ عالم الكتب ـ ط الثالثة ١٤٠٣هـ] (١٣/١) .

(٣) عبد الله بن محمد بن خميس ، **معجم اليمامة** (١٠/١) . ويذكر ياقوت الحموي : (أن نجداً كُلها من عمل اليمامة) انظر : ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** [مرجع سابق] (٣٠٤/٥) .

(٤) المرجع السابق (١٧/١) .

يشمل (الغاط) و(الزلفي) وماحولها، وكذلك إقليم الوشم وما يلحق به، وإقليم الفرع: (الحوطة، والحريق)، وإقليم الأفلاج، وإقليم وادي الدواسر[١]، وإن كانت اليمامة في صدر الإسلام تشمل -من الناحية الإدارية- ما هو أوسع من ذلك، كما ذكر الأصفهاني في كتابه (بلاد العرب)[٢].

ثانياً: الحالة الاجتماعية في نجد زمن الإمام رحمه الله:

كان المجتمع النجدي ينقسم إلى قسمين: بادية، وحاضرة. وكانت الغالبية العظمى من سكان نجد في تلك الفترة تنتمي إلى قبائل عربية معروفة النسب، وبعضها من أصول عربية، لكن هذه الأصول ضاعت لأسباب مختلفة، وقليل منها ترجع إلى أصول غير عربية أتت إلى المنطقة بطرق متنوعة؛ منها: الرّق، أو اللجوء بسبب ظروف قاهرة، أو الحج. وعلى ذلك فإن النظرة الاجتماعية لدى النجديين كانت قبلية، وكان ثبوت الانتماء العربي الأصيل هو الذي يحدد مكانة الفرد أو الأسرة في المجتمع، وتتضح هذه النظرة بجلاء في قضية الزواج[٣].

وقد بقيت نجد محافظة على خصوصياتها من حيث التمسك بالعادات

(١) حمد الجاسر ، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ** [الرياض ـ دار اليمامة ـ ١٣٨٦ هـ] ص (١٠) . وعبدالله بن محمد بن خميس ، **الدرعية العاصمة الأولى** ، [مرجع سابق] (ص٢٢).

(٢) يذكر الأصفهاني أن عمل اليمامة – إدارياً– يشمل البحرين والعراق وأطراف اليمن وأطراف الحجاز. انظر: الحسن بن عبد الله الأصفهاني، **بلاد العرب** بتحقيق: حمد الجاسر، و د. صالح العلي [الرياض ـ دار اليمامة ـ ب ت] (ص٣٢٥).

(٣) د. عبد الله الصالح العثيمين . **الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره** [الرياض ـ دار العلوم ـ ط الثانية ١٩٩٢م] (ص١١،١٢) .

والتقـاليد الخاصـة بهـا، دون أن تتـأثر بـالاختلاط بالعنـاصر الأخـرى؛ نظـراً لكونهـا (بعيـدة عـن مواطـن الامـتزاج السـكاني، المتمثلـة عــادة في المنــاطق الساحلية والأماكن المقدسة) [١].

وقد كان اختلاف طرق الزعامة ، وكذلك اختـلاف طبيعـة الـثروة لـدى كل من الحضر والبدو[٢]، من العوامل التي نتـج عنهـا الاختـلاف بـين علاقـة الحضري بأميره، والبدوي برئيسه، وبالتالي نتج عن ذلك نوع من الاختــلاف في النواحي الاجتماعية بينهما.

– ففي الحضر: كانت القوة والاغتيال –في الغالـب– هي الطريق للوصــول إلى الزعامة. وكان كثير مـن الأمـراء يلجـؤون إلى الظلـم والجـور[٣]، واتخـاذ إجراءات اقتصادية جائرة لتغطية نفقات الضيافـة والدفـاع. ومـع ذلـك، فقـد كان الحضري –في الغالـب– يصبر على بعـض الجـور؛ نظـراً لأن ثروتـه عـادة غير قابلة للنقل؛ كالمسكن والمتجر والمزرعة؛ ولأن محاولته للهـرب أو الرحيـل قد تفقده الكثـير مـن ممتلكاتـه[٤]. وكـانت أهـم مقومـات الحيـاة الاقتصاديـة للحضر هي الزراعة والتجارة[٥].

–أما البادية: فكان الرئيس ينال الزعامة بحسب مؤهلاته القياديــة ، وكـان

---

(١) د. عبد الله الصالح العثيمين. **تاريخ المملكة العربية السعودية** [ط١، ١٤٠٤هـ] (ص٣٧).

(٢) د. عبد الله الصالح العثيمين. **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية** [الرياض– مكتبة التوبة– ط الثانية ١٤١١هـ] (ص١٥)

(٣) عثمان بن بشر . **عنوان المجد في تاريخ نجد** [الرياض– مكتبة الرياض الحديثة– ب ت] (١/٢٠).

(٤) انظر : د. عبد الله الصالح العثيمين .**بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية** (ص١٦) .

(٥) انظر : د. عبد الله الصالح العثيمين ، **تاريخ المملكة العربية السعودية** ، [مرجع سابق] (ص٤٠) .

يحرص على تحسين العلاقة بأتباعه؛ نظراً لأن ثروة البدوي كانت قابلة للنقل؛ بل إن حياته كلها كانت حياة تنقل وترحال؛ فما يكاد يحس بنوع من الجور حتى يسارع إلى الرحيل دون أن تتعرض ثروته لضرر كبير، وكان من السهل أن يجد ترحيباً لدى أي قبيلة أخرى[١]. ولهذا كان البدوي فخوراً بنفسه وبصحرائه، التي يرى فيها أنسب مكان للمحافظة على تقاليده، وكان ينظر إلى الحضري نظرة احتقار؛ لأنه يرى أن عوامل التحدي تتضاءل بالاستقرار[٢] ويرى أن الحضري أقل منه منزلة، وأنه يصبر على الضيم، ويرضى بالهوان، ولا يتمتع بصفات البطولة، وكان رد الفعل الحضري لهذه النظرة متفاوتاً؛ فبعض الحضر كان يحاول أن يؤكد أن صفات البطولة موجودة لدى الحضر تماماً، كما هي موجودة عند البدو على حد سواء [٣]، بل إن البعض من الحضر رأى أن البدوي يجب أن يعامل بقسوة حتى يسير سيرة حسنة[٤].

– وكانت المرأة النجدية – سواء في الحاضرة أو البادية – تقف مع الرجل للتغلب على ظروف الحياة ، فكانت نساء الحاضرة يقمن بأعباء المنزل والأطفال، ويساعدن في أعمال الزراعة وبعضهن يجمعن العشب والحطب

(١) د. عبد الله الصالح العثيمين . **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية** ، [مرجع سابق](ص١٦) .

(٢) فهد المبارك . **من شِيم العرب** [بيروت ـ المكتبة الأهلية ـ ١٣٨٥ هـ](٩٩/٣) .

(٣) المرجع سابق (٩٩/٣) .

(٤) خالد الفرج ، **ديوان النبط** [دمشق ـ مطبعة الترقي ـ ١٣٧١هـ](٤٣/١).

ويبعنه، وكانت نســاء البادية يقمـن بحاجـات بيوتهـن، ويسـاعدن في الرعـي والإنتاج المختلف(١)، ورغم أن بعض المصــادر تشـير إلى بـروز بعـض النسـاء النجديات في المجـالات الاجتماعيـة العامـة (٢)، بـل حتـى في مجـالات الحـرب وقتال الأعداء (٣). إلاّ أن مسؤلية المرأة الرئيســة في هـذه المنطقـة بقيـت – في الغالب– داخل المنزل؛ تُعد الطعام، وتنظف البيت، وترعى الأولاد.

وتميزت المرأة في هذه المنطقة بالتستر والحياء؛ فكانت (تلبس الثـوب الـذي يلفها من رأسها إلى رجليها، تجـرّ منـه خلفهـا قـدر ذراع، مبالغـةً في التسـتر، إضافةً إلى الخمار الذي يغطي الرأس والوجه، وتلبس البدويـة (البُرْقُع) الـذي يظهر عينيها، ويغطي سائر وجهها ورأسها فحسـب)(٤)، كمـا تميّزت المـرأة أيضاً في ذلـك العصـر بـالحرص علـى طاعـة الـزوج وتقديـم قولـه علـى كـل قول(٥).

ثالثاً: الحالة الاقتصادية في نجد زمن الإمام رحمه ا لله:

يقول الاقتصاديون: إنّ المال جبان، لا ينمو في جوٍ غير آمن، وتبعاً لذلـك، فقد كانت الحالة الاقتصادية مضطربة في نجد في تلك الفترة، كما هو متوقـع؛

(١) انظر : د. عبد ا لله الصالح العثيمين. **تاريخ المملكة العربية السعودية** ، [مرجع سابق] (ص٤٣).

(٢) انظر على سبيل المثال ما ذكره المؤرخـون عـن (موضـي بنـت بـن وهطـان : زوجـة الأمـير محمـد بـن سعود). انظر: عثمان بن بشر، **عنوان المجد** [مرجع سابق] (١/١١).

(٣) انظر على سبيل المثال ما ذكره المؤرخون عن ترجمة (غالية البقمية) ودورها في هزيمة جيش طوسون في تربة سنة (١٢٢٩هـ). وممن ذكرها: خير الدين الزركلي. **الأعلام**، [مرجع سابق] (٥/ ١١٥) .

(٤) د. عبدا لله الحـامد ، **الشـعر في الجزيـرة العربيـة** ، [الريـاض ــ دار الكتـاب السـعودي ــ ط الثالثـة ــ ١٤١٤هـ] (ص٤١) .

(٥) المرجع السابق ، الموضع نفسه .

وذلك نتيجة لكثرة الاضطرابات الداخلية، وعدم الاستقرار السياسي والأمني[١]، إضافةً إلى كون المواد الطبيعية شحيحة، وغير متوفرة بكثرة [٢]. وقد كانت العوامل الاقتصادية تؤثر تأثيراً واضحاً وجلياً في بقية جوانب الحياة، وتتأثر بها أيضاً، فقد كانت النظرة الاقتصادية تؤثر منذ البداية في اختيار النجديين للأماكن التي يستقرون فيها، (فقد جاء استقرار النجديين حول الأمكنة التي تتوافر فيها مصادر المياه اللازمة لقيام الزراعة، مثل جوانب الأودية المشهورة، والواحات المختلفة؛ وقد يكون اختيار موضع الاستقرار ناتجاً عن وقوعه على طريق تجاري، لكن صلاحيته للزراعة تفوق كل اعتبار)[٣]، ولم يكن تأثير العوامل الاقتصادية قاصراً على الحضر فحسب بل كان القحط وتردي الظروف الاقتصادية يرغم البدو أحياناً على الالتجاء إلى البلدان إبقاءً لحياتهم[٤]، كما كانت هذه العوامل من أهم أسباب حدوث القلاقل والغارات بين القبائل، والاستيلاء على القوافل التجارية[٥].

---

(١) انظر د. محمد بن سعد الشويعر . **نجد قبل ٢٥٠ سنة**، [الرياض ـ مكتبة النخيل ـ ١٤١٢هـ] (ص ٩٨).

(٢) كثيراً ما كان تأخر المطر، وعدم نزوله يسبب كوارث اقتصادية ويؤدي أحياناً إلى هجرات وحروب، انظر : ما ذكره محمد بن عمر الفاخري في حوادث سنة ١١٣٦هـ، **الأخبار النجدية**، تحقيق : عبدالله الشبل [الرياض ـ من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ ب ت] (ص٩٨)، وابن بشر، **عنوان المجد** (٢/ ٢٠٩).

(٣) د. عبدالله العثيمين، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، [مرجع سابق] (١/ ٤٠).

(٤) كثيراً ما يعبِّر الفاخري وابن بشر عن التجاء البدو إلى البلدان في مثل تلك الظروف (بالهثول) كقول الفاخري (وعمّ القحط، وهثل أكثر البدو في البلدان) محمد الفاخري ـ **الأخبار النجدية** [مرجع سابق] ص٩٨، وانظر ابن بشر، **عنوان المجد** (٢/٢٠٩).

(٥) كان الاعتراض على القوافل التجارية من أبرز الأحداث التي يرصدها المؤرخون، ويتناقلها الناس. انظر: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البسام، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، [مخطوطة توجد مصورتها في المكتبة المركزية بجامعة الإمام ـ قسم المخطوطات ـ برقم (٢٠٨)] ورقة (١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧).

كانت الحياة الاقتصادية للسـكان المستقرين في نجـد تعتمـد علـى الزراعـة بصفة رئيسة ، وعلى التجارة بصفة ثانوية (١).

أمّا الزراعة: فإن المصادر التاريخية التي تحدثت عن نجد تعطي بعض الملامح عن مظاهر الزراعـة والعوامـل المؤثـرة فيهـا (٢)، وتشـير إلى ضعـف إمكانـات سكان نجد في القدرة الزراعيـة ،وأنهـم يقيمـون مـن الزراعـة مـا يتـلاءم مـع قدراتهـم، وما تسمح به الموارد المائية(٣).

وقد تركزت الزراعة في هذه المنطقة في الغالب على شيئين مهمين؛ همـا: غرس النخيل (٤)، وزراعة القمح (٥).

وكـانت للزراعـة مشـكلاتها الخاصـة؛ منهـا مـا يعـود إلى منـاخ المنطقـة والعوامل الطبيعية فيها، كجفاف الآبـار أحيانـاً، أو تعـرض المزروعـات للـبرد

---

(١) د . عبدا لله العثيمين ـ **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة** ، [مرجع سابق] (ص١٤).

(٢) من تلك المصادر : عبدا لله البسام **مخطوطة ـ تحفة المشتاق في أخبار نجـد والحجاز والعـراق** [مرجـع سابق] ـ في حـوادث ٨٧٨ ، ٨٨٣ ، ٨٨٥ ، ٨٩٢، ٨٩٤، ٨٩٩، .....إلخ ، وكذلـك سـوابق ابـن بشر في كتابه **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، [مرجع سابق] انظر مثـلاً حـوادث سـنة ١٠١٥هـ ١٠٤٠، ١٠٧٩هـ .

(٣) انظر د. محمد بن سعد الشويعر ـ **نجد قبل ٢٥٠سنة**، [مرجع سابق] (ص٩٨) .

(٤) اهتم السكان بالنخيل وكانو يستخدمون كل جزء منها في غرض من أغراض حيـاتهم اليوميـة ولذلـك اهتموا بها، وتغنوا بمدحها (انظر ما قاله حميدان الشويعر في النخلة: عبدا لله الحاتم، **خيار ما يلتقـط مـن الشعر النبط** [الكويت ـ ذات السلاسل ـ ط الثالثة ١٩٨١م] (١/١٤٠) .

(٥) المصدر السابق ، وانظر ابن بشر ـ **عنوان المجد** (٢/٣٣٩)، وعبد الله بن بسام **مخطوطـة تحفـة المشـتاق** [مرجع سابق]حوادث سنة ٧٠٧ ـ ٨٣٠ .

والرياح الشديدة وهجمات الجراد والطيور[١]، ومنها ما يعود إلى أعمال الخصوم، كتخريب المحصولات، وقطع أشجار النخيل، أو نهب ثمارها[٢].

وبالجملة، فقد اقترنت الزراعة عند المؤرخين بعمارة المدن، واستقرار الناس، والتجمعات السكانية منذ قديم الزمان [٣]، ولعل ذلك يفسر لنا سبب وجود التجمعات السكانية في نجد، وخاصة منطقة القصيم وبلاد اليمامة[٤]، حيث كانت أخصب البلاد وأكثرها مياهاً وزروعاً ونخيلاً[٥]، حتى اشتهرت بوفرة إنتاجها وجودته؛ حيث وصفها ابن الفقيه بقوله: (وأما حنطتهم، فتسمى بيضاء اليمامة، وهي عذيٌ لا سقيٌ[٦]، يُحمل منه إلى الخلفاء. وأما، تمره فلو لم يعرف من فضله إلا أن التمر يُنادى عليه بين المسجدين .. يمامي اليمامة .. يمامي اليمامة..)[٧].

---

(١) يقول عثمان بن بشر: (وفي هذه السنة وقع في بلدان نجد طيور تشبه العصافير البرية، وهي جنسان كالقنابر، والعصافير، حصدت الزروع)، انظر: عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] حوادث سنة ١٠٨٧هـ (٧٥/١) وكذلك سنة ١٢٤٢هـ (٢٨/٢).

(٢) انظر على سبيل المثال : المصدر السابق حوادث سنة ١١٨٤ هـ (٥٨/١).

(٣) د. محمد بن سعد الشويعر: **نجد قبل ٢٥٠ سنة** [مرجع سابق] (ص١٠٠).

(٤) أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه، **مختصر كتاب البلدان** ، [ليدن ـ مطبعة بريل ـ ١٣٠٢هـ] ص٢٩، وحمد الجاسر، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ** ، [مرجع سابق] ص (١٩ـ ٢٠).

(٥) انظر ما ذكره حمد الجاسر ينقل عن أبي حنيفة: أحمد بن داود الدينوري في كتابه الأخبار الطِوال : حمد الجاسر، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، [مرجع سابق]، (ص١٩).

(٦) العَذْيُ : بالكسر ويفتح : هو الزرع لا يسقيه إلا المطر، الفيروز آبادي، **القاموس المحيط** [بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ط الثانية ١٤٠٧هـ] مادة (ع ذ ي)(ص١٦٨٩) .

(٧) ابن الفقيه ، **مختصر كتاب البلدان** [مرجع سابق] (ص٢٩) .

ويقول ابن حوقل: (وأما اليمامة فوادٍ، والمدينـة بـه تسـمى الخضرمـة [١]، وهي أكثر نخيلاً وتمراً من المدينة ومن سائر الحجاز)[٢].

ومما يدل أيضاً على أهمية الإنتاج الزراعـي لمنطقـة اليمامـة: اعتمـاد بعـض سكان الجهات البعيدة عنها على حنطتها، مثل قريش في مكة، الذين أرسـلوا إلى النبيﷺ يطلبون منه فك الحصار الاقتصادي الذي فرضه عليهم ثمامـة بـن أثال ﷺ حين أسلم، وقطع عنهم حنطة اليمامة[٣]، وقـد ذكـر ابـن الأثـير أن معاويـة بـن أبـي سـفيان ﷺ أرسـل أربعـة آلاف مـــن الرقيـق وأسـرهم في الخضارم[٤]، من إقليم اليمامـة بنجـد لاستصلاحها واستثمارها[٥]، ممـا يـدل على خصوبة هذه الأرض وصلاحيتها للزراعة منذ القِدم.

– **وأما التجارة:** فإن من الملاحظ وجود ثلاثة أنماط من التجارة حينـذاك: محلية، وإقليمية، وخارجية[٦].

---

(١) **الخِضْرِمَة:** كانت من أشهر قرى اليمامة وهي الآن روضة تقع شمال (منفوحة) في مفيض وادي (البطحاء) في مدينة الرياض .انظر : حمد الجاسر ، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ** ، [مرجع سابق]، (ص١٩).

(٢) محمد بن علي بن حوقل، **صورة الأرض** [بيروت ـ دار مكتبة الحياة ـ ١٣٩٩ هـ] ، (ص٣٨) .

(٣) عبد الملك بن هشام ، **سيرة النبي** ﷺ [الرياض ـ توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء ــ ب ت] (٣١٧/٤) .

(٤) **الخضارم:** وادٍ بأرض اليمامة،وأصل الخضرم هوالرجل الكثير العطية ،ياقوت الحموي، **معجم البلـدان** [مرجع سابق] ،(٤٣٠/٢) .

(٥) ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** [بيروت ــ دار إحياء التراث العربـي ــ ط الأولى ١٤١٢هــ] (٣٠٤/٣).

(٦) د. عبدالله العثيمين ، **تاريخ المملكة العربة السعودية** (٤٠/١)

فالمحلية: هي التي تجلت في التعامل التجاري الذي كان سائداً بين سكان الحضر في كل بلدة على انفراد، وقد تمثلت -في الغالب- في المنتجات الزراعية والمصنوعات المحليّة.

وأما التجارة الإقليمية: فهي التي كانت قائمة بين البلدان النجدية، أو بين حاضرة نجد وباديتها، وتمثلت في الفائض من الإنتاج الزراعي، أو الثروة الحيوانية أو المصنوعات البسيطة.

وأما التجارة الخارجية: فهي التي كانت قائمة بين سكان نجد حاضرة وبادية وبين سكان الأقطار الأخرى خارج نجد، فكما أن نجداً -على سبيل المثال- كانت غنية بالثروة الحيوانية، حتى كانت تسمى (أم البل)[1]، لوفرة الإبل فيها، فإنها كانت في الوقت ذاته تفتقد الكثير من المنتوجات الضرورية، فكانت تضطر إلى بيع الفائض من ثرواتها الحيوانية للحصول على ما تحتاجه من الأسلحة والملابس وبعض الأطعمة[2]، وكذلك بعض الأواني والأدوات.

وكانت الوسيلة الوحيدة للاستيراد هي القوافل الجماعية التي كانت كثيراً ما تتعرض لمخاطر البادية وقطّاع الطريق بالتّعدّي نهباً ومقاتلة؛ ولذا يعمد

(١) بوركهارت ، **ملاحظات على البدو والوهابيين،** [لندن ، ١٨٣١م] (٦٩/١). نقلاً عن د. عبدالله العثيمين، **الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره** [مرجع سابق] (ص١٣) ، وقد ترجم العثيمين جزءاً من هذا الكتاب تحت عنوان: الرحالة بوركهارت، **مواد لتاريخ الوهابيين** [الطبعة الثانية ١٤١٢هـ]. و لم يرد هذا النص ضمنها .

(٢) انظر د. عبدالله العثيمين ، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره** (ص١٣)، وكذلك **تاريخ المملكة العربية السعودية** ، للمؤلف نفسه (٤١/١) .

أصحابها إلى دفع ضريبـة باسـم (أخـاوة) -وهـي الأتـاوة- لشـيوخ القبـائل، للحماية أثناء المرور بأراضي هذه القبيلة، وتنتهي المسؤولية إذا دخلت القافلـة حدود القبيلة الأخرى، مما يستوجب وضع عـدة (أخـاوة) لأكـثر مـن قبيلـة، حتى تبلغ القافلة مقصدها[١].

وعلى الرغم من ذلـك، فكثـيراً مـا كـانت تلـك القوافـل تتعـرض للسـلب والنهب؛ حتى أصبح الاعتراض على القوافل من أبرز الأحداث التي كثـيراً مـا يرصدها المؤرخون[٢]، ويتناقلها الناس في مجتمعاتهم[٣].

وبالجملـة، فقـد اسـتفادت بـلاد نجـد مـن موقعهـا الجغـرافي علـى الطـرق التجارية، مما ساعد في تنشيط الحركة الاقتصادية، فقد كانت نجـد تقـع على الطريق الذي يربط اليمن بالعراق[٤]، كما أنها تقـع علـى الطـرق الـتي تربـط البصرة والبحرين في الشرق ؛ بالحجاز في الغرب[٥]، وكانت الخضارم بـأرض اليمامة تقع على هذا الطريق، وكانت محطة تجارية لتلـك القوافـل [٦]، ويبـدو

---

(١) د. محمد الشويعر ، **نجد قبل ٢٥٠ سنة** [مرجع سابق] ، (ص١٠٤) .

(٢) انظر: عبدالله البسام ، **مخطوطة تحفة المشتاق** [مرجع سابق] ورقة (١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧) وعثمـان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد** [مرجع سابق] (٢/٣٣٧، ٣٣٩) ، ومحمـد الفـاخري : **الأخبـار النجدية** [مرجع سابق] (ص١٠٠) .

(٣) د. محمد الشويعر ، **نجد قبل ٢٥٠سنة** [مرجع سابق] (ص١٠٧) .

(٤) عبيد الله بن أحمد بن خرداذبة ، **المسالك والممالك** ، [بغداد ـ مكتبة المثنى ـ ١٣٩٠هـ] (ص١٥١).

(٥) الحسن بن أحمد الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** بتحقيق : عبدالله بن بليهد [القاهرة ـ مطبعة السـعادة ـ ١٣٧٣هـ] (ص٢٨١) .

(٦) ابن خرداذبة ، **المسالك والممالك** [مرجع سابق] ، (ص١٤٧، ١٥٣) .

أن الخضارم كانت هي نقطة التقاء (طريق اليمن إلى العراق) مع (طريق البحرين إلى الحجاز)[١].

ومع ذلك ورغم وجود بعض المقومات التي يمكن أن تساعد على قيام حركة اقتصادية نشِطة؛ إلا أن حياة القلق والخوف، وعدم استتباب الأمن، والاضطراب الداخلي .. وغيرها من العوامل قد تركت أثرها البالغ على الحركة الاقتصادية[٢]، وأصابتها هي الأخرى بالاضطراب والضعف.

رابعاً: الحالة السياسية (لمحة موجزة عن الحالة السياسية في نجد واليمامة منذ فجر الإسلام حتى القرن الثالث عشر الهجري):

عند طلوع شمس الإسلام، كانت زعامة اليمامة وما حولها في يد هوذة ابن علي السحيمي الحنفي، وثمامة بن أثال الحنفي، وحين بعث رسول الله ﷺ مبعوثيه إلى الملوك يدعونهم إلى الإسلام؛ بعث سليط بن عمرو - أحد بني عامر بن لؤي [٣] إلى ثمامة وهوذة، وكانا من أشد الملوك معارضة للإسلام، وتوفي هوذة على الكفر أما ثمامة رضي الله عنه فقد أسلم وحسن إسلامه .

وفي عام الوفود، جاء وفد بني حنيفة وأسلموا، وأصبحوا قوة للإسلام بالرجال والمال، غير أن مسيلمة الحنفي ارتد وادّعى النبوة، فأرسل له أبو بكر

---

(١) المرجع السابق ، الصفحة ذاتها .

(٢) د. محمد الشويعر، **نجد قبل ٢٥٠سنة** [مرجع سابق] (ص٩٢، ٩٨).

(٣) عبد الملك بن هشام . **سيرة النبي**ﷺ [مرجع سابق] (٤/ ٢٧٩) .

ﷺ جيشاً بقيادة خالد ﷺ فأخمد فتنته [١]، ثم بسطت الخلافة يدها الرحيمة على قلب الجزيرة العربية، واعتنت بنشر الإسلام فيها، وتعليم الناس مبادئ دينهم، واستمرت العناية في عهد الخلفاء الراشدين، والخلافة الأموية، وصدر الخلافة العباسية.

ولكن الملاحظ أن العناية بهذه البقعة بدأت تتضاءل؛ نظراً لفقرها وجدبها، وحين ضعفت الخلافة العباسية فقدت سيطرتها كاملة على الجزيرة العربية[٢] وبعض الأقاليم، وقامت الثورات الانفصالية؛ منها: ثورة إسماعيل بن يوسف في الحجاز(٢٥١هـ)، الذي توفي وتولى بعده أخوه محمد بن يوسف الملقب بـ (**الأخيضر**) الذي توجه إلى اليمامة وملكها، وإليه ينسب (**الأخيضريون**) الذين ملكوا حتى قضى عليهم القرامطة (٣١٧هـ).

و لم تقم بعد ذلك إمارة موحَّدة في قلب جزيرة العرب، بل أصبحت خاضعة للدويلات التي حكمت البحرين أو لإمارات صغيرة [٣]، وبعد مقتل مقرن بن زامل الجبري [٤] على يد البرتغاليين عام (٩٢٨هـ)، استقل كل أمير بما تحت يده [٥].

---

(١) انظر : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي .**البداية والنهاية** [بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ب ت] (١٣٧/٣، ١٤٤) (٤٥/٥، ٤٧) (٢٤٠/٦، ٢٧٢) (٤١/٩) .

(٢) د. أحمد شلبي ، **موسوعة التاريخ الإسلامي** [القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط الخامسة ـ ١٩٩٢م] (٣٣/٧).

(٣) انظر : حسين خزعل .**حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب** . [مرجع سابق] (ص٣٧) .

(٤) مقرن الجبري : آخر حكام الجبريين الذين حكموا البحرين بعد القرامطة والعيونيين . المرجع السابق (ص٣٨)

(٥) المرجع السابق (ص ٣٧)

ومع حلول القرن الثاني عشر الهجري، أصبحت نجد مقسّمة إلى إمارات عديدة مستقلة، كل إمارة لها أمير، يحكمها حكما مطلقاً، لا يتطاول عليه فيه أحد. فكانت الإمارة في العيينة لآل معمر، وفي الدرعية لآل سعود، وفي الرياض لآل دواس، وفي حائل لآل علي ، وفي القصيم لآل حجيلان، وفي شمال نجد لآل شبيب.

وكثيراً ما تشتعل الحروب والفتن بين حكام وشيوخ هذه الإمارات لسبب أو لغير سبب [١]، حتى أصبح المسلمون في الديار النجدية متعادين متفرقين، ليس فيهم ملك ولا إمام، ولا يسودهم شرع ولا نظام، يقتل بعضهم بعضاً، ويأكل قويهم ضعيفهم ولا يتناهون عن منكر فعلوه [٢]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تطور إلى صراع داخل القرية الواحدة، بل وداخل أفراد الأسرة الواحدة [٣].

أما الدولة العثمانية، فرغم أن مناطق نفوذها قد أحاطت نجداً من أغلب جهاتها، إلا أن بلاد نجد لم تشهد خلال تلك الفترة ولاة عثمانيين ولا حامية تركية [٤]، بمعنى أن نجداً لم تشهد نفوذاً عثمانياً مباشراً في تلك الفترة، وما

---

(١) عبدالله بن سعد الرويشد . **الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ** [القاهرة ـ القاهرة الحديثة للطباعة ـ ط الثانية ١٤٠٤هـ] (١/٢٥).

(٢) محمد بن عبدالله آل عبد القادر الأنصاري الأحسائي. **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد** ، بإشراف الشيخ : حمد الجاسر ، [الرياض -مطابع الرياض - ط الأولى ١٣٧٩هـ] (١/١٢٤) .

(٣) د . عبد الله بن يوسف الشبل . **محاضرات في تاريخ الدولة السعودية** [مرجع سابق] (ص٢٥) .

(٤) انظر : د. عبدالله العثيمين ، **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية** ، [مرجع سابق] (ص١٣) .

ورد من أن بعض أئمة المساجد النجديـين كـانوا حينـذاك يمجـدون السـلطان العثماني، أو يدعون له في الخطبة ربما كـان سـببه مـا يكنّـه السـنّة عامـة مـن مشاعر طيبة تجاه ذلك السلطان، أو ربما كان ذلك ناتجاً عن استعمال أولئـك الأئمة لكتب احتوت على خطبٍ من هم أغزر منهم علماً في المناطق الخاضعة خضوعاً مباشراً للعثمانيين[1]، ولعل ذلك يفسر استمرار هـذه الظـاهرة عنـد بعض الأئمة حتى بعد سقوط الدولة العثمانية.

ولعل من أسباب عدم خضوع نجـد للنفـوذ العثمـاني: عـدم تركـز اهتمـام الدولة العثمانية على (هذه البقعة)؛ حيث لم تكن منطقـة (نجـد) تمثـل للدولـة العثمانية أية أهمية اقتصادية أو سياسـية أو دينيـة، ولذلـك لوحـظ أن الدولـة العثمانيـة ركـزت اهتمامهـا -في تلـك الفـترة- علىالحجـاز حيـث الأمــاكن المقدسة، وعلى السـواحل الشـرقية والغربيـة، خاصـة بعـد تعرضهـا لحمـلات البرتغاليين.

وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت هناك محاولات لبسط النفوذ علـى هـذه المنطقة ، منها محاولات أشراف الحجاز وبـني خـالد حكـام الأحسـاء، إلا أن جميع تلك المحاولات لم تتمكن من بسط النفوذ، أو السـيطرة علـى العلاقـات بين القبائل والبلدان المختلفة داخل بـلاد نجـد[2]، وإن كـان بعضهـا قـد نجـح

---

(١) انظر : د. عبد الله بن صالح العثيمين ، **تاريخ المملكة العربية السعودية** [مرجع سابق]، (١/ ٣٨ — ٣٩).

(٢) انظر : د . عبدالله الصالح العثيمين . **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكـة العربيـة السـعودية** [مرجع سابق] (ص١٣) . وانظر : مقالاً للدكتور محمد محمـود السـروجي بعنوان (موقـف مصـر إزاء بعـض مشكلات شبه الجزيرة العربية) **المجلة التاريخية المصرية** سنة ١٩٥٨م (ص ٧ -٧٢).

نسبياً في السيطرة على بعض المناطق، فقد كان بنو خالد مسيطرين على شمالي نجد (جبل شمّر)، والذي يظهر أيضاً أن إمارة العيينة كانت تعترف بسلطان بني خالد [1].

وبشكل عام، فإنه يمكن أن يقال: إن نجداً لم تبرح محتفظة باستقلالها وحريتها [2] إبّان فترة ظهور دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-، وما ظهر عند بعض أمرائها من ولاء لبعض السلطات خارج نجد، لم يكن ولاءً قهرياً، وإنما كان -على ما يبدو- مقابل ما تدفعه تلك السلطات من معونات دوريّة لذلك الأمير.

خامساً: الحالة الدينية في نجد في تلك الفترة.

كانت قرى نجد وبلدانها -كما يحدثنا المؤرخون كابن غنام[3]،

---

(١) انظر : د . عبدالله الصالح العثيمين . **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية** [مرجع سابق] (ص١٣) .

(٢) لوثروب ستودارد . **حاضر العالم الإسلامي**، نقله إلى العربية : عجاج نويهض [بيروت ــ دار الفكر ــ ١٣٩٤هـ] (٢/ ٩٧) .

(٣) الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام المالكي الأحسائي، عالم وأديب من علماء الأحساء ، اجتذبه إلى الدرعية ما طرأ عليها بعد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ازدهار، فرحل إليها وكان من البارزين في فهم الدعوة، وفي الدعوة إليها وتدوينها وأبرز كتبه، كتاب: **روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**، وفيه تفصيل واف عن تعاليم الشيخ ودعوته وجهاده وقد توفي(رحمه الله) سنة(١٢٢٥هـ) .انظر: محمدبن عمر الفاخري ، **الأخبار النجدية** [مرجع سابق] (ص١٤٠) وعبد العزيز الخويطر ، **عثمان بن بشر منهجه ومصادره** [الرياض ــ الطبعة الثانية ــ ١٣٩٥هـ] (ص٧) .

وابن بشر[١]، والألوسي[٢]، وكما يظهر من كتابات الإمام -رحمه الله- مرتعاً للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين الصحيحة، فلم تكن هذه البقعة أحسن حالاً من بقية بلدان العالم الإسلامي، التي وقع كثير من أهلها في ألوان من الشرك، الذي أصبح أغلظ من شرك الأولين، حيث كان مشركو الجاهلية الأولى يشركون في الرخاء، ولكنهم كانوا يخلصون الدعاء لله في الشدة؛ أما مشركو هذا الزمان، فإنهم يشركون في الرخاء والشدة على حدٍ سواء.

وقد بيَّن الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- هذه الحقيقة في كتاباته، فقال -رحمه الله- في رسالة القواعد الأربع[٣]: (القاعدة الرابعة : أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة،

---

(١) هو الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر، من قبيلة بني زيد من شقراء، مؤرخ نجد وآل سعود، ولد عام (١٢١٠هـ) أي قبل وفاة ابن غنام بخمسة عشر عاماً تقريباً، له عدة مؤلفات، من أشهرها كتابه **عنوان المجد، في تاريخ نجد** دوّن فيها حوادث الفترة ما بين(١١٥٨هـ) إلى (١٢٦٧هـ). وتوفي سنة (١٢٩٠هـ) في بلدة (جلاجل) عن نحو ثمانين سنة.انظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام** [مرجع سابق] (٢٠٩/٤) عبد العزيز الخويطر، **عثمان بن بشر منهجه ومصادره**، [مرجع سابق] (ص٨) .

(٢) هو **محمود بن عبدالله بن محمود الألوسي الحسيني**، مؤرخ عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح ، ولد في رصافة بغداد عام (١٢٧٣هـ)، وطلب العلم على أبيه وعمه، وتصدى لأهل البدع برسائل فعادوه، له (٥٢) مؤلفاً منها: تاريخ نجد، وبلوغ الأرب في أحوال العرب. توفي سنة (١٣٤٢هـ).انظر:خير الدين الزركلي ، **الأعلام** [مرجع سابق](١٧٢/٧).

(٣) رسالة القواعد الأربع : تصنّف ضمن رسائل الإمام (العلميّة) ، وقد طبعت عدة طبعات، منها : طبعة ضمن مجموع مؤلفات الشيخ -قسم العقيدة- الجزء الأول .

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥])(١).

ولم يكن هذا البلاء مقصوراً على حاضرة نجد وقراها فحسب، بل شمل أيضاً معظم مناطق البادية التي بلغ بها الجهل والتفريط في الواجبات الدينية مبلغه، وقد كانت البادية آنذاك تشكل القسم الأكبر من سكان هذه المنطقة(٢)، ورغم أن موقف الإمام -رحمه الله- في مبدأ أمره من أهل البادية كان التوقف في أمرهم- كما قال ابن غنام عن الإمام: إنه لم يبادر إلى (تكفير أولئك العربان، بل توقف تورعاً عن الإقدام في ذلك الميدان)(٣) إلاّ أن هذا التوقف لم يدم؛ حين تحقق الإمام من كفرهم وعنادهم، رغم معرفتهم للحق.. كما هو واضح من رسالته - رحمه الله- إلى أحمد بن إبراهيم(٤).

حيث يقول: (وأعظم من ذلك وأطم، أنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله، وتبرأوا من الدين كله، واستهزأوا بالحضر الذين يصدّقون

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (قسم العقيدة ١/٢٠٢).

(٢) د.عبد الله الصالح العثيمين، **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية** (ص١٣).

(٣) حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام** [الرياض- المكتبة الأهلية- الطبعة الأولى- ١٣٦٨ هـ] (٣٣/١)

(٤) أحمد بن إبراهيم: هو مطوع مرات في زمن الإمام،وهو ممن راسلهم الإمام، وجرى بينه وبينه حوار وجدل في مسألة التكفير وغيرها من المسائل، ويبدو أنه كان يميل إلى موافقة خصوم الدعوة، أمثال المويس وابن إسماعيل وابن ربيعة، حيث عاتبه الإمام على ذلك، كما يظهر أنه كان مجرد (مطوع)، أي طالب علم، وليس عالماً مشهوراً، ولعل ذلك يسوغ عدم عثور الباحث على ترجمة له. انظر رسالة الإمام للمترجم له :**مجموع مؤلفات الشيخ**، (الرسائل الشخصية ٥/٢٠٤).

بالبعث، وفضلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزأوا بها، مع إقرارهم بأن محمداً رسول الله، وأن كتاب الله عند الحضر، لكن كذبوا وكفروا واستهزأوا عناداً، ومع هذا تنكرون علينا كفرهم)(١).

ويقول أيضاً في رسالته إلى محمد بن عيد(٢): (من المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادي أو أكثرهم، وأنهم يقولون: إن كتاب الله عند الحضر، وأنهم عافوه (٣)، ومتبعون ما أحدث آباؤهم مما يسمونه (الحق)، ويفضلونه على شريعة الله، فإن كان للوضوء ثمانية نواقض؛ ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض)(٤).

ويرى ابن بشر أن أهل البادية كان لهم أثر أيضاً في بث الشرك بين الحضر، حيث علل فشو الشرك ، والاعتقاد بالأشجار والأحجار ونحوه بقوله: (والسبب الذي أحدث ذلك في نجد -والله أعلم- أن الأعراب إذا نزلوا إلى البلد وقت الثمار، صار معهم رجال ونساء يتطببون ويداوون، فإذا كان في أحد من أهل البلد مرض؛ أتى أهله إلى متطببة ذلك القَطين من

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٢٠٩) .

(٢) محمد بن عيد : من مطاوعة ثرمداء في زمن الإمام ، ويذكر الفاخري أنه قتل سنة (١١٧٩هـ) في وقعة الصحن ، وهو موضع قرب ثرمداء . و لم أعثر على ترجمة مفصّلة له، انظر : الفاخري ، **الأخبار النجدية** [مرجع سابق] (ص١١٤)، وانظر رسالة الإمام للمترجم له **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٢٤)

(٣) عافوه: من عاف الطعام أو الشراب :إذا كرهه فلم يشربه .(الفيروز آبادي ، **القاموس المحيط** [مرجع سابق] مادة (عفّ) (ص١٠٨٤) .

(٤) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٢٥) .

البادية، فيسألونهم عن دواء علته، فيقولون لهم : اذبحوا له في الموضع الفلاني كذا كذا؛ إما خروفاً أسود، وإما تيساً أصمع ..ثم يقولون لهم: لا تسموا الله على ذبحه.. وأعطوا المريض منه كذا وكذا، واتركوا كذا، فربما يشفى مريضهم، فتنة لهم واستدراجاً، وربما يوافق وقت الشفاء، حتى كثر ذلك في الناس، فوقعوا في عظائم الأمور)[1].

ولم تكن بقية المناطق المجاورة - مثل أرض الحجاز وغيرها- أحسن حالاً من نجد وباديتها؛ حيث يقول الإمام -رحمه الله تعالى- في رسالته إلى سليمان بن سحيم[2]: (ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز، الذي ينكر البعث منهم أكثر ممن يقرّ به، وأن الذي يعرف الدين أقل ممن لا يعرفه، والذي يضيع الصلوات أكثر من الذي يحافظ عليها والذي يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها)[3].

وقد كانت أبرز المخالفات العقدية المنتشرة في ذلك الوقت:

---

(١) عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد** [مرجع سابق] (٦/١) .

(٢) هو : سليمان بن محمد بن سحيم (١١٣٠ - ١١٨١هـ) أشد خصوم الدعوة ومناوئيها، ولد في المجمعة ، وقرأ على علماء نجد، ومنهم والده، ثم استوطن الرياض، وصار مفتي أهل البلاد وإمامهم وخطيبهم ،وحين كتب له الإمام رسالة لطيفة ليوافقه في الدعوة، أظهر العداء وكتب الرسائل يؤلب الخصوم على الإمام. ويرجّح ابن بسام أن سليمان انزوى في الزبير بعيداً عن سلطان الدعوة، وهناك كانت وفاته. انظر : الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون** [مكة المكرمة -مكتبة النهضة الحديثة- ط الأولى ١٣٩٨هـ] (٣٢٢/١)، وانظر ما كتبه الدكتور عبد الله العثيمين عن موقف ابن سحيم من الدعوة ، **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية** [الرياض -مكتبة التوبة- ط الثانية ١٤١١هـ] (ص٩١ - ١١٣).

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٢٣٥/٥) .

١- الاعتقاد في القبور :

وقد انتشر هذا البلاء في تلك البقاع؛حتى أصبح البلد الذي يسلم منه يعد شاذاً ومتميزاً، وهذا واضح من خلال حديث الإمام محمد -رحمه الله- عن أهل القصيم، الذين كانوا يشعرون بهذا التميز، حيث يقول: (وأهل القصيم غارّهم أن ما عندهم قبب ولا سادات، ولكن أخبِرْهمْ أن الحب والبغض والموالاة والمعاداة لا يصير للرجل دين إلا بها)[1]، وهذا يوحي بأن كثيراً من البلدان -باستثناء القصيم- قد انتشر وتفشى فيها هذا البلاء؛ حيث كان الناس -في ذلك الوقت- يأتون إلى بعض القبور والأضرحة، فيفزعون إليها لجلب نفع أو دفع ضرّ، ويهتفون بالدعاء لها من دون الله تعالى، ويصرفون لها كثيراً من ألوان العبادة التي لا ينبغي أن تصرف لغير الله سبحانه وتعالى، ومن هذه القبور: قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة، وقبر يزعمون أنه لضرار بن الأزور في شعيب غبيرا، وقبور يزعمون أنها للصحابة في قريوة في الدرعية[2]، وغلب على كثيرٍ من الناس في ذلك الزمان الخوف من هذه القبور وتعظيمها أكثر من خوفهم من الله تعالى، وتعظيمهم له.

٢- الاعتقاد في الأولياء والغلو فيهم:

كان هذا الانحراف العقدي من أهم المسائل التي احتد فيها النزاع بين الإمام -رحمه الله- وبين خصومه، ويتضح ذلك من خلال رسائل الإمام التي تعرضت لهذه المسألة من عدة جوانب ، فكثيراً ما تحدث الإمام -رحمه الله-

(١) من رسالة وجهها الشيخ إلى عبد الله بن علي ومحمد بن جماز، **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٣٢٢/٥) . وهذه الرسالة ليست في الدرر ، ولا في روضة الأفهام ؛ وإنما وجدت ضمن مجموعة خطيّة في مكتبة الشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد .

(٢) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٧/١) .

عن بعض الأسماء التي كان بعض النجديين يعتقدون في أصحابها اعتقادات باطلة؛ أمثال: شمسان وإدريس وتاج [١] وغيرهم، وأحياناً يسميهم الإمام: أولاد شمسان، وأولاد إدريس، أو يقول: محمد بن شمسان [٢]، وكان يسميهم الطواغيت والكفرة، حيث يقول -رحمه الله- على سبيل المثال- في جوابه لأحد المسائل: (وأعظم من ذلك وأطم، أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة، مثل شمسان وإدريس ويوسف وأمثالهم)[٣]، والذي يبدو أن يوسف هذا لم تكن شهرته في نجد؛ بل كان من (الأولياء) المشهورين في الكويت، حيث يقول الإمام في موضع آخر حين كان يبين (من يجب عداؤهم) فذكر منهم: من (من مَدَحَ مَن عَبَدَ يوسفَ والأشعريَ وأبا علي والخضر[٤]، من أهل الكويت)[٥].ومن الأسماء التي اشتهرت في ذلك الوقت أيضاً: طالب

(١) لم أعثر على ترجمة لهؤلاء الأشخاص ، وإنما غلبت شهرتهم في ذلك الوقت عند الجهال من عامة الناس، فتاج -على سبيل المثال-: كان أهل الدرعية يزعمون أنه ولي، ويغلون فيه، حتى سلكوا فيه سبيل الطواغيت، وصرفوا إليه النذور والدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضرّ، ويزعمون أن له كرامات وخوارق، ويزعمون أنه أعمى، ويأتي من بلدة الخرج من غير قائد يقوده ..حيث كان يأتي من الخرج إلى الدرعية لتحصيل ماله من النذور والخراج .انظر: المصدر السابق (٨/١) .

(٢) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٧/١)

(٣) المرجع السابق ، (١٧٨/١) .

(٤) يوسف والأشعري وأبو علي والخضر: ممن اشتهر تعظيمهم والغلو فيهم عند عامة الناس، و لم يعثر الباحث على ترجمتهم، وربما كان الأخير هو الخضر عليه السلام الذي رجّح جمهور العلماء أنه نبي، وساق الإمام ابن كثير عدة أدلة على نبوته، وذهب فريق من العلماء إلى أنه وليٌّ وليس نبياً، وبه قال بعض المتصوفه ليستشهدوا بذلك على زعمهم الباطل بأن الولي أفضل من النبي، انظر أدلة الفريقين ومناقشتها: الإمام ابن كثير، **البداية والنهاية** [مرجع سابق] (٣٠٣/١ -٣١٤) ود.صلاح عبد الفتاح الخالدي، **مع قصص السابقين في القرآن** [دمشق -دار القلم- ط الأولى ١٤٠٩هـ] (١٧٨/٢- ١٨٠).

(٥) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١٨٠/١).

الحمضي[1].

كما بيّن الإمام -رحمه الله- أن بعض المتصوفة وغيرهم غلوا في أشـخاص آخرين، فساد عند بعضهم (الاعتقاد في الزاهد ، والمطيوية، والاعتماد عليهم)[2]، (وعبادة العيدروس[3] وأبي حديدة [4]، وأمثالهما)[5]، واعتقاد صلاح (السائح الأعرج) [6].

وتوضح رسائل الإمام أن مما كان يفعله أولئك الأولياء المزعومون أنهم كانوا (يأكلون أموال الناس بالباطل، ويأمرون الناس أن ينذروا لهم ..) [7]، ونحو ذلك من المخالفات.

٣- الاعتقاد في الأشجار:

من بين تلك الأشجار التي وقع فيها الغلو: (الفحّال)، وهو ذكر النخل،

(١) انظر:**مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٢٤٠/٥) و لم يعثر الباحث على ترجمة طالب الحمضي هذا.

(٢) انظر: المرجع السابق (٢٤١/٥). و لم يجد الباحث ترجمة للزاهد والمطيوية .

(٣) العيدروس : أبوبكر بن عبدا لله الشاذلي العيدروس ، من آل باعلوي ، يزعمون أنه مبتكر القهوة المتخذة من البن المجلوب من اليمن ، كان زاهداً ، ولد في تريم (بحضرموت) (٨٥١هـ)، وأقام بعدن ٢٥سنة بعد سياحة طويلة وتوفي بها ، له كتاب في التصوف على طريقة الشاذلية سماه (الجزء اللطيف في علم التحكيم الشريف) و (ثلاثة أوراد) ولجمال الدين بحُرَق الحضرمي كتاب فيه سماه ((مواهب القدوس في مناقب العيدروس)) انظر: الزركلي، **الأعلام**، [مرجع سابق] (٦٦/٢) .

(٤) لم يعثر الباحث على ترجمته .

(٥) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٢١٧/٥)، وانظر: المرجع نفسه (ص١٧٢، ٢٢٣) .

(٦) لم يجد الباحث ترجمة له .

(٧) **مجموع مؤلفات الشيخ** ، (٢١٦/١) .

وكان في بليدة الفدا،وكانت تأتيه النساء إذا تأخرت إحداهن عن الزواج، فتضمه، وتقول: (يا فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحول).

وكذا شجرة (الطرفية) كانوا يتبركون بها، وكانت المرأة إذا ولدت ذكراً علّقت خرقاً على الشجرة، معتقدة أن ذلك يضمن سلامة الولد من الموت والآفات [1].

٤- الاعتقاد في الأحجار:

يذكر المؤرخون من ذلك غاراً كبيراً كان في أسفل الدرعية (يزعمون أن الله خلقه في الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير، أراد بعض الفسقة أن يظلمها، فصاحت ودعت الله، فانفلق لها الغار؛ فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز، ويُهدون)[2].

- منكرات أخرى:

لم يتوقف الفساد والانحراف في ذلك الوقت على جانب العقيدة فحسب، بل تعداه إلى سائر الجوانب؛ يقول أحمد عبد الغفور عطار واصفاً تلك البيئة: (وفسدت الحياة العقلية والدينية والاجتماعية، فإذا كان الدين لديهم خرافات ووثنيات، فالموبقات والظلم والنهب والسلب والقتل كانت شريعة متبعة)[3].

ولكن .. هل هذه الصورة المظلمة لأهل هذه البلاد في تلك الفترة تعني أن الناس قد ابتعدوا عن دين الله بالكلية، وانطمست عندهم كل معالم

---

(١) انظر :حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١/٧) .

(٢) المصدر السابق (١/٧،٨) .

(٣) أحمد عبد الغفور عطار، **محمد بن عبد الوهاب** [بيروت ـ مكتبة العرفان ـ ط الثالثة ١٣٩٢هـ] (ص٣٢) .

الدين..؟؟.

لقد ذكرت بعض المصادر المؤيدة لدعوة الإمام أن أهـل نجـد كـانوا يـأتون كل باب من أبواب الشرك [١]، كما تذكر مصادر أخرى أن الشرك قد فشـا في المنطقة بنوعيه الأصغر والأكبر[٢]، وكثيراً مـا وصفـت هـذه المصـادر تلـك الفترة بالجاهلية[٣]، ووصفت الناس بأنهم (قد خلعوا ربقة التوحيد)[٤].

ولا شك أن هـذا الوصـف كـان موجـوداً بـالفعل في تلـك البـلاد، إلا أن المتأمل لرسائل الإمام -رحمه الله- بل ولتلك المصـادر نفسـها [٥]، يـدرك أن هذا الوصف لم يكن منطبقاً على جميع الفئـات، وأن فيـه شـيئاً مـن التعميـم؛ حتى إن أحد الباحثين المعاصرين، وهو الدكتور عبـد الله الصـالح العثيمـين ، يرى أن ذلك الانحراف كـان واقعـاً فقـط (بالنسبة لطائفـة معينـة مـن جهلـة النجديين، من المرجّح أنها كانت قليلة العدد)[٦].

ولا شك أن ما ذكره العثيمـين مـن أن ذلـك الانحـراف كـان واقعـاً فقـط بالنسبة لطائفة معيّنة من جهلة النجديين هـو المرجّـح؛ ولكـن الـذي يبـدو أن

(١) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٧/١) .

(٢) عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، [مرجع سابق] (٦/١) .

(٣) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار** [مرجع سابق] (٣/٢) .

(٤) سليمان بن سحمان ،**الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق**[الرياض ـ ط الثانية ــ ١٣٧٦هـ] (ص٧٠) .

(٥) يُبرز ابن بشر نجداً في بعض مواضع كتابه على أنها موطن للعلم والعلماء، الذيـن تحلى بعضهـم بـالعلم والورع، وجرت بينهم المناظرات العلمية ذات المستوى الرفيع، وكان لهم دور في التأليف ونشر العلم . انظر على سبيل المثال: **عنوان المجد** [مرجع سابق] (٢٢/١، ٤٧) .

(٦) د . عبدالله الصالح العثيمين . **الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره** [مرجع سابق] (ص٢١) .

تلك الطائفة لم تكن قليلة العدد كما ذكر العثيمين، بل هي كما يظهر من خلال رسائل الإمام والمصادر الموثوقة (كثيرة العدد)؛ خاصة إذا علمنا أن هذا الانحراف كان منتشراً في بلاد الحضر، وشائعاً بين عامة البدو على وجه الخصوص، بسبب غلبة الجهل؛ حتى وصفهم الإمام محمد -رحمه الله- بأنهم كانوا جاهلين جهلاً تاماً بالإسلام، وكانوا لا يمارسون أركانه من صلاة وصوم وزكاة، بل إن فريقاً من هؤلاء لا يؤمنون بالبعث [١]، ومن المعلوم في ذلك الوقت أن البدو وحياة البداوة كانت هي الصفة الغالبة بين الناس؛ حيث كانت البادية أكثر عدداً من الحاضرة [٢]، ولم يحرص البدو على التحضر إلا في مرحلة متأخرة بعد قيام حكومات قوية، استطاعت أن تحمي قوافل الحج من هجماتهم، وتوفر لهم مصادر الرزق الكريم.

فكثرة البدو، مع ما غلب عليهم من الجهل بأمور الدين، يرجّح القول: بأن الطائفة التي وقعت في الانحراف العقدي كانت كثيرة العدد في ذلك الوقت، وأن القلة فقط هم الذين سلموا من تلك الانحرافات، فكان منهم العلماء[٣]، وطلبة العلم والقضاة، الذين زاد عددهم في القرن الثاني عشر -

---

(١) حسين بن غنام، **روضة الأفكار** (١/١٠٨، ١٤٤) .

(٢) د . عبدالله الصالح العثيمين . **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية** [مرجع سابق] (ص١٣) .

(٣) وصل عدد علماء هذه المنطقة وحدها في القرن الثاني عشر (٥٧) عالماً. انظر د . محمد بن سعد الشويعر **نجد قبل ٢٥٠سنة** [مرجع سابق] (ص٣٨) .

في تلك المنطقة- على ثلاثة وخمسين قاضيــاً [(١)]، وكـانوا منتشـرين في أغلـب المناطق عند الحضر[(٢)]، بخلاف البدو الذين كانوا يتحاكمون في مشاكلهم إلى الأعراف والتقاليد، التي يسمونها (الحق) [(٣)].

ولعل الخلاف في مسألة مدى انتشار الانحراف في ذلك الوقت: وهــل هـو الغالب -كما يذكر ابن بشر وابن غنام وغيرهمــا- أم أنـه محصـور في طائفـة قليلة العدد -كما يرجح د. العثيمين- لعـل الخـلاف في هـذه المسـألة منشـؤه عدم تحديد مفهوم الانحراف المقصود.

- فإن كان الانحراف المقصود: **هو الجهل بحقيقة التوحيد، ووجوب صرف جميع أنواع العبادة لله تعالى دون غيره ،وعـدم المحافظـة علـى الصلـوات وبقيـة شرائع الإسلام كما يجب**؛ فإن هذا هو الغالب، وهو المنتشر في الحضر والبـدو -في ذلك الوقت- كما هو ظاهر من رسـائل الإمـام -رحمـه الله- وأغلـب المصادر المعتمدة؛ حيث قال الإمام في إحدى رســائله: (... ومعلـوم أن أهـل أرضنا وأرض الحجاز الذي ينكر البعث منهم أكـثر ممـن يقـرّ بـه، وأن الـذي يعرف الدين أقلّ ممن لا يعرفه، والذي يضيّع الصلوات أكثر من الـذي يحـافظ

---

(١) انظر :دراسة وافية عن القضاة والعلماء والكتب والمكتبات والأوقاف العلميـة في تلـك الفـترة. المرجـع السابق (ص٣٠ ـ ٥٥) .

(٢) عبد العزيز الخويطر ، **تاريخ الشـيخ أحمـد بـن محمـد المنقـور** [الريـاض ـ مطـابع مؤسسـة الجزيـرة ـ ١٣٩٠هـ] (ص١٩) . وانظـر: ابن غنام، **روضة الأفكار** ، [مرجع سابق] (١/١٣،٣٣).

(٣) ابن غنام، **روضة الأفكار** ، [مرجع سابق](١/ ١٠٨) .

عليها، والذي يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها) [١]. ومعلوم أن البادية الذين غلب عليهم هذا الانحراف هم الأكثر، حيث يقول الإمام: (... وإن كان عنزة وآل ظفير وأشباههم من البوادي هم السواد الأعظم)[٢].

- وإن كان الانحراف المقصود: **هو ترك الجميع لشعائر الدين الظاهرة بالكلية، كالأذان والصلاة والصيام والزكاة والحج ونحوه، وعودتهم إلى الجاهلية، وانطماس معالم الملّة**؛ فإن هذا على ما يبدو حكم يفتقر إلى الدقة، وفيه نوع من المبالغة، حيث إن الجميع بالجملة ينتمون إلى الإسلام، ويفخرون به، وينافحون عنه، ولا يعرفون ديناً غيره، ورغم أنهم كانوا يجهلون الكثير عنه، إلا أنهم بالمقابل كانوا يحرصون على بعض المظاهر التي تؤكد انتماءهم لهذا الدين، وإن كان بعضها في الواقع سنناً أو مستحبات، أو ربما بدع لا أساس لها من الدين. وكان القاضي والشيخ هو المرجع في بلدان الحضر لحل المشاكل والنزاعات، وله احترامه وتوقيره في نفوس الجميع، بل ما زال هناك وميض من مظاهر العلم والتعليم؛ بدليل أن ابن بشر نفسه وغيره من المؤرخين أشاروا إلى وجود علماء نجديين كانوا يتصفون بصفات جليلة، ولهم طلاب منتشرون في البلدان، والدارس لما كتبه أولئك العلماء - مثل المنقور وغيره- يرى وضوح تلك الصفات فيهم، والمتأمل لسوابق ابن بشر، وما ورد من شعر تلك الفترة؛ كشعر جبر بن سيار، وحميدان الشويعر

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٢٣٥) .

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٢٣٦) .

والرميزان وابن غشام[1]، يدرك مدى تمسك كثير من الناس -في تلك الفترة- بأحكام الإسلام الظاهرة، وتنفيذ واجباته، بل وبعض سننه، ولـو علـى سـبيل العادة.

وإن المتأمل لرسالة الإمام السابقة يجد أنها توحي بوجود طائفــة مـا زالـت محافظة على شعائر الدين، حيث ذكر الإمام أن (أكثر) الناس كانوا واقعين في ذلك الانحراف؛ مما يدل على أن هناك طائفة - وإن كانت هي (الأقـل)- مـا زالت محافظة على شرائع الدين الظاهرة ومتمسكة بها.

(١) انظر: د. عبد الله الصالح العثيمين. (بحث) ضمن **بحوث أسبوع الشيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب** (١/ ١٠١).

المطلب الثاني
ترجمة موجزة للإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

أولاً : نسبه ونشأته:

يرجع نسب الإمام -رحمه الله- إلى قبيلة (تميم) الشهيرة [1]، التي ورد فيها ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله ﷺ يقول فيهم، سمعته يقول: (هم أشد أمتي على الدجال)، قال:وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله ﷺ: (هذه صدقات قومنا)، وكانت سبية منهم عند عائشة، فقال: (أعتقيها، فإنها من ولد إسماعيل)[2].

اسمه:

أما اسمه : فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بأحمد

---

(١) انظر : عبدالله البسام ، **علماء نجد خلال ستة قرون** [مرجع سابق] (١/٢٥،٢٦)، وكذلك عبدالرحمن بن حمد المغيري الطائي ، **الكتاب المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب**، [مصر، مطبعة المدني، ١٣٨٢هـ] (ص ١٦١،١٦٤) .

(٢) البخاري ، **صحيح البخاري**، [مرجع سابق] ، كتاب : العتق ، باب : من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع، (ك ٥٤ب١٣، ح٢٤٠٥) (٢/٨٩٨).ومسلم : **صحيح مسلم** [كتاب فضائل الصحابة]، (باب:من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم) (ك٤٤، ب٤٧، ح ٢٥٢٥) (٤/١٥٥٤) .

ابن بريد (بن محمد[١]، بن بريد)[٢]، بن مشرف[٣]، بن عمر[٤]، بن معضاد ابن ريس[٥]، بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى

(١) أضاف بعض المؤرخين الجد السابع (محمد)، وأسقط الجد الثامن (بريد)، ليكون مشرف هو الجد الثامن بدلاً من التاسع، انظر: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، [دار اليمامة، ط١، ١٣٩٢هـ] (ص١٦)، وكتابه، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، **علماء الدعوة**، [مصر، مطبعة المدني، ١٣٨٦هـ] ص٦، وكذلك عبدالله بن عبدالرحمن البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**[مرجع سابق] (٢٥/١).

(٢) ما بين القوسين أسقطه بعض المؤرخين من نسب الإمام ليكون (مشرف) هو الجد السابع بدلاً من التاسع للشيخ، انظر: عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، (٨٩/١) وعبدالرحمن المغيري، **الكتاب المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب** [مرجع سابق]ص(١٦٣)

(٣) هذا هو الثابت في نسب الشيخ ؛ أن يكون (مشرف) هو الجد التاسع للشيخ وذلك كما في سرد المؤرخ الأقدم والأتم ضبطاً الشيخ حسين بن غنام ، **روضة الأفكار** ،(٢٥/١) ، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، **الرسائل والمسائل** ،(٣٧٩/٣) ،والمؤرخ إبراهيم بن عيسى ، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**، [الرياض، دار اليمامة، ط١، ١٣٨٦هـ] ص١٢٥، وإبراهيم بن ضويان ، **رفع النقاب عن تراجم الأصحاب**، مخطوط، لوحة ٧٤، عن مجلة الدارة، [عدد٢، رجب ١٣٩٨هـ] ص٩٧، وجمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] (١٢/ ٣)، والشيخ حمد الجاسر، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، [الرياض،دار اليمامة ، ط١،١٤٠١هـ]، (١/ ٤٦٩) فأصحاب هذا القول هم الأكثر عدداً والأتم ضبطاً والأقدم تاريخاً.

(٤) ذكر بعضهم أن والد مشرف (عمرو) بدلاً من (عمر)، وإلى ذلك ذهب عبدالرحمن المغيري في: **الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب** [مرجع سابق] ص١٦٣، وكذلك تركي آل ماضي في: **تاريخ آل ماضي** [الأزهر ـ مطبعة الشبكشي ـ طبعة سنة ١٣٧٦هـ] ص١٠، ولكن الصواب أنه (عمر). وعلى ذلك اتفق كلٌ من ابن بشر وإبراهيم بن عيسى وعبدالرحمن بن قاسم وحمد الجاسر وعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ وعبدالله بن عبدالرحمن البسام، انظر الحاشية السابقة.

(٥) ذكر إبراهيم بن ضويان في : **رفع النقاب عن تراجم الأصحاب** مخطوط لوحة(٧٤) ، [عن مجلة الدارة ع٢ رجب ١٣٩٨هـ ص٩٧]، وكذلك صاحب كتاب: محمد بن علي بن غريب، **التوضيح عن توحيد الخلاّق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب** [الرياض ـ دار طيبة ـ ط الأولى ١٤٠٤هـ] ص٢٥ (وهذا الكتاب مؤلفه : محمد بن علي بن غريب، ت ١٢٠٩هـ ونسب خطأً لتلميذه سليمان بن عبدالله بن الشيخ ـ انظر تحقيق نسبة هذا الكتاب لمؤلفه في (رسالة) الدكتوراه المقدمة من الشيخ صالح العبودي بعنوان: **عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي**، [المدينة المنورة ـ ط الجامعة الإسلامية] ص٥١٦) ذكر هذان المؤلفان أن والد معضاد (إدريس) بدلاً من (ريس) والراجح أنه (ريس) لأن القائلين بذلك أضبط وأكثر .

ابن مسعود بن عقبة[١]، بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير ابن شهاب ابن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد ابن مناة بن تميم بن مرّ [٢]، بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان[٣].

ويتضح من سرد نسب الإمام المتقدم أنه يلتقي مع نسب الرسولﷺ في (إلياس بن مضر)[٤]، أما والدة الإمام، فهي ابنة محمد بن عزاز المشرفي الوهيبي التميمي، فهي من عشيرته الأدنين [٥].

(١) نسب الإمام من (ريس) إلى (عقبة) تكلم عنه إبراهيم بن عيسى في كتابه: **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد** (ص٢٢٣)، حيث روي عن الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع قوله: وهذا النسب من ريس إلى عقبة، منقول من خط محمد بن أحمد بن محمد بن منيف بن بسام ابن منيف القاضي، ومن خط علماء الوهبة المعروفين المعتبرين مثل الشيخ أحمد بن محمد بن بسام، والشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصير، والشيخ سليمان بن علي (جد الشيخ محمد بن عبدالوهاب) ... وغيرهم .

(٢) نسب الشيخ من (عقبة) إلى (مرّ) منقول عن ابن الكلبي وياقوت الحموي، قال ابن الكلبي: وكان عقبة شريفاً -أي في قومه- انظر : المصدر السابق (ص٢١٢)، وعبدالرحمن المغيري: **الكتاب المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب** [مرجع سابق] ص١٦٤ ، وتركي آل ماضي في: **تاريخ آل ماضي** [مرجع سابق] (ص١٢)، وعبدالله البسام في: **علماء نجد خلال ستة قرون** [مرجع سابق] (٢٥/١).

(٣) نسب الشيخ إلى عدنان ذكره إبراهيم بن عيسى في : **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد** (ص٢١٢)، وكذلك الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ ذكره في حاشيته على: **عنوان المجد في تاريخ نجد** لابن بشر [ط وزارة المعارف] (١١٣/١)، وذكر أنه ثابت من وثائق علماء الوهبة وثبوتهم، وذكره الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف أيضاً في كتابه: **علماء الدعوة** [مصر، مطبعة المدني، ١٣٨٦هـ] ص٦ .

(٤) البخاري ، **صحيح البخاري** [مرجع سابق] (كتاب: فضائل الصحابة، باب:مبعث النبي ﷺ) (ك٦٣ ب ٥٧) (١٣٩٨/٣) .

(٥) عبدالله البسام : **علماء نجد خلال ستة قرون** ، [٢٦/١] ولم يذكر الاسم الأول لهذه المرأة، واكتفى بذكر اسم والدها ، وما ذكره البسام عن والدها ـ كما يقول حمد الجاسر ـ هو حصيلة ما في المؤلفات التي وصلت إلينا عن هذه المرأة ، انظر : ما كتبه حمد الجاسر عن المرأة في حياة الشيخ محمد ، ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب [الرياض ــ مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية] (١٦٩/١) .

- **مولده وبيئته العلمية:**

ولـد الإمـام محمـد بـن عبـد الوهــاب -رحمــه ا لله- في بلـــدة العيينـــة ســنة ١١١٥هـ[١]، فتفتحت عيناه في بيتٍ عماده العلم والإيمان والقضـاء والزعامـة الدينية؛ فوالده كان قاضي العيينة وعالمها الديني[٢]، وجــده سـليمان بـن علـي من أبرز علماء نجد وقضاتها وأوسعهم علماً وأنبههم ذكراً، وهو مرجع أهــل نجد في زمنه في الفتاوى[٣]، وعمه إبراهيم بن سليمان كان مجتهداً فقيهاً، ولـه عدة مصنفات، وكان يسافر إلى ما حولهم من البلاد لحاجتهم إليه في الإفتـاء، أما إقامته، فكان أكثرها عند أخيه عبدالوهاب -والـد الإمـام- [٤]، وكذلـك عمه الآخر أحمد بن سليمان كان من أهل العلـم، وابـن عمـه عبدالرحمـن بـن إبراهيم كان عالماً مطلعاً، والأخ الأكبر للإمام، وهو سليمان بن عبدالوهـاب، كان من طلاب العلم البارزين المجدّين في طلبه ، وكذلك خــال الإمـام، وهـو الشيخ: سيف بن محمد بن عزاز، كان فقيهــاً محبــاً للعلـم وأهلـه، ولـه أجوبـة

---

(١) حسين بن غنام ، **روضة الأفكـار والأفهـام** [مرجـع سـابق] (٢٥/١) ، ومحمـد الفـاخري، **الأخبـار النجدية**،[مرجع سابق] (ص٩١) ، وعثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تـاريخ نجـد**، [مرجـع سـابق] (٦/١) ، وانظر : (ردّ الدكتورعبد ا لله العثيمين على مـن أخطـأ مـن المؤلفـين في مكـان مولـد الشـيخ وزمانه، د. عبد ا لله العثيمين ، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره**، [مرجع سابق] ص٢٧ .

(٢) انظر : عبدا لله البسام ، **علماء نجد خلال ستة قرون**، [مرجع سابق] (٢٦/١) .

(٣) انظر : عبدا لله البسام ، **علماء نجد خلال ستة قرون**، [مرجع سابق] (٢٦/١) . والشيخ: عبدالرحمـن بن عبداللطيف بن عبدا لله آل الشيخ ، **علماء الدعوة**، [مرجع سابق] ص٧ وعبدا لله العثيمين، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره**، [مرجع سابق] (ص٢٦).

(٤) جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] (٢١٥/٩) .

وفتاوى[١].

وهكذا ولد الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- من أسرةٍ علميةٍ بادية الثراء؛ حيث إنّ كثيراً من أفراد تلك الأسرة تولوا مناصب قضائية، فنشأ في جو أسري مشجع على طلب العلم والتزود من المعرفة، فكان وضع الأسرة الاقتصادي يسمح له بالتفرغ للدراسة، وأبوه الفقيه القاضي كان يحثه على طلب العلم، ويرشده إلى طريق المعرفة، وبما أن أباه كان قاضي البلدة، فإن منزله كان في الغالب ملتقى طلاب العلم، سواءً كانوا من أهل البلدة، أم من أولئك الذين يفدون إليها من أماكن أخرى، ولعل من البدهي أن يستفيد الإمام محمد من تلك المناقشات العلمية التي تطرح في هذه اللقاءات، وأن يكون على علمٍ بأحكام بعض القضايا التي كان أبوه ينظر فيها بصفته قاضي البلدة[٢].

ولا شك أن هذه البيئة العلمية المحيطة بالإمام كان لها أعظم الأثر على نشأته العلمية، إضافةً إلى ما أنعم الله به عليه من استعداد فطري، وملكات متميزة من الذكاء والفهم وقوة الحافظة.

– نشأته العلمية:

ظهر أثر البيئة العلمية المحيطة بالإمام على نشأته ؛ فنشأ منذ طفولته محباً للعلم، معتزلاً في -غالب وقته- عن لعب الصبيان ولهو الجهال، ولم يكن في حاجةٍ إلى أن يترك داره ليذهب إلى (الكتّاب) كما يفعل بقيّة الصبيان ؛ بل

(١) عبدالله البسام ، **علماء نجد خلال ستة قرون**، [مرجع سابق] (١/٢٦/١١٠/٣٠٩/٣٢٩).

(٢) انظر : د. عبدالله العثيمين : **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره** [مرجع سابق] (ص٢٩).

كانت داره هي المدرسة الأولى في ظل رعاية أبٍ فياضٍ في العلم ، فحفظ القرآن واستظهره على يد أبيه العلاّمة ولما يبلغ العاشرة من عمره[١]، وكان -رحمه الله- حادّ الفهم وقّاد الذهن، ذكياً، سريع الحفظ، فصيح اللفظ، فاشتغل بطلب العلم على أبيه، وجدّ في الطلب؛ حتى كان والده يتعجب من فهمه وإدراكه قبل بلوغه، ويقول:لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام[٢]،...أو قريباً من هذا الكلام، وقد كتب والده إلى بعض إخوانه رسالةً نوّه فيها بشأن ابنه محمد، وأثنى فيها عليه وعلى حفظه وفهمه وإتقانه، وذكر فيها أن ابنه بلغ الاحتلام قبل أن يكمل اثنتي عشرة سنة من عمره، وأنه رآه حينئذٍ أهلاً للصلاة بالجماعة، لمعرفته بالأحكام، فقدّمه أبوه ليؤم الناس، وزوّجه وهو ابن اثنتي عشرة سنة[٣] -بعيد بلوغه- ثم أذن له بالحج، فحج، وقصد مدينة رسول الله ﷺ، وأقام فيها مدة من الزمن، ثم رجع.

وكان رحمه الله -على حداثة سنه- شديد الحرص على تعلم علوم الشريعة، فقرأ على والده -قاضي العيينة- في الفقه على مذهب الإمام أحمد، وكان إلى جانب ذلك كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام[٤]، فعني -رحمه الله- عناية خاصة بكتب شيخ الإسلام ابن

---

(١) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار** ، [مرجع سابق] (٢٥/١).

(٢) ذكر ذلك الشيخ سليمان بن عبدالوهاب (أخو الشيخ محمد) عن والدهما ، انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار** ، [مرجع سابق] (٢٥/١) .

(٣) يذكر الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ أن الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- تزوج بعد قدومه من الحج ، **علماء الدعوة** ،[مرجع سابق] (ص٧) .

(٤) انظر: حسين بن غنام ، **روضة الأفكار** [مرجع سابق] (٢٦/١)

تيمية وتلميذه ابن القيم، وكان لكتب هذين الإمـامين أكبر الأثـر في تكويـن شخصيته العلمية المتميزة، والأخذ بيده إلى مصادر العلـم الصحيحـة، فتكـوّن لديه الاتجاه السليم منذ صغره، وتركزت في قلبه العقيـدة الصحيحـة، وتخـرج على كتـب هذيـن الإمـامين المحققـين[١]، وقـد ساعده ذكـاؤه ونجابتـه وقـوة ذاكرته -بعد توفيق الله- على اختصار مراحل الدراسة، فـتزود خـلال بضـع سنوات من علوم الشريعة والعربية ما كان يتزوده غيره في ضعف زمنه[٢].

---

(١) الشيخ : صالح بن فوزان الفوزان، **من مشاهير المجددين في الإسلام** [الرياض ـ الرئاسة العامة للإفتاء ـ ١٤٠٨ هـ] (ص ٥٧) .

(٢) أحمد عبدالغفور عطار، **محمد بن عبدالوهاب** [بيروت- مكتبة العرفان- الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ] (ص ٣٢).

ثانياً : رحلاته العلمية :

لما استوعب الإمام ما درسه في بلدته (العيينة) من علوم الفقه والعربية والحديث والتفسير- تطلع إلى الزيادة، وعزم على الرحلة في طلب العلم إلى علماء البلاد المجاورة، للاستفادة من علومهم .

فبدأ رحلاته العلمية بالسفر إلى الحجاز[1]، وكان قد تشرف قبلها بحج بيت الله الحرام [2]، فحج مرة ثانية[3]، ثم حضر مجالس العلماء، وانقطع لطلب العلم، وتتلمذ على يد الكثير من العلماء.

- شيوخه في مكة المكرمة :

أخذ عن بعض علماء الحرم الشريف[4]، فأخذ عن الشيخ عبدالله بن سالم البصري[5]، حيث ذكر الكتاني في فهرس الفهارس عند حصره لأسانيد

---

(١) اختلفت المصادر في ذكر رحلات الشيخ العلمية ، إلا ان المصادر القريبة والمعاصرة للشيخ أشارت إلى أن الشيخ بدأ رحلاتة العلمية بالحجاز حيث أدى فريضة الحج ثم أقام بالمدينة المنورة. انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار** [مرجع سابق] (٢٦/١)، وانظر : عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (٧/١)

(٢) انظر :حسين بن غنام ، **روضة الأفكار** [مرجع سابق](٢٦/١)، وجمع :عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية** ، [الرياض ـ دار العاصمة ـ ١٤٠٩هـ] (٣٨/٣)

(٣) المرجع السابق، وانظر: عبدالله العثيمين، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، [مرجع سابق] ص٣٣، ومسعود الندوي، **محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه**، [الرياض ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ ١٤٠٤هـ] (ص٣٨).

(٤) سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ **الإمام محمد بن عبدالوهاب دعوته وسيرته** [الرياض ـ الرئاسة العامة للإفتاء ١٤٠٣هـ] (ص ١٥) .

(٥) الشيخ : عبدالله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسى، البصري أصلاً المكي مولداً ومدفناً، الشافعي، (١٠٤٩ ـ١١٣٤هـ) مسند الحجاز ، عمدة المحققين، الإمام المحدث الحافظ، صحح الكتب الستة وجمع المسند، واتفقوا على أنه حافظ البلاد الحجازية، وله عدة مؤلفات منها (الإمداد بمعرفة علو الإسناد) ، انظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام** [مرجع سابق] (٨٨/٤)

(محمد عابد السندي) ما نصه: أن محمد عابد [روى كتاب (القرى لقاصد أم القرى) عن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب النجدي عن أبيه إمام الطائفة الوهابية النجدية عن البصري](١)، ويعني الكتاني بهذا (البصري) الذي أخذ عنه الإمام محمد بن عبدالوهاب أنه هو الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي آنف الذكر.

- شيوخه في المدينة المنورة :

ثم إن الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) ذهب بعد ذلك للمدينة المنورة واستقر فيها، حيث كانت -في ذلك الوقت- ملتقى العلماء وطلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية(٢)، وأسعده أن يكون بها عالم المجمعة الكبير الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف(٣)، فما كاد يصل إلى المدينة حتى أسرع إلى زيارته ولازمه ملازمة طويلة وأخذ عنه كثيراً من العلم، وقد أحبه

(١) انظر : خير الدين الزركلي، **الأعلام** [مرجع سابق] (٤/٨٨) .

(٢) انظر : د.عبدالله العثيمين - **الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره** [مرجع سابق] (ص٣٣) .

(٣) هو الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف بن عبد الله الشمري نسبة إلى قبيلة شمر المعروفة، انتقل والده إبراهيم بن سيف من المجمعة إلى المدينة المنورة فنشأ الابن عبد الله في المدينة المنورة، ودرس على علمائها، وسافر إلى دمشق وقرأ على علمائها، ثم جلس للتعليم في المدينة المنورة، وأخذ عنه خلق كثير، من أجلّهم شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وكان له من الذرية إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن سيف، مؤلف كتاب (العذب الفائض في علم الفرائض)، الذي برع في علم الفرائض، حتى سميت هذه الأسرة بعده بلقب [بيت الفرائض]، نسبة لإبراهيم. وكان عند الشيخ عبد الله مكتبة حافلة نفيسة، وقد توفي رحمه الله في المدينة المنورة سنة ١١٤٠هـ. انظر : عبد الله البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون** [مرجع سابق] (٢/٥٠٥)، وكذلك حاشية الشيخ عبدالرحمن بن آل الشيخ على كتاب: **عنوان المجد في تاريخ نجد**، للشيخ عثمان بن بشر [الرياض - وزارة المعارف ١٣٩٤هـ] (١/٢٠).

الشيخ ابن سيف وكان به حفياً، وحرص على تثقيفه وتعليمه، وكان من أكبر عوامل توثيق الروابط بينهما وتمكين المحبة ، توافق أفكاره ومبدئه مع تلميذه في عقيدة التوحيد، والتألم مما كان عليه أهل نجد وغيرهم من عقائد باطلة وأعمال زائفة(١).

كما كان الشيخ ابن سيف عالماً بالفقه الحنبلي والحديث الشريف ، وقد أجاز تلميذه الإمام محمد بن عبدالوهاب في كل ما حواه ثبت الشيخ عبدالباقي(٢)، أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلماً وتعليماً (٣)، وكان من المعجبين بشيخ الإسلام ابن تيمية الحريصين على مؤلفاته. ولا شك أنه شجّع تلميذه على قراءة كتابات ذلك العالم الجليل.

وكان الشيخ ابن سيف على صلة عظيمة وقوية بعلامة المدينة الأكبر ومحدثها الأشهر وفقيهها الفذّ الشيخ محمد حياة السندي(٤)، فعرّفه بتلميذه

---

(١) أحمد بن حجر آل أبوطامي، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب** [مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة، ١٣٩٥هـ] (ص١٦).

(٢) يحوي ثبت الشيخ عبدالباقي العديد من كتب السنة بسنده إلى مؤلفيُ هذه الكتب ومنها صحيح البخاري بسنده إلى مؤلفه،وكذلك صحيح مسلم ، وشروح الصحيحين، وسنن الترمذي ، والنسائي ، وأبي داود، وابن ماجة، ومؤلفات الدارمي، ومسند الشافعي، وموطأ مالك، ومسند أحمد وغيرها ،فأجازه فيها جميعاً، انظر: المرجع سابق (ص١٦).

(٣) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار** ، [مرجع سابق] (٢٦/١) وكذلك : محمد الغريب ، **التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق** [مرجع سابق] ص١٧.

(٤) الشيخ محمد حياة بن إبراهيم السندي المدني (ت ١١٦٣هـ) : العلامة المحدث حامل لواء السنة بمدينة رسول الله ﷺ، مولده في السند وإقامته ووفاته بالمدينة المنورة، ولد في السند في بعض قراها ورغب في تحصيل العلم وهو بها ثم انتقل إلى تستر قاعدة بلاد السند وقرأ على علمائها ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين واستقر في المدينة المنورة، وكان ورعاً متجرداً منعزلا عن الخلق إلا في وقت قراءة الدروس ، كانت له اليد الطولى في معرفة الحديث وأهله فكان من كبار المحدثين، وقد اشتهر عنه -رحمه الله- إنكاره للبدع والشركيات ودعوته إلى الاجتهاد في ميدان الشريعة ومعارضته للتعصب، ألّف العديد من التصانيف النافعة منها [شرح الترغيب والترهيب للمنذري] و [مقدمة في العقائد]. أما حاشية السندي على البخاري فليست له، بل لشيخه (محمد بن عبدالهادي السندي). وقد توفي محمد حياة رحمه الله في المدينة المنورة،

النجيب وما هو عليه من عقيدة صافية وبما تجيش به نفسه من مقت للعقائد الباطلة التي وجد عليها أهل نجد وغيرهم، وأنه إنما خرج من نجد للرحلة في طلب العلم من أجل التزود للقيام بالدعوة والجهاد في سبيل الله. فأحبه الشيخ محمد السندي، وأصبح الإمام محمد بن عبدالوهاب من تلامذته الخواص، ومكث عنده زماناً[1]، وكان له أكبر الأثر في توجيه الإمام محمد بن عبدالوهاب إلى إدراك أهمية إخلاص توحيد عبادة الله، والتخلص من رق التقليد الأعمى، والاشتغال بالكتاب والسنة، حيث إن الشيخ السندي -رحمه الله- كان مشهوراً بمنهاجه السلفي، وكذلك دعوته إلى الاجتهاد في ميدان الشريعة، ومعارضته للتعصب للمذاهب الفقهية المؤدي إلى ترك بعض الأحاديث الصحيحة المحكمة وردها بما عليه المذهب، فكان يقول:[....التزامُ مذاهبَ مخصوصةً؛ لا يَرى ولا يجوّزُ كلٌ منهم الانتقال من مذهب إلى مذهب؛ جهل وبدع وتعسف، وقد رأيناهم يتركون الأحاديث الصحاح غير المنسوخة ويتعلقون بمذاهبهم من غير سند......... إنّا لله وإنا إليه راجعون]أ.هـ[2].

وكان الشيخ السندي أيضاً من أشد المنكرين للبدع في الدين وللأعمال

انظر: محمد خليل المرادي، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، [بيروت، دار ابن حزم، ١٤٠٨هـ] (٣٤/٤)، وخير الدين الزركلي، **الأعلام** ، [مرجع سابق]،(٦/ ١١١) .

(١) عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، [مرجع سابق] (٧/١)،ومسعود الندوي ، **محمد ابن عبدالوهاب**، [مرجع سابق] ص٣٩ .

(٢) الشيخ : صالح بن محمد العمري الفلاني ، **إيقاظ أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار**، [باكستان، دار نشر الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ] (ص٧٠).

الشركية؛ ذكر ابن بشر أن الإمام محمد بن عبدالوهاب وقف يوماً عند أناس يدعون ويستغيثون عند حجرة النبيﷺ ورأى الشيخ السندي مقبلاً، فاستقبله وبادره قائلاً: ما تقول في هؤلاء؟ فأجابه الشيخ السندي:﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٣٩][١].

وكان الشيخ السندي حجة في الحديث وعلومه، وكان أستاذاً لعدد من الطلاب الذين أصبح كثير منهم دعاة إصلاح أو شخصيات علمية مشهورة في مناطق إسلامية مختلفة[٢]، فتأثر به الإمام محمد بن عبدالوهاب تأثراً كبيراً وعميقاً واستفاد منه فوائد لا تكاد تحصى ولا تعد.

وبالجملة فإن الإمام محمد رحمه ا لله قد استفاد من رحلته الى الحجاز فائدة عظيمة، حيث توفر له عدة عوامل منها المناخ التعليمي، ومنها وقت الرحلة، حيث أن الرحلة جاءت في مرحلة هامة من مراحل تكوينه الفكري، ومنها تتلمذه على علماء اجلاء، وعلى رأسهم الشيخ محمد حياة السندي، الذي كان له أعظم الأثر في توجه الإمام وتفكيره، ومنها انكبابه على قراءة كتب ابن تيمية، ولعله استفاد في ذلك من مكتبة الشيخ عبدا لله بن سيف العامرة، إضافة إلى دراسته لكثير من كتب العلم، بل وإجازته فيها، فقد مرّ معنا أن الشيخ عبدا لله بن سيف قد أجاز الإمام محمد بن عبدالوهاب بكل ما في ثَبتْ الشيخ عبدالباقي أبي المواهب الحنبلي شيخ مشايخ وقته قراءة وعلماً وتعليماً، وهذا الثبت يشمل: [صحيح البخاري بسنده إلى مؤلفه، وصحيح مسلم بسنده إلى مؤلفه وشروح كل منهما، وسنن الترمذي بسنده، وسنن أبي

---

(١) عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (١/٧).

(٢) د. عبدا لله العثيمين، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره** ، [مرجع سابق] (ص٣٤).

داوود بسنده، وسنن ابن ماجه بسنده، وسنن النسائي الكبرى بسنده، وسنن الدارمي ومؤلفاته بالسند، وسلسلة العربية بسندها عن أبي الأسود عن علي ابن أبي طالب ﷺ، وكتب النووي كلها، وألفية العراقي، والترغيب والترهيب، والخلاصة لابن مالك، وسيرة ابن هشام وسائر كتبه، ومؤلفات ابن حجر العسقلاني، وكتب القاضي عياض، وكتب القراءات، وكتاب الغُنية لعبدالقادر الجيلاني، وكتاب القاموس بالسند إلى مؤلفه، ومسند الإمام الشافعي، وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد، ومسند أبي داود، ومعاجم الطبراني، وكتب السيوطي، وفقه الحنابلة وسلسلتها وأصولهم] [1]، وقد أخذ الإمام محمد بن عبدالوهاب ما حواه هذا الثبت أيضاً عن كل من الشيخ: علي أفندي الداغستاني، والشيخ عبداللطيف العفالقي الأحسائي، وقد أجازه كل من الشيخين[2] أيضاً بمثل ما أجازه الشيخ عبدا لله بن سيف، كل ذلك إضافة إلى مطالعاته الخاصة في كتب أخرى خارج الدروس العلمية، وقد كان مجرد قراءته لمثل هذه الأمهات كافياً لأن يحصل على قدر لا يستهان به من العلم الشرعي، فكيف إذا درسها دراسة علمية فاحصة وأخذها عن كبار علماء عصره ولا شك أن إجازة هؤلاء العلماء له في أن يتصدى لتعليم هذه العلوم يدل على إتقانه لهذه العلوم وتميزه بين اقرانه.

- رجوعه إلى العيينة :

حين اقتنع الإمام محمد بكفاية المدة التي قضاها متعلماً في المدينة، عاد إلى

---

(١) محمد الغريب، **التوضيح عن توحيد الخلاق**، [مرجع سابق] (ص١٧)، وأحمد بن حجر آل أبوطامي ، **الشيخ محمد بن عبد الوهاب** ، [مرجع سابق] (ص١٦).

(٢) محمد الغريب، **التوضيح عن توحيد الخلاق**، [مرجع سابق] (ص١٦، ١٧).

العيينة[١]، وقد تبلورت عنده فكرة المناداة بالإصلاح، خاصة بعد تتلمذه على الشيخ محمد حياة السندي المحارب للبدع والتعصب للمذاهب، وكذلك ما أصبح يدور في ذهنه من مقارنة بين ما كان يقرأه ويأخذه عن مشايخه وبين ما يراه من مخالفات يقع فيها كثير من الناس، وبعد عودة الإمام محمد إلى العيينة واصل قراءة الكتب العلمية، وخاصة مؤلفات ابن تيمية، ورغم تمكنه العلمي الذي أصبح يؤهله لأن يقول رأيه بشجاعة في كثير مما كان شائعاً في المنطقة آنذاك من أمور لا تتفق مع الدين الإسلامي الصحيح ...إلا أن إنكاره لمثل هذه المخالفات كان محدوداً في تأثيره على الآخرين، ولعل ذلك راجع لأسباب، منها قلة مكوثه في العيينه هذه المرة حيث يذكر الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ أنه لم يبق هذه المرة إلا سنة واحدة[٢]، وقد يكون من الأسباب أيضاً أن الإمام رأى أنه ما زال غير مؤهل تأهيلاً كاملاً لإقامة دعوة ناجحة، ولذلك نراه لم يلبث أن حزم أمتعته مرة أخرى استعداداً للرحيل إلى الشام؛ حيث كانت توجد في دمشق آنذاك مدرسة حنبلية نشطة[٣]، وكانت هذه البلدة يوماً من الأيام المركز الرئيس لنشاط شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي طالما أعجب الإمام محمد بمؤلفاته وكتاباته.

---

(١) عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (١/٧).

(٢) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، **علماء الدعوة**، [مرجع سابق] (ص٧).

(٣) د .عبدالله العثيمين ، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره**، [مرجع سابق] (ص٣٦).

- **شيوخه في البصرة:**

غادر الإمام محمد بن عبدالوهاب نجداً قاصداً الشام[1] عن طريق البصرة، ولعل السبب في ذلك عدم وجود قوافل في ذلك الوقت تتجه إلى دمشق مباشرة، وحين وصل البصرة أقام بها والتقى بعلمائها وأخذ عنهم وتتلمذ على عالم البصرة الكبير الشيخ محمد المجموعي[2]، وأخذ عنه بعض العلوم[3]، وقد ذكر ابن غنام أن الإمام أطال الإقامة في البصرة وكان أكثر لبثه لأخذ العلم فيها، وأنه سمع الحديث والفقه أيضاً من جماعة بالبصرة كثير وقرأ بها النحو وأتقنه وكتب الكثير من اللغة والحديث في إقامته تلك[4]، وجالس علماء البصرة وتميز بالأخذ عمن لا يتهم بالكذب والزور منهم، وفي البصرة صنّف الإمام محمد -رحمه الله- كتابه الشهير (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد)[5]، ومن الطبيعي أن يستفيد الإمام من تصنيفه لهذا الكتاب ومن كتب السنة المبثوثة في مدارس البصرة آنذاك[6].

---

(١) عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (٧/١).

(٢) لم أعثر على ترجمة لهذا الشيخ سوى ما ذكره ابن بشر من أن اسمه محمد المجموعي، وهو عالم جليل من أهل المجموعة ـ قرية من قرى البصرة ـ ، قال ابن بشر: وأخبرني عثمان بن منصور الناصري قال: أخبرني رجل في مجموعة البصرة بأن أولاد ذلك العالم الذي قرأ عليه الشيخ محمد هم أحسن أهل بلدهم بالصلاح ومعرفة التوحيد ، انظر : عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (٨/١) .

(٣) انظر : المرجع السابق (٨/١).

(٤) حسين بن غنام ، **روضة الافكار** [مرجع سابق] (٢٧/١-٢٨).

(٥) ذكر ذلك الشيخ : عبدالرحمن بن حسن (حفيد الشيخ) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] (٢١٥/٩) ، بينما يرى حسين بن غنام أن الشيخ ألفه في حريملاء بعد رجوعه من رحلاته العلمية، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٣٠/١).

(٦) انظر : [المرجع السابق]

ثم إن الإمام محمداً رحمه الله كان ينكـر أشياء مـن الشـركيات والبـدع، وأعلن بالإنكار واستحسن شيخه قوله وقبله منه، وانتفع به، وأيـده، فاستمر الإمام يدعو إلى توحيد الله بالعبادة وينكـر علـى مـن يدعـو غـير الله تعـالى، ويبين أن دعاء الأولياء ليس مـن محبتهـم المشـروعة، وإنمـا محبتهـم هـي اتبـاع هديهم، وحصل بمجلسه أن رجلاً يذكر مشروعية دعاء الصـالحين والأوليـاء، فأغلظ عليه الإمام وزجره، فتغير وجـه ذلـك الرجـل، واستغرب وقـال: (إن كان ما يقوله هذا الإنسان حقاً فالناس ليسوا على شيء من زمان)[1]، ونقـل ابن غنام قول الإمام: (وكان ناس مـن مشـركي البصـرة يـأتون إليّ بشـبهات يلقونها عليّ، فأقول وهم قعود لدي: لا تصلح العبادة كلهـا إلا لله، فيبهـت كل منهم فلا يتكلم)[2].

وقد حرص الإمام على القيام بواجب النصح والوعظ والإرشـاد والإنكـار بلطف، إلا أن ذلك لم يفد، فحقد أنصار البدع وعلمـاء السـوء عليـه وعلـى شـيخه وقـابلوا نصحـه بـالإعراض وسـعوا فيـه عنـد مـلأ البصـرة وأعيانهـا فأخرجوه منها وقت الهجيرة في يوم صائف شديد الحر، فخرج -رحمـه الله- ماشياً على قدميه حتى أدركه العطش، وأشرف على الهلاك وهـو في الطريـق بين البصرة والزبير، فأدركه رجل يقال له أبو حميدان من بلـدة الزبـير، ورأى على الإمام هيبة ووقاراً فسقاه وحمله على حماره حتى أوصله الزبـير، فمكـث فيها الإمام أياماً وكان يريد السفر إلى الشام، فقصرت به النفقة فقصـد نجـداً، ومرّ في طريقه إليها ببلدة الأحساء[3]، وتذكر بعض المصـادر أن الإمـام قبـل

---

(١) حسين بن غنام ، **روضة الافكار** [مرجع سابق] (١/٢٧-٢٨).

(٢) انظر: حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] .

(٣) انظر: عثمان بن بشر، **عنوان المجد** [مرجع سابق] (٨/١)، وعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، **علماء الدعوة** ،[مرجع سابق] ص٨.

ذلك قدم الموصل وقرأ على الشيخ ملا حمد الجميلي وأخذ عنه الكثير(١).

وبصفة عامة، فإن الفترة التي قضاها الإمام محمد بن عبدالوهاب في البصرة كانت مفيدة جداً، فبالإضافة إلى تعمقه في هذه الفترة في علوم الحديث والفقه، فقد أتقن النحو وقواعد اللغة العربية، كما تمكّن من الاطلاع على أحوال المبتدعة والرافضة وأشباههم من قرب، وعرف شبهاتهم وأباطيلهم، وأنسب الطرق لدعوتهم وإقناعهم ومحاجتهم، وتمرّس في طرق الرد عليهم وإبطال شبهاتهم.

ولم يكن الإمام في البصرة مجرد طالب علم، بل كان داعية يستمع إليه الآخرون(٢)، فكان ينكر ما يرى أنه مخالف للحق(٣)، ويرقب أثر دعوته عليهم فينتقي أفضل الأساليب وأنجحها، فاستفاد كثيراً من هذه التجربة، وأصبحت زاداً يعينه -بعد توفيق الله- على الشروع في دعوته الإصلاحية المباركة.

- شيوخه في الإحساء:

يذكر ابن بشر أن أهل البصرة تعرضوا للإمام بالأذى نتيجة ما كان

---

(١) انظر: بحثاً قدمه اللواء الركن محمود شيت خطاب لأسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود بعنوان: (الإمام محمد بن عبدالوهاب في مدينة الموصل) يحقق فيه ما ذكره المؤرخ ياسين بن خير الله العمري الموصلي في كتابه الذي يعتبر -على حد تعبير اللواء- كتاباً مجهولاً من قبل كثير من الباحثين وعنوانه (غرائب الأثر) من أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قرأ على الشيخ ملا حمد الجميلي: انظر: **بحوث أسبوع الشيخ** [مرجع سابق] (٧٣/١).

(٢) حسين بن غنام، **روضة الأفكار** [مرجع سابق] (٢٧/١).

(٣) ولذلك تذكر بعض المصادر أن الإمام إنما رحل للبصرة من أجل الدعوة والبحث عمن يعينه على القيام بها. انظر: جمع عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم، **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية** (/٣٤٠) من رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

يظهره من إنكار الشركيات والبدع، مما اضطره إلى الخروج منهـا إلى الزبـير، وحـالت حادثـة ضيـاع نفقته دون تمكنـه مـن الوصـول إلى الشـام، فقصـد الأحساء[1]، فلما وصل إليه وجد فيه فحول العلماء حيث كانت تلك البلـدة في ذلـك الوقـت مركـزاً علميـاً يفـد إليـه الطـلاب مـن نجـد وغيرهـا، وكـان علماؤها ينتمون إلى مذاهب فقهية مختلفة[2]، فنزل الإمـام محمـد علـى الشـيخ العالم عبدالله بـن محمـد بـن عبـد اللطيـف الشـافعي الأحسـائي القـاضي[3]، وطلب منه أن يحضر الأول من فتح الباري على البخاري وبين له ما غلط فيه الحافظ في مسألة الإيمان، وبـين أن الأشـاعرة خـالفوا مـا صـدَّر بـه البخـاري كتابه من الأحاديث والآثار، وبحث معهم في مسـائل ونـاظر، وهـذا مشـهور

---

(١) انظر : عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد** [مرجع سابق] (١/ ٨)، وحسين بن غنام، **روضة الافكار** [مرجع سابق] (١/ ٢٦-٥٠)، وجمع: عبدالرحمن بن قاسم **الدرر السنية**، [مرجع سابق](٩/ ٢١٦).

(٢) يتضح ذلك عند الاطلاع على ما ذكره عثمان بن سند في **مخطوطة سبائك العسجد** [مرجع سابق]عن تراجم بعض هؤلاء العلماء، فبينما كان محمد بن عبداللطيف شافعياً (ق٤٤)؛كان محمد بن عفالق حنبلياً (ق٩٤) وكان بن غنام مالكياً كما يذكر الفاخري ، انظر: محمد بن عمر الفاخري، **الأخبار النجدية** [مرجع سابق](ص١٤٠) وعبد العزيز الخويطر، **عثمان بن بشر منهجه ومصادره** [مرجع سابق] (ص٧).وانظر: د .عبدالله العثيمين، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره**، [مرجع سابق] (ص٣٩).

(٣) كذا ذكره عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد** [مرجع سابق] (١/ ٨) وكذلك الشيخ عبد الله البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون** (١/ ٣٠)، ولم أعثر على ترجمته بهذا الاسم، وقد ترجم عثمان بن سند في **مخطوطة سبائك العسجد** [مرجع سابق] لأسماء ربما تكون مقاربة لهذا الاسم، منها: عبد الله بن عبد اللطيف (ق٩٤)، ومحمد بن عبد اللطيف الأحسائي الشافعي (ق٤٤).

يعرفه أهل الأحساء وغيرهم من أهل نجد[١]، وذلك قبل أن يعلن الإمام محمد إنكار الشرك في نجد وقبل أن تبرز معارضة أهل الأحساء للشيخ، ومنهم عبدا لله بن محمد بن عبداللطيف المذكور،الذي جرت بينه وبين الإمام مكاتبات فيما بعد حول عقيدة السلف الصالح، لاشك أن الصواب فيها كان مع الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه ا لله[٢].

وممن لقيهم الإمام في الأحساء أيضاً: الشيخ محمد بن عفالق[٣]، والشيخ عبدا لله بن فيروز أبو محمد الكفيف[٤]، وقد سرّ الإمام، محمد بمقابلة هذا العالم وأثنى عليه بمعرفته بعقيدة الإمام أحمد ووجد عنده من كتب شيخ

---

(١) انظر: عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد** [مرجع سابق] (١/٨).

(٢) حسين بن غنام ، **روضة الافكار** [مرجع سابق] (١/٥٠ – ٦٠).

(٣) محمد بن عبدالرحمن بن عفالق، ولد سنة ١١٠٠هـ، ورحل للمدينة، وأخذ عن علمائها ومنهم عبدا لله بن سيف، وتوفي بالأحساء سنة ١١٦٣هـ وهو ممن عادى دعوة الإمام محمد ابن عبدالوهاب، وكتب له رسالة يتعنت فيها بأسئلة عن سورة العاديات ماذا فيها من المجاز والاستعارة والكناية وغيرها من التعنتات التي ليست مما يدخل في تحقيق ما يجب لله تعالى على عباده من توحيده بالعبادة وإخلاصها له، هذا المقام الذي لم يصل له ابن عفالق وأشياعه، انظر: عثمان بن سند، **مخطوطة سبائك العسجد** [مرجع سابق] (ق ٩٤)، وكذلك: عبدا لله البسام في كتابه: **علماء نجد خلال ستة قرون**، [مرجع سابق] (٣/٨١٨).

(٤) هو الشيخ عبدا لله بن محمد بن فيروز أبو محمد الكفيف، التميمي نسباً، النجدي أصلاً، ولد سنة ١١٠٥هـ. كان سلفي العقيدة، ومن مشائخه: الشيخ فوزان بن نصر ا لله، وخاله الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف، فالشيخ عبدا لله له صلة قرابة بالشيخ محمد بن عبدالوهاب، حيث إن الشيخ عبدا لله ابن عمةٍ للشيخ محمد، وقد برع في الفقه وأصوله وأصول الدين، وتوفي في الأحساء سنة ١١٧٥ هـ، انظر: عبدا لله البسام: **علماء نجد خلال ستة قرون** [مرجع سابق] (٢/٦٢٧).

الإسلام ابن تيمية وابن القيم ما سرّ به[١]، فمكث في الأحساء مدةً، ثم عاد إلى نجد منهياً بذلك رحلاته العلمية[٢].

ثالثاً: عودة الإمام من رحلاته العلمية إلى حريملاء:

عاد الإمام -بعد أن أنهى رحلاته العلميّة- إلى حريملاء ...حيث كان والده قد انتقل إليها من العيينة، بسبب أن أمير العيينة الجديد محمد بن حمد بن معمر، الملقب خرفاش[٣]، كان قد تولى بعد جده، ووقع بينه وبين

(١) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** [مرجع سابق]، (٩/٢١٦).

(٢) أما ما ذكرته بعض المصادر من أن الشيخ سافر أيضاً إلى الشام كما ذكره خير الدين الزركلي في الأعلام، وإلى فارس وإيران وقم وأصفهان، كما يذكره بعض المستشرقين ونحوهم في مؤلفاتهم المعروفة بكثرة الأخطاء ومجانبة الحقيقة، كمرجليوث في دائرة المعارف الإسلامية وبرائجس وهيوجز وزويمر وبالغريف، وكتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب) ومن تأثر به فهو أمر غير مقبول والذي يطمئن إليه الباحث من مقارنة المصادر التي تحدثت عن هذا الأمر هو أن رحلات الشيخ لم تتجاوز الحجاز والعراق والأحساء -كما يظهر من المصادر المقربة للشيخ وكتابات المؤيدين له وذلك لسببين رئيسيين؛ أحدهما : أنهم أدرى بتفاصيل حياته من غيرهم -كما قال الشيخ حمد الجاسر (مجلة العرب، ١٣٩٠هـ (١٠/٩٤٤)- والثاني: أنهم حرصوا كل الحرص على تدوين جميع فضائله، ومن المعروف أن السفر في طلب العلم فضيلة ولو كان الشيخ محمد قد سافر إلى بلدان غير ماذكر لما توانوا في تدوين ذلك وتفصيله، ومن الملاحظ أن كثيراً ممن أوردوا تلك الروايات الباطلة عن رحلات الشيخ إنما اعتمدوا على كتاب (لمع الشهاب) كلياً أوجزئياً وهو كتاب مليء بالأخطاء، وكما قال الشيخ حمد الجاسر: فإن هذا الكتاب لايصلح للتعويل عليه، انظر: د.عبدالله العثيمين، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره**، [مرجع سابق] (ص٤٣)، ومقال الشيخ حمد الجاسر: **مجلة العرب**، ربيع الثاني، ١٣٩٠هـ (١٠/٩٤٣)، وكذلك الأستاذ مسعود الندوي، **محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه**، [مرجع سابق] هامش (ص٣٤).

(٣) وهو حفيد عبدالله بن معمر، الذي مات في الوباء المشهور الذي وقع في العيينة وأفناها ، وعلى إثر ذلك تولى خرفاش العيينة، انظر: عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (١/٨).

القاضي عبدالوهاب منازعة فعزله عن القضاء فانتقل عبدالوهاب إلى حريملاء، وتولى قضاءها، وأقام بها، فأقام الإمام محمد بعد عودته من رحلته العلمية في حريملاء مع أبيه[1].

ورغم أن الإمام محمد حين رجع إلى أبيه بعد رحلته العلمية كان في مستوى علمي لا يقل عن مستوى أبيه، إن لم يزد عليه ... إلا أنه استمر -بعد عودته- يدرس على والده[2]، وهذا من باب أدبه وتواضعه مع والده وشيخه الأول.

وتؤكد المصادر أن الإمام محمد في هذه المرحلة بدأ يدعو -بثقة العالم المتحمل للأمانة- إلى ما يعتقده ويدين الله به، فبدأ يدعو إلى التوحيد، وينكر ما يفعله الجهّال من البدع والشرك في الأقوال والأفعال، وكثر منه الإنكار لذلك ولجميع المحظورات، حتى وقع بينه وبين أبيه كلام[3]، وكذلك بينه وبين الناس في البلد فأصبح منهم المعارضون بشدة، ومنهم المؤيدون الذين كانوا -رغم قلتهم- مصممين على المضي معه مهما كانت النتائج[4]. ولعل محل الخلاف بينه وبين أبيه كان حول أسلوب الدعوة لا جوهرها؛ ولذلك

---

(١) من المرجح أن يكون وصول الشيخ إلى حريملاء كان بين سنتي ١١٤٤و١١٤٩هـ ، انظر الجمع بين الروايات الواردة في ذلك في كتاب الدكتور :عبدالله العثيمين ، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره** ، [مرجع سابق] (ص٤٤) .

(٢) عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (١/٨).

(٣) المرجع سابق.

(٤) المرجع السابق ، [مرجع سابق] (١/٢٩).

فإن الإمام تريّث قليلاً، فلم يعلن بالدعوة والإنكار، ولكنه استمر في دعوته إلى التوحيد، وبيان بطلان دعوة غير الله، وكانت دعوة غير الله من أشجار وغيران وقبور وجنّ ونحو ذلك منتشرة كثيراً في نجد وفي البلدان الإسلامية عموماً في ذلك الزمان، كما سبق بيانه في مبحث: [البيئة الفكرية والاجتماعية التي كتبت فيها الرسائل] المتقدم. وقد ركّز الإمام أيضاً في هذه الفترة على تدريس بعض العلوم الشرعية كالفقه والتفسير والحديث.

واستمر الإمام على ذلك إلى أن توفي والده عام ١١٥٣هـ[١]، فأعلن الدعوة إلى تصحيح العقائد الفاسدة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فكان لدعوته صدى كبيراً؛ خاصة وأنه أصبح أكبر شخصية علمية في البلدة -بعد وفاة والده- فالتفتت إليه الأنظار، حتى انتشرت سمعته في المناطق الأخرى، وبدأ بعض الأفراد من بلدان العارض المختلفة يفدون إليه في حريملاء[٢]، ويستمعون ما يقول ويدعو إليه، حتى إن دعوته لقيت قبولاً لدى بعض أمراء البلدان الأخرى، ومن هؤلاء عثمان بن معمر أمير بلدة العيينة[٣].

رابعاً: انتقاله إلى العيينه:

انتقل الإمام -رحمه الله- من حريملاء إلى العيينة بعد أن هدى الله أميرها عثمان بن معمر، حيث كان هذا الأمير مؤهلاً لحماية الدعوة ونصرتها بعد

---

(١) المرجع السابق.

(٢) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ،[مرجع سابق] (١/٢٩).

(٣) المرجع السابق (١/٣٠) .

أن هداه الله تعالى لقبول هذا الدين[(١)].

وقد قام هذا الأمير بما أمّله الإمام منه ، فأيّد الإمام وساعده، فقويت دعوته، وازداد أتباعه، وأصبح قادراً على تطبيق بعض ما يدعو إليه، فأزال كثيراً من مظاهر الشرك، وقطع الأشجار التي كانت تعظم، وهدم القبة المبنية على قبر زيد بن الخطاب، وأقام حدّ الرجم على امرأة محصنة زنت بعد أن توافرت الشروط الشرعية لإقامة هذا الحد[(٢)]، فاشتهر أمره لذلك حتى بلغ أمره أمير الأحساء سليمان بن محمد بن غرير الحميدي الخالدي، حاكم بني خالد والأحساء والقطيف وقطر كلها[(٣)]، الذي أرسل إلى عثمان كتاباً هدّده فيه بقطع خراجه ما لم يقتل الإمام محمد بن عبدالوهاب أو يبعثه إليه.

ورغم تثبيت الإمام محمد لعثمان بن معمر، ووعظه له، إلا أن أمر صاحب الأحساء تعاظم في صدر ابن معمر، فتخلى عن الإمام وترك نصرته[(٤)]، الأمر

---

(١) المرجع السابق (١/٣٠) . ويفسر ابن بشر سبب انتقال الإمام من حريملاء، بأنها لم تعد صالحة لتكون منطلقاً لدعوته، حيث أن رؤساء أهل حريملاء كانوا قبيلتين أصلهما قبيلة واحدة، وأن عبيد إحدى هاتين القبيلتين هموا أن يفتكوا بالشيخ بالليل سراً لأنه أراد أن يمنعهم عن الفساد، عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، [مرجع سابق] (٩/١).

(٢) المرجع السابق (١/٩، ١٠).

(٣) مؤلف مجهول ، **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب**، تعليق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز [الرياض ـ المطابع الأهلية للأوفست ـ ب ت] (ص٣١) .

(٤) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ،[مرجع سابق] (٣/٢) ، و عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، [مرجع سابق] . ومؤلف مجهول ، **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب** بتحقيق د. عبد الله العثيمين، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز [الرياض ـ مطابع دار الهلال ـ ١٤٠٣هـ] (ص٥٦) .

الذي اضطر الإمام إلى مغادرة العيينه[١]، متجهاً إلى الدرعية.

خامساً : انتقاله إلى الدرعية وتحالفه مع الإمام محمد بن سعود:

بعد أن باتت العيينة غير قادرة على حماية الدعوة؛ اختار الإمام أن يتجه إلى الدرعية، وكان اختياره موفّقاً، إذ لم تكن الدرعية خاضعة لأي سيطرة خارجية[٢]، كما أن أميرها كان -إضافةً إلى قوته- يتمتع بسمعة طيبة، وأهم من ذلك كله أن دعوة الإمام كانت قد لقيت قبولاً كبيراً بين شخصيات مهمة في الدرعية، مثل آل سويلم، بل إنها كانت معتَنَقَة من قبل أفراد من الأسرة السعودية نفسها، مثل الأمير مشاري، والأمير ثنيان، وهما أخوا الأمير محمد بن سعود، وكذلك الأمير عبد العزيز، وهو ابن محمد بن سعود.

ودخل الإمام الدرعية، وحلّ في دار محمد بن سويلم العريني، وعلم به الأمير محمد بن سعود فسار إليه في تلك الدار، ورحّب به، ووعده بالنصر والحماية، وأبرم معه ذلك الاتفاق المبارك (اتفاق الدرعية ١١٥٧هـ)، وقال

---

(١) ذكر ابن بشر في مسودة كتابه أن ابن معمر أرسل مع الإمام رجالاً لحراسته وأمرهم بقتله ، ولكنه حذف هذه الرواية بعد تبييض الكتاب، نتيجة تبينه عدم صحتها، انظر د. عبد الله العثيمين، **الشيخ محمد بن عبد الوهاب** [مرجع سابق](ص٦٠). ومما يرجح عدم صحة هذه الرواية أيضاً : عدم ذكر ابن غنام لها، وكذلك ما يفهم من سياق هذه الحادثة حين ذكرها صاحب كتاب (كيف كان ظهور شيخ الإسلام ..) حيث بيّن أن الإمام خرج مكرماً ومعه أربعون رجلاً من أتباعه ، وأربع ركائب من أتباع ابن معمر ... ، انظر: مؤلف مجهول، **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب** [مرجع سابق] (ص٥٧)، كما أن كثيراً من المعاصرين أكدوا عدم صحة هذه الرواية، وساقوا الأدلة على ذلك، منهم العلامة حمد الجاسر، و د. منير العجلاني ، انظر : د . منير العجلاني **تاريخ البلاد العربية السعودية** [الرياض ـ دار الشبل ـ ط الثانية ١٤١٣هـ] (٤٥٤/١) .

(٢) د. عبد الله الشبل ، **محاضرات في تاريخ الدولة السعودية** [مرجع سابق] (ص٣٦) .

له: (أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة، فقال له الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين، وهذه كلمة لا إله إلاّ الله، من تمسك بها وعمل بها ونصرها، ملك البلاد والعباد..)[١]، ثم أخذ الإمام يشرح للأمير مبادئ دعوته، وتعاهدا على نشر تلك المبادئ المباركة.

وأصبح هذا الاتفاق – بحق- نقطة تحول هامة في تاريخ الدعوة وفي حياة نجد الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، بل وفي تاريخنا الإسلامي المعاصر أجمع.

وفي الدرعية وجد الإمام كامل الحماية والنصرة، فلبث سنتين يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، ويكتب الرسائل إلى أهل البلدان المجاورة ورؤسائهم وعلمائهم، فمنهم من قَبِل الدعوة واتبع الحق ، ومنهم من أبى وعارض.

ولم يستمر الحال على ذلك طويلاً، فقد قام أولئك المعارضون بالتحريض على الإمام ودعوته، وأعلنوا تكفير الإمام وأتباعه، وأباحوا دماءهم، وأصبحت حياة الإمام وأتباعه في خطر، فأمر الإمام بعد ذلك بالجهاد[٢]؛ دفاعاً عن النفس، وحماية للدعوة، وكسراً لشوكة من يحول دون وصولها للناس.

وبذلك دخلت الدعوة في مرحلتها الحاسمة التي هيأتها لحمل الناس على

---

(١) انظر : عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، [مرجع سابق] (١٢/١) .

(٢) كان ذلك بعد اتفاق الدرعية بسنتين ، أي سنة ١١٥٩هـ . انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٨/٢) . و : عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، [مرجع سابق] (١٤/١) .

الحق، ونشر العقيدة الصحيحة في شتى البقاع المجاورة، فأظهر الله عقيدة السلف الصالح، ونصر الله أهلها، وانطلقت الدعوة باللسان والسنان حتى فتح الله لها البلاد وقلوب العباد.

سادساً : تلاميذ الإمام:

تتلمذ على الإمام عدد كبير من الطلاب، الذين تولوا فيما بعد مناصب القضاء والتعليم. قال ابن بشر: (وأخذ عن الشيخ من القضاة -ممن لا يحضرني الآن عدُّه- عدد كثير، وأخذ عنه ممن لم يل القضاء من الرؤساء والأعيان ومن دونهم الجم الغفير)(١).

ولعل من المتعذر أن يتم استقصاء كل من أخذ عن الإمام، أواستفاد منه أي فائدة، إذ سيطول بذلك المقام، وسيكون على رأس القائمة الإمام محمد ابن سعود، وابنه عبد العزيز، وحفيده سعود بن عبدالعزيز، فلقد استفاد هؤلاء من علم الإمام، وكان لهم فضل -بعد الله- في إحياء ما بيّنه الإمام من السنة، وإقامة ما أوضحه لهم من معالم الدين.

ولكن يُقتصر هنا على ذكر بعض تلاميذ الإمام، الذين جلسوا بين يديه، وواظبوا على دروسه، وأخذوا عنه، حتى تخرجوا على يديه، واستكملوا العلم النافع الذي كان يدرّسه لتلاميذه عادةً، ومن أشهرهم: أبناؤه الأربعة، وهم:

١- الشيخ حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي أخذ عن أبيه، واستكمل فنون العلم، وفاق بالمعرفة أقرانه وتوفي سنة ١٢٢٤هـ(٢).

---

(١) عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، [مرجع سابق] (١/٩٥).

(٢) انظر: عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (١/٩٢).

٢- والشيخ عبدا لله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهـاب، وقـد أخـذ عـن أبيـه، فكان آيةً في العلم ومعرفته ومعرفة فنونه[١]، ولد في الدرعية سنة ١١٦٥هـ وتوفي بمصر سنة ١٢٤٢هـ[٢].

٣- ابنه الأكبر الشيخ علي حيث كان عالماً جليلاً ورِعاً ديناً فقيهاً يضرب به المثل في بلد الدرعية ، يقول عبدالرحمن بن عبداللطيف : الغالب على الظن أن الشيخ علي توفي سنة ١٢٤٥هـ بمصر[٣].

٤- الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهو الابن الرابع للإمـام، ويذكر الشيخ عبدالرحمن بن قاسم أنه تـوفي في مصـر، كمـا يذكـر أنـه لم يقف على سنة وفاته بالتحديد، إلا أنه كان يقـول: إنـه كـان موجـوداً في مصر عام ١٢٥١هـ[٤].

ومن تلاميذ الإمـام المشـهورين أيضـاً: الشـيخ عبدالعزيـز بـن عبـدا لله بـن إبراهيم الحصـين النـاصري التميمـي، والشيخ حمـد بـن نـاصربن عثمـان بـن معمـر، والشـيخ سـعيد الحجـي[٥]، والشـيخ محمـد بـن سـويلم[٦]، والشـيخ عبدالرحمن بن خميس[٧]، والشيخ عبد الرحمن بن نامي[٨]، ومحمد بن سـلطان

(١) المرجع السابق ، (٩٣/١).
(٢) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية،** [مرجع سابق] (١٢/ ٤٥).
(٣) المرجع السابق (٤٧/١٢).
(٤) المرجع السابق (٤٦/١٢).
(٥) انظر عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد،** [مرجع سابق] (١/٢٣٤ - ٩٦).
(٦) المرجع السابق ، (٩٤/١).
(٧) المرجع السابق (٩٤/١).
(٨) انظر : المرجع السابق، الموضع نفسه، وكذلك عبدا لله البسام، **علماء نجد خـلال سـتة قـرون** [مرجع سابق] (٤٣٢/٢).

العوسجي[١]، وعبد الرحمن بن عبد المحسن أبا حسين[٢]، وحسن بن عبدا لله ابن عيدان[٣]، وعبد العزيز بن محمد بن سويلم العريني[٤]، وحمد بن راشد[٥]، ومن طلاب الإمام أيضاً: حفيده عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ[٦].

والمقام لا يتسع لذكر أشهر طلاب الإمام، فضلاً عن حصرهم، وغالب من ذكروا قد تولوا القضاء وتصدوا للفتيا. أما طلاب الإمام الذين لم يتولوا القضاء، فيذكر الشيخ إبراهيم بن ضويان في مخطوطته (رفع النقاب عن تراجم الأصحاب) أنهم (يبلغون مائتين ، وأخذ عنهم أضعاف أضعافهم)[٧].

---

(١) انظر : عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (٩٦/١)، وعبدا لله البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون** [مرجع سابق] (٨٠٩/٣).

(٢) انظر عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (٩٤/١) ،وعبدا لله البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون** [مرجع سابق] (٣٩٨/٢).

(٣) انظر عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (٩٤/١) ،وعبدا لله البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون** [مرجع سابق] (٢١٤/١).

(٤) انظر عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (٩٤/١)، وعبدا لله البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون** [مرجع سابق] (٤٦٣/٢).

(٥) انظر عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (٩٤/١)، وعبدا لله البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون** [مرجع سابق] (٢٢٣/١) .

(٦) انظر عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (٩٣/١، ٩٤).

(٧) إبراهيم بن ضويان ، مخطوطة : **رفع النقاب عن تراجم الأصحاب**، [تصوير: مجلة الدارة، ع٢، رجب ١٣٩٨هـ] (ق ٧٤، ٧٥).

سابعاً: مؤلفات الإمام:

حرص الإمام -رحمه الله- أشد الحرص على الدعوة العمليّة؛ فركز اهتمامه على التربية والتدريس والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أخذ ذلك جلّ وقته وغالب اهتمامه، ومع ذلك، فقد ترك -رحمه الله- ثروة علميّة كبيرة من المؤلفات النافعة المفيدة في موضوعات مختلفة، مثل: التوحيد والتفسير والحديث والفقه والسيرة النبوية .. إلا أن أبرز الموضوعات التي كتب فيها هي تلك التي تدور حول العقيدة وعلم التوحيد، حيث كان هذا الموضوع هو جوهر دعوته، التي ركّزت على أصول الدين، وبيان الانحرافات الواقعة في تلك الأصول.

وقد كان أسلوب الإمام في مؤلفاته سهلاً واضحاً، بعيداً عن التكلف أو استعمال المحسنات البديعية[1]، والكلمات الشاذة والصعبة.

أما من حيث اللغة، فكانت مؤلفاته متفقة مع قواعد إعراب اللغة العربية، إلا في حالات نادرة، لأغراض معينة مثل بعض مراسلاته الموجهة للعوام[2].

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم[3]، بعض مؤلفات الإمام[4]، ومنها:

---

(١) هذا في الغالب ، باستثناء الخطب التي كانت تظهر عليها بعض تلك المحسنات أحياناً، أما بقية كتاباته، فكانت بعيدة عن التكلف والصنعة.

(٢) سيأتي الحديث -إن شاء الله- عن أساليب الرسائل واللغة المستخدمة فيها في الفصل الثاني من هذا البحث.

(٣) المرجع السابق ، (١٨/١٢) .

(٤) سيأتي ذكر مؤلفات الإمام بالتفصيل في المبحث الثاني من هذا الفصل إن شاء الله تعالى .

١- كتاب التوحيد فيما يجب من حق ا لله على العبيد .

٢- كتاب كشف الشبهات.

٣- كتاب أصول الإيمان.

٤- كتاب فضائل الإسلام.

٥- كتاب فضائل القرآن.

٦- كتاب السيرة المختصرة.

٧- كتاب السيرة المطولة.

٨- كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه.

٩- كتاب مختصر الإنصاف والشرح الكبير.

١٠- كتاب مختصر الصواعق.

١١- كتاب مختصر فتح الباري.

١٢- كتاب مختصر الهدي.

١٣- كتاب مختصر العقل والنقل.

١٤- كتاب مختصر المنهاج.

١٥- كتاب مختصر الإيمان.

١٦- كتاب آداب المشي إلى الصلاة .

وله رسائل علميّة مختصرة ، وأجوبة ومسائل مستنبطة من كتاب ا لله تعالى وسنة رسوله ﷺ، قامت مشكورةً (أمانة مؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه ا لله) بالعناية بها وجمعها وطباعتها ضمن مجموعة مؤلفاته رحمه ا لله التي جُمعت في أحد عشر جزءاً.

ثامناً: وفاته (رحمه الله):

كانت وفاة الإمام -رحمه الله- في سنة ١٢٠٦هـ؛ حيث يقول ابن غنام: (كان ابتداء المرض به في شوال، ثم كانت وفاته في يوم الاثنين من آخر الشهر)[١]، وقد توفي رحمه الله عن عمر يناهز الثنتين والتسعين سنة؛ ولم يخلف رحمه الله ديناراً ولا درهماً، ولم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم[٢].

وقد رثاه الشعراء، وأثنى عليه العلماء، قال ابن قاسم عن يوم جنازته: (وكان يوماً مشهوداً وتزاحم الناس على سريره، وصلوا عليه في بلدة الدرعية، وخرج الناس مع جنازته، الكبير والصغير)[٣]، فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

ومن الملاحظ أن الباحث قد اختصر في بعض المواضع من [ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله] في حين فصّل في المواضع الأخرى التي تخدم موضوع هذا البحث مثل: طلب الإمام للعلم، ورحلاته العلمية، وشيوخه، إذ أن إدراك هذه الجوانب بالذات في حياة الإمام يبين مدى أهمية الرسائل الشخصية التي كتبها صاحب هذه الترجمة، وأصالتها، والمكانة العلمية لكاتبها، وبالتالي مدى أهمية الدروس والفوائد التي تستفاد من دراسة هذه الرسائل، وأن الوسائل والأساليب التي استخدمها الإمام في هذه الرسائل إنما هي نابعة من اجتهاد عالمٍ فذٍّ له إلمام واسع بنصوص الكتاب والسنة وإدراك عميق لقواعد الدين وفقه الدعوة إلى الله.

---

(١) حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١٥٤/٢).

(٢) المرجع السابق، (١٥٥/٢).

(٣) جمع: عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] (٢٠/١٢).

المبحث الثاني

(الرسائل) وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى واستخدام الإمام (رحمه الله) لها

إن المتأمل للنصوص الشرعية يجد أن الله سبحانه وتعالى قد ربط بحكمته بين الأسباب والمسببات، وأمر بالأخذ بالوسائل المؤدية إلى الغايات، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة:٣٥).

ولا شك أن لكل غاية مشروعة وسائل مشروعة موصلة إليها، وإن الدعوة إلى الله التي هي من أعظم الغايات لها وسائل مشروعة، سلكها الأنبياء، وسار عليها الدعاة، وأفادوا منها عبر الأجيال.

وقد استخدم الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- عدة وسائل دعوية، كان لها أعظم الأثر في نشر دعوته ونجاحها، وكانت وسيلة المراسلة من أبرز تلك الوسائل.

ولعل من المناسب أن يتم تناول هذا المبحث من خلال مطلبين:

المطلب الأول: الوسائل التي استخدمها الإمام في الدعوة إلى الله ومنها وسيلة المراسلة

المطلب الثاني : (المراسلة) مشروعيتها وخصائصها ومجالاتها.

المطلب الأول

الوسائل التي استخدمها الإمام في الدعوة إلى الله ومنها: وسيلة المراسلة

ربما يحسن – قبل الحديث عن الوسائل التي استخدمها الإمام في تبليغ دعوته– أن تكون هناك وقفة يسيرة مع المقصود بوسائل الدعوة مع الإشارة إلى أنواعها وأحكامها، وعليه فسيتم تناول هذا المطلب على النحو التالي:

المسألة الأولى: مفهوم (الوسائل) وأنواعها وضوابطها الشرعية.

المسألة الثانية: الوسائل التي استخدمها الإمام في دعوته.

المسألة الأولى: مفهوم (الوسائل) وأنواعها وضوابطها الشرعية:

أولاً: مفهوم الوسائل:

الوسائل في **اللغة**: هي ما يُتَوَصَّل ويُتقرب به إلى الشيء، تقول: وسَل فلانٌ إلى الله بالعمل [يَسِلُ]وسلاً: رغب وتقرب، ومفردها وسيلة وهي الوُصْلة والقربى وما يتقرب به إلى الغير[١] قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥]، أي: القربة إليه بطاعته[٢].يقول ابن كثير: الوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود[٣]، وقريب من هذا المعنى يقول الفخر الرازي :الوسيلة هي التوصل إلى تحصيل المقصود[٤] وفي المفردات: الوسيلة : هي التوصل إلى الشيء برغبة[٥] وجمعها الوُسُل والوَسَائل[٦].

---

(١) انظر: ابن منظور الأفريقي ، **لسان العرب** ،[مرجع سابق] مادة (وسَلَ) (٧٢٤/١١) . وكذلك إبراهيم مصطفى ، وآخرين ، **المعجم الوسيط** ، [اسطنبول ، دار الدعوة،١٤٠٦هـ] مادة وسَل (١٠٣٢/٢) ، والجوهري ، **الصحاح** ،[بيروت، دار العلم للملايين، ط٢،١٣٣٩هـ] (١٨٤١/٥) ، **والمصباح المنير** ، [بيروت ـ مكتبة لبنان ـ ١٩٨٧م] مادة وسَلت (٦٦٠/٢) ، وابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، [بيروت ـ المكتبة العلمية ـ ب ت] (١٨٥/٥) .

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية ،**قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**،[بيروت،المكتب الإسلامي، ط٣،١٤٠٢هـ] ص٤٩

(٣) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، [بيروت ، دار الكتب العلمية ،ط١ ـ ١٤٠٦هـ] (٨٤/٢)

(٤) الإمام الفخر الرازي ، **التفسير الكبير** ، [بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ب ت] (٢٢٠/٦).

(٥) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، [بيروت، دار المعرفة ، ب .ت] (ص٥٢٣).

(٦) الجوهري، **الصحاح**، [مرجع سابق] مادة وسَل (١٨٤١/٥) .

فالوسيلة في اللغة إذاً هي ما يتوصل به إلى الشيء.

أما في الاصطلاح: فقد عرّفها كثيرمن العلماء بعدة تعريفات، منها :

- ما ذكره الدكتور: محمد أبو الفتح البيانوني من أن الوسيلة: (هي ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية)[١].

وما ذكره د. عبدالكريم زيدان من أنها: (كل ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله تعالى على نحو نافع مثمر)[٢].

-وعرّفها د. سيّد محمد ساداتي الشنقيطي بقوله: إن الوسيلة في الدعوة أو الاتصال الدعوي هي: (القناة الموصلة للغاية، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس)[٣].

وعلى ذلك يتضح لنا أن وسائل الدعوة تطلق على: **الأدوات المادِّيَّة أو المعنويَّة التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ الدعوة للمدعو.**

ثانياً: أنواع الوسائل:

رغم كثرة الآراء وتباينها حول أنواع وسائل الدعوة وأقسامها [٤] إلا أنه من الممكن التقريب بين وجهات النظر في هذه المسألة عن طريق النظر إلى

---

(١) د. محمد أبو الفتح البيانوني ،**المدخل إلى علم الدعوة** ، [بيروت ،مؤسسة الرسالة ،ط٢، ١٤١٤هـ]ص٤٨

(٢) د. عبدالكريم زيدان ، **أصول الدعوة** ،[مصر ،دار الوفاء ، ط٦، ١٤١٣هـ] ص٤٤٧.

(٣) د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي ،**ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام** [الرياض ـ دار عالم الكتب ـ ط الأولى ١٤١٥هـ](ص٢٩) .

(٤) انظر مزيداً من التفصيل في أقسام وسائل الدعوة عند : عبدالكريم زيدان ، **أصول الدعوة**، ص(٤٧٠)، وتوفيق الواعي، **الدعوة إلى الله**، [الكويت ، مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠٦هـ] ص(٢٤١)، و د . علي عبد الحليم محمود، **فقه الدعوة إلى الله**، [مصر ـ دار الوفاء ـ ط الثالثة ١٤١٢هـ] (ص٢٣٤) .

اعتبار كل تقسيم وتحديد موجبه، ومن هذا المنطلق يمكن تقسيمها بعدة اعتبارات، منها:

أ- بالنظر إلى نوع الجهد الذي يقوم به الداعي:

١- وسيلة التبليغ بالقول: كالخطبة والمحاضرة، والدرس والفتيا، والنصيحة الفردية، والرسالة والكتاب، والاحتساب باللسان.

٢- وسيلة التبليغ بالعمل: كالجهاد، وتغيير المنكرات باليد، وتوزيع الكتب الدعوية، والهدية، وتأليف القلوب بالمال، وبناء المراكز الإسلامية والمساجد، ونحو ذلك.

ب- بالنظر إلى طبيعة اللقاء مع المدعو:

١- وسائل مباشرة : وهي قسمان:

أ- وسائل مباشرة (بالقول): كالخطبة والمحاضرة والدرس والاحتساب باللسان ..

ب- وسائل مباشرة (بالعمل): كالجهاد، وتغيير المنكرات باليد، وتوزيع الكتب ..

٢- وسائل غير مباشرة : وهي أيضاً قسمان:

أ- وسائل غير مباشرة (بالقول): كالرسالة والكتاب وأشرطة التسجيل والإذاعة والتلفاز، والحاسوب ...

ب- وسائل غير مباشرة (بالعمل): كالتخطيط، وأخذ الحيطة لحماية الدعوة، والاستعانة -بعد الله- بأهل الخبرة والمكانة.

ج – ومن حيث الأدوات والقنوات التي يستخدمها الداعي:

١– وسائل سمعية: كالإذاعة والأجهزة الصوتية والهاتف.

٢– وسائل مقروءة: كالصحف والمجلات والكتب والنشرات والرسائل.

٣– وسائل بصرية: كالتلفاز والفيديو.

٤– وسائل شخصية أو فطرية: مثل المقابلة الفردية.

وعلى أية حال، فإن هذه التقسيمات أو تلك إنما هي تقسيمات اجتهادية، والأمر فيها -على ما يبدو- واسع، ولكل باحث أن يختار منها، أو من غيرها، ما يتناسب مع طبيعة بحثه، ومع ما توافر لديه من مادة علمّية، شريطة أن يكون لتقسيمه وجه معقول.

وستكون العمدة في هذا البحث على التقسيم الأول؛ لكون البحث يتعلق بشخصية محددة ، ويكشف عن أوجه النشاط الدعوي الذي قامت به هذه الشخصية، ولأن هذا التقسيم يتناسب مع طبيعة المادة العلمية التي جُمعت في هذا الجانب.

ثالثاً: الضوابط الشرعية لوسائل الدعوة:

إن من أبرز المسائل التي يكثر تناولها بين الدعاة: مسألة حكم التجديد في وسائل الدعوة، وهل وسائل الدعوة توقيفية أم اجتهادية؟ وما هي الضوابط التي تضبط هذه الوسائل؟

إن وسائل الدعوة هي أدواتها -كما تقدم- والأدوات قابلة للتبديل والتغيير بتغير الزمان والمكان، كآلات الحرب والزراعة والكتابة والنقل

وغيرها. وبناءً على ما قرره العلماء[1]، فإن وسائل الدعوة ليست توقيفية، بل هي اجتهادية متجددة ولكنها مضبوطة بضوابط شرعية منها:

١- أن كل وسيلة نصّ الشرع على مشروعيتها، فهي وسيلة مشروعة.

٢- أن كل وسيلة نصّ الشرع على منعها، فهي ممنوعة.

٣- أن كل وسيلة سكت الشرع عنها، فهي مباحة، بناءً على أن الأصل في الأشياء الإباحة، ما لم يتبين أن استخدامها يؤدي إلى مفسدة أكبر.

٤- ينبغي خروج الوسيلة عن كونها شعاراً لكافر.

٥- قد يُترخّص في استعمال بعض الوسائل الممنوعة في بعض الأحوال؛ وذلك تغليباً لجانب درء المفاسد على تحقيق المصالح؛ أو تقديم أخف المفسدتين.. كما جرى في الترخيص بالكذب في عدة مواطن؛ كقوله ﷺ: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً)[2]، وزاد

---

(١) أفتى سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - في أكثر من مناسبة بأن (وسائل الدعوة اجتهادية وليست توقيفية)، وبيّن رحمه الله أن (الدعوة -من حيث العلم- توقيفية ، أما وسائل إيصالها فهي اجتهادية) . ذكر سماحته هذه الفتوى في أحد دروسه التي يعقدها في منزله بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع ، وهي مسجلة في شريط صوتي بتاريخ ١٤١٨/٥/١١هـ، كما أفتى الشيخ محمد بن صالح العثيمين -حفظه الله- بذلك أيضاً، وسيأتي نص الفتوى. انظر: محمد بن عبدالعزيز المسند، **فتاوى إسلامية**، [الرياض، دار الوطن، ط١، ١٤١٥هـ] (٤/ ٢٩٥). وانظر التحقيق في هذه المسألة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، **المدخل إلى علم الدعوة**، [مرجع سابق] ص٢٨٥ - ٣٠٠.

(٢) أخرجه البخاري ، **صحيح البخاري**،[مرجع سابق] [كتاب :الصلح ،باب :ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس] [ك ٥٧- ب ٢ - ح٢٥٤٦] (٩٥٨/٢) .

مسلم في رواية: (ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: تعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها)[1].

وهذا الضابط يختلف عن المبدأ القائل (الغاية تبرر الوسيلة) من عدة وجوه؛ منها:

أ- إن المحَرِّم والمبيح في الإسلام هو الشارع نفسه توسعةً على عباده، أما التسويغ عند غير المسلمين فمتروك لاجتهاداتهم وأهوائهم.

ب- إن الغاية التي أبيحت من أجلها بعض الوسائل الممنوعة هي غاية محمودة دائماً في نظر الشارع، وليست مجرد مصلحة شخصية يراها المرء محمودةً ، وربما كانت مذمومة عند الآخرين.

ج- إن الترخيص في الإسلام مقيد بحال الضرورة الملجئة، أو الحاجة الملحة كما أن الضرورات تقدر بقدرها ، وليس الأمر مطلقاً كما هو عند غير المسلمين[2].

وبالجملة؛ فإن وسائل الدعوة -بعد مراعاة ما ذكر من الضوابط- تبقى (من موارد الاجتهاد ومسائل السياسة الشرعية ، التي تدور في فلك الموازنة

---

(١) الإمام مسلم ، **صحيح مسلم** ، [بيروت ـ دار ابن حزم ـ ط الأولى ١٤١٦هـ] كتاب: (البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الكذب وبيان المباح منه) [ك٤٥ ـ ب٢٧ ـ ح ٢٦٠٥] (١٥٩٦/٤) .

(٢) انظر مزيداً من التفصيل حول ضوابط مشروعية وسائل الدعوة ، د. محمد أبو الفتح البيانوني، **المدخل إلى علم الدعوة** ، [مرجع سابق] ص٢٨٥-٣٠٠ .

بين المصالح والمفاسد ، ولا وجه فيها لتبديع المخالف أو القدح في دينه وعدالته، ويجب أن ينطلق العمل الإسلامي فيها بما يقرره أهل الشورى من أهل العلم وأهل الخبرة، وأن يُدرَك أن تفاوت الاجتهادات فيها إنما هو من قبيل التفاوت في تقدير المصالح والمفاسد، وهو جهد بشري لا عصمة فيه لأحد ولا قداسة فيه لاجتهاد دون اجتهاد، ولا ثبات على اجتهاد فيه إلى الأبد، بل هو مما تتغير فيه الفتوى بتغير الزمان والمكان والأحوال)[1].

وقد سئل **فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين** -حفظه الله- عن وسائل الدعوة حيث يقول السائل: **هل تعتبر وسائل الدعوة إلى الله عز وجل وسائل توقيفية، بمعنى أنه لا يجوز الاستفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة كوسائل الإعلام وغيرها بل يُكتفى بالوسائل التي استخدمت في عهد الرسول ﷺ؟**

فأجاب فضيلته قائلاً: (يجب أن نعرف قاعدة، وهي أن الوسائل بحسب المقاصد كما هو مقرر عند أهل العلم؛ أن الوسيلة لها أحكام المقصد ما لم تكن هذه الوسيلة محرمة، فإن كانت محرمة فلا خير فيها، وأما إذا كانت مباحة وكانت توصل إلى ثمرة مقصودة شرعاً فإنه لا بأس بها)[2].

وقال فضيلته في جواب آخر لسؤال مشابه: (والنبي ﷺ كذلك يقول أبلغ

---

(١) د . صلاح الصاوي ، **الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر** [القاهرة - دار الإعلام الدولي - ط.الأولى ١٤١٤هـ] (ص٣٢٤) .

(٢) محمد بن عبدالعزيز المسند ، **فتاوى إسلامية** ، [الرياض ، دار الوطن ، ط١، ١٤١٥هـ] (٤/ ٢٩٥).

الأقوال موعظةً، فقد كان يعظ أصحابه أحياناً موعظة يصفونها بأنها وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون..فإذا تمكن الإنسان من أن تكون عظته بهذه الوسيلة، فلا شك أن هذه خير وسيلة، أي بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.. وإذا رأى أن يضيف إلى ذلك أحياناً وسائل مما أباحه الله، فلا بأس بهذا، ولكن بشرط أن لا تشتمل هذه الوسائل على شيء محرم كالكذب، أو تمثيل دور الكافر مثلاً في تمثيليات، أو تمثيل الصحابة رضوان الله عليهم أو الأئمة.. أئمة المسلمين من بعد الصحابة، أو ما أشبه ذلك، مما يُخشى من أن يزدري أحدٌ من الناس هؤلاء الأئمة الفضلاء ... والمهم أنه إذا أخذ بشيء من هذه الوسائل أحياناً من أجل التأليف، ولم يشتمل هذا على شيء محرم، فلا أرى به بأساً)[1].

- أحكام وسائل الدعوة :

وإذا قُرّر أن وسائل الدعوة اجتهادية، فإنه يمكن أن يقال : إن أحكام وسائل الدعوة تندرج تحت أقسام الحكم التكليفي الخمسة[2].. فمنها الواجب والمستحب والمباح والمكروه والمحرم[3]:

---

(١) المرجع السابق ، (٤/٢٩٢) .

(٢) يفهم ذلك من خلال فتاوى العلماء حول بعض الوسائل ، وما كتبه بعض أهل العلم ـ متفرقاً ـ عن أحكام بعض وسائل الدعوة ، حيث بينوا أن منها الواجب ، ومنها المحرم ، ومنها ...الخ.انظر: محمد بن عبدالعزيز المسند ، **فتاوى إسلامية** ، [مرجع سابق] (٤/ ٢٩٥) و د . محمد أبو الفتح البيانوني ، **المدخل إلى علم الدعوة** ،[مرجع سابق] (ص٢٨٦ ـ ٣٠).

(٣) انظر : عبد القادر بن أحمد الدومي الدمشقي، **نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر وجنة المناظر** ،[بيروت ـ دار الحديث ـ ط الأولى ١٤١٢هـ] (٧٧/١) .

– **فالوسائل الواجبة:** هي ما توعّد الشارع بالعقاب على تركها؛ مثل وسيلة الجهاد في سبيل الله إذا توفرت أسباب وجوبه، حيث نصّ الفقهاء على تعيّن وجوبه (في ثلاثة مواضع:

أحدها: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان، حرم على من حضر الانصراف، وتعين عليه المقام، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقوله:﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ. وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

الثاني: إذا نزل الكفار ببلد، تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

الثالث: إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه لقول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة:٣٨]، الآية، وقال النبي ﷺ: (إذا استنفرتم فانفروا)[١])[٢].

– **والوسائل المستحبّة:** هي التي ندب إليها الشرع، ولم يذم تاركها، ففاعلها مثاب، وتاركها غير معاقب[٣]، مثل: ابتداء السلام على المدعو

---

(١) أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، [مرجع سابق] [كتاب الجهاد والسير- باب: وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية] (ك٦٠ ـ ب٢٧ ـ ح٢٦٧٠) (٣/١٠٤٠).

(٢) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، **المغني** [الرياض ـ مكتبة الرياض الحديثة ـ ب ت] (٣٤٦/٨- ٣٤٧).

(٣) موفق الدين ابن قدامة المقدسي، **روضة الناظر وجنة المناظر**، [مرجع سابق] ص٢٣.

لتأليف قلبه، فإن ذلك من أنجح وسائل الدعوة، حيث إن السلام -كما قال الإمام النووي- (هو مفتاح استجلاب المودة)[١]، وهو أمر مستحب لا واجب، قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]: (.. والسلام خلاف الردّ ، لأن الابتداء به تطوّع، ورده فريضة)[٢].

- **والوسائل المباحة:** هي التي أذن الله في فعلها وتركها دون أن يقترن ذلك بذم فاعلها أو تاركها ولا مدحه[٣]، ويدخل فيها بطبيعة الحال (أي وسيلة دعوية لم ينصّ الشارع على مشروعيتها، ولم يأت بالنهي عنها، وإنما سكت عنها، فتدخل في دائرة الإباحة، بناءً على أن الأصل في الأشياء الإباحة، فيسع الداعية استخدامها في دعوته.

ذلك لأن النصوص الشرعية محدودة مهما كثرت، والوسائل متجددة متطورة مع تعاقب الأزمان، فلا يمكن أن تستوعب النصوصُ الحديثَ عنها، كما هو الشأن في وسيلة مكبّر الصوت، والمذياع وغيره من المخترعات الحديثة .. فالأصل في هذا النوع من الوسائل: الإباحة، ما لم يعرض له عارض يخرجه عن ذلك الأصل)[٤]،كأن تقترن به نية صالحة تدخله في باب المستحب أو الواجب، أو تقترن به نية سيئة تدخله في باب المكروه أو المحرم.

---

(١) الإمام النووي، **شرح صحيح مسلم** [بيروت- دار القلم- ط الأولى- ب ت] (٣٩٥/١).

(٢) الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** [بيروت- دار الكتب العلمية- ١٤١٣هـ] (١٩٢/٥).

(٣) موفق الدين ابن قدامة المقدسي ، **روضة الناظر وجنة المناظر**، [مرجع سابق]، ص٢٤.

(٤) د. محمد أبو الفتح البيانوني ، **المدخل إلى علم الدعوة**، [مرجع سابق] ص(٣٠١) .

- **الوسائل المكروهة:** هي التي نهى الشارع عنها تنزيهاً، ولا يتعلق بفعلها عقاب[١].

ومن أمثلة ذلك: الإطالة في الخطب والمواعظ بما يفضي إلى إدخال الملل والسآمه على المدعوين لغير حاجة معتبرة شرعاً، وقد قال ﷺ: (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحراً)[٢].ولا يقال هنا إن الأمر يقتضي الوجوب، ويقتضي تحريم إطالة الخطبة والموعظة بإطلاق؛ لوجود قرينة صارفة، حيث ثبت عنه ﷺ أنه يطيل الخطبة أحياناً للحاجة، فقد روى الإمام مسلم عن أبي زيد ﷺ، قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبر بما كان وبما هو كائن، فأعلمُنا أحفظُنا)[٣]. وعليه، فيجوز إطالة الخطبة والموعظة لحاجة معتبرة شرعاً، ويكره ذلك لغير حاجة، وربما يحرم إذا كان يترتب عليه منكر أعظم.

---

(١) موفق الدين ابن قدامة المقدسي ، **روضة الناظر وجنة المناظر**، [مرجع سابق]، ص٢٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عمار بن ياسر، انظر: مسلم ، **صحيح مسلم** ، [كتاب الجمعة ،باب تخفيف الصلاة والخطبة] (لـ٧ ب١٣ ح٨٦٩) (٤٩٧/٢) .

(٣) الإمام مسلم، **صحيح مسلم** [مرجع سابق]، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب : إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، [كـ٥٢ ـ ب٦ ـ ح٢٨٩٢] (١٧٥٧/٤).

- **والوسائل المحرمة:** ضد الواجبة [(١)]، وهي التي يعاقب فاعلها ويذم شرعاً؛ مثل الكذب المحرم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[النحل:١٠٥].

وكذلك مداهنة المدعو في نهيه عن الشرك، مراعاةً لرغباته، قال تعالى: ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[القلم:٨،٩]، فإن الله سبحانه وتعالى حذّر نبيه ﷺ في هذه الآية (ونهاه سبحانه عن ممايلة المشركين)[(٢)]، إذ أنه لا مراعاة ولا مداهنة في الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، ولا يجوز بحال أن يستخدم الداعية هذه الوسيلة المحرمة[(٣)].

وبالجملة، فإنه لاشك في ضرورة أن يتفقه الداعية في دين الله، وأن يعرف الأحكام الشرعية للوسائل التي يستخدمها، حتى لا يقع في وسائل ممنوعة نهى عنها الشرع تحريماً أو كراهةً، فإن الدعوة بلا علم كثيرة الآفات، ممحوقة البركة.

---

(١) موفق الدين ابن قدامة المقدسي، **روضة الناظر وجنة المناظر**، [مرجع سابق]، ص٢٦.

(٢) الإمام القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** [مرجع سابق] (١٨/١٥٠) ، ومحمد بن علي الشوكاني ، **فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** [لبنان - دار الفكر - ١٤٠٣هـ] ، (٥/٢٦٨) .

(٣) انظر : كلاماً نفيساً في هذه المسألة : د . فضل إلهي ، **من صفات الداعية : اللين والرفق** [باكستان- إدارة ترجمان الإسلام- ط الثانية ١٤١٢هـ] (ص٨- ١٠) .

المسألة الثانية: الوسائل التي استخدمها الإمام في دعوته:

أما عن الوسائل التي استخدمها الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- في دعوته، فهي كثيرة ، ويمكن تقسيمها إلى نوعين كما يلي:

١) وسائل تبليغ الدعوة (بالقول).

٢) وسائل تبليغ الدعوة (بالعمل).

أولاً: وسائل تبليغ الدعوة (بالقول):

وهي إما أن تكون وسائل مباشرة، أو وسائل غير مباشرة، وعليه فيمكن تناولها على النحو التالي:

أ- الوسائل (المباشرة) لتبليغ الدعوة (بالقول):

وفي هذا القسم يصل المحتوى من الداعي إلى المدعو بالمشافهة واللقاءات المباشرة، ويجمعهما نفس الزمان والمكان، ولهذا النوع من الوسائل غالباً أهميته الخاصّة، وتأثيره العميق على المدعو، وحمله على التسليم والإذعان، ومن أبرز أنواع المشافهة:

١- الخطابة :

أدرك الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- أهمية هذه الوسيلة وشدة تأثيرها على المدعوين، فحرص رحمه الله على استغلالها، فكان يلقي الخطب التوجيهية والوعظية في المناسبات المختلفة، وكان يدعو الناس إلى الاجتماع أحياناً لإلقاء خطبة حول الموضوعات ذات الأهمية الخاصة[١]، حيث يذكر

---

(١) انظر : مسعود الندوي ، **محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه** ، [مرجع سابق] (ص٥٠).

ابن بشر وابن غنام في حوادث سنة ١١٩٠هـ عن سليمان بن عبدالوهاب أخي الإمام الذي كان من المعادين له ولدعوته- أنه رجع إلى أخيه بالدرعية تائباً فأحسن إليه الإمام وأكرم وفادته(١)، وفي تلك السنة جمع الإمام المسلمين من الأطراف والنواحي، وألقى عليهم خطبة شرح فيها دعوته بصورة واضحة صريحة(٢).

وكان رحمه الله - بالإضافة إلى ذلك - يتولى إلقاء خطب الجمعة والعيدين، وقد تميزت خطب الجمعة التي كان يلقيها الإمام -رحمه الله- بعدة مزايا تظهر بوضوح لمن تأمل تلك الخطب(٣)، ومن هذه المزايا:

الإيجاز: فكانت خطبه -رحمه الله- قصيرة موجزة بليغة لا يتجاوز إلقاؤها بضع دقائق، فقد طبع منها ٣٨ خطبة، لم تستغرق كلها أكثر من ٦٤صفحة فقط، أي أن كل خطبة لا تتجاوز صفحتين من المقاس المتوسط، ولا شك أن ذلك يدل على قصرها ووجازتها، خاصة إذا ما قورنت بخطب أغلب الخطباء اليوم، ولا ريب أن هذه الميزة في خُطبه تدل على فقهه رحمه الله وشدة متابعته للسنة، فقد قال ﷺ: (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته

(١) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٩٥/٢) وعثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ،[مرجع سابق] (٦٥/١) .

(٢) انظر : مسعود الندوي ، **محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه** ، [مرجع سابق] (ص٥٠) .

(٣) هذه الخطب طبعت ضمن **مجموع مؤلفات الشيخ** محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ حيث قامت جامعة الإمام مشكورة بطباعتها وإخراجها ، وتوجد في ملحق المصنفات (المجلد الحادي عشر) تحت عنوان (الخطب المنبرية للشيخ محمد بن عبدالوهاب) وقد جاء في هذا المصنف (٣٨)خطبة منها خطبتا عيد والباقي خطب جمعة وتقع في ٦٤صفحة.

مَئِنَّةٌ [١]، من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحراً)[٢].

كما تميزت خطبه -رحمه الله- بالتزامه فيها **بالبداءة (بالحمد لله)**، تأسياً واقتداءً بالنبي ﷺ، فعن جابر ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ يخطب الناس، يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول: من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وخير الحديث كتاب الله ...) [٣].

وتميزت خطبه أيضاً **بكثرة استشهاده بالنصوص الشريفة**، مما أكسب تلك الخطب بهاءً ووقاراً وقوةً في التأثير ، كما أنه **كان يختم كل خطبة بآيات من كتاب الله** تناسب موضوع الخطبة.

أما موضوعات الخطب، فكانت وعظية، تربط القلوب بالخالق سبحانه وتعالى، وتربي المدعوين على مراقبة الله سبحانه ومحبته وخشيته، كما كان يركز على القضايا العقدية، حتى إنه خصص أحدى الخطب لشرح معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وكان يستغل الخطب أحياناً للتعليم بأسلوب سهلٍ ميسر، وقد كان رحمه الله كثيراً ما يزين خطبه بشيء من السجع غير المتكلف ليضيف إلى جودة المعنى جمال المبنى وحسن الصياغة، خاصّة وأن

---

(١) مئنّة : أي علامة على فقهه ، ومئنة أن يكون كذا أي خليق وجدير أن يقال فيه أنه كذا، والمعنى أنه خليق أن يوصف بالفقه، انظر: الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، [مرجع سابق] مادة (أنن) (ص١٥١٩).

(٢) سبق تخريجه (ص١١١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، مسلم، **صحيح مسلم**، [مرجع سابق] [كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة] (ك٧ ب١٣ ح٨٦٧) (٢/٤٩٦) .

عامّة الناس -في ذلك الوقت- قد اعتادوا على هذا الأسلوب وألفوه في الخطب.

٢- الدروس :

حرص الإمام على هذه الوسيلة منذ وقت مبكر، وكان لها أثر بالغ، ونتائج طيبة على الدعوة بشكل عام.. ولم يكن الإمام -رحمه الله- يكتفي بمجرد تفهيم الناس محتوى الدرس ومفهومه فقط، بل كان يهدف من وراء إقامة الدروس إلى أهداف أخرى ذات أهمية بالغة، منها توثيق الصلة بالمدعوين وإتاحة الفرصة لهم للسؤال والاستفسار عما يجول في أذهانهم وتربية طائفة منهم للقيام بالدور نفسه وتحمل أعباء الدعوة ونشرها، والتضحية من أجلها، بالإضافة إلى تقرير المفاهيم الصحيحة عن الإسلام، والقضاء على المفاهيم الخاطئة ،وغرس القيم الفاضلة، وتعويد المدعوين على أدب الحوار، واستطلاع آرائهم -من قرب- في كثير من القضايا والمسائل.

وقد ذكر ابن غنام أن الإمام بمجرد أن رجع من رحلاته العلمية، وحطّ رحاله في حريملاء، شرع في إلقاء الدروس العلمية الجادة في الحديث والفقه والتفسير، إضافة إلى العقيدة، حتى ذاع صيته، وتقاطر الناس إليه من كل جانب، وانحاز لدعوته جمع غفير من الناس يحضرون دروسه ويقتدون بأقواله وأفعاله[١]، حتى إنه رحمه الله أصبح بعد وفاة والده أكبر شخصية علمية في البلدة[٢]، وأصبحت دروسه أو حلقاته العلمية هي أبرز الدروس في تلك البلدة وأكثرها حضوراً.

---

(١) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام**،[مرجع سابق] (١/٢٩-٣٠) .

(٢) د. عبدالله العثيمين ، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره**، [مرجع سابق] (ص٤٦).

واستمر -رحمه الله- في العناية بهذه الوسيلة في جميع مراحل دعوته، حتى قدم إلى الدرعية، فوفد إليه الطلاب من كل جانب، وتركوا بلادهم لطلب العلم ونصرة الإمام[1]، وكانوا في حاجة شديدة، فكان الإمام -رحمه الله- يتحمل الدَّين الكثير في ذمته لمؤنتهم وما يحتاجون إليه[2]، وكان بعضهم يحترفون حرفة بالليل، ويتفرغون للدروس في النهار، وأصبحت دروس الإمام وحلقاته العلمية هي أبرز مظاهر الحياة العلمية في الدرعية ، وأضحت تلك الدروس هي أهم أسباب وفود كثير من الناس إلى الدرعية.

وازدادت عناية الإمام بحلقات الوعظ والدروس، وأصبح يعلم القادمين إليه علم الكتاب والسنة من الصباح إلى المساء، وكان يجعل جلّ اهتمامه وتركيزه على دعوة التوحيد، وإخلاص العبادة لله، وترسيخها في قرارة النفوس[3].

وقد آتت تلك الدروس ثمارها، فنقل إلينا ابن غنام عدة أسماء من أولئك الذين تتلمذوا على هذه الحلقات، وأصبحت لهم آثارٌ واضحة في مسار الدعوة، فمنهم: أحمد بن سويلم، وعيسى بن قاسم، اللذان توليا بدورهما إقامة دروس علمية في مناطق متفرقة بتكليف من الإمام، كما برز من الوجهاء والأعيان إخوة محمد بن سعود الثلاثة: مشاري، وثنيان، وفرحان،

---

(1) انظر : عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، [مرجع سابق] (1/13) .

(2) المرجع السابق (1/15) .

(3) مسعود الندوي ، **محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه** ، [مرجع سابق] (45).

وكذلك محمد الحزيمي، وعبدا لله بن دغيثر، وسليمان الوشيقري، ومحمد بن حسين[1].

وقد نتج عن وسيلة (الدروس العلمية) أن تخرّج جيل من العلماء والدعاة الذين وجههم الإمام ليقوموا بالدور نفسه، فكان أن ظهرت نتيجة لذلك وسيلةٌ دعوية أخرى، أولاها الإمام أهمية خاصة، وهي وسيلة:

٣- إرسال المعلمين والدعاة :

وقد ازدادت الحاجة إلى هذه الوسيلة خاصة بعد انتشار الدعوة، وذيوع صيتها، وتضاعُف عدد أنصارها من البلدان المتباعدة، وكذلك أهل البادية الذين (دخلوا في دين ا لله، وقبلوا الحق، ونشر الإمام فيهم الدعوة، وأرسل إليهم المرشدين والدعاة في الصحراء والبوادي، كما أرسل المعلمين والمرشدين والقضاة إلى المدن والقرى، حتى عمّ هذا الخير العظيم والهدى المستبين نجداً كلها، وانتشر فيها الحق)[2].

ففي سنة ١١٦٧هـ أرسل الإمام -رحمه ا لله- أحد العلماء- وهو: الشيخ عيسى بن قاسم- إلى الرياض ليقوم بتعليم الناس أحكام الدين، فاجتهد هذا العالم في تعليم العلم ونشر التوحيد، وانتفع به من أهل الرياض خلق كثير؛ حتى إنهم - لشدة محبتهم لهذا الدين وشدة تمسكهم به - هاجروا معه من الرياض لما نبذ دهام بن دواس العهد، ونقض الميثاق[3]، وتركوا أموالهم وأملاكهم، وضحّوا بذلك كله في سبيل هذا الدين.

---

(١) المرجع السابق، (ص٤٤).

(٢) سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدا لله بن باز، **الإمام محمد بن عبدالوهاب**،[مرجع سابق] (ص٣٠).

(٣) حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١٩/٢).

وكذلك كان أحد تلاميذ الإمام، وهو: الشيخ موسى بن سليم، يمارس الدعوة ويقوم بنشر التوحيد في منفوحة والدرعية وغيرها من البلدان، بواسطة قراءة رسائل الإمام على المدعوين(١).

كما أن الإمام أرسل وفداً من طلابه، ومعهم عبدالرحمن الشنيفي، ليقوموا بدعوة سليمان بن سحيم ومذاكرته وتوضيح التوحيد له ولأتباعه(٢).

وفي سنة ١١٩٠هـ وفد أهل اليمامة وأميرهم حسن البجادي، وبايعوا الإمام محمداً والأمير عبدالعزيز على دين الله ورسوله، فأرسلا معهم معلماً يعلمهم التوحيد، هو الشيخ حمد العريني(٣).

وفي سنة ١١٨٥هـ أرسل الإمام محمد والأمير عبدالعزيز إلى والي مكة (الشريف أحمد بن سعيد) هدايا وكان قد كاتبهم وراسلهم، وطلب منهم أن يرسلوا فقيهاً عالماً من جماعتهم يبين لهم حقيقة ما يدعون إليه من الدين، ويناظر علماء مكة، فأرسلوا إليه الشيخ عبدالعزيز بن حصين، ومعه رسالة منهما، وناقش علماء مكة في عدة مسائل؛ مثل مسألة التكفير، وهدم البناء على القبور، ودعاء الأموات، وأظهر أدلته، وعاد مكرماً(٤).

---

(١) من رسالة أرسلها الشيخ لسليمان بن سحيم، **مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)** (٥/٢٢٨).

(٢) المرجع السابق (٥/٢٢٩) .

(٣) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢/٩٦).

(٤) المرجع السابق (٢/٨١).

وكان حسن بن عيدان من أتباع الإمام الذين تولوا الدفاع عن دعوته في الوشم، وكان محمد بن صالح يجادل سليمان بن سحيم في مجلس زعماء من بلدة الرياض[(١)].

وفي سنة ١١٧٠هـ وفد أهل ثادق، وبايعوا على دين الله ورسوله، وطلبوا معلماً يقرر لهم التوحيد وأصول الإسلام، فأرسل الإمام معهم تلميذه حمد بن سويلم، وهو من أهل الدرعية[(٢)].

ومن الوسائل المباشرة التي استخدمها الإمام، والتي تندرج تحت وسيلة التبليغ بالقول وما يحصل بالمشافهة واللقاءات المباشرة مع المدعو :

٤- الحوار والمناظرة :

لعل من أبرز الصعوبات التي واجهت الإمام في دعوته ؛ أن كثيراً من المبادئ الإسلامية التي دعا إليها الإمام - رحمه الله- كانت قد اندرست، وغفل عنها الناس، حتى إنها أصبحت خافية على كثير من طلبة العلم، ومن ينتسبون إلى العلم والعلماء، وأصبحت محل نقاش وجدل.

وحين أدرك الإمام -رحمه الله- هذه الحقيقة؛ لم يتردد في استغلال الوسيلة الدعوية المناسبة لمثل هذه الفئة؛ وهي وسيلة الحوار والمناظرة.

ولا شك أن هذه الوسيلة من وسائل الدعوة التي أمر الله بها وحثّ على استخدامها، فقال:﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت: ٤٦]، وأثنى الله على قوة حجة

---

(١) المرجع السابق (٨١/٢).

(٢) عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (٣٥/١).

إبراهيم عليه السلام في جداله مع المدعوين فقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وحكى سبحانه ما كان يتميز به نوح عليه السلام من طول النفس في الحجة والجدل حتى ضاق به سفهاء قومه، فقالوا: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[هود: ٣٢].

وقد برع الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- في هذه الوسيلة، حتى حيّر خصومه، وألجم مناوئيه، فقد رزقه الله قوة الحجة وحدة الذكاء ، إلى جانب ما منّ الله به عليه من سلامة المعتقد واستقامة المنهج ، فلا يكاد يجادل أحداً حتى يفحمه[١].

وكان -رحمه الله- يجادل كل إنسان ويناظر بمذهبه.. إن كان شافعياً، فبكلام الشافعية، وإن كان مالكياً فبكلام المالكية، أو حنبلياً أو حنفياً، فكذلك[٢].وقد بدا هذا الأسلوب واضحاً في مناظرة الإمام لأهل الأحساء، حيث تميزت هذه المنطقة بالذات في تلك الفترة بالتعدد المذهبي[٣]، فلبث -رحمه الله- عدة سنوات وهو يناظر ويحاور أهل الأحساء وغيرهم، كلاً بحسب مذهبه[٤].

(١) انظر على سبيل المثال : هزيمة المويس وانقطاع حجته، واعترافه بذلك أمام الملأ، **مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)**(١٧٣).

(٢) انظر : المرجع السابق (١٤٤/٥)، (٣٨/٥) ، (١٥٧/٥).

(٣) د. عبدالله العثيمين، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره**، [مرجع سابق] (ص٣٩).

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (١٤٤/٥).

وقد صرّح -رحمه الله- بأنه كان يستخدم وسيلة المناظرة، ويبدي استعداده لاستخدامها في أي لحظة[١]،بل ويحيل أحياناً إلى بعض المناظرات التي أجراها السلف[٢].

وكان في مناقشاته وجداله مع الخصوم يستخدم عدة طرق ، فهو تارة يبين ما وقع فيه الخصم من تناقضات في أقواله[٣]، وأحياناً يواجه الخصم بما وقع به من أخطاء عملية[٤]، ويستدل في بعض المواضع على الخصم باستخدام حججه ذاتها[٥]، وكان رحمه الله يركز على الموضوع أو المسألة التي دار حولها الجدل ولا يحيد عنها، ويعرِّض بخصومه الذين يحيدون[٦]، ويتهربون عن المواجهة، وإذا تعدد الخصوم، كان أحياناً يضرب أقوال بعضهم ببعض[٧]، وكان رحمه الله يلتزم في مناظراته وجداله للخصوم بنصوص الكتاب والسنة[٨]، وكان -رحمه الله- من أبعد الناس عن التعصب لشخص أو عالم

---

(١) انظر المرجع السابق ، (٥/٢٥٨)، حيث يقول -رحمه الله- عن وجوب ترك التقليد من غير حجة ورد المسائل لله ورسوله: (وأنا على الأول أدعو إليه وأناظر عليه، فإن كان عندكم حق رجعنا إليه وقبلناه).

(٢) حيث يقول في رسالة أرسلها إلى عبدالله بن محمد بن عبداللطيف: (وإن أردت النظر في أعلام الموقعين، فعليك بمناظرة في أثنائه عقدها بين مقلد وصاحب حجة) المرجع السابق، (٥/٢٥٨).

(٣) انظر : المرجع السابق، (٥/٨٨) ، (٥/١٣٤) .

(٤) انظر : المرجع السابق، (٥/٢٢٧).

(٥) انظر : المرجع السابق، (٥/٢٢٩).

(٦) انظر : المرجع السابق ، (٥/٢٤١).

(٧) انظر : المرجع السابق، (٥/٢٦٤).

(٨) انظر : المرجع السابق، (٥/٢٦٣).

أو لوجهة نظر سابقة، بل كان رحمه الله في طلب الحق كناشد الضالة، فهو يقول عن نفسه (ولست - و لله الحمد- أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل: ابن القيم، والذهبي، وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ)[١].

ولقوته العلمية كان يستدل في كثير من المسائل بأقوال المذاهب الأربعة[٢]، و لم يكن رحمه الله يهدر حقوق خصومه، بل يعترف بما عندهم من الإيجابيات[٣]، ويثني على ما عندهم من الجوانب الحسنة، ويبدي استعداده لقبول ما عندهم من الحق[٤]، و لم يكن يجادل في الفروع أو يقبل النقاش في المسائل الجزئية، حتى يضمن الاتفاق على الأصول والقواعد الهامة.

و لم يكن الإمام داعياً إلى استخدام هذه الوسيلة على وجه الإطلاق دون ضوابط، فقد كان يحذر -رحمه الله- من استخدام هذه الوسيلة - أعني وسيلة المناظرة والجدل- فيما يغضب المولى سبحانه وتعالى، ويحذر من المجادلة عن الكفار، أو الدفاع عنهم[٥].

وكان -رحمه الله- يتحدى خصومه أن يناظروه أو يجادلوه لقوة حجته[٦]، وثقته بالله سبحانه، ثم بما وهبه الله من العلم، وحدّة الذكاء ،

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية/٢٥٢).
(٢) انظر : المرجع السابق، (١٧٧/٥) .
(٣) انظر : المرجع السابق، (٢٦٤/٥) .
(٤) انظر : المرجع السابق، (٢٧٦/٥) .
(٥) انظر : المرجع السابق، (١٨٨/٥) .
(٦) انظر : المرجع السابق، (٢٦٥/٥ - ٢٦٦ - ٢٧٧) .

وسلامة المنهج، وكان يعلل تلك القوة في الحجة والبيان، ويذكر أن سببها هو معونة الله للعبد بسبب توحيده له سبحانه والإخلاص له، حيث يقول رحمه الله: (والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣]، فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان)[١]. أ.هـ

وكانت النتيجة لتلك المناظرات بيان الحق وإلجام الخصوم[٢] وتقريرهم بأخطائهم[٣]، ورجوع بعضهم عن ما كان عليه من الباطل[٤].

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (باللسان):

وغالباً ما يكون ذلك بالقول والمشافهة المباشرة مع المدعو، ولا شك أن هذه الوسيلة -كما يقول الإمام الغزالي رحمه الله: (هي القطب الأعظم في الدين، وهي المهم الذي ابتعث الله به النبيين أجمعين، ولو طُوِيَ بساطه، وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، واستشرى الفساد) [٥].

وقد حرص الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- على استخدام هذه الوسيلة أشدّ الحرص، وأولاها جلّ عنايته واهتمامه منذ وقت مبكر، وصبر

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (١٥٦/٥) .

(٢) انظر :المرجع السابق(١٧٣/٥، ٢٤١) .

(٣) انظر : المرجع السابق (٢٢٩/٥) .

(٤) انظر : المرجع السابق(٢٧٢/٥) .

(٥) الإمام أبوحامد الغزالي ،**إحياء علوم الدين** ، [بيروت ،دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤٠٦هـ](٣٠٦/٢) .

على ما أصابه من البلاء بسبب إقامته لهذه الشعيرة وحمله للوائها، وقد سلك الإمام عدة مراتب لتغيير ما كان يرى من المنكرات (باللسان)، وهي:

- **المرتبة الأولى: التعريف** :

حيث كان الإمام يعرّف مرتكب المنكر -إما بالتعريض، أو بالأسلوب المباشر- بأن هذا لا ينبغي، أو حرام أو شرك، أو نحوه، دون مواجهة بالنهي أو التوبيخ، وكثيراً ما كان رحمه الله يستخدم هذه المرتبة مع مرتكب المنكر الجاهل بالحكم الشرعي، ومن ذلك ما ذكره الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ عن جده الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- حيث يقول: (وكان شيخنا في ابتداء دعوته إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب قال: الله خيرٌ من زيد، تمريناً لهم على نفي الشرك بلين الكلام، نظراً إلى المصلحة وعدم النفرة)[1]، وقد تحدّث الإمام -رحمه الله- عن الطريقة التي كان يستخدمها مع مشركي البصرة الغارقين في الجهل والبدع ـ في ذلك الحين ـ حيث يقول: (كان ناس من مشركي البصرة، يأتون إليّ بشبهات يلقونها عليّ، فأقول وهم قعودٌ لديَّ: لا تصلح العبادة كلها إلا لله، فيبهت كل منهم)[2]. وهذا أيضاً من الإنكار بالتعريف بدون نهي أو توبيخ مباشر، وكانت هذه المرتبة هي الأنسب في ذلك الوقت مع هذا الصنف من الناس، الذين يحتاجون إلى نوع من التدرج واللين، لشدة بعدهم عما كان الإمام يدعو إليه، ومع ذلك لم ينج

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية ، وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ، **مجموعة التوحيد** [الرياض ـ طبعة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ـ ب ت](ص٣٣٩) .

(٢) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢٨/١) .

الإمام منهم، حيث أصبح أصحاب الشأن في المدينة يسعون في إيذائه، وينظرون إليه على أنه مثير للفتن، وكانت النتيجة أن اضطر إلى مغادرة البلاد[١].

- المرتبة الثانية : النهي بالوعظ والنصح والتخويف من الله تعالى:

كان الإمام -رحمه الله- يستخدم هذه المرتبة في الغالب مع مرتكب المنكر، العارف بحكمه، فهو تارة يذكّر المدعو بالجنة والنار، كقوله لعبدالله ابن عيسى: (فتضرع إلى الله بقلب حاضر، خصوصاً في الأسحار، أن يهديك للحق، ويريك الباطل باطلاً، وفرّ بدينك، فإن الجنة والنار قدامك[٢]، والله المستعان)[٣]، وكتخويفه أحمد بن عبدالكريم من الخلود في النار إذا تابع المشركين، وعاونهم، من أجل أن ينمي ماله، وينفّق بضاعته، ويربح فيها، وكأنه لا يعلم أن الرازق هو الله، فيقول له الإمام واعظاً ومرهباً: (وأشير عليك أنك تكثر من التضرع والدعاء إلى من الهداية بيده ، فإن الخطر عظيم، فإن الخلود في النار جزاء الردة الصريحة ما يسوى بضيعة[٤]، تربح توماناً[٥]، أو نصف تومان)[٦].

---

(١) المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٢) أي: أمامك.

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٣٠٥) .

(٤) تصغير بضاعة، وهي: ما أعد من المال للبيع والتجارة .

(٥) اسمٌ لنقد كان يتعامل به في ذلك العهد ، انظر : عثمان بن بشر **عنوان المجد** [مرجع سابق] (المقدمة/ ج) .

(٦) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٢٢٤).

وأحياناً يسلك الإمام طريقة تذكير المدعو وتحذيره من غضب الله تعالى، فها هو يخاطب (أحمد بن إبراهيم) بطريقة الاستفهام الإنكاري، متعجباً من معرفة بعض الناس للحق، وتركهم له، واتباعهم للباطل وأهله، خوفاً على حظوظ الدنيا الفانية، وتغليباً لخشية الناس على خشية الله تعالى، فيقول الإمام مستفهماً ومتعجباً: (كيف يكون قدر الدين عندكم؟ كيف قدر رضا الله والجنة؟ كيف قدر النار وغضب الله؟)[١].

وربما ختم كلامه أحياناً بالتحذير من عذاب الآخرة، فيقول: (والنصيحة لمن خاف عذاب الآخرة، وأما القلب الخالي من ذلك، فلا، والسلام)[٢].

وفي بعض الأحيان نجده يذكّر المدعو بفتنة القبر وعذاب البرزخ، وهول المطلع، ورهبة الوقوف بين يدي جبار السموات والأرض، فيقول محذراً من سبيل الغافلين، الذين يعرض أحدهم عن تعلم دين الله، وعما خلق له.. فيقول الإمام عن ذلك الرجل: (فما ظنك به إذا وضع في قبره، وأتاه الملكان، وسألاه عما عاش عليه من الدين، ماذا يجيب؟ (هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته)[٣]، وما ظنك إذا وقف بين يدي الله سبحانه، وسأله: ماذا كنتم تعبدون، وبماذا أجبتم المرسلين، بماذا يجيب؟)[٤].

---

(١) المرجع السابق (٥/ ٢٠٧).

(٢) المرجع السابق (٥/١٩٧).

(٣) هذه العبارة مقطع من الحديث الذي رواه البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وانظر: الإمام أحمد ، **مسند الإمام أحمد** ، بإشراف سمير المجذوب[بيروت ، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٣هـ]،حديث رقم (١٨٤٩١) (٤/٣٨٩) .

(٤) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/١٧١) .

- المرتبة الثالثة : الغلظة بالقول:

وكان الإمام يلجأ إلى هذه المرتبة بعد أن يدرك أن أسلوب اللين لم يجدِ مع المدعو، فيغلظ الإمام له القول، ويشدد عليه ويزجره، مع مراعاة قواعد الشرع في ذلك ، وقد صرّح الإمام في عدّة مواضع بأنه لا يلجأ إلى الشدة إلا بعد أن لا تجدي الملاطفة.

فهو يقول لعبدالله بن سحيم[١]، مبرراً غلظته في الكلام على خصم الدعوة المويس: (وأنت لا تلمني على هذا الكلام، تراني[٢] استدعيته أولاً بالملاطفة، وصبرت منه على أشياء عظيمة، والآن أشرفت[٣] منه على أمور ما ظننتها...)[٤].

ولا شك أن هذه المرتبة - وهي مرتبة الغلظة بالقول - لها سندها الشرعي، وقد استخدمها الأنبياء عليهم السلام عندما دعت إليها الحاجة، فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يقول لقومه لما رأى ما هم عليه من الكبر والعناد ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

ومع ذلك، فقد كان استخدام الإمام لمرتبة (الغلظة بالقول) قليلاً، فلم يكن يلجأ إليها إلا في مناسبات قليلة؛ إمّا مع خصم نشط الحركة، يُخشى

---

(١) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن سحيم ، ولد في المجمعة ، وقرأ على علماء سدير ، وصار قاضياً على بلدان سدير ، وقد كتب له الإمام رسالتين مجيباً فيهما على شبهات المويس وسليمان بن سحيم ، انظر : عبد الله البسام ، **علماء نجد خلال ستة قرون** [مرجع سابق] (٥١٢/٢) .

(٢) يعني : فإنني استدعيته.

(٣) يعني : اطّلعت.

(٤) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (١٤١/٥) .

على الدعوة من شرّه، أو عدو يبدو الأمل في إقناعه ضعيفاً جداً، فنرى الإمـام مثلاً يبدأ رسالته إلى خصمه اللدود سليمان بن سحيم بالعبارة التالية: (الـذي يعلم به سليمان بن سحيم أنك زعجت[1] قرطاسة فيها عجـائب، فإن كـان هذا فهمك، فهو من أفسد الأفهام)[2]. ويخاطبه فيها بقوله: (صار لكم عند جماعة في معكال، قصاصيب وأشـباههم يعتقـدون أنكـم علمـاء)[3]، وقولـه: (أنت رجـل جـاهل، مشـرك مبغـض لديـن الله)[4]، ويتهكـم بخصـم الدعـوة عبـدالله المويـس فيصـوره بصـورة مـن يقـول مرائيـاً ومتشـبعاً بمـا لم يُعـطَ: (اعرفوني اعرفوني، تراي جاي من الشام)[5]، وأحيانـاً لا يذكـره باسمـه، بـل يرمز إليه (بصاحب الشام) أو (شاميكم)[6].

- **المرتبة الرابعة : التهديد والتخويف[7]:**

وهذه المرتبة هي آخر المحاولات المبذولة لنهي صاحب المنكـر (باللسـان)، ويعقبها بعد ذلك إيقاع الفعل[8]، ولهذه المرتبـة سـندها الشـرعي، فقـد روى

---

(١) يعني : أرسلت ، فصيحة ، من (زعجه) أي : أقلقـه ، وطـرده وقلعـه مـن مكانـه ، انظـر : الفيروز آبادي ، **القاموس المحيط** [مرجع سابق] مادة (زعج) (ص٢٤٥) .

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٢٢٦) .

(٣) المرجع السابق .

(٤) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام**،[مرجع سابق] (١/١٠٠).

(٥) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٢٣٤).

(٦) حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١/١٠٤).

(٧) انظر مزيداً من التفصيل عن هذه المراتب والسند الشرعي لها، د. عبدالعزيـز المسـعود ، **الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر وأثرهمـا في حفـظ الأمــة**، [القـاهرة، دار الكلمـة الطيبـة، ط١، ١٤١٣هـ] (ص٥١٩-٥٢٦).

(٨) **إيقاع الفعل والتغيير باليد سيأتي بحثه في الوسائل(العملية) لتبليغ الدعوة إن شاء الله تعالى.**

الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ فقد ناساً في بعض الصلوات، فقال: (لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها، فآمر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم، ولو علم أحدهم أنه يجد عظماً سميناً لشهدها، يعني صلاة العشاء)[١].

ولا شك أن في هذه العبارة من التهديد المباشر والتخويف للمدعو ما هو ظاهر للعيان، ولا يخفى أثر ذلك وثمرته، حيث أن بعض النفوس قد تضعف، وتسيطر عليها وساوس الشيطان، ولا يفيد معها إلا هذا الأسلوب من الإنكار.

وقد كان الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- يلجأ أحياناً إلى هذا الأسلوب، لشدة ما يلاقي من العناد والإصرار من قِبل كثير من المدعوين، فنرى الإمام يخاطب خصم الدعوة سليمان بن سحيم، الذي لم ينفع معه اللين ولا الوعظ، ولا حتى الغلظة بالقول، فنراه يهدده هو وأباه -إذا لم يتوبا إلى الله ويكفّا عن محاربة دينه- بأن يفتي الناس بعدم الصلاة خلفهما، وعدم قبول شهادتهما، ووجوب عداوتهما[٢]، بل إنه أحياناً إذا ضاق ذرعاً بخصومه المعاندين دعاهم إلى المباهلة[٣]، تهديداً وتخويفاً، لردعهم عن

---

(١) مسلم ، **صحيح مسلم** ، [مرجع سابق] (كتاب المساجد ، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها) [ك ٥، ب ٤٢، ح ٦٥١) (٣٧٧/١) .

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٢٢٦/٥) .

(٣) المباهلة : هي التضرع والاجتهاد والمبالغة في الدعاء على الكاذب ولعنه ، والبُهلة بالضم والفتح : الترك ، ونبتهل أي نلعن الكاذب منا ، مثل ما فعل النبي ﷺ مع وفد نصارى نجران؛ حين أدرك أنهم عرفوا أنه رسول الله حقاً ، ولكن لم يؤمنوا به جحوداً واستكباراً، فدعاهم=

الاستجابة لأهواء النفس، ونزغات الشيطان، فهو يقول: (وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع: إما إلى كتاب الله ، وإما إلى سنة رسول الله ﷺ؛ وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عاند، دعوته إلى المباهلة كما دعا إليها ابن عباس في بعض مسائل الفرائض ..)[1].

٦- الفتيا :

وهي أيضاً تدخل ضمن وسائل تبليغ الدعوة (بالقول)، ولها أعظم الأثر على المدعوين، متى تأهّل لها الداعي، وأصبح جديراً أن يستخدمها بما حازه من علم وفقه في دين الله تعالى ، فكم من فتوى صدرت من عالمٍ ورعٍ تقي كان لها أعظم الأثر في هداية أقوام وتوبة آخرين.

وقد بذل الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- جهوداً مضنية في التزود من العلم، والرحلة في طلبه، ودرس على أبرز علماء عصره، وأغزرهم علماً، ثم أكب على قراءة الأمهات من كتب السلف وعلماء هذه الأمة وجهابذتها، حتى أصبح خليقاً أن يتصدى للفتيا، ويجلس لإرشاد الناس، ويتصدر للإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم.

=للمباهلة فنكلوا وخافوا ورضوا بالجزية ، انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، [بيروت، دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤٠٦هـ] (١/٥٥٠) والإمام البغوي ، **معالم التنزيل**، [الرياض ، دار طيبة ،ط٢، ١٤١٤هـ] **وتفسير أبي السعود**، [بيروت، دار إحياء التراث العربي ، د،ت] (٤٦/٢).

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٢٢٦/٥) .

ونظراً لسمو مكانة الإمام بين العلماء في زمنه وشهرته وذيوع صيته، فقد كان لفتاواه صدىً كبيراً بين الناس منذ بداية دعوته، ويدل على ذلك أن بعض فتاواه كانت تُحدِثُ جدلاً وتساؤلاتٍ بين العلماء، وطلبة العلم خارج البلد التي كان فيها الإمام، مثل ما حدث لإحدى فتاوى الإمام عندما كان في العيينة ، فقد أفتى بكفر بعض الطواغيت، الذين زيّنوا للناس أن يصرفوا لأشخاصهم بعض أنواع العبادة التي لا تنبغي إلا لله، فأثار ذلك جدلاً عند بعض العلماء خارج العيينة، حتى إن الإمام أرسل رسالة إلى مطاوعة الدرعية يوضح لهم ما أشكل عليهم حول هذه الفتوى، ويبين أدلتها الشرعية(١)، وكانت هذه الفتاوى وأشباهها -بعد توفيق الله- سبباً في هداية كثير من الناس، وإيقاظهم من غفلتهم.

ولم يكن الإمام في فتاواه متعصباً لرأيه، أو متنقصاً لآراء غيره من العلماء، بل كان متواضعاً، حريصاً على معرفة الحق أياً كان مصدره ، فهو يقول عن نفسه في فتاواه: (فإني لا أدّعي العصمة)(٢)، ويقول مخاطباً بعض العلماء وطلبة العلم، طالباً منهم عدم التردد في تصويبه إذا وقع في الخطأ: (فإذا أفتيت أو عملت بشيء وعلمتم أني مخطئ، وجب عليكم تبيين الحق لأخيكم المسلم)(٣).

إلا أنه كان يوصي أهل العلم في زمنه بأن لا يتسرعوا في الإنكار على من أفتى بفتوى، حتى يتحققوا من خطئه في فتواه، ومخالفتها للنصوص الشرعية،

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٢٤٠) .
(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٢٤١).
(٣) المرجع السابق ، (٥/٢٤٠).

كما أنه كان يؤكد على قضية لها أهميتهـا، وهـي عـدم إنكـار جميـع محاسـن العالم لأجل مسألة أو مائة أو مـائتين أخطـأ فيهـا هـذا العـالم ، بـل الواجـب إرشاده للصواب، والإبقاء على مودته وعلو منزلته[1].

و لم يكن الإمام-رحمه الله-يتبرم من كـثرة أسـئلة النـاس أو يسـتثقلها،بـل كان يقابل تلك الأسئلة بصدر رحب،حتى إنه كان هو الذي يحض المستفتين على طرح أسئلتهم، والاستفسار عما يشكل عليهم، فهو يقـول لعبـدا لله بـن عيسى[2] (ووِدّي ما يجي جماميل[3] إلا ومعهـم من عندكم سؤالات عـن هـذا وأمثاله، فكيف أزعل منه).

٧- اللقاءات الخاصة والتواصل :

وهي من صور الدعوة الفردية، ووسائل تبليغ الدعوة (بالقول) الـتي كـان الإمام يحرص عليها، ويتحيّن الفرص لاستغلالها والاسـتفادة منهـا، فلـم يكـن

---

(١) المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٢) في مجموع المؤلفات -قسم الرسائل الشخصية- (عبد الله بن عيد)، وهو تصحيف، والصواب (عبد الله بن عيسى)، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الرسالة في مجمـوع المؤلفـات بهـا سـقط وتصحيفات أخرى كثيرة، حيـث نقلـت عـن مصـورة مخطوطـة غـير دقيقـة للشـيخ محمـد بـن عبداللطيف آل الشيخ موجودة في المكتبـة السـعودية بالريـاض برقـم(٥٩٢ـ٨٦)، في حـين أن الرسالة نفسها موجودة في الدرر أكثر وضوحاً، ولعل المحققين لم يطلعوا عليها هناك، و لم يـرد في المصادر التي اطّلعت عليها شخص اسمه (عبـدا لله بـن عيـد)،انظـر الرسـالة الـتي بهـا بعـض التصحيفات، **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/ ٣١٨).انظر الرسـالة نفسـها، أكثر وضوحاً وصحةً، جمع عبدالرحمن بن قاسم **الدرر السنية**، [مرجع سابق] (٢٨/٧).

(٣) جمع جمّال : وهم أصحاب الجمال الذيـن كـانوا يحملـون النـاس في الأسـفار ، وكـانوا أيضـاً يقومون بإيصال الرسائل ونحوها.

الإمام منطوياً على نفسه، مترفعاً عن مخالطة المدعوين ومجالستهم، بل كثيراً ما كان -رحمه الله- يزور المدعوين ويعرض عليهم دعوته، فما إن رحل الإمام عن حريملاء قاصداً العيينة، حتى نزل على عثمان بن معمر -أمير العيينة- وزاره في بيته، وعرض عليه دعوته، وقرر له التوحيد، وعرض عليه نصرته، وقال: (إني أرجو إن قمت بنصر لا إله إلا الله، أن يظهرك الله تعالى، وتملك نجداً وأعرابها)[١]، ولما خاف ابن معمر من رسالة قائد الأحساء وتهديداته، أرسل للإمام، فزاره الإمام والتقى به، ووعظه وذكّره بالله [٢].

وكان الإمام يدرك أثر زيارته للمدعو، وما تحدثه تلك الزيارة من استمالةٍ للمدعو، وإزالةٍ لما في نفسه من الريبة أو الغل والحسد، فنراه يحرص عليها مهما كانت شاقّةً عليه، لكبر سنّه، أو علوّ منزلته، وصعوبة تنقله، وكثرة أعماله، وانشغاله بالأمور العلمية والعملية والإدارية ، فنراه في رسالته إلى عبدالله بن عيسى وابنه عبدالوهاب، يدعو عبدالوهاب لزيارته ثم يقول: (وإن كان كبر عليه الأمر[٣]، فيوصي لي وأعني له[٤]، فإن الأمر الذي يزيل زعلكم، ويؤلف الكلمة ، ويهديكم الله بسببه، نحرص عليه، ولو هو أشق من هذا)[٥].

---

(١) عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (٩/١).

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١٠/١).

(٣) يعني: ثقل على الابن عبد الوهاب أن يبادر هو بزيارة الإمام.

(٤) أعني له : أي أقوم أنا بزيارته، وأتحمل عناء السفر لألتقي به.

(٥) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٣١٥/٥) .

ولم يكن الإمام -رحمه الله- يكتفي بزيارته للمدعوين .. بل كان يستزيرهم أيضاً، ويدعوهم لزيارته، ويلحّ عليهم في ذلك ؛ فهو يقول لعبدالله ابن سحيم: (وإن أكابر أهل العلم يتعلمون هذا ويغلطون فيه؛ فضلاً عنا وعن أمثالنا، فلعله إن أشكل عليك تواجهني)[١]، ويلحّ عليه في رسالةٍ أخرى، فيقول: (وإن طمعت بالزيارة والمذاكرة من الرأس، لعلك أيضاً تحقق علم العقائد، وتميز بين حقه من باطله، وتعرف أيضاً علوم الإيمان با لله وحده والكفر بالطاغوت فتراي أشير وألزِّم)[٢].

وفي آخر جوابه على رسالة محمد بن عباد -مطوع ثرمداء- يقول ملحّاً في طلب الزيارة: (ولكن أشير عليك بعزيمة أنك تواصلنا ونتذاكر معك)[٣].

ولعل من أسباب عدم اكتفاء الإمام -رحمه الله- بالمراسلة، وحرصه الشديد على اللقاء المباشر مع المدعو، إدراكه لقصور وسيلة المراسلة (مقارنة باللقاء المباشر) وأنها قد تسبب أحياناً شيئاً من سوء الفهم دون أن يشعر به المرسل في وقته فيعالجه، بخلاف اللقاء المباشر، الذي يرصد فيه الداعي أثر كلامه على المدعو، ويعالج انفعالاته في حينها، ويصرّح الإمام -رحمه الله- في أحدى رسائله بأسباب حرصه على اللقاء المباشر وعدم اكتفائه بالمراسلة، فتراه في رسالته التي أرسلها إلى عبدالله بن عيسى وابنه عبدالوهاب يعتذر عن الإطالة في الرسالة، خوفاً مما قد تحدثه من سوء الفهم، ويؤكد على ضرورة

---

(١) المرجع السابق ، (٦٦/٥).

(٢) المرجع السابق (١٤٠/٥).

(٣) المرجع السابق(٢١/٥) .

الزيارة واللقاء المباشر، حيث يقول: (وأخاف أن يطول الكلام، فيجري فيه شيء يزعلكم، وأنا فيَّ بعض الحدّة، فأنا أشير عليكم وألزّم أن عبدالوهاب يزورنا، سواءً كان يومين وإلا ثلاثة، وإن كان أكثر، يصير قطعاً لهذه الفتنة، ويخاطبني وأخاطبه من الرأس)[١].

وبالجملة، فقد كانت تلك الوسائل السبع هي نماذج من الوسائل القولية التي استخدمها الإمام -رحمه الله- في تبليغ دعوته، وكانت تحصل بالمشافهة واللقاءات المباشرة مع المدعو.

ب) الوسائل (غير المباشرة) لتبليغ الدعوة (بالقول):

وفي هذا النوع من الوسائل يصل المحتوى من الداعي إلى المدعو، بالرغم من غياب أحدهما عن الآخر، وبالرغم من عدم وجودهما في نفس الزمان والمكان، ويتم ذلك باستخدام واسطة بين الداعي والمدعو.

ولعل (الكتابة) بأنواعها ... كالرسالة، والكتاب، واللوحات الحائطية، والصحف، والمجلات ونحوها؛ من أشهر الوسائط والطرق المستخدمة في هذا النوع[٢].وقد استخدم الإمام -رحمه الله- نوعين من هذه الوسائل، هما:

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٣١٥/٥) . ومعنى (من الرأس) يعني مواجهة باللقاء المباشر .

(٢) يدخل -نظرياً- ضمن هذا النوع من الوسائل : الوسائل السمعية والمرئية الحديثة؛ كالإذاعة والتلفاز وأجهزة التسجيل الصوتية والمرئية ، وكذلك أجهزة الاتصال الحديثة؛ كالناسوخ (الفاكس)، والتلغراف، والحاسوب (عبر الشبكات المحلية والعالمية) ... إلى غير ذلك من الأجهزة والآلات الحديثة؛ إلاّ أن هذه الوسائل لم تكن قد وجدت في زمن الإمام، ولم يستخدمها فلا مكان لها هنا .

١- الرسالة [(١)]:

أدرك الإمام -رحمه الله- أهمية هذه الوسيلة وشدة تأثيرها على المدعوين، فأولاها عناية خاصة، فكان -رحمه الله- يبعث الرسائل إلى العلماء (كعلماء الحرم، والسويدي[(٢)]، عالم العراق، وبعض علماء اليمن؛ كعبدالله الصنعاني، وعبدالله بن عبداللطيف أحد علماء الأحساء ، وعبدالله بن عيسى، وهو عالم من علماء الدرعية)[(٣)]، وكان يبعث الرسائل لطلاب العلم والمطاوعة[(٤)]، (مثل مطاوعة الدرعية، ومطوع ثرمداء، ومطوع المجمعة،

---

(١) قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -مشكورة- بطباعة رسائل الشيخ، حيث أفردت لها الجزء الخامس من **مجموع مؤلفات الشيخ** ، واحتوى هذا الجزء على إحدى وخمسين رسالة، تقع في ٣٢٨ صفحة من الحجم المتوسط. كما عثر الباحث على رسائل شخصية أخرى للإمام، أوردتها بعض المصادر الأخرى فقام الباحث بجمعها والتحقق من نسبتها للإمام، ومن ثم أدخل ما صحت نسبتها للإمام من تلك الرسائل ضمن مادة هذه الدراسة، انظر: مقدمة هذا البحث تحت عنوان (تحديد نطاق البحث) .

(٢) هو أبو الخير عبدالرحمن بن عبدالله بن الحسين السويدي العباسي البغدادي (١١٣٤ - ١٢٠٠هـ) عالم ومؤرخ، ولد ونشأ وتوفي في بغداد، وله عدة مؤلفات منها: حديقة الزوراء، وحاشية على شرح الحضرمية في الفقه الشافعي، وشرح الشيبانية في العقائد . انظر : الزركلي، **الأعلام** ، [مرجع سابق] (٣/٣١٤) .

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٣٦،٤٠ ، ٢٨٨ ، ٢٥٠ ، ٣١٤) .

(٤) المطوّع : قال جامع الرسائل والمسائل النجدية : هو الذي يعلم العامة ويفقههم ، وهو دون العالم . انظر :جمع عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم **مجموعةالرسائل والمسائل النجدية** ، [مرجع سابق] (٣٥/٤) الحاشية .والمطوّع : تطلق في دارجتنا على من التزم بطاعة الله ، أو تولّى منصباً دينياً : كالإمامة ، والأذان ، والاحتساب ، والقضاء ونحوه . ولها أصل في اللغة، قال أهل اللغة : المُطَّوِّعُ : هو الطائع ، وهو الذي يفعل الشيء تبرعاً من نفسه ، كالذي يتطوع للجهاد ونحوه . انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** [مرجع سابق] مادة : طوع (٢٤٠/٨) ، والفيروزآبادي ، **القاموس المحيط** [مرجع سابق] مادة : طوع (ص٩٦٢) .

ومطوع ثادق، ومطوع الرغبة، ومطوع مرات)[١].

وكان الإمام -رحمه الله- يعتني أيضاً بمراسلة الأمراء والوجهاء [٢]، فقد بعث رسائل إلى (فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام، ووالي مكة الشريف أحمد بن سعيد، والشريف غالب، وابن صباح أمير الكويت)[٣].

ولم تكن جميع رسائل الإمام موجهة إلى أشخاص بأعيانهم، حيث نلاحظ أن بعض رسائل الإمام كانت عبارة عن رسائل مفتوحة وجهها الإمام إلى فئة أو مجموعة كبيرة من الناس، وكان الإمام يصدّرها أحياناً بعبارة (إلى من يصل إليه من الإخوان[٤]، أو إلى من يصل إليه من علماء الإسلام[٥]، أو إلى من يقف عليه)[٦] ونحو ذلك. وإن كان في حقيقة الأمر يخص بها في الغالب

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٢٤٠، ١٦٨ ، ١٣٠ ، ١٦٦ ، ٣٠٠ ، ٢٠٤) .

(٢) سيأتي مزيد بسط لأساليب الإمام في رسائله لكل فئة من المدعوين (من علماء وأمراء ، وعامّة، ...) وذلك في الفصل الثاني من هذا البحث إن شاء الله .

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٣٢، ٣١٢ ، ٥٢) . ويذكر الدكتور عبد الله بن عثيمين أن الاسم الأول لأمير الكويت هو (عبد الله بن صباح) انظر : د. عبد الله العثيمين، **العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت**، [الرياض- شركة العبيكان للطباعة والنشر - ط الثالثة ١٤١٢هـ] ص٨٤ . وتوجد ترجمه لعبد الله بن صباح هذا في **مخطوطة تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق** [مخطوطة توجد مصورتها في المكتبة المركزية بجامعة الإمام - قسم المخطوطات - برقم (٢٠٨)] (ق١٨) .والجدير بالذكر أن الرسالة وردت في مجموع المؤلفات بتصحيف (ابن صباح) إلى (ابن صياح) بالياء .

(٤) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٢٢٨،٢٧٠) .

(٥) المرجع السابق(٥/١٧٦) .

(٦) المرجع السابق(٥/٨٨) .

فئة معينة من الناس، أو جهة من الجهات، ولكنه ربما يتجنب التصريح باسم المرسل إليهم، لغرض دعوى أو علّة معينة ، وهذه الرسائل -بهذا التوجيه- لا تخرج عن مسمى (الرسائل الشخصية)[١].

وهناك رسائل أرسلها الإمام إلى أقطار وبلدان معينة، مثل رسالة الإمام إلى أهل الرياض ، وإلى أهل الدرعية، ومطاوعة سدير، والوشم، وأهل شقراء، وأهل العيينة، وأهل مكة، وأهل القصيم ...)[٢].

أما عن موجب رسائل الإمام، فقد كانت رسائله في الغالب تعرض موضوع دعوته ومضمونها[٣]، والجواب عن اعتراضات الخصوم وشبهاتهم، وقد تكون جواباً عن أسئلة، أو رداً على رسالة بُعثت إليه.

---

(١) فرسالته (إلى من يصل إليه من الإخوان) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٢٧٠)، ذكّر الإمام فيها أولئك المدعوين بأحداث خاصّة ربما لا يعرفها غيرهم ، ورسالته(إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/١٩٦) صرّح نقلتها أنها إنما أرسلت إلى (بعض البلدان) انظر:جمع عبدالرحمن ابن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] (١/٦٠) ، ورسالة الإمام (إلى الاخوان) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/٢٤٤) : وردت في روضة الأفكار بالتصريح باسم المرسل إليهما، وهما :(عيسى بن قاسم ، وأحمد بن سويلم) وأنما قصد الإمام : (الأخَوان) بالتثنية . انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١/١٨٢) . ورسالته (إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين) صرّح في أثنائها أنه إنما خصّ بالرسالة (محمد بن عبيد ، وعبد القادر العديلي وابنه ، وعبد الله بن سحيم ، وعبد الله بن عضيب ، وحميدان بن تركي ، وعلي بن زامل ، ومحمد أبا الخيل ، وصالح بن عبد الله). انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية/١٢٤) .

(٢) المرجع السابق(٥/ الصفحات على التوالي ١٨٦، ٢٤٠، ٢٩٢، ٤٠، ٨) .

(٣) خُصِّصَ الفصل الأول من هذا البحث لدراسة مضامين رسائل الإمام رحمه الله .

وبالنسبة لتاريخ كتابة هذه الرسائل ، يشير ابن غنام [١]، وابن بشر إلى أن الإمام -رحمه الله- (راسل أهل البلدان ورؤساءهم وقضاتهم ومدعي العلم منهم)[٢]، بعد قدومه من الدرعية ومبايعته لابن سعود، أي إن الرسائل كتبت بعد بيعة الدرعية عام ١١٥٧هـ[٣]، ولعل مرادهما أن (أغلب رسائله) كانت كذلك، وليس كلها ، لأن هناك إشارات تفيد بأن الإمام -رحمه الله- كان يستخدم هذه الوسيلة (وسيلة الرسائل) منذ وقت مبكر، ومن ذلك رسائل أرسلها عندما كان في العيينة، كرسالته لأهل الرياض ومنفوحة[٤]، ورسالته

---

(١) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٤/٢) .

(٢) عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، [مرجع سابق] (١٤/١) .

(٣) انظر :المرجع السابق، الموضع نفسه، و :حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق](٤/٢) .

(٤) هذه الرسالة كتبها الإمام قبل عام ١١٥٧هـ؛ لأن أحمد القباني ردّ عليها في هذه السنة بكتابه الثاني في الردّ على الإمام، وهو (كشف الحجاب في وجه ضلالة ابن عبد الوهاب) [مخطوط، الخزانة التيمورية- عقائد- رقم ١٨٦]، وقد كتب هذا الكتاب استجابة لطلب سليمان بن سحيم (مطوّع أهل الرياض)، الذي تلقّف رسالة الإمام آنفة الذكر ، وكتب على إثرها رسالة -كما يذكر ابن غنام - إلى أهل الأحساء والبصرة -ومن ضمنهم القباني البصري- وضمّن رسالته بعض الشبه والمفتريات حول دعوة الإمام ، كما ضمنها مقاطع محرّفة من رسالة الإمام آنفة الذكر، وطالب العلماء بالرد على الإمام .. انظر رسالة ابن سحيم: حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١١٢/١)، وقارن برسالة الإمام: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (١٨٦/٥) . وكتاب القباني هذا يختلف عن كتابه الأول(فصل الخطاب في ردّ ضلالات ابن عبد الوهاب) [مخطوط -المتحف العراقي- رقم ٩٣٨٤] الذي ألفه الإمام سنة ١١٥٥هـ رداً على رسالة الإمام التي أرسلها لأهل البصرة (كلمات في بيان شهادة أن لاإله إلا الله وبيان التوحيد) لأن الكتاب الثاني -كما قال القباني-: هو اختصار للكتاب السابق وزيادة عليه. انظر : د. عبد العزيز العبداللطيف، **دعاوى المناوئين** [مرجع سابق](ص٤٤)، ود . عبدالله العثيمين، **الشيخ محمد بن عبد الوهاب** [مرجع سابق] (ص٩١، ١٦١). و انظر: عباس العزاوي، **تاريخ العراق بين احتلالين** [بغداد -شركة التجارة والطباعة المحدودة- ط الأولى ١٣٧٣هـ] (٣٣٦/٦) .

لمطاوعة الدرعية[١]، ورسالته إلى السويدي فيها ألفاظ تدل على تقدمها وأنها كتبت قبل قدومه الدرعية [٢]، ورسالة الإمام التي أرسلها إلى عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الأحسائي فيها عبارات تدل على تقدمها أيضاً[٣].

- عناية الإمام بهذه الوسيلة وحرصه على مضاعفة تأثيرها:

كان الإمام -رحمه الله- يدرك أهمية هذه الوسيلة وقوة تأثيرها في نفوس المدعوين، فكان يوليها أهمية كبيرة، وكثيراً ما كان يستخدم بعض الطرق التي تزيد من تأثير هذه الوسيلة وتعمق أثرها، فمن ذلك؛ أن الإمام كان أحياناً يستغل مكانة بعض الشخصيات الهامة والمعروفة في بعض المناطق، ويستثمر هذه السمعة الحسنة.

أ- فنراه أحياناً إذا أرسل رسالة إلى أهل منطقة ما، فإنه يثني على بعض الشخصيات الهامة في بلدهم أو البلدان المجاورة لهم، ففي رسالته لأهل الرياض ومنفوحة، حرص على استمالتهم بالثناء على شخصية موثوقة ومعروفة لديهم، وهو الشيخ عبدالله بن عيسى قاضي الدرعية، حيث يقول: (وشاهد

---

(١) المرجع السابق (٥/٢٤٠) .

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/ (٥/٣٦) .

(٣) المرجع السابق ٥/٢٥٠).وانظر ما ذكره عبدالله العثيمين حول تقدم هذه الرسالة، **بحوث أسبوع الشيخ**، (١/١٠٥) .

هذا أن عبدا لله بن عيسى[١]، ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه)[٢].

ب– ومن الطرق التي كان الإمام يستخدمها أيضاً، ليزيد من تأثير رسائله، أنه كان يطلب من الشخصيات الهامة والمعروفة في منطقة ما أن يقوموا بالتقريض أو التعليق على رسائله ليكون ذلك أدعى لقبول الرسالة عند أهل تلك المنطقة أوالبلدة، ومن ذلك أن الإمام –رحمه ا لله– أرسل رسالة إلى أهل الرياض ومنفوحة وهو إذ ذاك مقيم في العيينة، وكتب إلى عبدا لله ابن عيسى قاضي الدرعية يسجّل تحتها بما رآه من الكلام، ليكون ذلك سبباً لقبولها[٣].

وكذلك خصم الدعوة سليمان بن سحيم –قبل أن تتبين عداوته الصريحة لهذا الدين– كان قد كتب تعليقاً على إحدى رسائل الإمام، يؤيد فيه ما ذكره الإمام حول تكفير الطواغيت، حيث قال ابن سحيم معلقاً: (ما ينكر هذا إلا أعمى القلب) وبعد ذلك تولى موسى بن سليم حمل الرسالة وتعليق ابن سحيم عليها، وقام بقراءتها على البلدان ومنفوحة والدرعية [٤]، فكان لها أعظم الأثر.

---

(١) عبدا لله بن عيسى: مطوع الدرعية في زمن الإمام، وقد عانى الإمام –رحمه ا لله– منه ومن ابنه عبدالوهاب معاناةً شديدة ، وأصابه منهما همٌّ وغمٌّ كما هو مذكور في بعض رسائله ،ولم أعثر على ترجمة له ، انظر ما ذكره عنه الإمام في رسائله : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/ ٢٨٠ ، ٣١٤، ٣١٥) .

(٢) المرجع السابق (٥/١٨٦) .

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الرسائل الشخصية) (٥/١٨٦) .

(٤) المرجع السابق، (٥/٢٢٨) .

ويصرّح الإمام باستخدامه لهذه الطريقة، حيث يقول في رسالته إلى عبدا لله ابن عيسى: (وأنا كاتب لكم تسجلون عليه وتكونون معي أنصاراً لدين ا لله)[١].

ج- وربما ضاعف الإمام من مساحة تأثير رسائله عن طريق الأمر بنسخها عدة نسخ، وتوزيعها على البلدان، حيث يقول في إحدى رسائله. (وهذا الكتاب كل أهل بلد ينسخون منه نسخة ويجعلونها عندهم ثم يرسلونه لحَرْمَة والمجمعة، ثم للغاط والزلفي)[٢].

وسيأتي -إن شاء ا لله- مزيد بسط وتفصيل عن هذه الوسيلة، والأساليب التي استخدمها الإمام -رحمه ا لله- في هذه الوسيلة، وإنما المقصود في هذا المبحث الإشارة إلى أن الإمام -رحمه ا لله- قد استخدم هذه الوسيلة، واعتنى بها ضمن الوسائل الدعوية التي استخدمها في تبليغ دعوته.

٢- الكتب والمؤلفات[٣]:

أولى الإمام -رحمه ا لله- هذه الوسيلة عناية خاصّة، وأعطاها جزءاً طيباً من وقته الثمين، إدراكاً منه لأهمية هذه الوسيلة، حيث أن **الكتاب** يعدّ من

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٣١٤) .

(٢) المرجع السابق ، (٥/٢٩٧) .

(٣) إن معرفة كتب الإمام ومؤلفاته لها أهمية بالغة عند دراسة (رسائله الشخصية) ؛ حيث أن هذه الكتب والمؤلفات تدلّ على ما تمتع به الإمام من سعة العلم، وطول الباع في علوم الشريعة، مما يعطي الرسائل الشخصية للإمام مكانتها اللائقة بها، فهي صادرة من عالم جهبذ وداعيةٍ مجاهد. كما أنها تفصيل لما أُجمل في الرسائل، بل إن بعض كتب الإمام التي اعتنِي بها اليوم، وطبعت مستقلّة أو ضمن رسائل الإمام العلمّية ، كانت في الأصل رسائل شخصيّة أرسلها الإمام إلى أشخاص أو فئات معيّنة، وسيأتي -إن شاء ا لله- ذكر الأمثلة على ذلك.ومن هذا المنطلق ربما يكون من المناسب التعرض لذكر هذه الكتب هنا بشيء من التفصيل والبسط.

أهم وسائل الدعوة إلى الله، كما أنه نوع من أنواع الجهاد بالكلمة واللسان، وللكتاب أثره البارز في إقناع المدعوين ودعوتهم وتوجيههم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن كثيراً من القضايا والمضامين التي دعا إليها الإمام.. كانت من الاتساع أو العمق، إلى درجة أن كثيراً من الوسائل المعتادة لم تكن كافية للإحاطة بها وإعطائها حقها، فقد كانت بعض الموضوعات والمسائل أوسع من أن يوجزها الإمام في رسالة أو خطبة أو موعظة ونحوها...ولذلك يلاحظ أن الإمام قد عَمِد في بعض أحواله إلى استخدام وسيلة الكتاب.

ولا شك أن الكتاب يتيح للإمام أن يبلغ دعوته بأسلوبٍ رصين وطرحٍ علمي هادئ يهيئ للكاتب قدرةً أكبر على الإقناع والتحليل والمناقشة والسبر والتقسيم .. دون أن يكدر صفو كاتبه أي منغصات من مقاطعة أو اعتراض، يشوش أفكار الداعي أو يحيل دعوته إلى ردود أفعال قد لا تخدم هدفه الرئيس، كما أن الكتاب يعطي فرصة أكبر لنشر الدعوة على نطاق أوسع زماناً ومكاناً، حيث أنه يبقى بعد وفاة كاتبه .. ينطق بأفكاره، ويعمّق مبادئه، وينشر دعوته، كما أنه يجتاز المسافات، ويتخطى الحدود، ولا يكاد يحول دون انتشاره شيء.

وقد اعتنى الإمام بوسيلة (الكتاب) منذ وقت مبكر حتى إن الشيخ عبدالرحمن بن حسن (حفيد الإمام) يذكر أنه بدأ في تصنيف كتابه الشهير

(كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) عندما كان في البصرة[(١)] أثناء رحلاته العلمية، ومن غير المستبعد أن يكون الإمام قد استفاد في تصنيفه لهذا الكتاب من كتب السنة المبثوثة في مدارس البصرة آنذاك.

وكذلك كتابه (كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله وبيان التوحيد)[(٢)]، كتبه الإمام -رحمه الله- سنة ١١٥٥ هـ، أي قبل بيعة الدرعية،

---

(١) ذكر ذلك الشيخ عبدالرحمن بن حسن في أحدى رسائله ، انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] (٢١٥/٩) ، بينما يرى حسين بن غنام أن الشيخ ألّفه في حريملاء بعد رجوعه من رحلاته العلمية ، ولعله بدأه في البصرة وأنهاه في حريملاء ، انظر : **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق](٣٠/١) وانظر :الحديث عن هذا الكتاب في ترجمة الإمام في الفصل التمهيدي من هذا البحث تحت عنوان(شيوخه في البصرة)(ص٤٠) .

(٢) هذا الكتيب الذي اعتُنِيَ به اليوم، وطُبع ضمن مؤلفات الإمام ورسائله العلميّة ، هو في الأصل رسالة شخصيّة أرسلها الإمام -رحمه الله- إلى أهل البصرة سنة ١١٥٥هـ. حيث قرّر لهم فيها حقيقة التوحيد ومعناه وكونه لا ينجي من النار سواه ، وأشار إلى ما يحدث عندهم من صرف أنواع العبادة للقبور، والأولياء ، مثل شخص عندهم يدعى(السمّان) وآخر يدعى(عبد القادر -ربما يكون الجيلاني لأنه توفي ببغداد سنة ٥٦١هـ) وبيّن لهم أنه لا يكفي مجرد عدم التعرض لها ولأصحابها، بل لا بد من معاداتهم ، وبغضهم إذا أصرّوا على باطلهم . انظر هذه الرسالة : جمع : عبد السلام بن برجس آل عبدالكريم ، **مجموع الرسائل والمسائل النجدية**، [مرجع سابق] (٢٣،١٥/٤) انظر : عباس العزاوي ، **تاريخ العراق بين احتلالين** [بغداد- شركة التجارة والطباعة المحدودة- ط الأولى ١٣٧٣هـ] (٣٣٦/٦)، ود. عبد العزيز العبداللطيف ، **دعاوى المناوئين** [مرجع سابق](ص٤٤) .. وانظر ترجمة عبد القادر الجيلاني : الزركلي **الأعلام** ، [مرجع سابق] (٤٧/٤).وعليه فإن هذا الرسالة يمكن أن تصنّف ضمن الرسائل الشخصيّة ـ بالنظر إلى أصل التصنيف وموجب الكتابة - ، ويمكن أن تصنف ضمن الكتيبات أو الرسائل العلمية- بالنظر إلى مادتها وتصنيف العلماء لها اليوم- ولا مشاحّة في الاصطلاح، فهي رسالة شخصية ورسالة علمية.

وكان سبباً في قيام القباني[١]، بالردّ عليه بكتابه الأول (فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب)[٢].

وكذلك كتابه (تفسير سورة الفاتحة)، الذي كتبه حين كان في العيينة، بناءً على طلبٍ من ابن أمير الدرعية آنذاك، عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٣].

ورغم أن الإمام استخدم وسيلة (الكتاب) في مجالات متعددة، فكتب في عدة موضوعات إسلامية، مثل التوحيد، والتفسير، والحديث، والفقه والسيرة النبوية، إلا أن الموضوع الأول -وهو موضوع التوحيد ومسائل العقيدة- احتل المكانة البارزة في إنتاجه، ولم يكن ذلك غريباً، حيث إن جوهر دعوته يتمثل في تنقية العقيدة التي انحرف عنها كثير من الناس.

---

(١) اسمه -كما يظهر من كتابه- أحمد بن علي البصري، الشهير بالقباني، ولم يعثر الباحث على ترجمة له، ومخطوطة كتابه (فصل الخطاب في ردّ ضلالات ابن عبد الوهاب) محفوظة في [المتحف العراقي - رقم ٩٣٨٤]، وتوجد منه صورة خطية في [مكتبة جامعة الإمام - قسم المخطوطات]، ويظهر - من خلال رسائل الإمام - أن هذا الكتاب كان له رواج وتأثير سلبي على دعوة الإمام، انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية/٢٠٠ ، ٢٠٦).

(٢) وانظر : عبدالله العثيمين ، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره**،[مرجع سابق] (ص٩١)، ود. عبدالعزيز العبداللطيف، **دعاوى المناوئين** ،[مرجع سابق] (ص٤٤).

(٣) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١/٢٢٢) . وتفسير سورة الفاتحة ؛ هو في الأصل رسالة شخصية أرسلها الإمام إلى عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ولكن العلماء اعتنوا بهذه الرسالة، وحققها أحد المعاصرين - وهو د. فهد الرومي - وطبعها مستقلةً ، وقدّم لها بمقدمة تزيل عنها الصفة الشخصية ، وأصبحت تصنّف ضمن (كتب الإمام)، أو (رسائله العلمية) ، ولا إشكال في ذلك ، فهي كتاب بوضعها الحالي ، وهي رسالة شخصية من حيث الأصل . ويمكن أن تصنف ضمن المجموعتين .

وتختلف كتابات الإمام من حيث الحجم، فمنها الكتيبات أو الرسائل القصيرة الموجزة، التي لا تتجاوز بضع وريقات، ومنها الطويل المفصل، مثل كتابه (مختصر الإنصاف والشرح الكبير)[(١)]، الذي يعد أطول كتاب ألّفه الإمام محمد على الإطلاق، وهو كتاب فقهي على مذهب الإمام أحمد، ولا شكّ أن إسهاب الإمام في هذا الكتاب واهتمامه به يدل أولاً: على عنايته بالفقه، وأنه أولاه ما يستحقه من اهتمام، ويدل ثانياً: على انتماء الإمام -في الفروع- لمذهب الإمام أحمد، وفي هذا ردٌّ على خصوم الدعوة الذين رموا الإمام بأنه خارج عن المذاهب الأربعة[(٢)]، وأنه جاء بمذهب خامس ودين جديد.

أما من حيث الأسلوب: فيمكن أن يقال بصفة عامة:إن أسلوب الإمام -رحمه الله- في كتبه ومؤلفاته أسلوب سهل بسيط، بعيد عن التكلف والمحسنات البديعية، أو الكلمات الشاذة، أو الصعبة، وجُمَل أسلوبه -باستثناء الخطب- غير مسجوعة، وهي في غالبها قصيرة، كما أنها متّفقة مع قواعد اللغة العربية، إلا في حالات نادرة لأغراض معينة[(٣)].

---

(١) طبع هذا الكتاب ضمن **مجموع مؤلفات الشيخ** ، القسم الثاني (الفقه) المجلد الأول ، حيث يقع في (٧٨٣) صفحة.

(٢) ممن رماه بذلك : سليمان بن سحيم ، انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام**،[مرجع سابق](١/١١٤)

(٣) مثل كتابته لكتيب :(تلقين أصول العقيدة للعامة) حيث احتوى على عبارات عامية ، وبعضها غير متفق مع قواعد اللغة، لأن الشيخ (رحمه الله) كتبه للعامة، الذين لا يجيدون فهم اللغة الفصحى ، وهذا الكتيب هو في الأصل رسالة أرسلها الإمام إلى فئة معينة من الناس، وهم العوامّ، أصحاب الثقافة المتدنّية. انظر: **الدرر السنية**، [مرجع سابق] (١/٨٩) .

وقد استخدم الإمام -رحمه الله- في مؤلفاته أساليب متنوعة، تختلف باختلاف الموضوع الذي كتبت فيه، والغرض الذي كتبت من أجله، والقارئ الذي وجهت إليه، فأسلوبها يتفاوت أحياناً، حتى لو كانت في موضوع واحد، مثل العقيدة؛ فبينما يستعمل الإمام الأسلوب العرْضي البحت في (كتاب التوحيد) نراه يستعمل الأسلوب الجدلي في كتاب (كشف الشبهات) الذي أكثرَ الإمام فيه من استعمال الأدوات الشرطية ، وكلاهما في العقيدة، وقل مثل ذلك في بقية الموضوعات، كالسيرة والفقه والرقائق وغيرها.

وإن أعظم ما يميز أسلوب الإمام -رحمه الله- في مؤلفاته: اعتماده على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، فلا يكاد يذكر مسألة إلا ويورد دليلها من الكتاب والسنة، وكان -رحمه الله- يأخذ بما قرره علماء المسلمين التقاة في مسائل الاجتهاد مما لا نص فيه من كتاب أو سنة أو إجماع، وعندما يختلفون -حسب مفاهيمهم من النصوص- فإنه يأخذ بما ترجح عنده [1]، وسيأتي -إن شاء الله- مزيد تفصيل عن أسلوب الإمام عند الحديث عن أسلوب رسائل الإمام -رحمه الله- في الفصل الثاني من هذا البحث[2].

---

(١) انظر مزيداً من التفصيل في أسلوب الإمام ، (بحث) الشيخ منّاع القطان بعنوان : اعتماد دعوة الشيخ على الكتاب والسنة ،(بحث)الشيخ صالح الأطرم بعنوان : اعتماد فقه دعوة الشيخ على الكتاب والسنة ،ضمن **بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب** ،[مرجع سابق] (١/٢٢٢، ٢٧٠)، وعبدالله العثيمين ، **حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب** ،[مرجع سابق] (٨٢ - ١١٠).

(٢) انظر : (ص٣٨٠) من هذا البحث .

وإن الناظر في مؤلفات الإمام يرى أنها على قسمين :

منها: ما ألفه الإمام ابتداءً.

ومنها: استنباطات أو مختصـرات، اختصرهـا الإمـام مـن أصولها المطولـة، لتيسير الانتفاع بها[١]، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً : ما ألفه الإمام ابتداءً :

١-كتاب التوحيد الذي هو حق ا لله تعالى على العبيد[٢]:

وهو من أقدم مؤلفات الإمام ، حيث يذكر الشيخ عبدالرحمـن بـن حسـن أن الإمام ألفه في البصرة[٣]، ويمكن اعتبار هذا الكتاب المحـور الأسـاس الـذي دارت حوله كتابات الإمام محمد وأتباعه في هذا الموضوع، فقد وضح الإمـام فيه مفهومه للتوحيد والشرك وما يتعلق بهما، مركّزاً على أبـرز القضايـا الـتي كان يجهلها أكثر أهل عصره، فيقع فِئامٌ منهم في مخالفات لا تتفق مع العقيـدة

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** ، القسم الثاني (الفقه) المجلد الأول ص٤.

(٢) طُبع هذا الكتاب عدة طبعات مستقلاً وضمن مجموعات ، منها طبعه ضمن **مجموعة التوحيد** [مرجع سابق] ص١٥٦ – ص٢٣٢ .

(٣) انظر : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] (٢١٥/٩). ويرى حسـين بـن غنام أن الشيخ ألفه في حريملاء ، ولعله بدأه في البصرة وأنهاه في حريمـلاء ، ويؤيـد ذلـك مـا ذكره صاحب كتاب (التوضيح عن توحيد الخلاق في جـواب أهـل العـراق) حيـث ذكـر (أن كتاب التوحيد هذا قد حررّ وأقرَّ عند شيوخ الشـاميين ،كالشـيخ علـي أفنـدي الداغسـتاني ، وابن عمه الشيخ عبدالكريم .. والشيخ محمد السفاريني، نزيل نابلس، أرسلت إليه نسـخة منـه وغيرهم من شيوخ الشيخ، ومن غير شيوخه)، وذلك أثناء رحلاته العلمية، انظر: سـليمان بـن عبد ا لله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب **التوضيح عن توحيد الخلاق**، [الرياض -دار طيبـة- ط الأولى ١٤٠٤هـ] ص٢٩، وحسين بن غنام ، **روضة الأفكـار والأفهـام**، [مرجـع سـابق] (٣٠/١).

الصحيحة، وقد لقي هذا الكتاب -منذ ظهوره- رواجاً كبيراً، وانتشرت نسخ منه بسرعة في المناطق المختلفة، واشتد إعجاب العلماء وطلبة العلم بهذا الكتاب، حيث يقول عنه عثمان بن بشر: (ما وضع المصنفون في فنه أحسن منه، فإنه أحسن وأجاد، وبلغ الغاية والمراد)[١]، ولعل هذا الإعجاب كان من أسباب كثرة الشروح والتعليقات عليه[٢].

وأسلوب الإمام في هذا الكتاب عرْضي بحت، وقد قسمه إلى أبواب، يحمل كل باب منها عنواناً مستقلاً، والصفة الغالبة فيه أن يورد تحت كل عنوان آية أو عدة آيات، متبوعة بحديث أو بضعة أحاديث، وأحياناً يورد آثاراً من أقوال الصحابة والتابعين والسلف الصالح فيما يتعلق بالباب ومفهوم النصوص الواردة فيه.

والإمام يختصر اختصاراً شديداً، وكثيراً ما يقتصر على ذكر الشاهد فقط من الآية أو الحديث، وأما المسائل التي وضعها الإمام في نهاية كل باب، فقد كتبت باختصار شديد، وكأن الإمام أراد أن تكون تلك المسائل عبارة عن رؤوس أقلام لما هو عازم على شرحه وتوضيحه للطلاب أثناء القاء الدروس عليهم[٣].

---

(١) عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (٩٢/١).

(٢) من أشهر هذه الشروح: **تيسير العزيز الحميد**، لحفيد الشيخ سليمان بن عبدالله، **وقرة عيون الموحدين**، **وفتح المجيد**، لحفيده الآخر عبدالرحمن بن حسن، **وإبطال التنديد**، لحمد بن عتيق، **والقول السديد** لعبدالرحمن بن سعدي.

(٣) انظر: عبدالله العثيمين، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، [مرجع سابق](ص٨٢- ٨٥)، ود. صالح العبود، **عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، [مرجع سابق] ص١١٩.

٢- كتاب كشف الشبهات[١]:

وهذا الكتاب عبارة عن رسالة عامة، صنفها الإمام -رحمه الله- جواباً على كثير من الشبه التي بثها أعداء الدعوة بين عامة الناس، فصدوهم بها عن الإسلام بألسنتهم، وفي مصنفاتهم المنشورة[٢]، حيث بدأ الإمام بقوله: (اعلم -رحمك الله- أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة)[٣]، ثم استطرد في بيان أهمية توحيد الألوهية، وبيّن أن اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وحثّ القارئ على أن يتعلم من دينه ما يمكّنه من الرد على خصومه، وبعدها بدأ بسرد الشبه التي يثيرها الخصوم، متبعاً لكل شبهة بجوابها والرد عليها بردٍّ مختصر، ثم ردٍّ مفصّل، مستدلاً على ذلك بنصوص الكتاب والسنة، وختم الكتاب بالتأكيد على أن (التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً)[٤].

وأسلوب الإمام في هذا الكتاب أسلوب جدلي[٥]، وجمله طويلة نوعاً ما، يُكثر فيها من استعمال الأدوات الشرطية، وهذا الأسلوب يناسب موضوع الكتاب، وهو مجادلة الخصوم والرد عليهم.

---

(١) طبع عدة طبعات مستقلاً وضمن مجموعات ،منها طبعه ضمن **مجموعة التوحيد** [مرجع سابق]ص٧٠ - ص٨٩

(٢) انظر :حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٦١/١) وعبدالله العثيمين، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب** ،[مرجع سابق] ص٨٦ .

(٣) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ،[مرجع سابق] (٦١/١) .

(٤) المرجع السابق (٧٢/١) .

(٥) انظر : عبدالله العثيمين ، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، [مرجع سابق] ص٨٦.

٣- كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد[(١)]:

ويذكر حسين بن غنام أن الإمام -رحمه الله- ألّف هذا الكتاب سنة ١١٦٧هـ رداً على ما أثاره أخوه سليمان بن عبدالوهاب من آراء مناقضة لآرائه حول العقيدة[(٢)]، في كتابه الذي سماه (فصل الخطاب في الرد على محمد ابن عبدالوهاب)[(٣)]، والذي ركّز فيه على قضية تكفير المعين، أو إخراج المسلم من الإسلام، وحاول أن يظهر أن هناك فرقاً بين رأي الإمام ابن تيمية، ورأي الإمام محمد في هذه المسألة، وأن الإمام محمد قد خالف رأي ابن تيمية، وجاء بشيء جديد.

وقد بدأ الإمام محمد -رحمه الله- كتابه هذا بحديث عمرو السُلمي الذي جاء فيه أن الرسول ﷺ أرسل بكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء، كما جاء فيه النهي عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها، وذكر الإمام تعليق ابن تيمية على هذا الحديث، مشيراً إلى ما ذكره ابن تيمية في كتبه المتعددة من تكفير المعين إذا أتى ما يوجب إخراجه عن الإسلام، ثم بيّن أنه إنما يأخذ ما يعتقده من نصوص الكتاب والسنة، وأنه لو غلط ابن تيمية أو من هو أجل منه في هذه المسألة لما جاز اتباعه...لكنه عاد، فأكد أن ابن تيمية وجمهور العلماء كلهم يرون هذا الرأي و لم يخالفوا فيه، ثم يورد

---

(١) طبع عدة طبعات، منها طبعة ضمن **مجموع مؤلفات الشيخ** [مرجع سابق]، قسم العقيدة ص٢٧٩ - ص٣٢٩ .

(٢) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢/٢٠) .

(٣) هذا الكتاب طبع فيما بعد تحت عنوان : الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية .

بعض أقوال أهل العلم في هذه المسألة ، ويبين أهمية اتباع الحق، ووجوب معاداة أعداء الله ، ويختم بعقد مقارنة بين فتوى ابن تيمية في تكفير من استحل أكل الحشيشة، وبين ما أفتى به الإمام من تكفير أولئك الذين يقعون في أوسع أبواب الشرك التي لا تساوي الحشيشة جزءً من ألف جزءٍ منه[1].

وأسلوب الإمام في هذا الكتاب مشابه لأسلوبه في كتابه كشف الشبهات، فهو جدلي، لأنه ألف لمجادلة المعارضين والرد عليهم، إلا أنه لم يكثر فيه من استعمال الأدوات الشرطية.

٤- كتاب الأصول الثلاثة وأدلتها[2]:

وهو كتيب صغير الحجم، عظيم الفائدة، يعدُّ من أقصر مؤلفات الإمام، وأبسطها لغة وأسلوباً، ولشدة عناية الإمام بمادة هذا الكتاب، نراه يكرر مضمونه بعدة صور؛ تارة بمزيد من التفصيل في بعض النقاط[3]، وتارة يبسط لغته، فيكتب مضمونه بأسلوب فيه شيء من العامية[4]، تيسيراً لمن قد يصعب

---

(١) انظر: عبدا لله العثيمين ، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، [مرجع سابق] ص٨٧.

(٢) طبع مستقلاً وضمن مجموعات ، منها طبعة ضمن **مجموع مؤلفات الشيخ** [مرجع سابق]، قسم العقيدة ص١٨٣ ـ ص١٩٦ .

(٣) مثل كتابه [ثلاث مسائل يجب تعلمها على كل مسلم ومسلمة]، فما هو إلا تفصيل للمقدمة الثانية من مقدمات الأصول الثلاثة وأدلتها، وكذلك كتاب [معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه]، وهو تفصيل لآخر نقطة من النقاط التي تكلم فيها الشيخ في الأصول الثلاثة.

(٤) مثل كتاب [تلقين أصول العقيدة للعامة] في الأصل يدخل ضمن الرسائل الشخصية التي أرسلها الإمام إلى فئة العوام.

عليه فهم الأسلوب العربي الفصيح، وتارة يضيف إليه إضافات طفيفة من سيرة النبي ﷺ[١].

والإمام في هذا الكتاب لا يبدأ مباشرة بالحديث عن الأصول الثلاثة، وإنما يبدأ بثلاث مقدمات قصيرة جداً، الأولى: عن أهمية تعلم العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه. والثانية: عن حكمة الخلق. وأن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد، حتى الأنبياء والملائكة وأن طاعة الله ورسوله تقتضي معاداة أعدائه مهما كانت قرابتهم النسبية. والثالثة: في بيان معنى الحنيفية.

ثم أتبع ذلك ببيان الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمها ، وهي على حدّ تعبيره: (معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدﷺ)، واستدلّ بعد ذلك على كل أصل بما يشهد له من نصوص القرآن الكريم.

وقد حرص الإمام أن يحفظ كل مسلم هذا الكتاب عن ظهر قلب ، ولذلك جاء أسلوبه سهلاً ميسراً على هيئة سؤال وجواب، وقد قام أتباع الإمام بالفعل بتدريس هذا الكتاب للعامة، حتى إن أئمة المساجد كانوا يطلبون من المصلين -كل يوم بعد صلاة الفجر[٢]- أن يقرأوا هذا الكتاب عن ظهر قلب.

---

(١) مثل كتاب [الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها]، فهو شبيه بهذا الكتاب إلا أنه من غير مقدمات، وقد ختمه المؤلف بالكلام عن سيرة النبيﷺ.

(٢) انظر : عثمان بن بشر ، **عنوان المجد** [مرجع سابق] (١/٩٠).

٥- كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا ا لله[1]:

يبدو أن هذه الرسالة من أقدم ما كتبه الإمام حول العقيدة [2]، حيث بدأها الإمام بالتأكيد على مكانة التوحيد، وأنه السبب في إرسال الرسل، وساق إجماع أهل العلم على أن معنى (إله) أي المعبود، ثم يذكر بعض الأمثلة لأنواع العبادة، ويتعرض الإمام لبعض التفاصيل حول الشرك، ووجوب معاداة المشركين، ويختم رسالته بالتحذير من الوقوع في الشرك دون علم لخفائه أحياناً.

٦- كلمات في معرفة شهادة أن لاإله إلا ا لله وأن محمداً رسول ا لله [3]:

يعالج الإمام في هذه الرسالة سوء الفهم الذي يقع فيه بعض الجهال عند المرور بأحاديث فضل الشهادتين، مثل قوله ﷺ لما سُئل عن شفاعته من أحق بها يوم القيامة، قال: (من قال: لا إله إلا ا لله خالصاً من قلبه)[4]، حيث يبين أنه لا بد مع ذلك القول من العمل بمقتضى الشهادة، ويسوق الأدلة على ذلك، ثم يتحدث عن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام والأدلة عليها، ويحذر من الغلو في شخص النبي ﷺ ويذكّر بموقفه ﷺ من المشركين.

---

(١) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] (٩٤/١) .

(٢) انظر : عبدا لله العثيمين ، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب** ، [مرجع سابق]ص٩١، وما سبق ذكره قريباً حول هذه الرسالة في أول فقرة وسيلة(الكتب والمؤلفات) ص .

(٣) جمع : عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم ،**مجموعة الرسائل والمسائل النجدية** ،[مرجع سابق] (٢٤/٤ - ٣٢)

(٤) البخاري ،**صحيح البخاري** ، [مرجع سابق] كتاب العلم ، باب عظة الإمام النساء ، رقم الحديث (٩٩) .

٧- أربع قواعد للدين[١]:

يتحدث الإمام -رحمه الله- في بداية هذه الرسالة عن الحنيفية السمحة، وهي ملة إبراهيم عليه السلام، ثم يحذّر من اختلاط الشرك بأنواع العبادة، مؤكداً على أهمية العلم، ثم يذكر أربع قواعد في ذلك، هي:

الأولى: أن الذين قاتلهم الرسول ﷺ كانوا يقرّون بتوحيد الربوبية لكنه لم يدخلهم في الإسلام.

الثانية: أنهم يقولون: إن دعوتهم لأربابهم كانت من أجل التقرب إلى الله .

الثالثة: أن الرسول ﷺ لم يفرق بين المشركين في المعاملة، بل عاملهم معاملة واحدة، مع اختلاف عبادتهم.

الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، فهم اليوم يشركون في الرخاء والشدة معاً.

٨- أربع قواعد ذكرها الله في محكم كتابه[٢]:

ومضمون هذا الكتاب شبيه بالذي قبله، حيث يذكر في البداية أن هذه القواعد بها يعرف الرجل شهادة أن لاإله إلا الله، ويميز بها بين المسلمين والمشركين، ثم يسوقها، وهي:

الأولى: أن الكفار في زمن الرسول ﷺ يقرون بالربوبية.

الثانية: أن الكفار إنما غلوا في الملائكة والأنبياء والأولياء، لأجل قربهم من الله.

---

(١) جمع : عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم ،**مجموعة الرسائل والمسائل النجدية** ،[مرجع سابق](١١٥ - ١١٨)

(٢) جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ،[مرجع سابق] (٢/١٤ - ١٦) .

الثالثة: أن الكفار إنما دعوا الصالحين ليقربوهم إلى ا لله، ويشفعوا لهم عنده، وإلا فهم يعلمون أنه لا ينفع ولا يضر إلا ا لله.

الرابعة : أن المشركين في زمن الرسول ﷺ يشركون في الرخاء، ويوحدون في الضراء.

٩- المسائل الخمس الواجب معرفتها [١]:

يبدأ الإمام في هذا الكتاب مباشرة بسرد خمس مسائل يجب تعلمها وهي:

١- أن أهم ما جاءت به الرسل هو التحذير من الشرك.

٢- أن التحذير من الشرك يعني وجوب عبادة ا لله.

٣- أن ذلك يقتضي كره المرء للمشركين، وحبه للموحدين.

٤- أن ا لله حذّر نبيه من الشرك ، فيجب على المسلم أن يعرف ذلك، فيحذر من الشرك.

٥- أن من أنكر شيئاً من القرآن، فهو كافر.

١٠- تفسير كلمة التوحيد[٢]:

يبحث الإمام في هذه الرسالة تفسير كلمة التوحيد، ويوضح أنها الفارقة بين الكفر والإيمان، وأنه لا يمكن النطق بها مع الجهل بمعناها ، وأنها نفي وإثبات، وتحدث عن الألوهية، وأن العمدة على معناها وإن اختلفت مسمياتها، كمسمى الولي والسيد، وأكّد ذلك بأمرين هما:

---

(١) جمع : عبدالسلام آل عبدالكريم ، **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية** ، [مرجع سابق]، (٤/٩ - ١٤) .

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية ، والشيخ محمد بن عبدالوهاب ، **مجموعة التوحيد** ، [مرجع سابق] (١٠٨ - ١٦٢) وعنوانها في بعض الطبعات (هدية طيبة) .

الأول: أن الكفار الذين قاتلهم الرسول ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية.

الثاني: أن الذي أحل دماءهم وأموالهم أنهم لم يشهدوا بتوحيد الألوهية، وهو أنه لا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده ولا يستغاث بغيره، ثم يؤكد أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من السابقين، لأنهم اليوم يشركون في الرخاء والشدة معاً.

١١- ستة أصول عظيمة[1]:

وهي رسالة قصيرة، ذكر فيها الإمام ست نقاط، يقول الإمام: إن الله بيّنها في كتابه بياناً يفهمه العامة، لكنها مع ذلك خفيت على بعض العلماء، وهذه النقاط هي:

١- أن أكثر القرآن جاء بياناً لوجوب إخلاص العبادة لله، والحذر من الشرك، وأصبح من يدعو إلى ذلك يتهم بانتقاص الصالحين.

٢- أن الله أمر بالاجتماع في الدين، ونهى عن التفرق، فأصبح من يقول: إن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم.

٣- أن من تمام الاجتماع طاعة ولي الأمر ، فأصبح هذا الأمر مجهولاً عند بعض العلماء.

٤- بيان حقيقة العلم والعلماء وحقيقة من تشبه بهم ، فأصبح العلم هو البدع .

---

(١) المرجع السابق ، (٣٨ - ١٤٠) .

٥- بيان أوليـاء الله الذيـن نـالوا الولايـة بشـدة متـابعتهـم لما جـاءت بـه الرسل، والتفريق بينهم وبين المتشبهين بهم من أعدائه، فـأصبح هنـاك مـن يدعي أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسل .

٦- أن القـرآن والسـنة حفظهمـا الله ويسـرهما، وجعلهمـا الطريــق إلى الحق، فأصبح هناك من يقول: إنه لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق.

١٢- ستة مواضع منقولة من السيرة النبوية[(١)]:

وهي رسالة كتبها الإمام، حتى يميز القارئ لها بين دين الرسولﷺ وديــن المشركين ، لأن كثيراً ممن يدّعون الإسلام لا يفهمون هذه النقاط حق الفهم، وهي:

١- أن أوائل الآيات التي نزلت في القرآن كانت ضد المشركين، مما يــدل على أهمية هذه القضية أكثر من غيرها.

٢- لم يحارب المشركون رسول الله ﷺ إلا بعد أن صرح بسب دينهم، فلا يتم إسلام المرء إلا بإعلان عداوة المشركين.

٣- أن الشـيطان أضـاف عبـارة في مـدح آلهـة المشــركين علـى تــلاوة الرسولﷺ للقرآن بحضورهم فظنوا أنه يمكن التفاهم معـه لكـن الرســول ﷺ أنكر قـول تلك العبارة، وهـاجم تلك الآلهة، فـلا مهادنــة مـع أعـداء التوحيد.

٤- أن الله لام نبيه على سؤاله العفو لأبي طـالـب، برغـم إقـراره بصحـة الإسلام، ودفاعه عن النبي ﷺ؛ لأنه لم يرفض دين المشركين.

---

(١) **مجموعة التوحيد** [مرجع سابق] (١٠٣-١١٠) .

٥- أن الله انتقد من لم يهاجر من مكة، مع قدرته على الهجرة -بسبب حبه لقرابته أو ماله أو بلده- ولذا فالإيمان يجب أن يتبع بالعمل.

٦- قصة حروب الردة توضح تفريق الصحابة بين المحاربين، ولذا فإن حجة من قال: باب من نطق بالشهادة لا يعد كافراً حجة غير صحيحة [١].

١٣-كتاب مسائل الجاهلية[٢]:

ذكر الإمام، في هذا الكتاب جملة من المسائل التي كانت موجودة عند أهل الجاهلية المشركين، وهي ١٢٩ مسألة جاء الإسلام بالتحذير منها، ومن الملاحظ أن كثيراً من تلك المسائل كانت موجودة أيضاً في عصره وبين مناوئيه، مثل الغلو في الصالحين وعبادتهم، والاغترار بالكثرة عند الحكم على صحة الأمور وفسادها، ونحو ذلك.

وأما بالنسبة لجهود الإمام في التأليف في علوم الحديث فمن كتبه :

١٤- فضل الإسلام [٣]:

وهو مجموعة من الأحاديث عن وجوب اعتناق الإسلام، وفضل هذا الدين، ووجوب اتباع سنة المصطفىﷺ والحذر من البدع ونحو ذلك، وقد بوّبها الإمام ورتّبها، إلا أن الإمام لا يفسر الأحاديث، ولا يذكر استنتاجاته الخاصة منها.

---

(١) انظر :عبدا لله العثيمين ، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب** ، [مرجع سابق] (ص٩٥) .

(٢) **مجموعة التوحيد** ، [مرجع سابق] (٩٤ - ١٠٣).

(٣) السيد رشيد رضا، **مجموعة الحديث النجدية** [المدينة المنورة ـ المكتبة السلفية ـ ب.ت] (٢٤٢- ٢٥٥).

١٥- أصول الإيمان[١]:

هذا الكتاب وضعه محمد رشيد رضا ضمن مجموعة الحديث، لأن مادته كلها أحاديث[٢] نبوية بوبها الإمام ورتبها، ولم يفسر الأحاديث، أو يذكر استنباطاته منها، بل سردها سرداً، وتعرض في الأبواب الأولى لأسماء الله وصفاته، ثم القدر، ثم الملائكة والقرآن، وتعرض لأهمية طلب العلم، مع التزام السنة، وأنها من حقوق النبيﷺ.

١٦- كتاب الكبائر[٣]:

وهو مجموعة من الأحاديث أوردها المؤلف، مبيناً فيها كبائر القلب: مثل الكبر والرياء، ومودة أعداء الله، وكبائر اللسان؛ كالكذب والبذاءة والتملق والتشدق والجدل بغير علم، وذكر كبائر أخرى تتعلق بالواجب للأمراء من الطاعة في غير معصية الله، وغير ذلك، وكذلك الواجب عليهم لرعيتهم من عدم غشها، أو ظلمها، أو الاحتجاب عنها.

١٧- كتاب فضائل القرآن [٤]:

وهو كتاب صاغه الإمام على أسلوبه في كتاب فضائل الإسلام، حيث عقد أبواباً تناول فيها فضائل تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه، ووجوب تعلمه وتفهمه واستماعه، وتعرض لما جاء من الوعيد لمن فجر بالقرآن وراءى به، أو

---

(١) المرجع السابق (٢١٠ - ٢٤٠) .

(٢) أورد الإمام بعض الآيات القرآنية في مقدمة بعض الأبواب، إلا أن ذلك جاء في أبواب قليلة جداً.

(٣) **مجموعة الحديث النجدية** ، [مرجع سابق] (٢٥٨ - ٣١٠) .

(٤) جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] (٣/١٠ - ١١) .

تأكّل به أو جفا عنه، ثم حذر في نهاية الكتاب من الجدال والاختلاف في القرآن الكريم، وختمه بباب ما جاء في التغني بالقرآن.

١٨- أحاديث في الفتن والحوادث [١]:

بدأ الإمام هذا الكتاب بحديث أبي هريرة الذي جاء فيه أن النبي ﷺ قال عن فتن آخر الزمان: (يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل)[٢]، ثم ذكر فيه مجموعة من الأحاديث عن فتن وحوادث آخر الزمان (بدون تبويب)، وختم الكتاب بحديث جابر بن عبدا لله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة ..)[٣].

١٩- حكم الغيبة والنميمة[٤]:

تناول المؤلف في هذا الكتاب بعض الأحكام المتعلقة بالأخلاق الاجتماعية، مثل الغيبة والشتم والتجسس والكذب، وبيّن فيه متى يجوز

---

(١) هذا الكتاب لا يزال مخطوطاً وتوجد نسخة منه ضمن مجموعة من الرسائل في المكتبة السعودية بالرياض ، ورقمها (٨٦/٥٢٥)، وهو مكون من ٤١ صفحة بخط (أحمد بن حسين) الذي ذكر أنه نقله من خط المؤلف نفسه .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ،**صحيح مسلم** [مرجع سابق] (كتاب : الإيمان ، باب: الحث على المبادرة على الأعمال [ك ١ ب ٥١ ح ١١٨] (١/ ١٠٢) .

(٣) مسلم ، **صحيح مسلم** ، [مرجع سابق] كتاب الإيمان باب ٧١ ، حديث رقم ١٥٦، [ك١، باب ٧١، ح١٥٦] .

(٤) هذا الكتاب لم يطبع حتى الآن ، وتوجد منه نسخة خطيّة في مكتبة لايدن بهولندا تحت رقم ٢٤٩٧ ، انظر : د. عبدا لله العثيمين ، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب** ، [مرجع سابق] ص١٠٤..

الكذب، كما تناول المؤلف فيه بعض ما يتعلق ببر الوالدين والرأفة بهما.

٢٠- حكم كتم الغيظ والحلم[١]:

لم يتحدث المؤلف في هذا الكتاب مباشرة عن كتم الغيظ والحلم، كما يظهر من عنوان الكتاب، بل تناول بعض أحوال الدار الآخرة وما سيحدث فيه من الحساب، ثم مصير الناس يومئذ إلى جنة أو نار، بحسب ما قدموا من أعمال.

٢١- مجموع الحديث على أبواب الفقه[٢]:

وهو كتاب كبير الحجم، بلغت أحاديثه المرفوعة والموقوفة حوالي ستمائة وأربعة آلاف حديث، هذا عدا الآثار الأخرى من أقوال التابعين وفتاوى الأئمة المجتهدين، وقد رتّبه المؤلف على ترتيب أبواب الفقه، وقد اعتمد المؤلف على الكتب الستة إضافةً إلى مسند أحمد وموطأ مالك، وغيرها من كتب السنة، ورغم أن المؤلف قد سُبق في التصنيف في أحاديث الأحكام، إلا أن كتابه قد تميز بأنه أخذ عمن سبقه، وزاد عليه كثيراً من الآثار الموقوفة على الصحابة، وبعض فتاوى التابعين والأئمة، ونقل الإجماع في كثير من المسائل، كما اعتنى أيضاً بنقل التصحيح والتحسين والتضعيف في كثير من الأحاديث، وذكر ما قيل في بعض الرواة المختلف فيهم.

---

(١) هذا الكتاب غير مطبوع أيضاً إلى الآن، ويوجد مع الكتاب السابق ضمن مجموعة في مكتبة لايدن بهولندا تحت الرقم ٢٤٩٧. وانظر المرجع السابق، (ص١٠٥).

(٢) طبع ضمن **مجموع مؤلفات الشيخ**، في أربعة أجزاء في قسم الحديث، بتحقيق وتعليق: خليل إبراهيم خاطر ومحمد الطحان.

وأما الفقه، فقد كان للإمام جهود عظيمة فيه، ولئن كان أكثر الناس يعرفون عن الإمام عنايته الشديدة بتصحيح العقيدة وتنقيتها من شوائب الشرك، فإن المتأمل لآثار الإمام الفقهية يدرك أن الإمام -رحمه الله- كان -إلى جانب ذلك- فقيهاً مجتهداً، بل إن الإمام حمل على عاتقه مسؤلية تصحيح المسار الفقهي التشريعي بين المسلمين، بعد أن غلبت عليه حمى التعصب المذهبي، الذي جنح ببعض أهله أحياناً إلى ردّ النصوص أو تأويلها بما لا يسوغ، موافقةً للمذهب. فجاءت مؤلفات الإمام وآثاره الفقهية مرتكزة على ثلاثة مبادئ.

أولها: اتباعه لمذهب الإمام أحمد، وعدم تنكره لمكانة أئمة المذاهب الذين سبقوه بالعلم والفتيا والاجتهاد.

وثانيها: أخذه باجتهادات الفقهاء المتقدمين والمتأخرين، مالم تخرج عن آفاق الكتاب والسنة.

وثالثها: الرجوع -عند الاختلاف- إلى الكتاب والسنة وتحكيم الدليل وإن خالف المذهب[(١)].

ولئن كان الإمام -في بداية دعوته- ركّز اهتمامه على أصول الدين تعليماً وتأليفاً ودعوة وجهاداً، فإنه بعد فترة من الزمن رأى أنه من المناسب أن يكتب فيما يسمى بالفروع، وسائل الفقه والعبادات والمعاملات. ومن أبرز مؤلفات الإمام الفقهية ما يلي:

---

(١) انظر: بحثاً قدمه الدكتور: عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، بعنوان: خصائص التفكير الفقهي عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ضمن **بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، [مرجع سابق] (١/٣٩٩).

٢٢- كتاب آداب المشي إلى الصلاة[1]:

اشتمل هذا الكتاب على المبادئ التي ذُكِرَت والتي ارتكز عليها منهج الإمام في الفروع، وقد جاء هذا الكتاب خلواً من مقدمة التأليف التي يمكن من خلالها أن يتبيّن هدف المؤلف ومنهجه، إلا أن ابن بشر أشار إلى أن هذا الكتاب ألّفه الإمام رداً على الخصوم الذين رموه بنبذ المذاهب الفقهية، وادّعاء الاجتهاد[2]، فجاء هذا الكتاب جواباً عملياً دامغاً على تلك الفرية، حيث التزم بعرض الأحكام على المذهب الحنبلي[3]، إلا أنه -إضافةً إلى ذلك- ضمّنه أدلة الأحكام التي استنبطت منها تلك المسائل تمشياً مع منهجه في متابعة الدليل.

وبخلاف ما يظهر من عنوان الكتاب، يُلاحظ أن الإمام لم يقتصر على آداب المشي إلى الصلاة، بل تحدث عن جميع أنواع الصلاة، كما تناول الزكاة والصدقة والصيام أيضاً، وقد جعل كتابه مختصراً ميسّراً، فلم يذكر فيه آراء فقهاء الحنابلة المتعددة، كما لم يشر إلى آراء فقهاء المذاهب الأخرى.

---

(١) مطبوع ضمن **مجموع مؤلفات الشيخ** ، القسم الثاني ، الفقه (٣- ٣٨) .

(٢) عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد،** [مرجع سابق] (٩٢/١) .

(٣) سار الإمام في تبويبه للكتاب على طريقة البهوتي في كتابه (كشاف القناع في متن الإقناع) وهذا الكتاب يعد أحد الكتب المعتمدة للمذهب الحنبلي ،انظر : **بحوث أسبوع الشيخ،** (٤١٠/١).

٢٣- إبطال وقف الجَنَفِ والإثم[1]:

وسبب كتابة الإمام لهذا المؤلَّف: أن الإمام رأى ما كان شائعاً في نجد من أنواع الوقف، فأنكر نوعاً من هذه الأوقاف، وهو ما أسماه الإمام بوقف (الجنف والإثم)، وهو أن يتحايل بعض الناس في تقسيم الإرث فيريد أن يقسمه على هواه ويفر من قسمة الله، مثل أن يريد أن لا يورّث امرأته من هذا النخل مثلاً، أو يريد أن يزيد الذكور ويحرم الإناث، فيفتي له بعض المفتين أن هذه البدعة صدقةٌ وبرٌ وتقربٌ إلى الله، فيوقف المال ويشترط فيه شروطاً تتضمن ما أملاه عليه هواه، وكان هذا النوع من الوقف مألوفاً في نجد فلما أنكره الإمام استغربوا لذلك، ورماه بعض الخصوم بالأكاذيب، لينفروا الناس منه، حيث ادعى سليمان بن سحيم أن الإمام لا يجيز الوقف[2] إطلاقاً، ويقطع بفساده، فألف الإمام هذه الرسالة المختصرة، وبيّن فيها أن الوقف المحرم إنما هو وقف الجنف والإثم، وذكر صورته والأدلة على تحريمه وبطلانه.

---

(١) أورد حسين بن غنام هذا المؤلَّف في كتابه ، انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١٢٤/١ ـ ١٢٩) . ويمكن أن يصنّف هذا المؤلف ضمن الرسائل الشخصية أيضاً ، حيث توحي بعض العبارات الواردة فيه بأن الإمام قد وجهه إلى جهة معينة، كقوله (...فإذا كان عندكم بين المسألتين فرق فبينوه ..) [مرجع سابق] (١٢٧/١). وقد طبع هذا المؤلف ضمن الرسائل الشخصية الذي يمثل الجزء الخامس من **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية/ ٧٨ ـ ٨٥)

(٢) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** [مرجع سابق] (١٢٣/١) .

٢٤- أحكام الصلاة [١]:

وهي رسالة قصيرة جداً، كتبها الإمام على شكل نقاط مختصرة، ولعلها كتبت لعامة الناس بغرض تعليمهم أهم ما يلزمهم معرفته من أحكام الصلاة، وربما استفاد منها طلبة العلم في دروسهم، فهي نقاط للتذكير أثناء الشرح والتوضيح، ورغم اختصارها، فقد اشتملت على شروط الصلاة وأركانها ومبطلاتها وواجباتها وكذلك فروض الوضوء وشروطه ونواقضه.

وأما عن جهود الإمام في علم التفسير فمن مؤلفاته:

٢٥- تفسير آيات من القرآن الكريم [٢]:

وقد سلك الإمام -رحمه الله- في تفسيره منهجاً متميزاً، حيث كان يكتفي بالإشارة إلى الآيات التي يفسرها، ولا يذكر نصوصها كاملة -حرصاً منه على الاختصار- ثم يذكر معاني بعض الكلمات، ويعلق على الآيات أحياناً، ثم يذكر المسائل التي تستنبط من تلك الآيات العظيمة بإيجاز شديد، وكأنه وضعها على شكل رؤوس أقلام لما سيشرح للطلاب أثناء الدروس العلمية.

وإن المتأمل في تلك المسائل التي استنبطها الإمام من الآيات الكريمة ليدرك ما وهب الله الإمام من قوة الفهم لكتاب الله تعالى، وسلامة التفكير، والالتزام بقواعد الاستنباط، والإلمام بقواعد الشريعة، حيث يستخرج الإمام

---

(١) طبعت عدة طبعات منها طبعة ضمن **مجموعة التوحيد**، [مرجع سابق] (ص٣١-٣٢).

(٢) طبعت ضمن **مجموع مؤلفات الشيخ**، (القسم الرابع ، التفسير) (ص٤٠ -٤٣٦).

من الآية الواحدة العديد من المسائل والشواهد والأدلة في الموضوعات المختلفة[١].

ثانياً: مختصرات الإمام التي اختصرها من أصولها المطولة:

يذكر علماء مناهج البحث أن من أهداف التأليف اختصار المطول وتهذيبه[٢].

وقد عُني الإمام محمد -رحمه الله- بهذا الجانب، فقام باختصار بعض الكتب الهامة التي أعرض عنها بعض طلبة العلم في عصره، لطولها وكثرة الاستطرادات فيها، وعدم توفرها، فاختصرها -رحمه الله- تقريباً لثمراتها، وتيسيراً للوصول إليها.

فمن مختصرات الإمام التي اختصرها من أصولها المطولة :

٢٦- مختصر الإنصاف والشرح الكبير[٣]:

وهذا الكتاب يعد أكبر مؤلفات الإمام الفقهية ، فقد عمد الإمام -رحمه الله- إلى كتابين من أشهر الكتب المصنفة في الفقه الحنبلي وأوسعها، فاختصرهما من أصولهما المطولة، لتيسير الانتفاع بهما. وهذان الكتابان هما: (الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف) لعلاء الدين علي بن سليمان

---

(١) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** ، (القسم الرابع ، التفسير) (ص٤٠ -٤٣٦) .

(٢) انظر على سبيل المثال : د . محمد عجاج الخطيب ، **لمحات في المكتبة والبحث والمصادر** ، [بيروت ، مؤسسة الرسالة - ط الثامنة - ١٤٠٣هـ] ص٩٩ .

(٣) طبع هذا الكتاب ضمن **مجموع مؤلفات الشيخ**، القسم الثاني (الفقه) المجلد الأول، ص١-٧٨٣.

المرداوي الحنبلي (٨١٧- ٨٨٥ هـ). والثاني: (الشرح الكبير) لشمس الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن أبي عمر بن قدامة المقدسي (٥٩٧- ٦٨٢هـ) وكلا الكتابين شرح لكتاب من أمهات كتب الفقه الحنبلي، وهو كتاب (المقنع) لموفق الدين عبدا لله بن أحمد بن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠هـ).

ومن الملاحظ أن اعتماد الإمام على الشرح الكبير أكثر من اعتماده على الإنصاف، حتى إن الإمام لم ينقل من الإنصاف شيئاً في أربعة وعشرين باباً فقهياً[١].

ولعل القصد في عبارة الإمام التي يذكرها في نهاية بعض الأبواب، وهي قوله: (ومن هنا إلى آخر الباب من الإنصاف) لعل قصده ليس أنه اختصار بالمعنى الدقيق، بل مجرد الإشارة إلى مصدر المسائل المدونة تحتها لا غير، وإلا فما جاء نقله من الإنصاف هو بالأصالة تجميع لاختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض الموضوعات الفقهية، وهي تشير إلى الجانب الاجتهادي في شخصية الإمام العلمية ... الأمر الذي أثار حفيظة بعض الخصوم، فرموه بنبذ المذاهب وادعاء الاجتهاد ، فردّ عليهم الإمام بتأليف كتاب آداب المشي إلى الصلاة[٢]، الذي التزم فيه بمذهب الإمام أحمد.

ومما يلفت انتباه الباحث في (مختصر الإنصاف والشرح الكبير) حجمه الكبير، وكثرة مسائله وتفرعها -مقارنة ببقية مؤلفات الإمام- وهذا يشير إلى

---

(١) انظر : **بحوث أسبوع الشيخ**، (١/٤٠٩).

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** ،القسم الثاني (الفقه) (١/١- ٧٨٣) وعبدا لله العثيمين ، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، [مرجع سابق] ص١٠٧، **وبحوث أسبوع الشيخ**، (١/٤٠٦- ٤١٠).

قضيتين مهمتين، أولاهما: أن الإمام أعطى الفقه ما يستحقه من العناية، والثانية: هي انتماء الإمام للمذهب الحنبلي، وعدم تنكره لأقوال أئمة المذاهب كما رماه الخصوم.

ومن المختصرات التي كتبها الإمام أيضاً:

٢٧- مبحث الاجتهاد والخلاف[١]:

وهذا الكتيب يبين فيه الإمام الموقف الذي ينبغي أن يتخذه المسلم عند حدوث الخلاف في بعض المسائل ين أهل العلم، أو بين الصحابة وتابعيهم، وقد تناول الموضوع من جانبين، الجانب الأول: ذكر فيه الأدلة الدالة على وجوب اتباع الصحابة. والجانب الثاني: الجواب على شبه النُفَاة وقد بيّن ذلك كله من ستة وأربعين وجهاً.

والكتاب في الأصل عبارة عن اختصار لما جاء حول هذا الموضوع من كتاب الإمام ابن القيم -رحمه الله- (أعلام الموقعين)، وهذا واضح من عبارة الإمام في أول الرسالة، حيث قال: (قال ابن القيم في أعلام الموقعين: إذا قال الصحابي قولاً، فإما أن يخالفه صحابيٌ آخر...) [٢]، وقد أنكر بعض الباحثين نسبة هذا الكتاب إلى الإمام، وذكر (أن البحث أظهر أنه جزء من كتاب الإمام ابن القيم: أعلام الموقعين) [٣].

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ**، القسم الثاني (الفقه) المجلد الثاني ،ص١٥- ٥٤ .

(٢) انظر : ابن قيم الجوزية ، **أعلام الموقعين عن رب العلمين** ، بتحقيق عبد الرحمن الوكيل [بيروت - دار إحياء التراث العربي - ط الأولى ١٤١٢هـ] (١٥٣/٤) .

(٣) د.عبدالله العثيمين ، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب** ، [مرجع سابق] ص١١٠.

لكن الواقع أن المتأمل في الرسالة يرى للإمام أثره الواضح في اختصار ما ذكره ابن القيم، ومعلوم أن اختصار المطول غرض من أغراض التأليف، فلا وجه للاعتراض على نسبة هذا الكتاب للإمام وعدّه من آثاره.

ومن جهود الإمام في التاريخ والسيرة :

٢٨- مختصر سيرة الرسولﷺ (١):

وقد اختصره الإمام -رحمه الله- من كتاب السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام، إلاّ أنه ضمّنه بعض الاستنباطات المفيدة، وأضاف إليه مقدمة نافعة بيّن فيها واقع أهل الجاهلية اعتقاداً وسلوكاً، كما أورد بعض النصوص والأدلة في بعض المواضع، ولم يقف عند وفاة الرسولﷺ، بل تابع ما حدث بعد ذلك للدولة الإسلامية، وتعرض لحوادث الردة وما بعدها حتى قيام الدولة العباسية، وابتداء تأليف كتب الحديث والمغازي.

وأسلوب الإمام في كتابه هذا قصصي سهل ، وقد بدأ كتابه بالتبويب على أساس الموضوعات ، ثم غيّر طريقة التبويب ابتداءً من وفاة الصديق رضي الله عنه، فجعله على أساس ذكر حوادث كل سنة على حدة.

وهذا الكتاب على وجازته، إلا أنه يعد من أنفع ما أُلّف في بابه، حيث أن الإمام يحرص على استنباط العبر والأحكام من بعض الأحداث.

٢٩- مختصر زاد المعاد (٢):

حيث اختصر الإمام فيه كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله- والذي استوعب مؤلفه فيه ما ورد عن رسول

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** ، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسولﷺ (ص١- ٣٣٠).

(٢) المرجع السابق ، القسم الرابع ، التفسير ومختصر الزاد، (٣٩٥- ٧٤٦) (٣٥١صفحة).

ا لله ﷺ من هديه وسنته في كل سلوكه وتصرفاته، من مولده حتى وفاته، حيث تيسّر لمؤلفه مالم يتيسر لغيره ممن ألفوا في هذا الباب، إلا أنه أسهب وأطال في بعض المواضع، بذكر الخلاف، واستيفاء الأدلة، مما قد يثقل على المتعجل ، فقام الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه ا لله- باختصار هذا الكتاب وتقريبه، فاقتطف منه الزبدة والخلاصة، حتى أخرجه في مجلد لطيف سهل المنال، حيث بدأه بمقدمة بيّن فيها اصطفاء ا لله تعالى واختياره لنبيه محمدﷺ وتفضيله على سائر البشر، وبناءً على ذلك، بيّن الإمام (اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به؛ لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا على يديه ، ولا إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهته)[١]، حتى عقد فصولاً في هديهﷺ في تطهره وصلواته وعباداته وغزواته وأسفاره وآدابه، وجميع شأنه، وختم الكتاب بفصل في بعض أحكامهﷺ في النكاح وتوابعه (مختصراً).

كتب منسوبة إلى الإمام:

١-كتاب أحكام تمني الموت[٢]:

هذا الكتاب نسب إلى الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه ا لله- وطبعته الجامعة خطأً ضمن مجموع مؤلفات الإمام ، ولعل السبب الذي أوقع في هذا الخطأ عدة أمور:

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ**، القسم الرابع ، التفسير ومختصر الزاد ص٤٠٨ .

(٢) طبعت الجامعة هذا الكتاب خطأً ضمن **مجموع مؤلفات الشيخ**، القسم الثاني (الفقه) المجلد الثاني ،ص١٥٠- ٢٢٨.

أولها: الحرص التام على استيفاء مؤلفات الإمام.

الثاني: ما كتب على ظهر مصورة مخطوطة هذا الكتاب أنه (بخط محمد ابن عبدالوهاب)، فأوهم ذلك أن المراد بهذا الاسم هو الإمام محمد بن عبدالوهاب.

ولكن المتأمل لمحتوى هذا الكتاب وما جاء فيه، يدرك أنه ليس من كتابات الإمام، بل إنه يعارض ما قرره الإمام في بقية مؤلفاته الأخرى ورسائله وأجوبته، وقد استغل هذا الخطأ غير المقصود بعض أهل الأهواء والمقاصد السيئة، فاستلّوا هذا الكتاب من مطبوعات الجامعة دون استئذانها، مخالفين بذلك أنظمة الطباعة، وطبعوها وقاموا بتوزيعها بقصد التشويش، ولعلهم اختصوا هذا الكتاب المشبوه، واهتموا بنشره؛ لأنه يوافق أهواءهم ، وتركوا كتب الإمام الصحيحة والثابتة؛ لأن مضامينها لا تتناسب مع أهوائهم السيئة.

وقد كلفت الجامعة فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء، وعضو هيئة كبار العلماء في المملكة، بدراسة موضوع نسبة هذا الكتاب إلى الإمام، فتقصى فضيلته الموضوع، وكتب دراسة قيّمة، أثبت فيها عدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام، وذلك من ثمانية وجوه، منها: أن المخطوطة التي اعتمد عليها في التصحيح تبين أن هذا الكتاب بخط محمد بن عبدالوهاب، ولم تذكر مَن مؤلف هذا الكتاب، إضافة إلى وجود علماء في بلاد نجد يحملون اسم محمد بن عبدالوهاب غير الإمام، مثل: محمد بن عبدالوهاب بن عبدالله (ت

١١٢٧هـ)[1]، ومحمد بن عبدالوهاب بن فيروز (ت ١١٣٥هـ)[2]، ومحمد بن عبدالوهاب بن مشرف (ت١١٢٦هـ)[3]. وكذلك فإن مضامين الكتاب والأحاديث الواردة فيه توافق ما في كتاب السيوطي (شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور)، مما يدل على أن غالبه مُستَل من هذا الكتاب، والمعروف عن الإمام من خلال رسائله وفتاواه أنه يعتبر الكلام في الروح، وتلقين الميت بعد الدفن، والقراءة على القبور ، من البدع المحرمة[4]. كما أن الكتاب يحتوي على كثير من الأحاديث غير الثابتة، مع أن المعروف عن الإمام شدة تحذيره من مثل هذه الأحاديث، إضافةً إلى ما هو واضح في فن تأليف الكتاب من الخلل والقصور والركاكة، وعدم مطابقة محتواه لموضوعه، وهذا ما لم يعهد في مؤلفات الإمام الذي ميّزه الله بميزة حسن التأليف والتبويب، كما هو واضح في أكثر مؤلفاته، أضف إلى ذلك مخالفة الكتاب لمنهج الإمام في التربية والتعليم، حيث إن الإمام يرى الاهتمام بالعقيدة وتصحيحها وينهى عن قراءة ما يشغلهم عن ذلك، مثل كتب ابن الجوزي (المنعش، والمرعش، والتبصرة)، فكيف يؤلف كتاباً شبيهاً بتلك الكتب.

وقد طبعت دراسة الشيخ صالح الفوزان حول هذا الكتاب في رسالة صغيرة بعنوان (إبطال نسبة كتاب أحكام تمني الموت إلى الشيخ محمد بن

---

(١) الفاخري ، **الأخبار النجدية** ، [مرجع سابق] (ص٩٦) .

(٢) عبدالله البسام ، **علماء نجد خلال ستة قرون** ، [مرجع سابق] (٨٩٤/٣) .

(٣) المرجع السابق ، (٨٩٦/٣).

(٤) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] (٢٤٩/٣- ٢٧٩) .

عبدالوهاب)، وضمنها الشيخ ملحقاً أرفق فيه صورة من اعتذار القائمين على نشر الكتاب عما وقع من الخطأ في نسبته إلى الإمام، وصورة لقائمة مؤلفات الإمام التي ذكرها المؤرخون، توضح أنه لم يذكر أحد من المتقدمين أو المتأخرين هذا الكتاب ضمن مؤلفات الإمام.

وقد قامت الجامعة -مشكورة- بطباعة ردّ الشيخ الفوزان بتاريخ ١٤١٠هـ، فجزى الله القائمين عليها كل خير.

٢ـ نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين :

هذا الكتاب جاء ضمن مجموعة الحديث النجدية، مما جعل بعض الباحثين ينسبه إلى الإمام، ويعدونه من مؤلفاته[١]، ولم يورده ابن غنام ولا ابن بشر ضمن مؤلفات الإمام ، بل ولا الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في الدرر السنية، وربما كان ذلك من أسباب عدم طباعة الجامعة لهذا الكتاب ضمن مجموع مؤلفات الإمام، وقد حقق الشيخ إسماعيل الأنصاري-رحمه الله- نسبة هذا الكتاب، فذكر أنه نص كتاب الأدب من مشكاة المصابيح للخطيب العمري التبريزي، وأيّد تحقيقه هذا سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز، حيث قال سماحته في جوابه للشيخ إسماعيل: (نعيد إليكم تحقيقكم الجيد عن كتاب (نصيحة المسلمين)، ونفيدكم أنه قد اتضح لنا من هذا التحقيق المرفق أن

---

(١) طبع الكتاب منسوباً للشيخ ضمن مجموعة الحديث النجدية ، الطبعة السلفية ،(ص٣١٢ – ٣٩٠) ، وطبعة المنار (ص٣١١ ـ٤٤٤)، وطبعة قطر (ص٣١١ ـ٤٤٤)، وذكره الدكتور أحمد الضبيب في السجل البيليوجرافي لمؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب [مرجع سابق] (ص١٨٩)، وأورده د. عبدالله العثيمين ضمن مؤلفات الشيخ، اعتماداً على مجموعة الحديث النجدية، انظر د.عبدالله العثيمين، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب**،[مرجع سابق] (ص١٠٣).

كتاب النصيحة في مجموعة الحديث النجدية ليس من مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- بل هو قطعة من المشكاة كما ذكرتم، وضعها بعض تلاميذه أو بعض طلاب العلم عن حسن قصد ضمن المجموعة، (يعني كتاب مجموعة الحديث النجدية) لقصد الفائدة)[١].

ومن المعروف عن الإمام أنه كان ينسخ بيده بعض الكتب أو الفصول التي يحتاجها كمراجع، فلعل بعض طلبة الإمام أو أحفاده وجدوا الكتاب بخطه، فنسبوه له، وظنوه من مؤلفاته.

هذه هي الكتب التي ألفها الإمام -رحمه الله- أو نسبت إليه خطأ، وقد أوردتها لبيان استخدام الإمام لوسيلة التبليغ بالقول التي منها ما حصل (مباشرة بالمشافهة)، ومنها ما حصل بطريقة (غير مباشرة) كالرسائل والكتب، ولم يكتف الإمام باستخدام وسائل التبليغ بالقول فقط، بل استخدم وسائل أخرى من وسائل الدعوة هي:

ثانياً: وسائل تبليغ الدعوة (بالعمل):

وقد بدا هذا الجانب واضحاً في سيرته -رحمه الله- وذلك من خلال قيام الإمام بنفسه بإزالة المنكرات وتطبيق الحدود، وتجهيز الجيوش والغزوات.

أ- الاحتساب العملي وتغيير المنكرات:

ذكر ابن بشر أن الإمام بعد أن انتقل إلى العيينة، وأيّده أميرها -عثمان بن معمر- شرع -رحمه الله- في إزالة المنكرات، فكان في العيينة أشجارٌ تعظَّم

---

(١) انظر: د. صالح العبودي، (بحث) **عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي** [مرجع سابق] (ص١٤٥).

ويعلق عليها، فبعث إليها من يقطعها بأجرة من مال، فقُطِعت، وفي البلد شجرة -هي أعظمهن- اسمها شجرة الذيب خرج إليها الإمام بنفسه سراً وقطعها، وكذلك قبة قبر زيد بن الخطاب التي كانوا يعظمونها ويرتكبون عندها ألوان الشرك والمخالفات العقدية، سار إليها الإمام بصحبة الأمير عثمان بن معمر وستمائة رجل، ولما همّ أهل الجبيلة أن يمنعوهم، تأهب عثمان للحرب، فكفوا عنهم، وخلوا بينهم وبينها، فهدمها الإمام بيده حتى ساواها[1].

ب- إقامة الحدود:

كان الإمام يمارس الدعوة العملية بإقامة الحدود والتعزيرات، ومن ذلك: أن امرأة أتت إلى الإمام واعترفت عنده بالزنا والإحصان، وتكرر منها الإقرار أربع مرات في أيام متواليات، فسأل عن عقلها، فإذا هي صحيحة العقل، وقال: لعلك مغصوبة، فأقرّت واعترفت بما يوجب الرجم فأمر الإمام عند ذلك أن تُشَدّ عليها ثيابها، وتُرجم بالحجارة على الوجه المشروع، فرُجِمت، ثم أمر أن يغسلوها وأن تكفن، ويُصلى عليها[2].

ج- الجهاد في سبيل الله:

كان الإمام -رحمه الله- هو الذي يُجهّز الجيوش ويبعث السرايا[3]، وكان له -رحمه الله- دورٌ بارز في تثبيت جنوده، ومن ذلك أنه لما وقعت

(١) انظر : عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (٩/١) وحسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٣٠/١) .

(٢) انظر : عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، [مرجع سابق] (١٠/١) .

(٣) انظر : المرجع السابق (١٥/١)

الهزيمة بأتباع الإمام في الحاير سنة ١١٧٨هـ[١]، وقتل منهم في تلك الهزيمة خمسمائة رجل، وأُسر الكثير، يقول ابن بشر: ذكر لي أن عبدالعزيز -رحمه الله- لما دخل على الشيخ عند مجيئه من هذه الوقعة، لم يبادرهم الشيخ إلا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾[آل عمران: ١٣٩-١٤١].

وفي سنة ١١٦٧هـ حين رأى الإمام تظاهر بعض أهل البلاد بالضلال، جمع في هذه السنة أهل الإسلام من بلادهم ووعظهم، وبيّن لهم سنة الله تعالى، وبشرهم بالنصر إن استقاموا على الدين، وأمرهم بالتوبة وصدق النية، فتصدقوا بصدقات كثيرة، وسألوا الله النصر[٢].

كما كان -رحمه الله- يتابع سرايا الجهاد، ويتقصّى أخبارها، ويبادر إلى تشجيعها ومناصحتها، وتذكيرها بالله وقت النصر والغلبة، حيث قال -رحمه الله- للأمير عبدالعزيز بعد فتحه للرياض سنة ١١٨٧هـ: (أحب لك ما أحب لنفسي، وقد أراك الله في عدوك ما لم تكن تؤمل، فالذي أراه لك أن تكثر من قول الحسن، كان إذا ابتدأ حديثه يقول: اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وفرّجت عنا، لك الحمد بالإسلام والقرآن ،ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، كبَتَّ عدونا، وبسطت رزقنا، وأظهرت أمننا....إلخ)[٣].

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٤٨/١)

(٢) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١٠٢/١) .

(٣) المرجع السابق (١٣٦/١) .

د- دعوته العمليّة بمشاركته في إدارة أمور الدولة وتنظيمها:

كان الإمام -رحمه الله- يُعيّن الأمراء أحياناً، وربما ذهب بنفسه لحلّ بعض المشاكل في المناطق المجاورة[1]، وأحياناً يأمر بمجيء بعض الوفود إلى العاصمة لتدارس بعض الأمور[2]، إضافة إلى أنه كان يتولى قسمة المال الذي يجيء إلى بيت المال، ويقوم بتوزيعه[3]، إضافة إلى دوره في اختيار القضاة وتعيينهم، وإرسال الدعاة ومتابعتهم[4]، رغم انشغاله إلى جانب ذلك كله بالتربية والتعليم، والدعوة، وإلقاء الدروس العلمية.

هـ- اتخاذ الأسباب المباحة لتهيئة المجال المناسب لتبليغ الدعوة :

يمكن تصنيف هذا العنصر ضمن الوسائل العملية للدعوة، لما تتطلّبه الأسباب الّلازمه له من عمل وحركة دائبة، وإجراء لبعض الزيارات والمقابلات والتنقلات، ونحو ذلك [5].

ومن الوسائل التي حرص الإمام على استعمالها، من باب اتخاذ الأسباب التي تهيئ المجال المناسب لتبليغ الدعوة وزيادة تأثيرها:

---

(١) انظر : المرجع السابق (٢/١٤- ٥٠- ٥٧) وانظر : عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (١/٣٩، ٥٢) .

(٢) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢/١٩، ١٣٧).

(٣) المرجع السابق (٢/١٥٥) .

(٤) المرجع السابق (٢/٨٠ ، ١٤٤).

(٥) ولا مشاحّة في الاصطلاح، فلو صنفها البعض تصنيفاً آخر لكان الأمر واسعاً، ويكفي الاتفاق على أنها من الطرق التي استخدمها الإمام -رحمه الله- ولها شواهدها في سيرته ودعوته.

١- الحذر المقرون بالتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب :

أدرك الإمام -رحمه الله- أن من تمام التوكل على الله والاعتماد عليه أن يحرص الإنسان على اتخاذ الأسباب التي جعلها الله -وفق سننه الكونية- وسائل معينة على حصول النتائج المرجُوّة، بخلاف بعض الفِرَق الضالة، التي فهم أصحابها أن التوكل هو ترك اتخاذ الأسباب المباحة، فمنهم من لبّس عليهم الشيطان، فأوهمهم أن التوكل يكون بدخول الفلاة بغير زاد[١]، والسياحة لا إلى مكان معروف، ولا طلب علم، والتعرض للسباع بدون سلاح، وعدم الهرب منها، بل وترك الكسب، وترك التداوي ونحو ذلك، ولهم في ذلك عجائب ذكرها ابن الجوزي -رحمه الله- في كتابه القيّم تلبيس إبليس[٢]، وذكر الردود عليها في مواضعها، وبيّن أن هذه المسالك مخالفة للسنة، وأنها ليست من البر في شيء، وذكر الشواهد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ التي تبين أن الواجب الأخذ بالأسباب، وأخذ الحيطة والحذر، مع تمام التوكل على الله، فموسى عليه السلام هرب من الحيّة[٣]، ومحمد ﷺ كان يلبس الدرع والمِغْفَر ويظاهر بين درعين في غزواته[٤]، وكان

---

(١) انظر: أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، **تلبيس إبليس،** [بيروت، دار الكتب العلمية، ط الثانية، ١٣٦٨هـ] (ص٢٩٩).

(٢) أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، **تلبيس إبليس** [مرجع سابق] (ص٢٨٧ - ٣١٦) .

(٣) قال تعالى في سورة القصص آية (٣١) ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.

(٤) انظر : البخاري، **صحيح البخاري،** [مرجع سابق] كتاب: الجهاد ، باب :ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب [ك٦٠ ب٨٨ ح٢٧٥٨] (٣/١٠٦٧) .

إذا أراد غـزوة ورّى بغيرهـا[١]، وشـارك بنفسـه ﷺ في حفـر الخنـدق يـوم الأحزاب[٢]، والشواهد والنصوص على أخذه ﷺ بالأسباب، وأمره بـالأخذ بها أكثر من أن تُحصر.

وإن المتأمل لسيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- ليدرك أنه جمع بين اتخـاذ الأسـباب، وشـدة الحيطـة والحـذر، وبيّـن شـدة التوكـل علـى الله والاعتصام به، وعدم التعلق بغيره سبحانه وتعالى.

وقد حدّد الإمام -رحمه الله- منـذ البدايـة هدفـه وغايتـه، وهـي إصـلاح الأوضاع المنحرفة، والعـودة بالنـاس إلى العقيـدة الصحيحـة؛ فـاتخذ الأسـباب اللازمة لذلك، بدءاً بطلب العلم الشرعي، ولم يقـف -رحمـه الله- بوضـوح وشدة في وجوه أصحاب المنكرات إلا بعد توفر عنصر القـوة اللازمـة لحمايـة دعوته؛ حيث سعى إلى كسب تأييد ابن معمر له في العيينة، ونجح في ذلـك، وكان قبل الحصول على هذا التأييد يكتفي بالوعظ والتذكير، والتلميح أحياناً دون التصريح، كأن يرفع صوته عند قبة زيد بن الخطاب بعبارة: الله خير من زيد.... الله خير من زيد ..)[٣]، دون أن يواجه بذلك أحداً بعينه.

وما خروج الإمام من حريملاء -بعد أن أدرك أنهـا لم تعـد مناخـاً مناسـباً للدعوة- إلا نـوع مـن اتخـاذ الأسـباب المعينـة علـى اسـتمرار الدعـوة وعـدم

---

(١) المرجـع السـابق، كتـاب الجهـاد، بـاب مـن أراد غـزوة فـورّى بغيرهـا، [ك٦٠ ب١٠٢ ح٢٧٨٧](٣/١٠٧٨) .

(٢) المرجع السابق ، كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق[ك٦٧ ب٢٧ ح٣٨٧٢] (٤/١٥٠٤) .

(٣) ذكر ذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، انظر : **مجموعة التوحيـد** [مرجـع سـابق] (ص٣٣٩).

توقفها، بل وحتى في العيينة لم يكن الإمام يحرص على مواجهة الناس بتغيير المنكرات، إذا خشي أن يكون هناك خطر على الدعوة، فعندما أراد قطع شجرة الذيب (خرج إليها بنفسه سراً يريد قطعها)[١] إذ لا داعي للمواجهة العنيفة مع بعض السفهاء الذين قد تؤدي المواجهة معهم إلى ما لا تحمد عقباه، فالقصد هو إزالة المنكر، وقد تم ذلك، والحمد لله.

أما قبة زيد بن الخطاب في الجبيلة، فلم يكتف الإمام بأخذ إذن عثمان بن معمر بهدمها، بل أصرّ على أن يصحبه الأمير عثمان بنفسه لهدمها، وقال: (أخاف من أهل الجبيلة أن يوقعوا بنا، ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي)[٢]، وعندما طلب منه ابن معمر مغادرة العيينة خوفاً من التهديدات التي وصلته من زعيم بني خالد في الأحساء، ولم يُفد معه تثبيت الإمام له.. اختار الإمام أن تكون وجهته إلى الدرعية، حيث أن الإمام كان قد بذل جهوداً مسبقة لكسب الأنصار هناك، وكانت دعوته قد لقِيَت قبولاً كبيراً بين الشخصيات المهمة في هذه البلدة، مثل آل سويلم، بل وبعض أفراد الأسرة السعودية، مثل أخوي الأمير وهما ثنيان ومشاري وابنه عبدالعزيز[٣]، إضافة إلى ما يعرفه الإمام من عداوة حكّام الدرعية لزعماء بني خالد، وكونه -رحمه الله- يشترك مع أمراء الدرعية في خصم واحد[٤]، مما يزيد من فرص الالتقاء بين الإمام وحكّام الدرعية.

---

(١) انظر : عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (٩/١).

(٢) انظر : المرجع السابق ، الموضع نفسه .

(٣) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٣١/١ -٢٢٢).

(٤) انظر : د. عبدالله العثيمين، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، [مرجع سابق] (٥٩-٦٠).

أما عن حرص الإمام على اتخاذ الأسباب، وعنايته بأخذ الحيطة والحذر في غزواته وسراياه، فيعجز عنها الحصر، أضف إلى ذلك حذره من اتباع الهوى والوقوع في المعاصي، ومن فتنة المال والأهل والولد، حيث أن هذه الجوانب -وإن غفل عنها الكثير من الدعاة اليوم- من أخطر المعوقات التي تعرقل مسيرة العمل الدعوي. فكان الإمام رحمه الله قدوة في الزهد والعبادة، والتورّع عن فضول المباحات؛ فضلاً عن المحرمات، وقد قضى مدّة من حياته متنقلاً بين البلدان يجوب الفيافي والقفار، ويضحّي بالقرب من الأهل والأولاد، ويتعرض للمصائب والأخطار، في سبيل طلب العلم، والاستعداد للقيام بأمانة حمل هذه الدعوة.

وهكذا ينبغي للدعاة أن لا يختلط لديهم مفهوم (التوكل على الله) ومفهوم (وجوب الأخذ بالأسباب واتخاذ الحيطة والحذر)؛ فإن تغليب جانب التوكل مع ترك الأسباب مخالف لسنة المصطفى ﷺ، وقد يوقع الدعوة والدعاة فيما لا تُحمد عقباه.

كما أنّ تغليب جانب اتخاذ الأسباب وأخذ الحيطة والحذر مع ضعف التوكل، قد يقدح في الإيمان، وينافي كمال التوحيد الواجب، بل إن انتفاءه يؤدي إلى انتفاء الإيمان [1]، فقد علّق الله الإيمان عليه فقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، أي لا تتوكلوا إلا على الله وحده[2].

---

(١) انظر: ما ذكره صاحب فتح المجيد في شرحه لباب : قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، **فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد**، [بيروت، دار القلم ، ط الأولى ، ١٤٠٥هـ](ص٣٦٦).

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن حسن، **فتح المجيد**، [مرجع سابق] (٣٦٧).

٢- الاستعانة -بعد الله تعالى- بأهل الخبرة والكفاءة والمكانة، إما لحماية الداعية، أوتمكينه وإعانته على تبليغ دعوته، أو تزويده بالخبرات التي قد يجهلها:

وهذه الوسيلة استخدمها المصطفى ﷺ قبل ذلك ، فقد استأجر هو وأبوبكر رضي الله عنه دليلاً ماهراً، عارفاً بمسالك طرق الصحراء، ليقودهما إلى المدينة، وهو عبدالله بن أُرْقُدْ[١] الديلي، وكان مشركاً، واستَكْتَماه الخبر[٢]، ودخل ﷺ مكة بعد عودته من الطائف في جوار المُطْعِم بن عدي وكان مشركاً[٣]، وكان ﷺ يعرض نفسه على القبائل ويطلب من ذوي الشأن أن يحموه دون أن يكرههم على دعوته ويقول: (هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي)[٤]، وقد استشار الرسول ﷺ أصحابه يوم الخندق، فقال سلمان الفارسي للرسول ﷺ: (إنا كنا بفارس إذا حوصرنا

---

(١) ذكر الدكتور مهدي رزق الله في كتابه (**السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**) أن هذا هو اسم الدليل (أرقد) بالدال، وهو كذا في المخطوطة من سيرة هشام بالأسكوريال (ق ٤٦/ب) وكذا في المطبوع من تاريخ الطبري (٣/٣٧٨)، فلعله تصحّف في المطبوع إلى (أريقط)، والمشهور عند أهل السير (أريقط).

(٢) انظر : د. مهدي رزق الله أحمد ، **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، [الرياض، طبعة مركز الملك فيصل للبحوث، ط الأولى ، ١٤١٢هـ] (ص٢٦٧).

(٣) انظر : ابن القيم، **زاد المعاد**، [بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٢٦ ، ١٤١٢هـ] (٣/٣٣) وعبدالملك بن هشام، **سيرة النبي** ﷺ، [مرجع سابق] (٢/٢٨) وابن كثير، **البداية والنهاية**، [مرجع سابق] (٣/١٣٧) .

(٤) رواه أحمد في مسنده من حديث جابر، انظر : الإمام أحمد، **مسند الإمام أحمد**، [مرجع سابق] رقم الحديث (١٥١٧٣) (٣/٣٩٠).

خندقنا علينا)، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة[١]، ولم يتجاهل خبرة أصحابه، وما كان عندهم من تجارب وثقافات يمكن استثمارها لخدمة هذا الدين.

وقد عُني الإمام محمد بن عبدالوهاب بهذا الجانب منذ بداية دعوته:

فما إن انتقل إلى العيينة، حتى التقى بأميرها عثمان بن معمر، وحرص على أن يستثمر مكانته وسلطته في سبيل خدمة هذا الدين، ونشر الدعوة إلى الله، (فعرض عليه ما قام به، ودعاه إليه، وقرّر له التوحيد وحاوله على نصرته، وقال: إني أرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله، أن يظهرك الله تعالى، وتملك نجداً وأعرابها)[٢]، فساعده أمير العيينة على ذلك، فاستعان الإمام به -بعد الله- في إزالة المنكرات، ومحو مظاهر الشرك وإقامة الحدود، وبذلك حمى نفسه وحمى الدعوة من كثير من المعوقات، التي قد تبرز في طريقه لو أراد القيام بذلك بعيداً عن قوة السلطان وهيبته.

وتبدو عناية الإمام بهذا الجانب أيضاً واضحة بعد انتقاله للدرعية حيث حرص على لقاء الأمير محمد بن سعود، وعرض عليه أن ينصر الدعوة، وبشره بالعز والتمكين إذا فعل ذلك، ثم سارع إلى عقد مبايعة ومعاهدة تضمّن استمرار نصرته للدعوة وعدم تنكره لها[٣]، فكانت هذه المعاهدة -بعد

---

(١) ذكرها ابن حجر، في **فتح الباري**، [القاهرة، دار الريان، ط٢، ١٤٠٩هـ] (٤٥٣/٧) ونسبها إلى أصحاب المغازي، ومنهم أبو معشر .

(٢) انظر : عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، [مرجع سابق] (٩/١) .

(٣) المرجع السابق (١٢/١) .

توفيق الله- من أعظم الأسباب التي أدّت إلى نجاح الدعوة وانتشارها وحمايتها.

٣- الحرص على التخطيط وتوزيع المسؤليات:

ينبغي أن لا يغفل الداعية عن أهمية الحرص على استغلال الطاقات المتاحة، وعدم إهدار الجهود وذلك بالعناية بالتنظيم والتخطيط وتوزيع المسؤوليات، فقليل منظم ودائم، خير من كثير عشوائي ومنقطع.

وقد كان هذا الجانب واضحاً في سيرة المصطفى ﷺ قبل ذلك، فقد كان ﷺ يرصد مهارات أصحابه، فيوزع عليهم المسؤوليات، ويستثمر طاقاتهم وجهودهم حسب ما يتقنون، فكان ﷺ يُعيّن منهم القضاة والفقهاء والمفتين والمقرئين للقرآن، ويعيّن منهم الوزراء والأمراء والعمال والخلفاء على المدينة إذا سافر، ويعيّن الكتّاب والخطباء والشعراء والحُداة والحُرّاس والسيّافين، وجعل من الصحابة من يلي نفقاته ﷺ وخاتمه وسواكه، ومن كان يقود به الأسفار، وينقل كتبه ورسائله[1]، وغير ذلك من المسؤوليات.

كما أنه ﷺ كان حريصاً على تنظيم وقته، ويشير إلى ذلك الحديث الصحيح (إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً،

---

(١) عقَد الإمام محمد الصالحي (ت ٩٤٢) أبواباً لهذه المسؤوليات، وذكر الشواهد عليها من كتب السنة الموثوقة، مع بيان مواضعها ، انظر مزيداً من التفصيل : الإمام محمد الصالحي ، **سُبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد** ، [بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١، ١٤١٤هـ] (٣٢٥/١١ - ٤١٤) .

فأعط كل ذي حقٍ حقه)[١].

وقد أدرك الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- هذا الجانب في سيرة المصطفى ﷺ، فلم يفرّط في استخدام هذه الوسيلة، فحرص -رحمه الله- على تنظيم الوقت، وتوزيع المسؤوليات، واستغلال الطاقات المُتاحة.

ومن ذلك أن الإمام استثمر نباهة بعض طلابه، فوزع عليهم المسؤوليات، ووجههم للقيام بواجب الدعوة، وأرسلهم إلى المناطق المحيطة، فأرسل عيسى ابن قاسم إلى الرياض ليقوم بتعليم الناس وذلك سنة ١١٦٧هـ[٢]، وكلّف موسى بن سليم بالدعوة في منفوحة والدرعية وغيرها من البلدان [٣]، وأرسل وفداً من طلابه، ومعهم عبدالرحمن الشنيفي ليقوموا بدعوة سليمان بن سحيم ومذاكرته، وتوضيح التوحيد له ولأتباعه[٤]، وكان -رحمه الله- يعيّن الأمراء

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، **صحيح البخاري** [مرجع سابق] كتاب:الصوم ، باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع (ك٣٦ ب٥٠ ح١٨٦٧) (٢/٦٩٤) . وذكر الترمذي في الشمائل أنه ﷺ (كان إذا أوى إلى منزله، جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء، جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزّأ جزءه بينه وبين الناس .... وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه). وهذا جزء من حديث الحسن بن علي عن خاله هند بن أبي هالة رضي الله عنهما في وصف النبي ﷺ، والحديث رواه الطبراني والبيهقي وأبو الشيخ، وفيه راويان مجهولان ، انظر : شرح واختصار وتحقيق شمائل الترمذي ، سميح عباس، **أوصاف النبي ﷺ**، [بيروت ، دار الجيل ، ط الأولى ، ١٤٠٩هـ] (ص٢٦٩) .

(٢) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢/١٩) .

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** ، (الشخصية /٢٢٨) .

(٤) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية /٢٢٩) .

أحياناً[١]، ويعقد الاجتماعات، ويدعو الوفود من المناطق المجاورة ليلتقي بهم عند حدوث بعض الأزمات[٢].

وكان -رحمه الله- ينظّم وقته، فقد جعل دروساً ثابتة في أوقات معلومة لتعليم التوحيد والتفسير والفقه وغيرها [٣]، وأمر أهل النواحي أن يسألوا الناس كل يوم بعد صلاة الفجر وبين العشاءين عن معرفة الأصول الثلاثة وأحكام الصلاة[٤]. أما الليل، فكان يقضيه في الصلاة والعبادة والتهجد[٥]، وأحياناً يقتطع منه جزءاً للتأليف وكتابة الرسائل[٦].

وبالجملة، فإن أي عمل مهما كان صغيراً ومتواضعاً، يصعب أن يُكتَب له النجاح، ما لم يكن منظّماً مدروساً، (وإن كثيراً من الطاقات اليوم تهدر وتضيع بسبب غياب التنظيم، بينما تفعل قِلة منظمة فعل الأعاجيب)[٧]، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

---

(١) انظر: حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٢/١٤، ٥٠، ٥٧) وانظر: عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (١/٣٩، ٥٢).

(٢) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٢/١٩، ١٣٧) .

(٣) انظر : عثمان بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] (١/٨٩).

(٤) المرجع السابق (١/٨٩ ، ٩٠) .

(٥) عبداللطيف آل الشيخ ، **علماء الدعوة** ، [مرجع سابق](ص٩) .

(٦) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية/١٣٥) .

(٧) محمد عبدالله الخطيب ، **الدعاة والتخطيط** ، [بيروت ، دار المنار ، ط الأولى ، ١٤١٠هـ] (ص٢٤).

فينبغـي للدعـاة أن يحرصـوا علـى التخطيـط والتنظيـم، وحسـن اســتثمار الطاقات والإمكانيات المتاحــة، وأن يحـذروا مـن الفوضويـة، ومـا تسـببه مـن إهـدار للطاقـات، وتضييـع للجهـود، وإذا كنـــا نؤمـــن بضـــرورة التخطيـــط والتنظيم، من أجل بناء بيت أو فتح دكان، فكيف نُغفـل هـذه القضيـة ونحـن بصدد القيام بمشروع ضخم كبير، وهو خدمة هذا الدين والدعوة إليه. وانظر إلى ذي القرنين كيف أنه بدقة تنظيمه وتخطيطه، وحسن اسـتغلاله للطاقـات، حوَّل أمة كانت لا تفقه قولاً، إلى أمة عاملة منتجــة، تبـني سـداً هـو آيـة مـن آيات الله في القوة والإتقان[1].

---

(1) انظر : محمد الخطيب ، **الدعاة والتخطيط** ، [مرجع سابق] (ص٢٥) .

المطلب الثاني

وسيلة (المراسلة) مشروعيتها وخصائصها ومجالاتها

ويحسن التمهيد لهذا المطلب بتعريف الرسالة، وذكر بعض مرادفاتها، ثم التعريج بعد ذلك على ذكر سندها الشرعي، وخصائصها ومميزاتها، ومجالاتها في الماضي والحاضر، وسيكون ذلك من خلال المسائل التالية:

- المسألة الأولى: تعريف الرسالة واشتقاقها اللغوي.
- المسألة الثانية: السند الشرعي للرسالة.
- المسألة الثالثة: خصائص الرسالة والمميزات التي ينبغي توافرها فيها.
- المسألة الرابعة: مجالات الرسالة في الماضي والحاضر.

المسألة الأولى : تعريف الرسالة واشتقاقها اللغوي:

يرجع أصل اشتقاق لفظ **الرسالة** إلى المادة اللغوية (ر س ل)، التي لها معانٍ كثيرة أفاضت المعاجم العربية بتقصّيها وعرضها، وذكر الشواهد عليها.

وإن المتأمل لتلك المعاني، يجد أن هذه المادة مدلولين أحدهما حسّي، والآخر مدلول معنوي تطوّر عن ذلك المدلول الحسّي، فمن مدلولاتها الحسّية: أن (الرَّسْلَ) القطيع من كل شيء، والجمع أَرْسالٌ[١]، قال الجوهري: (الرَّسْل): القطيع من الإبل والغنم[٢]، وذكر صاحب اللسان أن الرَّسْلَ:

---

(١) الفيروزآبادي ، **القاموس المحيط** ، [مرجع سابق] [مادة رسل] (ص١٣٠٠) .

(٢) الجوهري ، **الصحاح** ، [مرجع سابق] [مادة رسل] (ص٢١٣)

الإبل؛ قطيع بعد قطيع، ويقال: أرسلوا إبلهم إلى الماء أرســالاً، أي: قطعـاً[١]، أو قطعاناً متتالية.

ثـم تطـور هـذا المدلـول اللغـوي مـن الاسـتعمال الحسـي إلى الاسـتعمال المعنوي، ومن ذلـك مـا ذكـره ابـن منظـور مـن أن الإرسـال يعـني التوجيـه، والاسم منها الرِّسالة والرَّسالة (بالفتح والكسر)[٢]، وأضـاف الفـيروز آبـادي مدلـولات معنويـة أخـرى لهـذا المدلـول المعنـوي،كالتسـليط، والإطـلاق والإهمال[٣].

ثم كثر استعمال هذا المصطلح، وتعددت مرادفاته اللفظية ، ومن ذلك مـا ذكره ابن الأنباري من أن الرسول والرسيل والرسالة سواء ، ومن ذلك قـول كُثَيِّر:

لقد كذب الواشون مابُحْتُ عندهم ∴ بليلى ولا أرسلتـهم برسيل

وروي أيضاً برسول (أي ولا أرسلتهم برسالة) [٤].

– المدلول الاصطلاحي وتطوره:

لقد تطور هذا المصطلح وتغيّر مدلوله الاصطلاحي، ويمكن أن يقـال: إنـه مرّ بمرحلتين :

(١) ابن منظور الأفريقي ، **لسان العرب**، [مرجع سابق] مادة رسل (٢٨٣/١١).

(٢) المرجع السابق .

(٣) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، [مرجع سابق] مادة (رسل) (ص١٣٠٠).

(٤) انظر: ابو عمر القرطبي ، **بهجة المجالس**، [بـيروت ، دار الكتـب العلميـة ، ط٢، ١٤٠٢هـ] (٢٧٧/١) .

المرحلة الأولى: العصر الجاهلي وصدر الإسلام، حتى أواخر عهد الخلفاء الراشدين.

كان لمصطلح (الرسالة) في تلك الفترة مدلول خاص، حيث يراد به: ما يؤديه الرسول إلى المُرسَل إليه عن طريق رواية الخبر وإبلاغه شفهياً، بدليل كثرة اقتران هذا المصطلح بلفظ (أبلغ)، أو ما يشتق منها، وهذا اللفظ في الغالب يدل على النقل الشفهي[١].

ومن شواهد ذلك في العصر الجاهلي ماذكره زهير في معلّقته حيث قال:

ألا أبلغِ الأحلافَ عني رسالةً ∴ وذبيانَ هل أقسمْتُموا كل مُقْسَمِ[٢]

ومن شواهده في صدر الإسلام: رسالة كعب إلى أخيه بُجير بعد أن أبلغه بإسلامه، فغضب كعب وأرسل إليه:

ألا بلِّغا عني بُجيراً رسالةً ∴ فويحكَ فيما قلتَ ويحكَ هل لكا[٣]

وقد ورد هذا المصطلح بهذا المدلول في القرآن الكريم في مواضع عديدة[٤]، تارة بالجمع، وتارة بالإفراد، واقترن غالباً بما يدل على النقل

(١) انظر : غانم جواد رضا ، **الرسائل الفنية في العصر الإسلامي** ، [بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥م] ص١٣.

(٢) أحمد بن الأمين الشنقيطي ، **شرح المعلقات العشر** ، [بيروت ،دار الكتب العلمية ،ب . ت] ص٨٣ .

(٣) ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، [مرجع سابق] (٤/٣٦٧).

(٤) انظر : محمد فؤاد عبدالباقي ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، [مصر ، دار الكتب المصرية ، ١٣٦٤هـ] ص٣١٩ .

الشفهي، ومنه قوله تعالى حكاية عن حال نبيه صالح عليه السـلام ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[الأعراف:٧٩].

وقولـه جلّـت قدرتـه في خطابـه للنبي محمـــدﷺ: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[المائدة: ٦٧]، وقوله –بصيغـة الجمـع– ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾[الأحزاب: ٣٩].

وكان هذا المدلول واضحاً في كتب التاريخ والأدب التي تحدّثت عن تلـك الفترة من الزمن، حيـث يـدل السياق فيهـا غالبـاً علـى أن (الرسـالة) كـانت تؤدى عن طريق الرسول، الذي يبلغهـا للمرسَل إليـه بصـورة شـفهية، ومـن شواهد ذلك أن عمرو بن العاصﷺ عندما فتح الإسكندرية، وأراد أن يبشـر عمر ﷺ بالفتح، بعث (معاوية بن خديج) بشـيراً إلى عمـر، و لم يكتـب معـه كتاباً (... فقال له معاوية: ألا تكتب معي كتاباً؟ فقال له عمرو: وما تصنـع بالكتاب؟ ألست رجلاً عربياً **تبلّغ الرسالة**؟ وما رأيت وما حضـرت....)[1]، فقد استقر عند عمرو ﷺ أن تبليغ الرسالة يكون بالمشافهة، كما هو الغـالب في استخدام هـذا المصطلـح، أمـا النـص المدوّن، فكـانوا يطلقـون عليـه اسـم الكتاب؛ ومن ذلك رسائل النبي ﷺ إلى ملوك الكفار، حيث كانت تسـمى كتباً، وفي حديث أبي سفيان ﷺ في قصة كتـاب النبـي ﷺ إلى هرقـل؛ قـال

(١) جلال الدين السيوطي ، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** ، [دمشق ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٣٨٧هـ] (١/١٢١) .

أبو سفيان: (فبينا أنا بالشام، إذ جيء بكتاب من رسول الله ﷺ إلى هرقل)[١] يعني برسالة مدوّنة، وقد بوّب الإمام مسلم في صحيحه باباً باسم (باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل)[٢] يعني رسائله ﷺ المدوّنة المكتوبة.

المرحلة الثانية: وقد بدأت ملامحها منذ أواخر عهد الخلفاء الراشدين.

في هذه المرحلة بدأ مصطلح (الرسالة) يستخدم للدلالة على النصّ المدوّن أيضاً، إضافة إلى التبليغ الشفهي الذي يبعثه المرسل إلى المرسَل إليه، وأصبح يوازي مصطلح (الكتاب).

ومن شواهد ذلك رسالة علي رضي الله عنه الجوابية إلى معاوية رضي الله عنه التي قال فيها:

(أما بعد : فقد أتتني منك موعظةٌ مُوصَّلةٌ ورسالةٌ مُحبَّرةٌ ...) [٣].

حيث نرى هنا أن علياً رضي الله عنه قد أطلق لفظ (رسالة) على ما كتبه إليه معاوية رضي الله عنه.

بعض مرادفات مصطلح (الرسالة):

وجدت عدة ألفاظ ومصطلحات ترادف مصطلح (الرسالة)؛ مثل: (الألوكة) و(الكتاب) و(الصحيفة) و(الدبلوماسية).

---

(١) أخرجه مسلم ، الإمام مسلم ، **صحيح مسلم** ، [مرجع سابق] كتاب : الجهاد والسير، باب: كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام [ك٣٢ ـــ ب٢٦ ـــ ح١٧٧٣] (١١١٧/٣).

(٢) المرجع السابق ، [ك٣٢ ـ ب٢٧] (١١١٩/٣) .

(٣) ابن أبي الحديد ، **شرح نهج البلاغة** بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، [سوريا ـــ دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ـ ط الأولى ١٣٧٨هـ] (٤٣/١٤) .

فالألوكـة: استخدمت لتدل على نقل الخبر، وإبلاغه إلى المرسَل إليه بصورة شفهية، وكان استخدامها شائعاً على وجه الخصوص في العصر الجاهلي.

والألوكة: من ألك الفرس اللجام: أي علكه[1]، قال ابن منظور: سميت ألوكاً؛ لأنه يؤلك في الفم، مشتق من قول العرب: الفرس يألك اللجام..(أي: يمضغ)[2]، ثم تطور مدلول هذا المصطلح ليدل على ما يبلغه الرسول بالمشافهة إلى المرسل إليه؛ لأنه يؤلك في الفم، واستألك مألكته؛ أي: حمل رسالته، قال لبيد :

وغلامٌ أَرْسَلَتْهُ أمُّهُ ∴ بأَلُوكٍ فَبَذَلْنَا ما سَأَل[3]

أي : أرْسلته برسالة.

والكتاب:

استخدم ليدل على النص المدوّن المجموع بعضه إلى بعض، ولعل هذا المدلول مشتق من الأصل اللغوي، تكتبت الخيل أي تجمّعت، ومنه قيل: كَتَبْتُ الكتابَ؛ لأنه يجمع حرفاً إلى حرف [4].

وقد ورد لفظ (الكتاب) في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، دلَّ في أغلبها على الكتاب المقدس، وهو كلام الله المجموع بعضه إلى بعض، وأُشير به إلى

---

(١) الفيروز آبادي ، **القاموس المحيط**، [مرجع سابق] (مادة ألك).

(٢) ابن منظور، **لسان العرب** ، [مرجع سابق] مادة ألك ، (٣٩٢/١٠).

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق [مادة كتب] (٧٠١/١) .

التوراة والإنجيل والقرآن ، قال تعالى مشيراً إلى التوراة: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[البقرة: ٥٣]، وقال سبحانه مشيراً إلى الإنجيل: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[مريم: ٣٠]، وقال جلّت قدرته مشيراً إلى القرآن: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[الجمعة: ٢].

كما أُشير بهذا المصطلح إلى معانٍ أخرى في القرآن الكريم منها: النص المدوّن المكتوب ، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾[العنكبوت: ٤٨]، قال ابن كثير: (أي قد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً، لا تقرأ كتاباً ولا تحسن الكتابة)[١].

وبالجملة، فإن مصطلح الكتاب أطلق على النص المدوّن المكتوب، ثم تطور ليصبح مرادفاً لمصطلح الرسالة ، فأطلق على كل ما يبعثه المرسِل إلى المرسَل إليه، سواءً كان مدوّناً أو شفهياً.

الصحيفة:

شاع استخدام هذا المصطلح خاصة في العصر الجاهلي، وكان له مدلول مرادف لمدلول الكتاب، حيث ذكر الجوهري[٢]، وصاحب اللسان[٣] أن الصحيفة هي الكتاب، والجمع صحُف وصحائف.. والشواهد تدل دلالة واضحة على أن الصحيفة تدل على النص المدوّن المكتوب، الذي يُحْمَل إلى

(١) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، [مرجع سابق] (٦٦٤/٣).

(٢) انظر : الجوهري ، **الصحاح** ، [مرجع سابق] (مادة صحف) .

(٣) انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** [مرجع سابق] مادة صحف (١٨٦/٩) .

المرسَل إليه، ويتضح ذلك جلياً في قصة(صحيفة المتلمّس)، التي أصبحت من قبيل الأمثال[١].

وفي العصر الإسلامي أصبح هذا المصطلح، يدل أيضاً على مدلول آخر أكثر خصوصية، حيث أطلق على الكتب المقدسة التي أنزلت على الأنبياء عليهم السلام، حيث وردت لفظة صحف في القرآن الكريم ثماني مرات[٢]، وكلها بصيغة الجمع، وأريد بها غالباً الكتب المنزلة على الأنبياء، قال تعالى:﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾[النجم: ٣٦]، وقال جلّت قدرته: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾[البينة:٢].

الدبلوماسية:

استعمل هذا المصطلح -منذ القِدَم عند غير العرب- ليدل على عدة معان، من أهمها: (المراسلات الدبلوماسية)[٣] المكتوبة المدونة، وهي: المراسلات المرتبطة بالعلاقات بين الدول والقضايا المتعلقة بها[٤].

---

(١) وقصة (صحيفة المتلمس) -كما يذكرها صاحب اللسان- هي أن المتلمس : وهو شاعر معروف اسمه عبد المسيح بن جرير ، قدِم هو وطَرفة الشاعر على الملك عمرو بن هندٍ ، فنقم الملك عليهما أمراً ، فكتب لهما كتابين إلى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما ، وقال : إني قد كتبت لكما بجائزة، فاجتازا بالحيرة، فأعطى المتلمس صحيفته صبياً فقرأها، فإذا فيها يأمر عامله بقتله، فألقاها في الماء ومضى إلى الشام، وقال لطرفة: افعل مثلي، فإن صحيفتك مثل صحيفتي، فأبى عليه، ومضى إلى عامله، فقتله، فضُرِبَ بهما المثل، انظر المرجع السابق (١٨٧/٩).

(٢) انظر: محمد فؤاد عبدالباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، [مرجع سابق] ص٤٠٣.

(٣) د. عدنان بكري، **العلاقات الدبلوماسية والقنصلية** ، [بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ١، ١٤٠٦هـ] ص٣٩.

(٤) المرجع السابق .

أما لفظة الدبلوماسية من حيث الاشتقاق اللغوي ، فالدبلوماسية : كلمة يونانية الأصل، مشتقة، من (diploma)، وتعني (الوثيقة) التي هي إحدى مشتقات الفعل(diplon)، ومعناه: يطوي أو يطبق، حيث استعملها الرومان للإشارة إلى الوثيقة التي تطوى (طيّتين)، وتصدر عن رئيس الدولة، وتَمنح امتيازاً لحاملها[(١)]، مثل الرسائل التي يرسلها الرئيس إلى الدول الأخرى، ويعطى حاملها حصانة وأماناً حتى تنتهي مهمته في توصيل الرسالة والعودة إلى مأمنه، و لم تستخدم هذه اللفظة في اللغة العربية إلا في وقت متأخر ... بل إنها لم تُعرف بمفهومها الحالي إلا بعد مؤتمر فيَنـّا لعام ١٨١٥م[(٢)]، هذا من حيث (اللفظ).

أما من حيث (المعنى والتطبيق العملي)، فالدبلوماسية كانت موجودة منذ القِدَم، حيث استخدمت لتحقيق المصالح، أوالتهديد أو هدفاً لتحقيق النصر[(٣)]، حتى جاء عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين والعصر الأموي، فكانت تستخدم لأغراض؛ منها: (الدعوة إلى الله تعالى، وعقد المعاهدات، وإعلان الحرب). وفي العصر العباسي اتخذت الدبلوماسية كوسيلة لتسهيل

---

(١) انظر : د. عدنان البكري ، **العلاقات الدبلوماسية والقنصلية**، [مرجع سابق] ص٣٨، وكذلك انظر: د. علي صادق أبو هيف ، **القانون الدبلوماسي**، [مصر ، منشأة المعارف بالإسكندرية، ب . ت] (ص١٦) .

(٢) انظر : د. عدنان البكري، **العلاقات الدبلوماسية والقنصلية**، [مرجع سابق] (ص٣٨) .

(٣) د. فاضل زكي ، **الدبلوماسية في النظرية والتطبيق** ، [بغداد ، جامعة بغداد ، ط٤، ١٩٧٨م] (ص٢٢).

التبادل الودي بين الأمم وتوثيق الصِلات التجارية والثقافية، وتبادل الأسـرى، وفض النزاعات، إضافةً إلى ما تقدم من الأغراض في صدر الإسلام[1].

ولا شك أن الإسلام أعطى أهمية كبرى للدبلوماسية، والتمثيل السياسـي، وتأمين السفراء؛ لأن من ثمار ذلك تمكين المسـلمين مـن نشـر تعـاليم الإسـلام ومبادئه على الشعوب، وقد كان النبي ﷺ يستقبل رسل الأعداء ويؤمنهم[2]، مما يدل على مشروعية ذلك[3].

وبعد مؤتمر فَيَنَّا لعـام ١٨١٥م اتَّسـع مفهـوم الدبلوماسـية، لتشـمل جميـع الوسائل والأساليب المستخدمة في توجيه العلاقات الدولية، سواءً عـن طريـق الرسـائل والخطابـات الرسميـة، أو عـن طريـق المفاوضـات والعهـود والبعثـات الرسمية، وإرسال السفراء، ونحو ذلك [4].

---

(١) د. وهبة الزحيلي ، **آثار الحرب في الفقه الإسلامي ـ دراسة مقارنة ـ** ، [دمشـق ، دار الفكـر ، ط٣، ١٤٠٣هـ] (ص٣٣٠) .

(٢) من أمثلة ذلك: ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه فقال : جاء ابن النواحة وابن أثـال رسـولا مسيلمة إلى النبي ﷺ فقال لهما :(أتشهدان أنـي رسـول الله)؟ قـالا: نشـهد أن مسيلمة رسـول الله، فقال رسول الله ﷺ :(آمنت بالله ورسوله، لو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكمـا) قـال عبـدالله : فمضت السنة أن الرسل لا تقتل، رواه أحمد، **مسند الإمام أحمد** [مرجع سابق] رقـم الحديـث (٣٧٦٠) (٤٩٥/١).

(٣) انظر : ما كتبه الباحث : علي محمد مقبـول في بحثـه (**آثـار الحـرب علـى التمثيـل الخـارجي والمعاهدات في الفقه الإسلامي والقانون الدولي** ، [بحث تكميلي مقدم للمعهد العالي للقضـاء لنيل درجة الماجستير ، عام ١٤١٢هـ] (ص١٠٢) .

(٤) انظر :المرجع السابق (ص٩٣) .

المسألة الثانية: السند الشرعي للرسالة:

سبقت الإشارة في مقدمة هذا البحث إلى أن من أهم أسباب اختيار موضوع (الرسائل الشخصيّة للإمام محمد بن عبد الوهاب)؛ ضرورة لفت انتباه الدعاة اليوم، وحثهم على إحياء هذه الوسيلة الدعوية الهامة التي كان لها أعظم الأثر في نجاح دعوة المصطفى ﷺ وانتشارها، وهي وسيلة المراسلة التي غفل عنها كثير من الدعاة اليوم، رغم مشروعيتها، ومزاياها العديدة، وكثرة مجالاتها وتنوعها.

وإن المتأمل لنصوص الكتاب والسنة، ليجد العديد من الشواهد الدالة على مشروعية هذه الوسيلة، واستخدام الدعاة لها في كل زمان ومكان، ومن تلك الشواهد:

١- استخدام نبي الله سليمان عليه السلام وسيلة المراسلة :

حكى القرآن الكريم قصة نبي الله سليمان عليه السلام عندما جاءه الهدهد بخبر مِلكَة سبأ وقومها الذين كانوا يسجدون للشمس من دون الله، فما كان من نبي الله سليمان عليه السلام إلا أن بادر بالقيام بواجب الدعوة، مستخدماً أحد وسائلها الناجحة؛ ألا وهي وسيلة المراسلة.. قال تعالى على لسان نبي الله سليمان عليه السلام مخاطباً الهدهد: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[النمل:٢٨-١٣].

وقد آتت هذه الوسيلة ثمارها، وكانت -بعد توفيق الله- سبباً في هداية ملكة سبأ، وإسلامها مع سليمان عليه السلام لله رب العالمين.

وإن المتأمل لهذه الآية، يجد أنها لم تقتصر فقط على بيان مشروعية استخدام وسيلة الرسالة لتبليغ الدعوة؛ بل تجاوزت ذلك إلى الإشارة إلى بعض ما يستحب للداعي أن يلتزم به في رسائله الدعوية، مثل: البداءة بالبسملة، وتقديم اسم كاتب الرسالة، والبيان، والوضوح[(١)].

وفيها الإشارة إلى استحباب كون الكتاب مختوماً محفوظاً لا يفتحه إلا صاحبه الذي أُرسل إليه، فقد ذكر أهل العلم أن معنى قول ملكة سبأ في هذه الآية ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ﴾ يعني: أنه كان مختوماً[(٢)].

وقد عدّ الإمام القرطبي من أحكام هذه الآية كونَها (دليلاً على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة، ودعائهم إلى الإسلام، وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر وإلى كل جبار) أ . هـ[(٣)].

---

(١) انظر : عبدالرحمن بن سعدي ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، [الرياض ،طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤١٠هـ](٥/٥٧٦) . وسيد قطب ، **في ظلال القرآن** ، [بيروت ، دار الشروق ، ط١٣، ١٤٠٧هـ] (٥/٢٦٣٩) ،وجلال الدين السيوطي ، **الدر المنثور في التفسير المأثور** ، [بيروت، دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤١١هـ] (٥/٢٠٠) .

(٢) انظر : أبو جعفر الطبري ، **تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن** ، [بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٢هـ] (٩/٥١٣) .

(٣) الإمام القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، [بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ] (١٣/١٢٧) .

واستنبط الشيخ أبو بكر الجزائري عدة فوائد من هذه الآية، منها: (مشروعية كتابة بسم الله الرحمن الرحيم على الرسائل والكتب الهامة، ذات البال، لدلالتها على توحيد الله تعالى، وأنه رحمن رحيم، وأن الكاتب إنما يكتب بإذن الله تعالى له بذلك)[١].

٢- استخدام النبي ﷺ وسيلة المراسلة :

أما الشواهد على مشروعية هذه الوسيلة في سيرة المصطفى ﷺ فكثيرة جداً، حيث استخدم رسول الله ﷺ وسيلة الرسائل والكتب على نطاق واسع، ولأغراض متعددة:

فمنها ما كتبه ﷺ **بغرض الدعوة إلى الإسلام**، وشاهد ذلك ما رواه أنس ﷺ من (أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى[٢]، كما كتب النبي ﷺ للغرض نفسه إلى المقوقس -ملك مصر- والمنذر بن ساوي صاحب البحرين، ومَلِكَيْ عمان، وصاحب اليمامة (هوذة بن علي)، والحارث ابن أبي شمّر الغساني[٣]، حاكم بُصرى [٤]، فمنهم من قبِل رسالته وآمن به كالنجاشي، ومنهم من

---

(١) أبو بكر الجزائري ، **أيسر التفاسير** ، [الرياض ـــ دار راسم ـــ ط الأولى ١٤٠٧هـ] (٣٥٢/٣).

(٢) مسلم ، **صحيح مسلم** ،[مرجع سابق] كتاب : الجهاد والسير ، باب : كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل ، (ك ٣٢، ب ٢٧ ،ح ١٧٧٤) (١١١٩/٣) .

(٣) ابن القيم ، **زاد المعاد** ، [مرجع سابق] (٦٨٨/٣، ٦٩٧) .

(٤) أحميد محمد العقيلي ، **الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي ﷺ . إلى الملوك والقادة** ، [الرياض ، خزام ، ط١ ، ١٤١٤هـ] ص١٣٠.

احترم الكتاب و لم يؤمن كهرقل، ومنهــم مـن مزّقَ كتابـه ككسرى، فدعـا النبيﷺ عليه فمزّق ا لله ملكه[١].

كما استخدم الرسول ﷺ الكتب والرسائل لأغراض أخرى، مثل :

التشريع: وبيان بعض الأحكام الشـرعية في العبـادات والمعـاملات؛ ومـن ذلك رسالته ﷺ إلى عمرو بن حزم حين استعمله على نجـران بعـد أن أسـلم بنو الحارث بن كعب، وأول الكتاب (بسم ا لله الرحمن الرحيم. هـذا كتـاب من ا لله ورسوله، يا أيها الذين آمنــوا أوفـوا بـالعقود، عهـداً مـن رسـول ا لله لعمرو ابن حزم..)[٢]. وجاء في هذا الكتاب أحكام تتعلق بالطهارة والصــلاة والحج والزكاة وأنصبتها، وختمها بأحكام أهل الذمة، ومقدار الجزية، وعلــى من تجب، وكلها مسائل تتعلق بالأحكام الشرعية من العبادات والمعاملات.

واستخدم النبي ﷺ وسيلة الكتـب والرسـائل أيضـاً لأغـراض أخـــرى، كالمعاهدات والصلح والمنح والأعطيات، وتوزيع الغنـائم، ولتوجيـه عمّالـه في النواحي الإدارية والتنظيمية وغير ذلك من الأغراض [٣].

---

(١) ابن القيم ، **زاد المعاد** ، [مرجع سابق] (٣/ ٦٨٨، ٦٨٩) .

(٢) ابن كثـير ، **البدايـة والنهايـة** ، [مرجـع سـابق] (٥/٦٩). والحديـث رواه النسـائي بألفـاظ متعـددة، **سـنن النسـائي**،[بـيروت ،دار المعرفـة، ط٢ ، ١٤١٢هـــ] كتـــاب : القســـامة ، ح (٤٨٧٠ - ٤٨٧١ - ٤٨٧٢) (٧/٤٣٠) وانظـــر : د.محمـــد حميـــدا لله ، **مجموعـــة الوثـــائق السياسية**، [بيروت ، دار النفائس ، ط٤ ، ١٤٠٣هـ] الوثيقة رقم (١٠٥) ص٢٠٧.

(٣) انظر : د. جابر قميحة ، **أدب الرسائل في صدر الإسلام** ، [مصر ـ دار الفكر العربــي ــ ط الأولى]

٣- استخدام الخلفاء الراشدين ومن بعدهم وسيلة المراسلة:

وقد سار الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم، وكذلك الولاة من بعدهم[١] على هذا النهج المبارك، فاستخدموا وسيلة المراسلة، واعتنوا بها عنايةً شديدة، خاصّة بعد اتساع الدولة الإسلامية وترامي أطرافها، وتَزايُد الأقاليم الخاضعة لها، مما أحوج الخلفاء والولاة بعد ذلك إلى إنشاء الدواوين[٢] وإحداث ديوان خاص للمكاتبات والرسائل[٣]، يمكنهم من إحكام السيطرة

---

(١) انظر : محمد حميدالله ، **مجموعة الوثائق السياسية** ، [مرجع سابق] الصفحات من ٣٣٨ إلى ٥٧٨، حيث حقق فيها الكاتب عدداً من رسائل الخلفاء الراشدين ، وبعض قادتهم وأمرائهم من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً .

(٢) كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أول من اتخذ الديوان ، وكان كاتبه زياد بن أبي سفيان حيث كان يكتب له أسماء الجند وأُعطياتهم والخراج وغيره ، ثم سار على نهجه الخلفاء والولاة من بعده ، انظر : جلال الدين السيوطي ، **تاريخ الخلفاء** ، [مصر ــ مطبعة السعادة ــ ط١ ــ ١٣٧١هـ] ص١٣٧ ، والحافظ ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، [مرجع سابق] (٣٧/٤) .

(٣) رغم أن عمر رضي الله عنه أول من أنشأ الدواوين لضبط أمور الدولة، إلا أن كثيراً من الباحثين يرى أن أول من وضع ديواناً خاصاً بالرسائل هو الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (٦٥ ــ ٨٦هـ)، الذي عين كاتباً خاصاً لهذا الديوان هو سليمان بن سعد، وإن كان الخلفاء قبله قد كلّفوا من يكتب لهم، فأبو بكر رضي الله عنه : يكتب له عثمان وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، وعمر رضي الله عنه: يكتب له زيد بن ثابت وعبدالله بن أرقم وغيرهم رضي الله عنهم، وعثمان رضي الله عنه: يكتب له مروان بن الحكم وعبدالملك بن مروان وعبدالله بن أرقم ، وعلي رضي الله عنه كان يكتب له سعد بن عمران الهمداني وعبدالله بن جعفر وغيرهم. إذاً فوسيلة المراسلة كانت موجودة قبل عبدالملك، إلا أنه وضع ديواناً مستقلاً للرسائل، اعتنى بتنظيمه، وسلسل الأعمال فيه، وضبطه ووضع فيه موظفين عارفين، وعلى رأسهم مستشاره الخاص سليمان بن سعد، وكان يحرص أن تأتي الرسائل من الأقطار بصورة منتظمة، انظر : د. محمد فتوح أحمد ، **النثر الكتابي في العصر الأموي**، [مصر- مكتبة الشباب- ١٩٨٤م] ص٢٧-٢٩، ود. يوسف العش ، **الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها**، [سوريا -دار الفكر- ط٢- ١٤٠٦هـ] ص٢٣٠.

على ممالكهم المترامية الأطراف، ومعرفة أحوالها، وتسيير دفّة الحكم فيها، والقيام بواجب الدعوة إلى الله، وتبليغ الدعوة ونشرها، وقد أكدّ أهل العلم على أهمية هذا الديوان، ووجوب أن يحرص الإمام المسلم على إقامته والعناية به، وأن ينصب فيه من اتصفوا بالأمانة والفصاحة وحسن الخط، وسلامة اللغة(١).

ولا شك أن ورود المراسلة والمكاتبة في القرآن الكريم واستخدام النبي ﷺ لها وإطباق الخلفاء والأئمة بعد ذلك على العناية بها واستخدامها في الدعوة إلى الله تعالى .. لاشك أن ذلك دليل على مشروعيتها ونجاحها وشدة تأثيرها.

المسألة الثالثة: خصائص الرسالة والمميزات التي ينبغي توافرها فيها.

إن وسيلة المراسلة تختص -من بين وسائل الدعوة- بعدّة خصائص، كما أن هناك عدّة مميزات ينبغي توافرها في هذه الوسيلة، لكي تحقق أهدافها على الوجه المطلوب.

وليكن الحديث أولاً عن خصائص الرسالة:

---

(١) انظر : ابن خلدون، **المقدمة**، [بيروت- دار القلم- ط١ -١٩٧٨م] ص٢٤٦، وابو المعالي الجويني، **غياث الأمم في التياث الظُّلم** ، [مصر- دار الدعوة- ب ت] ص١٧٩، والماوردي، **الأحكام السلطانية** ، [بيروت- دار الكتاب العربي- ط١- ١٤١٠هـ] ص٣٥٦، وعمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، [بيروت- دار العلم للملايين- ط٢- ١٣٨٨هـ] (٣٧٤/١).

أ- خصائص الرسالة:

من الطبيعي أن تحظى الرسالة (قديماً) بحظ وافر من الاهتمام، خاصة مع عدم توفر وسائل الاتصال -في ذلك الوقت- وصعوبة التنقل.

ولكن العجيب والملفت للانتباه أن هذه الوسيلة ما زالت تحتفظ بأهميتها ومكانتها السامية، رغم أننا نعيش اليوم في هذا العصر الحديث، الذي تطورت فيه وسائل الاتصال بشكل مذهل، حتى أصبح العالم بأجمعه كما لو كان قرية صغيرة، لا يكاد يغيب عن فرد من أفرادها أي حدث يحدث فيها، ومع ذلك مازالت الرسالة -بمفهومها العام- هي الوسيلة الرسمية المعتمدة للاتصال بين الدول، وداخل كل دولة بين دوائرها الحكومية، وبين الدوائر الحكومية والمؤسسات الخاصة والأفراد، وبين كل مؤسسة وموظفيها، وما زالت هذه الوسيلة هي وسيلة الاتصال (المحببة) لدى كثير من الناس في مراسلاتهم الشخصية، مما ألجأ كثيراً من الدول والحكومات إلى إنشاء وزارةٍ مختصة، تجعل من أهم مسؤولياتها أن تتولى العناية بالرسائل البريدية، وتضع الميزانيات الضخمة لمعالجتها وتنظيمها، وتأمين وصولها إلى مَن أُرسِلت إليهم. وما كان لوسيلة المراسلة، أن تحتل تلك المكانة المرموقة في القديم والحديث إلا لانفرادها بعدّة خصائص هامّة. فما هي تلك الخصائص؟

إن المتأمل لطبيعة هذه الوسيلة، واستخدامات الأولين والمعاصرين لها؛ ربما يدرك أن من خصائص هذه الوسيلة ما يلي:

١- أن الرسالة لا يطرأ عليها عند نقلها ما يتعرض له (النقل الشفهي) للرسائل من إمكانية التحريف والتغيير، الذي يحدث، إما بسبب النسيان،

أو بسبب تأثر الوسيط البشري بخلفياته ومعتقداته الخاصة عند نقله للرسالة.

٢- الرسالة تُتِيح لكاتبها فرصة التفكير والإعداد الجيد، وربما الرجوع إلى ما قد يحتاجه من المصادر عند إعدادها، مما يمكنه من صياغتها بدقةٍ وإحكام.

٣- الرسالة تُتيح للمتلقي فرصة إعادة قراءتها أكثر من مرة، وتأمل محتوياتها بهدوء وذلك أدعى لتحقيق أهداف الرسالة، وشدّة تأثيرها، وفهم المتلقي لها كما يجب .

٤- تعد الرسالة (وثيقة) ودليل إثبات سلباً أو إيجاباً بالنسبة لكاتبها، فهي حجة ومستند شرعي وقانوني.

٥- الرسالة وسيلة اقتصادية، تمكن المرسل من إيصال كافّة المعلومات بأقل قدر ممكن من التكلفة في المال والزمن والجهد.

٦- تعد الرسالة وسيلة إعلامية ناجحة، حيث يمكن توجيهها لجمهور كبير من الناس[1]، أو عدة جماهير، وبالتالي توجيههم أو دفعهم إلى اتخاذ موقف معين، أو حمل فكرة معينة.

٧- الرسالة أيضاً وسيلة إعلانية جيدة ولذلك يستخدمها التجار على نطاق واسع لكونها وسيلة اقتصادية ومضمونة من حيث إيصالها إلى المستهلك

(١) سبقت الإشارة -عند الحديث عن استخدام الإمام لوسيلة الرسالة- إلى أن من الطرق التي كان الإمام -رحمه الله- يضاعف بها من تأثير رسائلة في دعوته أنه كان يكلّف من يقوم بقراءة الرسالة على الناس في مساجدهم، لتصل رسائل الإمام إلى أكبر عدد ممكن من المدعوين بيسرٍ وسهولة، وبأقل جهد ممكن.

باسمه، كما أنها تحمل طابع (الخصوصية) التي تشجع على التفاعل معها بنسبة أكبر.

٨- الرسالة أقدر على مخاطبة المستقبل، وضمان تلقيه لمضمونها، بعيداً عن المؤثرات الخارجية التي قد تطرأ عليه، وتمنعه من قبول مضمون الرسالة، بخلاف المحادثة الشفهية التي قد تجعل المستقبل -رغم موافقته للمتحدث- يأنف من قبول الحق، احتقاراً لقائله، أو خجلاً من الآخرين الذين سمعوا المحادثة، وأصبحوا يرصدون ردة الفعل، ولغير ذلك من الأسباب. فالرسائل إذاً يمكن أن تكون مواعظ سريّة، لا يطلع عليها -بعد الله- إلا اثنين، هما الكاتب والقارئ، ولا شك أن المسلم يستر وينصح، وأن المنافق يهتك ويفضح.

٩- الرسالة في الغالب -بغَضّ النظر عن مضمونها- تساعد على توطيد العلاقة مع المرسل إليه؛ لأنها تحمل الطابع الشخصي، وتمتاز بالخصوصية المُحبَّبة إلى نفوس الكثيرين.

١٠- يمكن للرسالة -في الغالب- أن تتخطى الحدود المكانية والزمانية، وتصل إلى المرسل إليه أينما كان، كما تتخطى حدود الزمان، فيمكن للمرسل إرسالها حتى بعد موته، وما (الوصيّة) التي شرعها الإسلام إلا (رسالة) من الميت لورثته.

١١- الرسالة قد لا تفرض على المرسل ضرورة التعرف المسبق على المرسل إليه، وتكوين علاقة مسبقة معه ... بل يمكن أن تتم المراسلة وتبادل المنفعة بين طرفين لمدة طويلة، دون أن يلتقيا، ودون أن تكون بينهما أية صلة أو علاقة مسبقة.

١٢- الرسالة (أقدر على توصيل المعلومات والأفكار المعقدة والكثيرة التفاصيل)[١].

١٣- الرسالة تعد أفضل طريقة تسمح للمستقبل باختيار الوقت والمكان المناسبين لاستقبال الرسالة.

١٤- الرسالة تعد وسيلة رسمية للتبليغ، وهي مُلزِمَة، ويبنى عليها تحمل المسؤوليات المتعلقة بمحتواها.

.... إلى غير ذلك من الخصائص الهامّة التي تميزت بها هذه الوسيلة.

ب- المميزات التي ينبغي توافرها في الرسالة:

لعل من المناسب -قبل الحديث عن المميزات التي ينبغي توافرها في الرسالة- أن يتم التعرض أولاً بإيجاز لأهم المميزات الشكلية والأسلوبية التي تميزت بها الرسائل في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي وما بعده، ثم يُخلص من ذلك إلى ذكر أهم المميزات الشكلية والأسلوبية التي يَحْسُن توافرها في الرسالة اليوم.

أولاً: مميزات الرسالة في صدر الإسلام:

أ) المميزات الشكليّة:

١- سهولة الألفاظ ووضوحها حيناً[٢]، وغرابتها وفخامتها

---

(١) انظر : محمد إبراهيم السيد ، **وسائل الاتصال الوثائقي المكتوب وضوابطها** ، [القاهرة ـ دار الثقافة ـ ١٩٨٨م] (ص٢١) .

(٢) مثل أغلب رسائل النبي ﷺ إلى الملوك ، وكذلك الرسائل في عهد الخلفاء الراشدين .

حيناً آخر [١].

٢- الإيجاز[٢]حيناً، والإسهاب[٣]حيناً وِفقَ ما تقتضيه الحال.

٣- تنويع مطالع الرسائل وخواتمها[٤] أيضاً، حيث كانت تختم تارةً بالدعاء، وتارةً بالتعريض بالمرسل، وتارةً بآيةٍ كريمة، أو أبيات من الشعر.

٤- جمال الأسلوب، ووجود المحسنات البديعية[٥]، وكان ذلك فطرياً غير متكلف في صدر الإسلام، ثم ظهر فيه التكلف والصنعة بعد ذلك.

---

(١) مثل بعض رسائل النبي ﷺ التي بعثها إلى رؤساء القبائل ، ومنها قوله ﷺ في رسالته إلى مخلاف خارف: [هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف ... على أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة ....وعليهم الصالغ والقارح] انظر : غانم جواد رضا، **الرسائل الفنية** ، [مرجع سابق] (ص١٤٥) .

(٢) كما جرت عليه الرسائل النبوية، وأكثر رسائل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

(٣) مثل الرسالة الطويلة التي كتبها عثمان رضي الله عنه للمسلمين حين حوصر في داره ، حيث اشتملت على مقدمة طويلة، ومعالجة للخلافات التي بينه وبين مناوئيه، وذكر الأدلة المقنعة، والحجج التي تدحض تلك المزاعم المفتراة ... انظر : غانم جواد رضا، **الرسائل الفنية**، [مرجع سابق] (ص١٤٩) .

(٤) وهذا واضح في رسائل النبي ﷺ، فتارة يبدأ بالبسملة، وتارة بعبارة (باسمك اللهم)، وأحياناً يستهلّها ﷺ بقوله: (سِلْمٌ أنت، أو سِلمٌ أنتم)،كما في رسالته إلى الحارث ومسروح ونعيم ابن كلال من حمير، وسار الحال على ذلك في عصر الراشدين من حيث التنويع في الفواتح والخواتم، ثم ازدادت العناية بالتنويع مع أواخر عصر الراشدين..انظر: المرجع السابق (ص١٤٩).

(٥) وظهر ذلك في بعض رسائل النبي ﷺ مثل رسالته (لبني نهد) وفيها يقول ﷺ: [...لا يُمنع سرحكم، ولا يعضد طلحكم ، ولا يُمنع درّكم، ما لم تضمروا الأماق وتأكلوا الرباق..] والرباق: حبل تشد به الناقة لكي لا ترضع، انظر المرجع السابق (ص١٥٤).

٥- تضمين الأمثال والشعر في الرسائل [1].

٦- الاقتباس من القرآن الكريم، وكان ذلك إما بإدراج آيات قرآنية مناسبة للسياق[2]. أو باستخدام صيغ وتعابير قرآنية وأساليب تعبيرية مستوفاة من القرآن الكريم: كالتكرار [3]، والقسَم[4]، ونحوه.

---

(١) وكثر ذلك واتضح بجلاء في أواخر عهد الخلفاء الراشدين وما بعده ، ومن ذلك ما جاء في رسالة عثمان ﷺ لعلي ﷺ حيث قال: [أما بعد ، فقد بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطِّبْيين، وارتفع أمر الناس في شأني فوق قدره ...] انظر: المرجع السابق (ص١٦٤).

(٢) وقد كان هذا ظاهراً في رسائل النبي ﷺ خاصة الموجهة إلى أهل الكتاب فربما أدرج فيها بعض الآيات، مثل كتابه ﷺ ليهود خيبر: [...ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة، وإنكم تجدون ذلك في كتبكم، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا..﴾ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ ...] وأحياناً كان ﷺ يختم رسائله بنصوص من القرآن الكريم ،كما في رسائله ﷺ إلى قيصر والمقوقس ، وسار على ذلك من جاء بعده ﷺ ، انظر : المرجع السابق (ص١٧٤).

(٣) مثل تكرار عبارة (وآمرك ومن معك) في رسالة عمر ﷺ إلى القائد سعد ﷺ، حيث يقول: (أما بعد، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال... وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم) انظر: غانم جواد رضا، **الرسائل الفنية**، [مرجع سابق] (ص١٨٠).

(٤) ومثال ذلك ما ورد في رسالة أبي بكر ﷺ لأبي عبيدة ﷺ :[... ولعمر الله، لقد أصبحت الأرض ضيقة عليه وعليهم برحبها بمكانكم فيها ، وأيم الله، ما أنا بآيس أن تزيلوه من مكانه الذي هو به ...] انظر المرجع السابق (ص١٨١)

٧- بدء الرسالة -غالباً- بعبارة (سلامٌ) منكَّرةً، وختمها بـ(السلام) معرَّفةً، والإفراد في (عليك) بدلاً من (عليكم) إذا كانت الرسالة موجّهة إلى مفرد، والجمع في (عليكم) إذا كانت موجّهة إلى جماعة(١).

ب) المميزات من حيث المضمون والأسلوب:

تميزت أكثر الرسائل في(صدر الإسلام) من حيث المضمون والأسلوب بعدة مميزات، منها:

١- البراعة والدقة في عرض الفكرة وتنظيمها وتأكيدها(٢).

---

(١) وهذا واضح في معظم رسائله ﷺ ورسائل صحابته ـ رضي الله عنهم ـ بل ورسائل معاصريه الذين أجابوا على رسائله ﷺ، ومن شواهد ذلك ؛ رسالته ﷺ إلى المنذر بن ساوي (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي؛ سلام الله عليك؛ فإني أحمد إليك الله ... والسلام ورحمة الله) انظر: محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي**، [مرجع سابق] (ص١٤٨). وانظر نماذج أخرى في المرجع نفسه، الصفحات (١٠٠ ، ١٠١، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٣٣، ١٣٦،..).وقد لفت بعض أهل العلم الانتباه إلى أن كلمة (سلام) وردت في سورة مريم منكَّرةً في آية رقم (١٥) ثم وردت معرَّفةً في آية رقم (٣٣) وأشار أحدهم إلى أن ذلك ربما يستأنس به في البدء في الرسائل بتنكير (السلام)، ثم ختم الرسائل (بالسلام) معرفاً، [ذكر ذلك معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ في محاضرةٍ له بعنوان: مع وصايا أبي الدرداء، ألقاها في مدينة الرياض بتاريخ ٢٠/١/١٤١٨هـ].

(٢) وهذا واضح في رسائل النبي ﷺ ورسائل من بعده من الخلفاء رضي الله عنهم أجمعين ، وانظر على سبيل المثال إلى البلاغة والبراعة في عرض الفكرة ثم الترغيب فيها ثم الترهيب من تركها ، وختمها بنص معجز من كلام الله تعالى ، حيث كتب المصطفى ﷺ إلى هرقل عظيم الروم [بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيّين، و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ انظر : محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية**، [مرجع سابق] وثيقة رقم (٢٦) (ص١٠٩).

٢- صدق الإحساس وحرارة العاطفة[١].

٣- الافتنان في التصوير والتأنق في الخيال[٢].

أما في (العصر الأموي) وما بعده: فقد ازدادت أهمية الرسائل، وتوسعت استخداماتها وأغراضها، فظهرت الرسائل الديوانية السياسية، والرسائل الديوانية الحربية، والرسائل الدينية الوعظية[٣]، والرسائل الإخوانية (الشخصيّة) وغيرها من الأنواع والأغراض.

وبالجملة، فإن أساليب الرسائل في ذلك العصر بدأت بمرحلة البساطة والسهولة ثم تطورت إلى مرحلة التأنق والتجويد، وانتهت بمرحلة التطور والنضج الفني، وظهرت ملامح هذه المرحلة الأخيرة منذ عهد الخليفة هشام ابن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ)، حيث أصبح الترسل صناعة فنية، وأصبح

---

(١) وقد برز هذا الجانب وبدا أكثر وضوحاً في أواخر العهد الراشدي، وخصوصاً عندما بدأت الخلافات تظهر، ودار الرحى بين المسلمين أنفسهم ، ومن ذلك ما كتبه مروان بن الحكم إلى معاوية رضي الله عنهما حيث يقول: [..فإني كتبت إليك هذا الكتاب بعد قتل عثمان أمير المؤمنين عليه السلام، وأيّ قِتلة قتل؟ نحر كما ينحر البعير ...] انظر: غانم جواد رضا، **الرسائل الفنية**، [مرجع سابق] (ص١٨٧).

(٢) وقد أضفى القرآن الكريم ببلاغته وإعجازه ظلالاً من الروعة والجمال على أساليب العرب وصورهم وأخيلتهم ، بل قد ظهر ذلك جلياً في كثير من رسائل النبي ﷺ، فانظر إلى الاستعارة في قوله لهوذة بن علي، [..واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر ، فأسلم تسلم ، وأجعلُ لك ماتحت يديك] وكذلك الكناية في قوله لابْنَيْ الجلندي [..فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحلّ بساحتكما ...] انظر : المرجع السابق (ص١٩١).

(٣) تربع على عرش هذا النوع من الترسل كبار الزهاد في ذلك العصر، مثل :طاوس بن كيسان، والحسن البصري وعمر بن عبدالعزيز ؛ حيث تميزت رسائلهم بكثرة الاقتباس من القرآن والسنة، ووفرة الاعتماد على صيغ الترغيب والترهيب ، والتذكير بالجنة والنار ، مع نَفَسٍ ديني يغمر الرسالة غمراً ... انظر :د. محمد فتوح أحمد ، **النثر الكتابي في العصر الأموي** ، [مرجع سابق] (ص١٩٠) .

ديوان الرسائل شبيهاً بمدرسة كبيرة للكتاب، ثم جاء عبدالحميد الكاتب، الذي قعَّد لهذا الفن ووضع ما يعد بحق خلاصة ما بلغه أدب الرسائل في ذلك العصر[1].

ورغم أن لكل غرض وكل نوع من أنواع الرسائل مميزات خاصة، إلا أنه يمكن القول إجمالاً: إن الرسائل في ذلك العصر قد تميزت بنفس المميزات السابق ذكرها، وظهر فيها إضافة لذلك:

١- شيوع استعمال السجع.

٢- اتّشاح الرسائل بغريب اللفظ.

٣- الإيقاع والتنغيم الصوتي.

٤- الجنوح إلى الإطناب.

٥- استعمال التحميدات، والثناء على الله في تضاعيف الرسالة.

٦- تسلسل الأفكار والدقّة في تنظيمها.

٧- تدفق العاطفة وصدق الإحساس .

٨- الافتنان في التصوير[2]، والبراعة في الوصف[3].

ثانياً : المميزات التي ينبغي توافرها في الرسالة (في هذا العصر):

إن المتتبع لطبائع النفس البشرية والعوامل المؤثرة فيها، يجد أن الناس، وإن

---

(١) انظر : غانم جواد رضا ، **الرسائل الفنية**، [مرجع سابق] (ص١٩٧ ، ص١١٢).

(٢) ساعد على ذلك أيضاً ظهور أثر ثقافة العجم وآدابهم، التي جلبوها من لغاتهم، كالفارسية ونحوها، انظر : غانم جواد رضا، **الرسائل الفنية**، [مرجع سابق] (ص١٩٧– ص١١٢).

(٣) انظر المرجع السابق (ص٣٠٦ - ص٣٣٠) .

كانت فطرهم ثابتة(١)، إجمالاً إلاّ أن أذواقهم وأمزجتهـم تتطـور وتتبـدل مـع الزمن..حتى إن بعض النواحي التي كانت إيجابية ومؤثرة في رسـائل الأمـس؛ أصبحت سلبية ومحجوجة في رسائل اليوم باستثناء بعض النواحي التي مـازالت مستقرة وثابتة، وكذلك بعض الضوابط العامة.

ورغـم أن الرسـائل الشـخصية (بخـلاف الرسـائل التجاريـة أو الحكوميـة وأشباهها) قد لا تخضـع لضوابـط ثابتـة، بـل تميـل غالبـاً إلى التلقائيـة، وعـدم التصنع(٢)؛ إلا أنه من الممكن الإشارة إلى بعض المميزات العامة التي أفـاض في ذكرها بعض الكتاب(٣)، وجعلوها من المميزات التي ينبغي توافرها في رسـائل

---

(١) وهي ما طبعهم الله عليه (من قبول الحق وتمكنهم من إدراكه)، وما فطرهم عليه سبحانه من (معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره)، قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ سورة الروم، الآية (٣٠)، وانظر: الإمام ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** [بيروت- دار الكتب العلمية- ط الأولى ١٤٠٦هـ] (٦٨٨/٣)، وأبا السعود محمد بن محمد العمادي، **تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** [بيروت- دار إحياء التراث العربي- ب ت] (٦٠/٤) .

(٢) انظر : أحمد محمود أبو الرب، **المراسلات التجارية والحكومية**، [الأردن- حوارة للمجتمع/ إربد – ط٢-١٩٨٢م] ص١٢٦.

(٣) انظر : المرجع السابق الصفحات من ص٨ ــ ص٩٩ ، وكذلك : محمد حجازي ، وعبدالوهاب عبدالفتاح، **وسائط الاتصال الرسمي في السعودية** ، [الرياض ــ معهد الإدارة- ط١ ــ ١٤٠٧هـ] ص٢٢ ــ ٩٢ ، وكذلك : أحمد عبدالستار ، وأحمد شهاب، ويوسف سليمان ، **المراسلات الحكومية في المملكة العربية السعودية**، [الرياض- معهد الإدارة- ١٤٠٥هـ] ص٣٣- ص٩٠، فتحي جبر، **تطبيقات عملية في المراسلات**، [الرياض- معهد الإدارة- ط١- ١٤٠٣هـ] ص١٤- ص٣١، وانظر: غانم جواد رضا، **الرسائل الفنية**، [مرجع سابق] ص١٤٣- ٣٣٠، وأيضاً: سيد حسب الله، **المراسلات**، [الرياض- معهد الإدارة- ط١- ١٣٨٧هـ] ص٦ -ص٢٧.

-ملحوظة: تجدر الإشارة هنا إلى أن مادة هذه الفقرة إجمالاً مأخوذة من المراجع آنفة الذكر ضمن الصفحات المبينة أعلاه، إلا أنها وردت في أغلب المواضع بأسلوب نثري مفرّق بين عدة مراجع، فاضطر الباحث إلى جمع المادة بتمامها، ثم تصنيفها، وإعادة صياغتها بأسلوبه، مرقّمة مقسمه، ليسهل تناولها، ولذلك فمن المتعذّر العزو والإحالة والتهميش لكل نقطة على حدة؛ لأن كل نقطة في الغالب قد أخذت من عدة مراجع، وصيغت بأسلوب الباحث، فيكتفى للفقرة بتمامها بالإحالة السابقة.

اليوم[(١)]، وهذه المميزات قد لا تكون بالضرورة مناسبة لجميع أنواع الرسائل على اختلاف مضامينها وأهدافها؛ بل يمكن اعتبارها مميزات عامة، يمكن أن يستفاد منها في أغلب الرسائل؛ حيث إن منها ما يتعلق بموضوع الرسالة، ومنها ما يتعلق بشكل الرسالة ، ومنها ما يتعلق بكاتب الرسالة.

ومن تلك المميزات التي يحسن العناية بها وينبغي توافرها في رسائل اليوم:

أ- المزايا الموضوعية:

١- العناية بالجمل الافتتاحية وبالجمل الختامية للرسالة: فالافتتاحية توضح موضوع الرسالة، وتساعد على سرعة فهمها، والجمل الختامية: تدفع القارئ إلى اتخاذ موقف أو نحوه، وهي أكثر ما يستقر في الذهن.

٢- الإيجاز غير المخلّ، واحترام وقت القارئ، على أن لا يؤدي هذا الإيجاز إلى الغموض، الذي يرغم القارئ على تكرار قراءة الرسالة، وإهدار مزيد من الوقت، والمقياس في الإيجاز ليس قصر الرسالة، فقد تكون عدة صفحات، ومع ذلك تعد موجزة، وإنما المقياس في ذلك أمران، هما:

أ- أن لا تشرح في الرسالة أكثر مما يحتاج الموضوع .

ب- أن لا تستعمل عدداً كبيراً من الكلمات، مع إمكانية استخدام عدد أقل[(٢)].

---

(١) قد يلاحظ القارئ أن كثيراً من المميزات التي سيرد ذكرها إنما تخص -بالأصالة- المراسلات الإدارية والتجارية ونحو ذلك، ولكن ذلك لا يمنع أن يستفيد الدعاة- في مراسلاتهم الدعوية- مما يناسبهم من تلك المميزات، فالحكمة ضالّة المؤمن، أنّى وجدها، فهو أحقّ بها .

(٢) انظر: د. سيد حسب الله ، **محاضرات في المراسلات** ، [الرياض- معهد الإدارة- ط١- ١٤٠٢هـ] ص٣٥.

٣- الدقة والعناية في انتقاء الألفاظ: وذلك بالبعد عن الكلمات ذات المدلول العام، والكلمات المطّاطة أو غير المحددة، كذلك البعد عن الألفاظ المبالغ فيها والتي قد تسبب فقدان الثقة في كلام المرسل، وشعور القارئ بالتكلف وعدم العفوية في الرسالة، وكذلك ينبغي البعد عن الكلمات العاميّة، التي قد تفقد الرسالة عنصر الجديّة والاحترام، إلا إذا تأكد المرسل أن المصلحة في استخدام بعض الألفاظ المألوفة عند المستقبل أو المصطلحات المعهودة عنده فلا بأس من استخدامها، ولو كانت غير فصيحة، لما فيها من تأليف القلب والعفوية والتبسط.

كما ينبغي أيضاً البعد عن استعمال المصطلحات الفنية، التي لا يفهمها عامة الناس واستبدالها باللغة الدارجة، إلا إذا كانت الرسالة موجهة إلى أهل التخصص؛ فلا بأس في استعمالها لما لها من وقع، ولأنها تدفع إلى احترام المستقبل للمرسل، وشعوره بتمكنه وأهليته[١].

٤- مناسبة الأسلوب لمستوى الفهم والثقافة لدى المرسل إليه، فكلما ازداد المرسل معرفة وخبرة بطبيعة المرسل إليه وثقافته وذوقه، صار أقدر على صياغة الرسالة بأسلوب أكثر إقناعاً وتأثيراً.

٥- وضوح المعنى، ويكون ذلك عن طريق:

أ- حسن اختيار الألفاظ، كما ذُكِرَ في النقطة الثالثة .

---

(١) ظهر استخدام هذا الأسلوب وأثره البالغ في ردود ابن تيمية- رحمه الله تعالى- على المناطقة والفلاسفة وأهل الكلام ،انظر على سبيل المثال :كتابه -رحمه الله- (درء تعارض العقل والنقل) وغيرها من كتاباته رحمه الله.

ب- جودة الربط بين مكونات الرسالة على مستوى الكلمة، وعلى مستوى الفقرة وعلى مستوى الرسالة بكاملها، وذلك بترابط الكلمات في الجملة: كأن يحرص على عدم إطالة الفصل بين المتلازمات، كالفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، والصفة والموصوف، والاسم والضمير العائد إليه ... ونحو ذلك، وكذلك يحرص على ترابط الجمل والفقرات أيضاً.

ومن وسائل ربط الجمل والأفكار:

- ألفاظ الارتباط: مثل (ولذا، وعلى العكس، وعلى سبيل المثال..)

- الجمل الانتقالية: وتأتي في نهاية الفقرة، لتربطها بموضوع الرسالة، وبالفقرة التي تليها.

- الفقرات الانتقالية: إذ حين تطول الرسالة، قد تحتاج إلى فقرة كاملة تربط أجزاء الرسالة بالموضوع الرئيسي .

ج- ترتيب الجملة في الفقرة، ويكون بعدة طرق:

- ترتيب منطقي: يبدأ فيه بعرض البيانات والحقائق، وينتهي باستخلاص النتيجة.

-ترتيب نفسي: وهو على العكس حيث يعرض النتيجة، ثم يذكر الحقائق المؤيدة لها، وهذا الأسلوب أشد جاذبية ،كما أنه يساعد على سرعة معرفة مضمون الرسالة.

- الترتيب الزمني: ويتم فيه عرض الأحداث حسب تاريخ حدوثها دون استخلاص النتائج غالباً .

– الجمع بين المنطقـي والنفسـي: حيـث يعـرض النتيجـة بإيجـاز، ثـم الحقـائق المؤيدة لها، ثم ذكر خلاصة لها.

د– تأكيد الأفكار الهامة وإبرازها، ومن وسائل ذلك:

–وضعها في مكان مناسب وبارز، مثل وضعها في بداية الفقرة أو نهايتها، ووضع النتائج والملخص في نهاية الرسالة... ونحو ذلك.

– إضافة مرادفات لألفاظ هذه الفكرة، ممـا يزيـد مـن تأثيرهـا، ويضـاعف مساحتها في الذاكرة.

– إضافة مقارنة لهذه الفكرة مع أفكار أخرى، كأن يقال: إن هذه الفكرة تشبه كذا، أو إنها تختلف عن فكرة كذا.

– استخدام وسائل فنية، لتأكيد الأفكـار الهامـة وإبرازهـا، مثـل: كتابتهـا بحروف متميزة من حيث الحجـم، أو اللـون، أو وضـع خـط تحتهـا، أو تـرك مسافات خالية قبلها وبعدها.

... ونحو ذلك .

٦– (اللطف والكياسة) والمجاملة: حيث إن لها أثراً كبيراً في تكويـن علاقـات ودّية مع الآخرين ، ومن قواعد المجاملة في المراسلات:

أ– اللطف عند إرسال الرسائل التي تحمل أخبـاراً سـارّة أو غـير سـارّة، ففـي الأخبار السارّة مثلاً يفضـل البـدء بالتهنئـة قبـل ذكـر التفـاصيل الأخـرى، ويختم الرسالة بذكر فوائد الخبر، ومردوده على المرسل إليه.

أما في الأخبار السيئة مثل رفض طلب أو نحوه، فالأولى عـدم إبـراز الخـبر، بل ذكره في وسط الرسالة بين طيّاتها، على أن يأتي عرضاً، ولا يظهر أنه

هو الباعث على الرسالة، وعلى سبيل المثال: عند رفض طلب ما، يبدأ الكاتب بعرض فكرة (يتفق معه المستقبل فيها)، ثم يسوق أسباب الرفض لإقناعه بصواب القرار الذي اتخذه ، ثم يذكر الخبر السيئ (بأقل عدد ممكن من الكلمات)، ويختم الرسالة بعبارات الود والمجاملة والرغبة في بقاء الصلات الطيبة والتعاون.

ب- احترام المرسل إليه، وإشعاره بذلك؛ مثل الإكثار من عبارات (أنت، أنتم..) ونحوها، والتقليل قدر الإمكان من عبارات (أنا، ونحن، ونون العظمة: فعلنا و..) وأشباهها؛ لكي لا يشعر المرسَل إليه أن الكاتب مهتم بنفسه أكثر من اهتمامه بالْمُسْتَقْبِل.

كما ينبغي مراعاة مخاطبة الْمُسْتَقْبِل باسمه؛ لما في ذلك من إضفاء روح الألفة والمودة .

ج- مخاطبة المرسَل إليه بمكانته العلمية، أو الوظيفية، أو بما تحت يده من الولاية، وعدم إغفال ذلك، بل إشعاره باحترامه، ومعرفة قدره ومكانته ... على أن لا يظهر في ذلك نوع من التصنع أو المبالغة، التي تُظهِر الكاتب بمظهر المخادع أو المنافق.

د- اللطف عند توجيه اللوم للمرسَل إليه: فعندما يضطر المرسل إلى توجيه اللوم والنقد للمرسل إليه، يجب عليه أن يحافظ على اللطف والكياسة وذلك بتجنب النقد الجارح أو اللوم القاسي، ويفضّل أن ينبّه على الخطأ بصيغة (المبني للمجهول).

هـ- استعمال العبارات الإيجابية والبعد عن العبارات السلبية: وذلـك بمحاولـة تجنـب الكلمـات الـتي تفيـد النفـي؛ مثـل (لا، لم، لـن، يســتحيل، يؤخــر، يرفض..) واستبدالها قدر الإمكان بعبـارات إيجابيـة مثـل (يسـرّنا، نشـكر، نحرص، اسمحوا..)

ومثال ذلك: لا تكتب في رسالتك (لا يمكن إرسال الكتب التي طلبتهـا منّي قبل ١٥/١ القادم)، واستبدلها بقولك: (سوف يسعدني أن أرسل لك الكتب التي طلبتها، وسيكون ذلك بمشيئة الله بعد ١٥/١ القادم) .. وكلا العبارتين تؤديان المعنى نفسه، مع الاختلاف الكبـير في الأثـر الـذي تتركـه كل منهما.

و- الحرص على توجيه الرسالة إلى الشخص الذي تعنيه مباشرة، فعند إنكــار منكر ما في إدارة معينة -على سبيل المثال- ينبغـي مراعـاة توجيـه الرسـالة إلى صـاحب الشـأن بعينـه، لا إلى مَـن فوقـه، فذلـك أدعـى لتقبلـه وعــدم الإساءة إليه.

ز- المشاركة الوجدانية للمرسَل إليه؛ وإشعاره بالتـألم لمـا يؤلمـه، والفـرح بمـا يسره ويسعده.

ح- ولاشك أن من اللطف والكياسة سـرعة الإجابـة علـى الرسـائل الـواردة وعدم إهمالها، أو تأخير الإجابة عليها، فالتأخير يدل علـى عـدم الاهتمـام بالرسالة وصاحبها.

٧- مراعاة الاتجاهات والدوافع: قد يكون المرسَل إليه متأثراً ببعــض الأفكـار والاتجاهات المعينة، وذلك بسبب ظروف البيئة الاجتماعية أو التعليميـة أو

الفكرية التي يعيشها، فينبغي أن لا يغيب عن البال أنه حين يقرأ الرسالة، سيناقشها (ذهنياً) على ضوء ما يحمله من أفكار واتجاهات، ولذلك فإن مما يساعد على صياغة الرسالة بأسلوب ناجح ومقنع، معرفة طبيعة اتجاهات المرسل إليه ودوافعه.

٨- صحة الحقائق: إذ يجب على كاتب الرسالة أن يحرص على التأكد من صحة جميع ما يذكره في رسالته، ولا يغفل عن التثبت من كل فكرة قبل كتابتها؛ فإن رسالة واحدة يثبت فيها وجود معلومة كاذبة، قد تكون كافية لنزع الثقة من جميع الرسائل التي يكتبها المرسِل، وقديماً قال الشاعر:

إذا عُرِف الإنسان بالكذب لم يزل ∴ لدى الناس كذّاباً وإن كان صادقاً[1]

٩- الإقناع : وهو من أهم المميزات التي ينبغي الحرص على توافرها في الرسالة ، ومن قواعد الإقناع:

أ- الحياد وعدم التحيز: ويكون مثلاً بذكر الحسنات والسيئات، وعدم الاقتصار فقط على الاعتراف بما يؤيد أفكاره، دون الإشارة إلى ما يعارضها.

ب- اقتناع الكاتب نفسه بما يقول، وإيمانه العميق بما يكتب، فإن ذلك سيمنحه الحماس والصدق اللازمين لإقناع الآخرين.

---

(١) أورد هذا البيت الأستاذ: أحمد أبو الرب، **المراسلات التجارية والحكومية** [مرجع سابق] (ص٧٣)، ولم أعثر على هذا البيت ولا قائلة في كتب الأدب التي اطلعت عليها.

ج- الالتزام بالموضوعية وعدم تحميل الأحداث والبيانات ما لا تحتمل ، وليّ أعناق الأدلة والاستدلال بما لا يظهر أنه دليل .. بل يجب ترك الحقائق تتحدث عن نفسها.

د- الاستشهاد بأقوال المتخصصين وأهل الحياد.

هـ- عدم الجزم بفكرة ما إلا بعد إيراد الحجج والبراهين القوية والكافية لإثباتها، وإذا لم تتوفر تلك البراهين، فالأولى عرض الفكرة بدون حماس، على أنها وجهة نظر.

و- ومن قواعد الإقناع أيضاً: سلامة اللغة وقوة الأسلوب، فإن ضعف اللغة وركاكة الأسلوب تنزع الثقة من المرسَل إليه، وتوحي له بعدم أهلية المرسِل وعدم الثقة فيما يقول.

١٠- ويضاف إلى ما ذكر (من المزايا التي يحسن توافرها في الرسالة) بعض ما سبق ذكره من مزايا الرسالة في صدر الإسلام والعصر الأموي، وما بعده؛ كتنويع مطالع الرسالة وخواتمها، وتضمين الأمثال والشعر، إضافة إلى الاقتباس، والاستشهاد بالنصوص الشرعية، والعناية بجمال الأسلوب، ووجود المحسنات البديعية غير المتكلفة، بحيث لا تؤثر على وضوح المعنى وسهولته، وكذلك تدفق العاطفة وصدق الإحساس.

ب) المزايا الشكلية التي ينبغي توافرها في الرسالة:

ينبغي أن لا يستهان في هذا العصر بالنواحي الشكلية للرسالة؛ لأنها هي التي تعطي (أول انطباع يحمله القارئ عن الرسالة)، وهذا الانطباع قد يؤثر في الحكم على محتويات الرسالة ، ويعطي شعوراً معيناً تجاه المرسِل؛ من حيث

أهليّته ودقته وعنايته، واهتمامه بالرسالة، وبالشخص الذي أُرسلت إليه هذه الرسالة، أو الجهة التي وجهت إليها.

ومن تلك المزايا :

١- نوع الورق: فلا يستخدم ورقاً رديئاً، سريع التلف، أو غير مخصص لكتابة الرسائل أصلاً، بل يعتني باختيار الورق المناسب.

٢- لون الورق: بحيث يكون مناسباً ومريحاً للعين، ويمكن استغلال لون الورق لأغراض أخرى؛ مثل أن يتميز المرسِل باستخدام لون معين ومناسب؛ كالأزرق الفاتح، بحيث يعرف المستقبِل مصدر الرسالة بمجرد رؤية لونها.

٣- حجم الورق: فلا يكون الحجم كبيراً بشكل ملحوظ ، ولا صغيراً يرغم الكاتب على الإيجاز المخلّ، وفي المراسلات الإدارية والحكومية يحدد حجم الورق المستخدم بناء على الجهة المرسل إليها، فالحجم A ٤ مثلاً يستعمل لمخاطبة الأجهزة الحكومية المستقلة فيما بينها، وفي مخاطبتها للجهات الخاصة، والحجم A ٥ للتخاطب داخل الجهاز الحكومي الواحد، والحجم A٦ يستخدم للإحالات والشروح[١].

---

(١) ورد هذا التحديد ضمن المواصفات القياسية السعودية رقم ٢٧١ في ١٤٠٢/٣/١٥هـ واعتمد هذا التحديد بقرار مجلس الوزراء رقم ١٢٦ وتاريخ ١٤٠٦/٦/٨هـ ، فيما يتعلق بالموافقة على تحديد مقاسات الورق في المكاتبات والمراسلات الحكومية ، انظر : محمد حجازي ،وعبدالوهاب عبدالفتاح ، **وسائط الاتصال الرسمي في السعودية**، [مرجع سابق] ص٥٦.

٤- المسافات: ونعني به التناسق في المسافات بين كل كلمـة وأخـرى، وبـين كل سطر وآخر، وكذلك بين كل فقرة وأخرى، حيث تكون المسافة بـين الفقرات -عادةً- ضعف المسافة بين الأسطر.

٥- الهوامش: وهي الفراغ المحيط بالرسالة، وله أهميـة، لأنـه يعطـي الرسالة شكلاً جذّاباً، ويحفظ الكتابة من التلـف، لأن أطـراف الـورق -لـو كتـب فيها- تصبح الكتابة التي فيها عرضة للتلف أكثر من بقية الأجزاء، كما أن تـرك الهـامش دون كتابـة يسـهِّل حفـظ الرسـالة في ملفـات -إذا رغـب المستَقبِل في حفظهـا- ويســهِّل الاطـلاع عليهـا وهـي في الملـف دون إخراجها.

٦- استخدام علامات الترقيم: وهي النقطـة والفاصلـة وعلامـات الاستفهام والتعجب والتنصيص ونحوها، ولها أهمية كبـيرة، حيـث إنهـا تسـهّل فهـم مضمون الرسالة، وتزيد من تأثيرها، وإن إهمالها أو استخدامها اسـتخداماً خاطئاً قد يؤدي إلى تغيير المعنى أو تحريفه.

ج) المزايا التي ينبغي توافرها في كاتب الرسالة :

بغضّ النظر عن طبيعة كاتب الرسالة، وطبيعة أهدافـه،والغايـة الـتي يسطّر رسائله من أجلها؛ فإن هناك قدراً مشتركاً من المزايا التي يحسن أن يتمـيز بهـا كاتب الرسالة منها :

١- المهارة في استخدام اللغة : وذلك بتجنب الأخطـاء الإملائيـة والنحويـة، والحرص على معرفة علامات الترقيم، وكيفية استخدامها.

٢- معرفة كاتب الرسالة لموضوعها وهدفها قبل البدء في الكتابة، وذلك:

أ- بتحديد الغرض من الرسالة وهدفها .

ب- الحصول على المعلومات والحقائق المتعلقة بالموضوع قبل الشروع في الكتابة فيه.

ج- مراعاة اهتمامات القارئ عند تحرير الرسالة.

٣- الخبرة العمليّة في كتابة الرسائل، ويكون ذلك عن طريق:

أ- السرعة في تحديد موضوع الرسالة، والغاية منها .

ب- أن يكون أسلوب الكتابة طبيعياً، بعيداً عن التكلف والتصنع .

ج- اللغة السليمة الخالية من الأخطاء .

د- مراعاة مصلحة القارئ بعدم الإطالة أو الإيجاز المخل المؤدي للغموض.

هـ- من الممكن أيضاً استخدام (النماذج الجاهزة)، وهي رسائل كاملة مكتوبة ومعدة سلفاً، وغالباً ما تستخدم في حالات معينة تتكرر باستمرار، مثل (إخطار المرسل أن رسالته قد وصلت، وأن الإجابة على ما طلبه قيد البحث الآن)، أو كما هو الحال في الرسائل المعَدّة لمخاطبة المدينين، ونحو ذلك.

ويمكن للداعية استخدام (النماذج الجاهزة) لعدّة أغراض، مثل توجيهها لمن يتخلف عن الصلاة، أو يرتكب بعض المنكرات الأخرى، أو غير ذلك من الأغراض، بحيث يضع عدة نماذج جاهزة ومعدة لذلك.

ولطريقة (النماذج) إيجابيات ولها أيضاً بعض السلبيات.

فمن إيجابياتها:

- توفير الوقت والجهد والتكلفة.

- الدقة والإتقان في صياغتها، لأنها تكون معدّة سلفاً في متسع من الوقت والاستعداد الذهني، وربما من قبل بعض المختصّين.

ومن سلبياتها:

افتقارها أحياناً إلى عنصر الخصوصية والمعالجــة الشـخصية، حيـث يشـعر المستقبِل أنها لم تُعَدّ له وحده، ولم تُصَغ ليخاطب بها هو بمفرده (بما يتناسب مع طبيعته وشعوره) مما يقلل من أهميتها وأثرها... إلا أنه يمكن معالجة مثـل هذه السلبية بكتابة الاسم، وتعبئة الفراغات الموجودة في النموذج بنفس خط ولون قلم كاتب النموذج، أو بنفس الآلة الكاتبة أو الحاسوب، ويكون مـلء الفراغ بدقة وعناية، تجعل المستقبِل يشـعر مـن مظهرهـا أنهـا إنمـا كتبـت لـه وحده وصيغت لمخاطبته بشخصه.

٤- ومن المزايا التي يحسن توافرهــا في كـاتب الرسـالة (وخاصـة في الرسـائل الدعوية والتوجيهية) أن يكون كاتب الرسالة عالماً بمـا يقـول، وأن يكـون محل ثقةٍ عند المرسَل إليه، فيكون من المعروفين بالنصح وإخـلاص المـودة ، فكم حصل بسبب مثل هذه الرسـائل مـن الخـير العظيـم، فتـاب العـاصي، وتنبه الغافل، وشمّر المقصّر، خاصة إذا أخلص المرسِـل نيتـه لله تعـالى، فـإن الله يبارك في عمله، ويحقق له ما أراد بإذنه سبحانه.

المسألة الرابعة: مجالات (الرسالة) في الماضي والحاضر :

إن نشأة وسيلة المراسلة وغيرها من وسائل الاتصال كانت مرهونةً بالحاجة التي دعت إليها، والمجال الذي أُريدَ لها أن تسدّه .

وقد استخدمت وسيلة المراسـلة في مجـالات عديـدة في القديـم والحديـث،

وكانت مجالاتها تضيق ثم تتسع تبعاً لمستوى الحضارة والمدنية التي تصل إليها المجتمعات، وعليه فقد كانت هناك علاقة وثيقة بين التقدم الحضاري والمدني -في أي عصر من العصور- وبين تعدد مجالات المراسلة، والتوسع في استخدامها عند أهل ذلك العصر.

أ- مجالات الرسالة في الماضي :

لم تكن مجالات المراسلة في الماضي موحّدة وثابتة في جميع المناطق، بل كانت تختلف -في الزمن الواحد- من بلاد إلى أخرى ومن قوم إلى آخرين..

ففي العصور القديمة قبل الميلاد:

استخدمها الفراعنة والهنود واليونان والرومان لعدة أغراض وفي عدة مجالات[(١)]، منها:

١- عقد المعاهدات مع الدول المجاورة أو إعلان الحرب معها[(٢)].

٢- رسائل تهدف إلى فداء الأسرى وحل المشاكل الناجمة عن الحروب[(٣)].

٣- تحقيق المصالح وتوجيه العلاقات بين الدول[(٤)].

٤- كما استخدمت لتوجيه أصحاب الولايات داخل الدولة الواحدة.

٥- واستخدمت الرسائل أيضاً -عند اليونان- لإعطاء امتيازات معينة

---

(١) انظر : د. وهبة الزحيلي ، **آثار الحرب في الفقه الإسلامي** ، [مرجع سابق] ص٣٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، الموضع نفسه .

(٣) المرجع السابق ، الموضع نفسه .

(٤) د. فاضل زكي ، **الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق** ، [مرجع سابق] ص٢٢.

لحاملها[١]، كمـا استخدمها الرومـان كتوصيـة رسميـة تعطـى للأشـخاص الذين يقدمـون إلى البـلاد الرومانيـة مـن خـارج البـلاد، فكـانوا يحملونهـا معهم؛ ليسمح لهم بالمرور من ناحية؛ وليكونوا محل رعاية خاصة من ناحية أخرى[٢].

أما العرب في العصر الجاهلي:

فمن الملاحظ أن استخدامهم للرسائل كان محـدوداً ، نظـراً لتفشـي الأميّـة وعدم معرفة أكثرهم للكتابة ... ولذلك نرى المراسلة (المكتوبـة) لم تسـتخدم إلا عند الضرورة في غالب الأحيان.

ومن مجالات المراسلة في العصر الجاهلي[٣]:

أ – رسائل نثرية إخبارية: استخدمها العرب ليحملوا فيها أخبارهم المختلفـة، لا سيما الأمور الجليلة، وليشرحوا فيها حوائجهم وبعـض أمـور حيـاتهم، ومثال ذلك: (رسالة حنظلة بن أبي سفيان إلى أبيه– وكان قـد خـرج مـع العباس بن عبدالمطلب في تجارة إلى اليمن– فكتب إليه يخبره [أن محمداًﷺ] قام بالأبطح غدوةً، فقال: أنا رسول الله أدعوكم إلى الله...)[٤].

---

(١) المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٢) د. علي صادق أبو هيف ، **القانون الدبلوماسي** ، [مرجع سابق] ص١٧.

(٣) غانم جواد رضا ، **الرسائل الفنية** ، [مرجع سابق] ص٤٣ .

(٤) المرجع السابق .

وكذلك رسالة حاطب بن أبي بلتعة ﷺ إلى أهل مكة[١]، يخبرهم فيها بغزو رسول الله ﷺ لهم وعزمه على ذلك، وقد بعث تلك الرسالة مع سارة، وهي مولاة لبني عبدالمطلب، فأطلع الله رسوله ﷺ على ذلك، فأنفذ إليها علياً والزبير رضي الله عنهما، فأخرجا تلك الرسالة من قرن رأسها[٢].

ب- رسائل موضوعها طلب المساعدة والنجدة: وكان هذا المجال من مستلزمات ذلك العصر القائم على العصبية القبلية، وتقديم يد العون للمستغيث، ولعل من أشهر تلك المراسلات ما كتبه قصي بن كلاب -في مكة- إلى أخيه من أمه رزاح- في الشام- يدعوه فيها لنصرته، بعد أن اصطدم مع خزاعة وبني بكر، ونازعهم السيادة على مكة[٣].

ج- رسائل لتوجيه العمال وأصحاب الولايات داخل الدولة أو (الوحدة القبلية) الواحدة ، ومثال ذلك: رسالة عمرو بن هند إلى عامله على البحرين في شأن طرفة بن العبد وخاله المتلمس [٤].

---

(١) هذه الرسالة استخدمت في أحد المجالات التي استخدمت فيها الرسائل في العصر الجاهلي ، ويمكن الاستشهاد بها لقرب العهد، ولكونها أوثق من غيرها سنداً .

(٢) انظر : البخاري، **صحيح البخاري**، [مرجع سابق] (كتاب الجهاد- باب : الجاسوس) [ك٦٠- ب١٣٩ - ح٢٨٤٥] (١٠٩٥/٣). وانظر القصة بتمامها:الإمام ابن كثير، **البداية والنهاية**، [مرجع سابق] (٢٨٤/٤).

(٣) غانم جواد رضا ، **الرسائل الفنية** ، [مرجع سابق] ص٤٥ .

(٤) انظر قصة هذه الرسالة في هامش ص ١٩٧ من هذا البحث ، وانظر : ابن منظور ، **لسان العرب**، [مرجع سابق] مادة صحف ، (١٨٦/٩) .

د- رسائل للتزكيـة أو التعريـف: مثـل رسـالة أم سـلمة رضـي ا لله عنهـا إلى أهلها في مكة، التي بعثتها مع أهل المدينة حين كذبوها في قولها: إنهـا ابنـة أمية بن المغيرة، وبعد أن أوصلوا رسالتها إلى أهلها، صدّقها أهل المدينـة في دعواها[1].

هـ -كتـب العهـود والمواثيـق: عاشـت البـلاد العربيـة في الجاهليـة حالـة مـن الفوضى واختلال الأمـن، وكـان لا بـد مـن تخفيـف حـدة تلـك الفوضـى الأمنية ، وحماية القوافل التجارية بكتابة صحف أو رسائل هي عبـارة عـن أحلاف أو معاهدات تمكـن القافلـة الـتي تحملهـا مـن الدخـول في المنـاطق الخاضعة تحت سيطرة القبائل الأخرى، بل وممارسة التجارة فيها.

وقد كان من أهم أسباب القوة الاقتصادية الـتي تحققـت لقريـش حرصهـم على عقد تلك المعاهدات مع القبائل العربية، بل ومع الدول المجاورة، وقد برز في ذلك أبناء عبد مناف، فعقد هاشم عقداً مع الإمبراطوريـة الرومانيـة وأمـير غسان، يمكّن قوافله من الدخول في الشام وممارسة التجارة، وعقد عبد شمـس معاهدة تجارية مع النجاشي، وعقد نوفل والمطلب معـاهدة تجاريـة مـع فـارس ومع الحميريين في اليمن[2]، إلى جانب العديد من العهود والمواثيق مع القبـائل داخل الجزيرة العربية.

---

(١) غانم جواد رضا ، **الرسائل الفنية** ، [مرجع سابق] ص٤٤ .

(٢) انظر : د. نواف بن صالح الحليبي، **رحلة الشتاء والصيف قريش ومنهجها التجاري والاقتصادي**، [الرياض- توزيع وزارة الإعلام - ط١ - ١٤١٤هـ] ص١٥٩.

وفي صدر الإسلام:

قامت دولة عظيمة يقودها المعصوم ﷺ بسياسته الحكيمة، المستضيئة بنور الوحي، فكانت تلك الدولة تمثّل نقلة حضارية هائلة على جميع المحاور، ومن بينها جانب الإدارة والتنظيم والدعوة والجهاد، وكانت وسيلة المراسلات والكتب من أبرز الملامح التي ظهرت في هذا الكيان الشرعي الجديد، حيث استخدمت المراسلات لعدة أغراض[(1)]، منها:

١- الدعوة إلى الله تعالى .

٢- رسائل التشريع وبيان الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات.

٣- رسائل المعاهدات والصلح وضبط العلاقات مع الدول والكيانات الأخرى.

٤- رسائل المنح والأُعطيات وتوزيع الغنائم.

٥- رسائل لتوجيه العمال في النواحي الإدارية والتنظيمية.

ثم توسع الخلفاء الراشدون ومن بعدهم في استخدام الرسائل، حتى أُحدث ديوان خاص للمكاتبات والرسائل، يمكّن الخلفاء من إحكام السيطرة على ممالكهم المترامية الأطراف، ومعرفة أحوالها، وتسيير دفة الحكم فيها، والقيام بواجب الدعوة إلى الله وتبليغ الدعوة ونشرها[(2)].

ومن الأغراض التي استجدت واستخدمت في عصر الخلفاء الراشدين :

---

(١) سبق الحديث عن هذه الأغراض وذكر الشواهد على كل غرض وذلك في مبحث (مشروعية الرسائل) انظر ص ٢٠٢-٢٠٣ من هذا البحث .

(٢) انظر هامش (ص ٢٠٤-٢٠٥) من هذا البحث .

٦- الرسائل الحربية:

حيث استخدمت الرسائل فيها حلقة للوصل بين الخليفـة وقـادة الجيـوش، وأحياناً لربط أمراء الإخبار بعضهم ببعض في ســاحات المعـارك ، وأحيانـاً لنصح العدو وتحذيره، ومن ذلك ما كتبه الصديـق ﷺ في حـروب الـردة حين عقد الألوية وجهز البعوث، حيث كتب لكل أمير كتاباً، وكتـب إلى جميع المرتدين نسخة واحــدة يـأمرهم بمراجعـة الإسـلام ويحذرهـم، وسـيّر الكتب إليهم مع رسله [1].

ويدخل ضمن الرسائل الحربية: (رسائل الاسـتنفار -رسـائل توليـة القـادة وأمـراء الأجنـاد وعزلهـم- رسـائل الوصايـا والتوجيـه في الأمـور العسـكرية- رسائل الاستنجاد وطلب الإمدادات العسكرية)[2].

٧- الرسائل السياسية:

وهي الرسائل التي تتضمـن مناقشـة سياسـة الخليفـة الداخليـة والخارجيـة ، وسياسة الولاة والعمال، وقد بدأت تتضح ملامح هذا اللون مـن الرسـائل في أواخر العصر الراشدي، ومن ذلك ما ذكره البلاذري تعقيباً على شيوع هــذه الرسائل السياسية؛ حيث قال: (ولما كانت سنة أربـع وثلاثـين، كتـب بعـض أصحاب رسول ا لله ﷺ إلى بعض، يتشاكون سيرة عثمـان رضـي ا لله عنهـم

(١) انظر : ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، [مرجع سابق] (٣٢٠/٦) ، وابـن الأثـير ، **الكـامل في التاريخ** ، [مصر - إدارة الطباعة المنيرية ، ١٣٤٩هـ] (٢٣٤/٢) .

(٢) انظر الشواهد على كل غرض من هذه الأغراض :غانم جواد رضا ،**الرســائل الفنيـة** ،[مرجـع سابق]ص٨٧ - ١٠٢

وتغييره وتبديله ..)[١].

وتتضمن الرسائل السياسية: (ما يكون بين الخليفة وعماله، وما يكون بين العمال أنفسهم، وما يكون بين الرعية والخليفة في هذا الشأن).

٨- رسائل وصف الأمصار وغيرها :

بدأت تتضح ملامح هذا الغرض في العصر الراشدي، نتيجةً للفتوحات الإسلامية الواسعة، واستيطان المسلمين في تلك الأمصار النائية ، حيث اقتضت شؤون الإدارة والحكم أن يتم تكليف العمال والولاة في تلك الأصقاع بإعداد التقارير وتهيئة السجلات الجغرافية لوصف هذه الأمصار الجديدة وبيان خططها وأحوالها ليتمكن الخليفة بعد ذلك من تنظيم شؤونها[٢].

ولعل من رسائل الوصف المشهورة ما كتبه عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى الخليفة عمر رضي الله عنه يصف له البحر وراكبه، وكان الخليفة قد كتب إليه أن يصفه له فكتب إليه: (... إني رأيت خلقاً كبيراً، يركبه خلق صغير، إن رَكَدَ خرق القلوب، وإن تحرّك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، وهم فيهِ كَدُودٍ على عود، إن مال غرِق، وإن نجا برق ...)[٣].

---

(١) انظر: أحمد بن تركي البلاذري ، **أنساب الأشراف**، [مصر- دار المعارف- ١٩٥٩م] (٥/٦٠).

(٢) انظر : غانم جواد رضا، **الرسائل الفنية**، [مرجع سابق] ص١١٨ - ١٢٢.

(٣) الذهبي ، **تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام** ،[مصر- مطبعة دار السعادة- ط١- ١٣٦٧هـ](٨١/٢).

٩- الرسائل الإدارية :

وهي الرسائل المتعلقة بأسس الإدارة، ونظم القضاء، وشؤون السياسة الداخلية للدولة، وقد دعت الضرورة إلى نشوء هذا الغرض في العصر الراشدي، نتيجة اتساع رقعة الدولة الإسلامية والحاجة إلى الحزم والدقة في إدارة تلك الأمصار، والإشراف على ضبط شؤونها المالية والتنظيمية، ومتابعة سياسة العمال، ومن ذلك ما كان يكتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عامله على مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه، يرشده إلى كيفية إدارة شؤون البلاد ومعاملة الرعية، حيث كتب إليه في إحدى رسائله قائلاً: (كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك)[1].

وفي الإدارة المالية كتب علي رضي الله عنه إلى أمراء الخراج يقول: [... ولا تعذبوا خلق الله ولا تكلفوهم فوق طاقتهم، وأنصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجهم فإنكم خزان الرعية... ولا تأخذوا واحداً بأحد إلا كفيلاً عمن كفل عنه، وأجبروا أنفسكم على ما فيه الاغتباط، وإياكم وتأخير العمل ورفع الخبر ...][2].

وفي مجال القضاء كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عندما ولّاه قضاء الكوفة :[... أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنةٌ متّبعة، ... آس

---

(١) انظر: ابن عبد ربه الأنلسي، **العقد الفريد**، [لبنان -دار الكتاب العربي- ط١- ١٤١١هـ] (١٩٦/٤).

(٢) أبو الفضل المنقري ، **وقعة صفين** ، [مصر - مطبعة المدني - ط٢ - ١٣٨٢هـ] ص١٠٨ .

في الناس بين وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر...][1].

١٠- الرسائل الإخوانية[2]:

وقد شاعت هذه الرسائل في العصر الراشدي، حيث كان الناس يتبادلونها لأغراض شخصية مختلفة ، كالتوجيه والنصح والتعازي والتهنئة والاستغاثة، والاعتذار، والطلب، والشكر، والعتاب، والشكوى[3]، وغيرها من الأغراض ذات الطابع الشخصي.

ومن ذلك ما كتبه عمر لابنه عبدالله في غيبة غابها حيث قال: (.. أما بعد، فإن من اتقى الله وقاه، ومن اتكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده...)[4].

وكتب علي رضي الله عنه لابنه الحسن رضي الله عنه: (... أما بعد ، يابني .. كتبت إليك كتابي هذا يا بني[5]، مستظهراً به إن أنا بقيت لك أو فنيت، فإني موصيك

(١) ابن قيم الجوزية ، **أعلام الموقعين عن رب العالمين** ، [بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ـ ب ت] (٩١/١)

(٢) وتسمى أيضاً الرسائل الأهلية ، (وهي مادارت بين الأقارب والأصحاب وأسفرت عن سرائر الفؤاد بعيداً عن التكلف والصنعة)، انظر : أحمد الهاشمي، **جواهر الأدب**، [بيروت- مؤسسة المعارف- ب ت] (٤٥/١) .وهي التي يمكن أن تنطبق الآن على مسمى الرسائل الشخصيّة .

(٣) انظر : المرجع السابق (١/ص٤٥ ـ ١٦٠)

(٤) ابن عبد ربه الأندلسي ، **العقد الفريد** ، [مرجع سابق] (١٥٠/٣) .

(٥) وردت العبارة هكذا ؛ بتكرار كلمة (يابني) .

بتقوى الله وعمارة قلبك بذكره ..)[١]، وهذا الغرض وإن كان قد شاع استعماله في عهد الراشدين، إلا أنه كان موجوداً قبل ذلك، حيث نقل لنا التاريخ رسالة إخوانية بعثها النبي ﷺ إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه يعزيه في ابن له مات، جاء فيها (.. فعظّم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر..)[٢].

١١- الرسائل التاريخية:

وهو غرض جديد من أغراض الرسائل، لم ينشأ إلا في العصر الأموي، حيث وظّفت فيه الرسالة لتدوين الحقائق التاريخية، وكان الدافع من وراء ذلك حرص الخلفاء والأمراء على التماس العبرة في أخبار الماضين، ومن ذلك ما كان يكتبه عروة بن الزبير -رحمه الله- (ت ٩٤هـ) حين يطلب منه عبدالملك بن مروان أن يوافيه بتفصيل بعض الوقائع والأحداث، فكان عروة يقوم بتسجيل هذه الوقائع والأحداث في رسائل يبعث بها تِباعاً إلى الخليفة في دمشق، وقد أورد ابن إسحاق والواقدي والطبري كثيراً من تلك الرسائل، خاصةً ما يتعلق منها بسيرة النبي ﷺ[٣].

(١) انظر : المرجع السابق (١٥١/٣) .

(٢) انظر : تحقيق نسبة هذه الرسالة إلى النبي ﷺ : د. جابر قميحة ، **أدب الرسائل في صدر الإسلام** ، [مرجع سابق] ص١٠٤، حيث رجّح صحة نسبتها إليه ﷺ ،وذكر بعض الأدلة على ذلك .

(٣) انظر : د. محمد فتوح أحمد ، **النثر الكتابي في العصر الأموي** ، [مرجع سابق] ص٥١ .

١٢- رسائل الفتيا:

وهي الرسائل التي تتطرق إلى بيان الحكم الشرعي لبعض الأحوال والوقائع، التي ربما لم يرد فيها نص صريح من الكتاب والسنة ، فكان المستفتي يرسل بالمسألة إلى أهل العلم والفتيا فيأتيه الجواب عبر رسالة مكتوبة.

ومن ذلك ما كتبه عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- لواليه بالكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في شأن من يسلمون من نصارى الحيرة ويهودها ومجوسها، وهل تؤخذ منهم الجزية، كحالهم فيما سبق إسلامهم، أو تسقط عنهم وتؤخذ منهم الصدقات، كما تؤخذ من أي مسلم؟ فكان فيما كتب عمر بن عبدالعزيز جواباً على ذلك: [.. وإن الله جلّ ثناؤه بعث محمداً ﷺ داعياً إلى الإسلام، ولم يبعثه جابياً، فمن أسلم من أهل تلك الملل، فعليه في ماله الصدقة، ولا جزية عليه ..](١).

١٣- الرسائل العلمية:

وهي مراسلات كتبت في مطالب علميّة ، وإنما سميت رسائل من جهة أنّ أصحابها كانوا يرسلونها إلى من اقترحها عليهم(٢)، ولم يظهر هذا الغرض من أغراض الرسائل بوضوح إلا في وقت متأخر، ومن نماذجه الناضجة -وإن كانت متأخرة جداً- رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت٧٢٨هـ) التي كان يرسلها جواباً لمن سأله من أهل الأمصار، كرسالة العقيدة الواسطية، التي كتبها الإمام جواباً على رسالة أحد قضاة واسط حين

---

(١) انظر: د. محمد فتوح أحمد ، **النثر الكتابي في العصر الأموي** ، [مرجع سابق] ص٥٥ ـ ٥٦، وانظر : ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، [مرجع سابق] (١٩٧/٩) .

(٢) انظر : السيد أحمد الهاشمي ، **جواهر الأدب** ، [مرجع سابق] (٢٢٢/١) .

أرسل يطلب من الإمام -رحمه الله- أن يكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته[١]، ومثلها رسالته الحموية، والتدمرية، والمدنية ، وغيرها من رسائله[٢] رحمه الله.

ولقد استَخدَمتْ بعض الفرق والمذاهب وسيلة الرسائل، لتكون طريقة للتأصيل العلمي لأفكارهم ومعتقداتهم ؛ مثلما نجده في (رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا)[٣]، وهي اثنتان وخمسون رسالة علمّية فلسفيّة كتبتها عصابة من (الإخوان) الذين أنشأوا حركتهم في البصرة في عهد الخليفة المأمون، وتعمدوا إخفاء أسمائهم عن عامة الناس، خوفاً على حياتهم المهددة بالخطر من قِبَل أصحاب السلطة، حيث تضمنت رسائلهم العديد من الفلسفات المنحرفة، والأفكار الضالّة[٤]، التي وضعت البذور لنشأة الفلسفة الإسماعيلية[٥]، بما تحمل من انحرافات وضلالات.

---

(١) جمع : عبدالرحمن بن قاسم، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، [الرياض- عالم الكتب- ١٤١٢هـ] (١٢٩/٣) .

(٢) المرجع السابق ، (المقدمة ـ صفحة [م]).

(٣) انظر : د. مصطفى غالب، **في سبيل موسوعة فلسفية (إخوان الصفا وخلان الوفا)**، [بيروت- مكتبة الهلال ١٩٧٩] ص٥- ٣٧.

(٤) انظر الرد على كثير من هذه الأفكار في ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (**الرد على المنطقيين**) وفي المجلد الثاني من مجموع الفتاوى.

(٥) **الإسماعيلية** : فرقة باطنية انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق ، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، ومن أفكارهم أنهم يعتقدون بضرورة وجود إمام معصوم من نسل محمد بن إسماعيل ، ولهذا الإمام صفات ترفعه إلى ما يشبه الألوهية، ويخصونه بعلم الباطن ، ويدفعون له الخمس ، ويؤمنون بالتقيّة وتناسخ الأرواح ، وينكرون صفات الله عز وجل ، ويدّعون أنه لم يخلق العالم خلقاً مباشراً، بل بواسطة العقل الكلي، وهو (الحجاب) الذي حلّ في أئمتهم المستورين، وأما في السلوكيات، فيقول الإمام الغزالي: (المنقول عنهم الإباحة المطلقة، ورفع الحجاب، واستباحة المحظورات، واستحلالها، وإنكار الشرائع) انظر : **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، [إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي- الرياض- الندوة العالمية للشباب الإسلامي- ط١- ١٤٠٩هـ] ص٤٩-٥٠.

ومن نماذج رسائلهم ما كتبوه في الرسالة الجامعة: (اعلم أيها الأخ -أيّدك الله وإيانا بروح منه- أن الباري عزّ اسمه لما خلق هذا العالم على هذه الهيئة الشريفة....)[1].

ب- مجالات الرسالة في العصر الحاضر :

لعل من أبرز معطيات هذا العصر الحديث؛ تلك الثورة التقنية الهائلة والتقدم الحضاري المذهل في كافّة المجالات، وعلى رأسها مجالات الاتصال وتقنية نقل المعلومات، التي تطورت بشكل سريع ومذهل، وأصبحت ذات تأثير بالغ على توجهات الأمم والشعوب، مما حدى ببعض الكُتّاب أن يسمي هذا العصر (بعصر الإنسان الاتصالي) بكل ما تحمله اللفظة من دلالات[2].

وقد كان من المتوقع -في ظل هذا التطور الهائل لوسائل الاتصال- أن يتراجع دور وسيلة المراسلة في هذا العصر الحديث، لوجود بدائل أكثر منها سرعة، وأوسع إمكانات؛ إلا أن من العجيب والملفت للانتباه أن تحتفظ المراسلة بمكانتها السامية، بل وتنال المزيد من الاهتمام، وتسخّر إمكانات التقنية الحديثة لترسيخ مكانتها؛ وتيسير تداولها ووصولها إلى المُستقبِل بكل دقّة

---

(١) انظر : د. مصطفى غالب ، **في سبيل موسوعة فلسفية (إخوان الصفا وخلان الوفا)**، [مرجع سابق] ص٣٧ .

(٢) انظر : د. عبدالله الطويرقي ، **علم الاتصال المعاصر**، [الرياض- مطابع الفرزدق التجارية- ط٢ - ١٤١٣هـ] ص٩ ، وكذلك : ترجمة د. عمر الخطيب لكتاب: **الاتصال الجماهيري**، [بيروت- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- ط١- ١٩٨٧م] ص٢٦.

وأمان، وبأكبر سرعة ممكنة [١].

ومع التقدم الحضاري الكبير في جميع المجالات الإدارية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ... ظهرت أغراض جديدة للمراسلة الحديثة، تلبيةً للاحتياجات المستجدة والمتزايدة يوماً بعد يوم.

فبالإضافة إلى الأغراض القديمة للمراسلة التي ذكرت آنفاً، والتي ما زال أكثرها مستخدماً إلى اليوم ؛يلاحظ أن هناك أغراضاً جديدة للمراسلة تميّز بها هذا العصر عن العصر السابق.

وقد جاءت هذه الأغراض موزّعة على ثلاثة مجالات رئيسة، هي: المجال الحكومي، والمجال التجاري، ومجال المراسلات الشخصيّة[٢]، التي كانت تسمى الأهلية أو الإخوانية.

أولاً: أغراض المراسلات الحكومية (في العصر الحاضر):

إن الخصائص الهامة التي ميزت وسيلة المراسلة عن غيرها من وسائل الاتصال[٣]، جعلت هذه الوسيلة تزداد أهمية في العصر الحديث ، وخاصة في

---

(١) تقوم أكثر الدول بإنشاء دوائر حكومية مستقلة، مهمتها الأساسية العناية بشؤون البريد ونقل الرسائل ، وتمت صياغة اتفاقيات دولية، هدفها وضع الأنظمة العامة لخدمة البريد وحمايته ، واستخدمت وسائل ميكانيكية متطورة تساعد على السرعة والدقة في الخدمة البريدية ، مثل نظام الفرز الآلي المستخدم في المملكة العربية السعودية، وهو نظام يعتمد على ماكينات أتوماتيكية تستطيع الواحدة منها فرز ٣٠٠٠٠رسالة في الساعة الواحدة، انظر : كتيب دليل الرمز البريدي الصادر عن وزارة البرق والبريد والهاتف بالمملكة العربية السعودية، ص٣.

(٢) سوف يتبين أن بعض أغراض الرسائل الحكومية والتجارية تدخل ضمن أغراض الرسائل الشخصيّة، وسيأتي بيان ذلك عند الحديث عن: أغراض المراسلات الشخصيّة (في العصر الحاضر).

(٣) انظر خصائص وسيلة المراسلة ص ٢٠٦ وما بعدها من هذا البحث .

المجال الحكومي، الذي تتطلب عملية الاتصال فيه أن تكون على جانب كبير من الدقة والأمانة، دون أن تتعرض لحذف أو تغيير من قِبل الوسيط الناقل للرسالة.

وقد احتفظت المراسلة بمكانتها السامية في المجال الحكومي، فما زالت هي الوسيلة الرسمية للاتصال بين الدول، وداخل كل دولة بين دوائرها الحكومية، وبين كل دائرة حكومية ومن له علاقة بها من موظفين أو مؤسسات أو أفراد.

- ومن أغراض المراسلات الحكومية[(١)] اليوم:

١- الرسائل الدبلوماسية: وتتعلق بتوجيه العلاقات الدولية بين الدول[(٢)].

٢- رسائل البلاغات: وتتعلق بالتوجيهات التي تصدر عن رئاسة مجلس الوزراء حول موضوع عام يتعلق بوزارات وإدارات الدولة[(٣)].

٣- رسائل التعاميم: وهي توجيهات خاصة تقوم بإصدارها إدارة معينة إلى دوائرها ومؤسساتها، بقصد توحيد الإجراءات اللازمة في موضوع معين،

---

(١) قد يكون هناك تشابه أو ربما تداخل بين بعض الأغراض التي سيرد ذكرها، بسبب وجود بعض الاختلافات بين أنظمة الدول، بل وبين أنظمة الإدارات المختلفة داخل الدولة الواحدة، والمقصود هنا هو التعريف الموجز بهذه الأغراض على اختلاف مسمياتها، كما وردت في كتب الإدارة دون الخوض في شرحها، أو تقييمها، أو عقد المقارنات بينها.

(٢) انظر: علي محمد مقبول، (بحث) آثار **الحرب على التمثيل الخارجي**، [مرجع سابق] ص١٠٢.

(٣) لرسائل البلاغات الحكومية صفات وشروط شكلية وموضوعية، لا يتسع المقام لذكرها، انظر مزيداً من التفاصيل: أحمد أبو الرب، **المراسلات التجارية والحكومية**، [مرجع سابق] ص ٢٤٧- ٢١٥.

أو اتباع طريقة معينة من أجل تنظيم سير العمل في الإدارة بشكل سليم[١].

٤- رسائل المذكرات والمطالعات:

والمذكرة هي عبارة عن طرح فكرة مستحدثة، أو موضوع جديد، أو اقتراح مقيد يدرج على بساط البحث للدراسة.

وأما المطالعة: فتتم بناءً على تكليف من الرئيس الإداري لأحد الموظفين (وأحياناً بدون تكليف)، والهدف من المطالعة هو إجراء دراسة لموضوع معين ووضع الاقتراحات اللازمة بشأنه، والكفيلة بتنفيذه، استناداً إلى الحجج والبراهين والأنظمة المعتمدة [٢].

٥ - رسائل التقارير: وهي شبيهة -من حيث المضمون- برسائل المذكرات والمطالعات، حيث يتم فيها تكليف موظف مختص لدراسة قضية معينة، وتقديم اقتراحات حول الموضوع؛ إلا أنها لا تنحصر فقط في المواضيع الإدارية البحتة فحسب، بل تتعداها إلى مواضيع أخرى، وتشمل رسائل التقارير عدّة أغراض؛ إذ يدخل فيها : التقارير الإدارية والمالية والفنية والتفتيشية (تقارير الرقابة)، إضافة إلى التقارير الأخرى (كالتقارير السياسية والصحفية والتجارية ..) التي تتعلق بالعمل الإداري الحكومي[٣].

---

(١) لإصدار التعاميم الحكومية ينبغي التقيد بعدّة إجراءات نظامية ومحددة ،انظر :المرجع السابق ص٢٥٢ - ٢٥٣

(٢) ولهذا النوع من الرسائل أسسه الخاصة به، انظر: المرجع السابق.

(٣) يتم إعداد رسائل التقارير باتباع عدة خطوات وفق مخطط محدد ، انظر : أحمد أبوالرب ، **المراسلات التجارية والحكومية** ،[مرجع سابق] ص٢٥٦ - ٢٥٧

٦- رسائل المقررات الإدارية : وهي المتضمنة لمقررات يصدرها صاحب السلطة الإدارية، لتوجيه الدائرة العامة، وذلك بغرض إحداث أثر حقوقي. والأثر الحقوقي إما أن يكون وضع قواعد جديدة بنظام جديد وهو ما يعرف بالقرار التنظيمي، وإما أن يكون متعلقاً بشخص معين، كتعيين موظف أو ترفيعه .. وهو ما يعرف بالقرار العادي، ويدخل في المقررات الإدارية كل من (القرارات الإدارية [١]، والأوامر الإدارية (التعليمات)[٢])[٣].

٧- رسائل المراسيم (الأنظمة): وهي الصكوك الصادرة عن الديوان الملكي (في الأنظمة الملكية) أو عن رئيس الجمهورية (في الأنظمة الجمهورية)، وذلك وفقاً لأحكام القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية. والمراسيم والأنظمة نوعان: فهي إما أن تكون أنظمة عادية تتعلق بأفراد؛ مثل تعيين كبار موظفي الدولة أو إنهاء خدمتهم، وإما أنظمة تنظيمية: تصدر

---

(١) القرارات الإدارية : هي قرارات تصدرها السلطة العامة من أجل خدمة الصالح العام ، وهي إما قرارات إدارية عادية وتكون عادة خاصة بشخص معين، كتعيين موظف أو ترفيعه أو نقله وإما أن تكون قرارات إدارية تنظيمية، تتعلق بوضع قواعد جديدة في الأنظمة المطبقة بإدارات الدولة ، انظر : المرجع السابق ص٢٦٢ .

(٢) الأوامر الإدارية : هي أوامر تنفيذية يصدرها الرؤساء الإداريون في الوزارات إلى الإدارات الأخرى في الدولة، بقصد تطبيقها تبعاً لمقتضيات خاصة بصالح العمل ، انظر المرجع السابق ص٢٦٠ .

(٣) تحدث علماء الإدارة عن كيفية تنظيم وإصدار هذه المقررات الإدارية وأنواعها، وكيفية صياغتها ، انظر المرجع السابق ص٢٥٨ - ٢٦٨ .

بموجبها أحكامٌ عامّة تلتزم إدارات الدولة ومؤسساتها بتنفيذها[١].

٨- رسائل تنظيم مشاريع القوانين : وهي رســائل تتضمــن إعـداد مشـاريع قوانين (مقترحة)، تتولى إعدادها السلطة التنفيذية، ثــم ترفعهـا إلى السـلطة التشريعية بقصد الحصول على الموافقة وإقرار هذه المشاريع[٢].

ثانياً: أغراض المراسلات التجارية (في العصر الحاضر) :

في الماضي، لم تكن الحاجة ماسّة إلى المراسلات التجارية -باستثناء رســائل تأمين القوافل بين مناطق القبائل المختلفة - حيث كانت المعـاملات التجاريـة ضيقة النطـاق، وكـان العمـلاء قلّـة، بحيـث يمكـن الاكتفـاء معهـم بالاتصـال الشخصي، لقربهم وقلتهم.

واليوم اتســعت حركـة التبـادل التجـاري علـى الصعيديـن المحلـي والعـالمي وتنوعت، وازدادت تعقيداً وتشعباً، مما جعل وسيلة (المراسلات التجارية) أمراً حتمياً لا غنى عنــه؛ وقـد أكـب أربـاب المـال وأسـاطين التجـارة علـى هـذه الوسيلة؛ حيث وجـدوا فيهـا بغيتهـم ، إذ مـن فوائدهـا أنهـا: (توفـر الوقـت والجهد، وتقلل التكاليف وتزيد الأربـاح، وتسـهل عمليـة التبـادل التجـاري،

---

(١) تنظيم المرسوم ـ من حيث الشكل ـ له طريقة موحدة وفقاً للأنظمة الصاددة عن رئاسة مجلـس الوزراء ويتم إعداد مشروع إصدار المرسوم من خلال عدة إجراءات تنظيمية ..انظـر : المرجـع السابق ص ٢٦٩ ـ ٢٧٥ .

(٢) وتنقسم القوانين إلى قسمين : فهي إما قوانين ثابتة وهي التشريعات التي تصدرها السلطة العليا (الملك أو رئيس الجمهورية) بناءً على أحكام الدستور ، وإما قوانين مؤقتة : وهي القوانين الـتي تصدرها السلطة العليا وفقاً لأحكام الدستور ، وتسمى أحياناً مراسيم تشريعية ، انظـر المرجـع السابق ص٢٧٦ .

وتحقق علاقات طيبة مع العملاء والتجار الآخرين، وهي وسيلة إعلانية جيدة وغير مكلفة، كما أنها وثيقة رسمية، لها أثرها ووزنها في حل المنازعات أمام القضاء ...)[١].

ومن الأغراض الحديثة للمراسلات التجارية[٢] ما يلي:

١- الرسائل الدوّارة[٣]: وهي نشرات تجارية تصدرها المؤسسات التجارية في ظروف معينة، بقصد اطّلاع الجمهور على أمر معين، أو بقصد الدعاية والإعلان، ومن أغراضها اطلاع المرسل إليه بـ (تأسيس محل تجاري أو صناعي جديد، أو إطلاعه على أسماء المؤسسين والمفوضين بالتوقيع، أو إخباره بانضمام شريك جديد، أو انسحاب أحد الشركاء، أو إقالة مدير وتعيين غيره، أو حل الشركة وتصفيتها، أو وصول بضائع جديدة...).

٢- رسائل الاستفسار: والغرض منها أن يستفسر التاجر عن أشخاص أو محلات تجارية أو صناعية (من حيث مدى الثقة في التعامل معها، أو نحو

---

(١) انظر: أحمد أبوالرب، **المراسلات التجارية والحكومية**، [مرجع سابق] ص٣.

(٢) أفاض المتخصّصون في علم إدارة الأعمال التجارية في ذكر ضوابط كل غرض من أغراض المراسلات التجارية، وذكروا أمثلة ونماذج تفصيلية لكل غرض، وليس هذا مقام بسطها والتفصيل فيها، وللاستزادة، انظر: أحمد أبو الرب، **المراسلات التجارية والحكومية**، [مرجع سابق] (ص١٣٢) وما بعدها، وعبدالحميد بسام وناصف عبدالخالق، **المراسلات العربية في دوائر الأعمال**، [الكويت- دار الكتب- ب ت] (ص٣٥) وما بعدها.

(٣) أحمد أبو الرب، **المراسلات التجارية والحكومية**، [مرجع سابق] ص١٣٢.

ذلك)، ويكون موجهاً عـادةً إلى مؤسسـات ذات صبغـة عامـة، كـالغرف التجارية والصناعيـة، أو البنـوك، أو تجـار لديهـم معلومـات عـن موضـوع الاستفسار، وقد يكون غرض الرسالة هو الاستفسار عن مصادر البضاعـة وعنـاوين المصدّريـن، فيوجهـه إلى الغـرف التجاريـة والصناعيـة أو الملحـق التجاري في سفارةٍ ما، أو إلى تاجر لديه إلمام، وقد يكون الاستفســار عـن نوع بضاعة معينة وثمنها، بغرض شرائها فيوجه لمصدر البضاعة نفسه.

٣- رسائل الرد على استفسار: والغرض منها الإجابة على رسائل الاستفسار الواردة، مع الحرص على توطيد الصلة مع الجهة المرسلة، سـواءً كـان الـرد إيجابياً أو سلبياً أو محايداً، وينبغي الحرص علـى الدقـة في صياغـة الرسـالة، لأنها ستكون مُلزِمة لكاتبها [(١)].

٤- رسائل العـرض: وهـي نـوع مـن الدعايـة القويـة، يقـوم فيهـا أصحـاب المصانع والموردون بإرسال رسائل للمشترين والمستهلكين، عارضين عليهم بضائعهم بصورة جذابة، وتتميز رسالة العرض بخصوصيتهـا، وقـوة وقعهـا في نفس المرسل إليه مما يزيد من تفاعله ورغبته في الشراء[(٢)].

٥- رسائل طلب البضاعة: وهي غالبـاً مـا تكـون رداً علـى رسـالة العـرض، فبعد أن يقرر المشتري شراء بضاعة معينة، فإنه يكتب رسالة طلب، يطلب

---

(١) انظر مزيداً من التفاصيل عن رسائل الاستفســار والـرد علـى الاستفســار : عبدالحميـد بسـام وناصف عبدالخالق ، **المراسلات العربية في دوائر الأعمال**، [مرجع سابق] ص٣٥، وأحمد أبـو الرب، **المراسلات التجارية والحكومية**، [مرجع سابق] ص١٣٧.

(٢) انظر : المرجعين السابقين ، عبدالحميد بسام ، ص٣٥ ، وأحمد أبو الرب ، ص١٥٠.

فيها نوع البضاعة التي يريد وكميتها، مشيراً إلى تاريخ رسالة العرض التي وصلته، والتي عليها بنى قرار الشراء[١].

٦- رسائل تنفيذ الطلب: وهي أن يقوم البائع بإرسال رسالة إلى المشتري (مع البضاعة) يثبت فيها شحن البضاعة، ويرفق بها الفواتير الخاصة بها، مبيناً الأسعار والكميات التي تمّ شحنها وشروط الدفع، وتكاليف نقل البضاعة (حسب الاتفاق)، وغالباً ما يقوم سائق السيارة بتوصيل الرسالة للمشتري مع البضاعة[٢].

٧- رسائل الشكوى والتذمّر: وتستخدم في حالات، أهمها: (الشكوى من زيادة الأسعار، أو وجود نقص أو تلف في البضاعة، أو عدم مطابقة البضاعة للشروط المتفق عليها، أو عدم وصول البضاعة في الوقت المتفق عليه)، وينبغي مراعاة اللباقة في صياغتها، وعدم اللجوء إلى القوة، إلا في حالة التأكد من عدم التجاوب وعدم الرغبة في إزالة موجب الشكوى[٣].

٨- رسائل تسديد الحساب: ويضطر إليها التاجر في الحالات التي لا يقوم فيها المشتري بتسديد دينه في الوقت المحدد، فيكتب التاجر هذه الرسائل

---

(١) يجب أن تتوفر في رسالة الطلب عدة عناصر ،وينبغي العناية بصياغتها فهي تعد وثيقة تؤكد قبول المشتري لشراء البضاعة، انظر: أحمد أبو الرب، **المراسلات التجارية والحكومية**، [مرجع سابق] ص١٥٢.

(٢) انظر : المرجع السابق ص١٥٣.

(٣) انظر : المرجع السابق ص١٥٥.

لتذكير المشتري وتنبيهه[١].

٩- البطاقة: وهي رسائل قصيرة غير مغلفة، لا يلحق المؤسسة ضرر من اطلاع الناس عليها حيث تكتب عادة على بطاقة (١٥,٥-٩,٥سم)، وتستعمل لعدة أغراض، وبالذات تلك التي يكون لدى العميل جانب من المعرفة بها، مثل (تذكير العميل بتاريخ استحقاق دين معين أو تذكيره بأن مندوب الشركة سيمر عليه في وقت معين لعرض عينات بضائع أو نحوه، أو لاستعجال إرسال بضاعة سبق أن طلبت... كما تستخدم البطاقة للتهنئة بالأعياد أو الدعوة لمناسبات اجتماعية)[٢].

١٠- رسائل الاستخدام: وهي رسائل تكتب بغرض الحصول على وظيفة شاغرة لدى مؤسسة ما. ولأسلوب صياغة هذه الرسائل أهمية كبرى في نجاحها ولها عدة عناصر ينبغي أن تشتمل عليها[٣].

١١-رسائل الاستيراد والتصدير: وهي التي يتم بموجبها إبرام عقود تجارية

---

(١) ولها عدة أنواع تبدأ بـ (الرسائل العادية)، التي تحتوي على كثير من المجاملة، ثم (الرسالة المشددة) التي تحتوي على قليل من المجاملة وكثير من الصراحة، وتستعمل عند ظهور عدم الاستجابة للرسالة الأولى، ثم (رسالة الإنذار)، ويشير فيها إلى أنه سيتخذ الإجراءات القانونية إذا لم يتم السداد خلال مدة معينة، انظر : أحمد أبو الرب، **المراسلات التجارية والحكومية**، [مرجع سابق] ص١٥٧.

(٢) ذكر أحمد أبو الرب عدة فوائد ومزايا للبطاقة، وبيّن أن لها تنسيق معين ، انظر : المرجع السابق (ص١٦١).

(٣) انظر : أحمد أبو الرب ، **المراسلات التجارية والحكومية** ، [مرجع سابق] (ص١٦٦).

بغـرض استيراد بضائع من خارج البـلاد، أو تصديرها إلى خارج البلاد[١].

١٢- رسائل التسعير: وفيها يطلب المشتري من البائع تعيين أسعار بعض البضائع المعروضة لديه، بقصد شرائها.

١٣-رسائل الاستعجال: وفيها يطلب المشتري من البائع سرعة تسليم البضاعة، وبالإمكان استخدامها لأغراض التعجيل بسداد الديون[٢].

١٤- رسائل التعديل والإلغاء : وتستخدم في حالة الرغبة في تعديل صفقة ما، أو إلغائها، مع أهمية كتابتها في وقت مبكر يمكن للبائع فيه أن يجري التعديل أو الإلغاء، كما ينبغي أن تحتوي الرسالة على مسوغات قوية[٣].

١٥-رسائل التجارة الخارجية : وهي الرسائل المتعلقة بالنشاط التجاري الذي تقوم به المؤسسة أو التاجر خارج البلاد، ويدخل فيها (رسائل الوكالة والتأشيرة والنقل ...)[٤].

---

(١) تتبع عملية الاستيراد والتصدير عدة مراحل، وتحتاج إلى كتابة عدة أشكال من الرسائل الخاصة بهذا الغرض، انظر : المرجع السابق ، (ص١٦٩- ١٨٩).

(٢) يختلف أسلوب هذه الرسائل باختلاف تطور الموقف، ويمكن ترقيمها (استعجال رقم (١)- استعجال رقم (٢) ....) انظر : أحمد البشبيشي ، **المراسلات والمحادثة والسياحة والفنادق**، [مصر- دار المعرفة الجامعية- ب ت] (ص٩).

(٣) المرجع السابق (ص٨) .

(٤) انظر : عبدالحميد بسام وناصف عبدالخالق ، **المراسلات العربية في دوائر الأعمال** ،[مرجع سابق] (ص٣٥).

وغير ذلك من الأغراض المتعـددة الـتي تسـتخدم فيهـا المراسـلات في عـالم التجـارة والمـال والأعمـال، ومـا زالـت أغـراض المراسـلات التجاريـة تتفـرع وتتطور وتتعدد بتطور النشاط التجاري وتوسعه في كـل يـوم، بـل وفي كـل لحظة في عالمنا المترامي الأطراف.

ثالثاً: أغراض المراسلات الشخصية (في العصر الحاضر):

سبق الحديث عن المراسلات الشخصيّة التي كانت تسمى الرسائل الأهليـة أوالإخوانية، وكلها مسميات متقاربة لمعنى واحد، وقد تبـين أن مـن أغـراض تلـك المراسـلات: (التوجيـه، والنصـح، والتعزيـة، والتهنئـة، والاسـتغاثة، والاعتـذار، والطلـب، والشـكر، والعتـاب، والشـكوى .....)، وغيرهـا مـن الأغراض ذات الطابع الشخصي الخاص[1].

والحقّ أن هذه الأغراض مـا زالـت هـي الأغـراض الرئيسـة الـتي تسـتخدم لأجلها المراسلات الشـخصية، إلا أن هناك أغـراضاً قديمة للمراسـلة ظهـرت في هـذا العصـــر الحديـث، بصـــورة فيهـا نـوع مـن التجديـــد، ومـــن تلـــك الأغراض:

---

(١) إن إفراد (الرسائل الشخصية) في مجال خاصّ بها لا يعني استقلالها التام بالأغراض التي ذكـرت لها ؛ بل إن هناك تداخلاً بين أغراض كل نوع مـن أنـواع الرسـائل (الحكوميـة ، والتجاريـة، والشخصية) ، وعلى سـبيل المثـال : نجـد أن بعـض أغـراض (الرسـائل الشـخصية) يمكـن أن تستخدم في مجال المراسلات الحكومية والتجارية ؛ لأننا نجد أن من أغراض المراسلات التجارية والحكومية ما يتضمن معنى النصح والتوجيه، أو التهنئة أو الدعوة أو الاحتسـاب ..... أو نحـو ذلك من الأغراض ، ومثل هذه الأغراض التي دخلت في المراسلات الحكومية والتجاريـة ؛ هـي بالأصالة من أغراض الرسائل الشخصية .

أ- رسائل الاستفتاء والأسئلة الاجتماعية والتربوية:

هي رسائل يقوم بإرسالها شخص أو أشخاص إلى العلماء والمفتين والدعاة، بغرض معرفة الحكم الشرعي أو التوجيه التربوي أو الاجتماعي في مسألة ما، وقد كان هذا الغرض موجوداً في السابق، ولكن ظهر فيه نوع من التجديد في هذا العصر، فقد ساهمت النهضة الحديثة في تنويع قنوات استقبال هذه الرسائل، والقالب الذي يتم من خلاله الرد عليها.

فعلى سبيل المثال؛ نَجِدُ في **هذه البلاد**[1] -حرسها الله- أن هناك عدة قنوات يمكن توجيه رسائل الاستفتاء إليها، والحصول منها على الفتوى الشرعية، أو التوجيهات الدعويّة والتربوية، ومن هذه الجهات:

- اللجنة الدائمة للإفتاء التابعة للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء:

يتم في هذه اللجنة استقبال رسائل الاستفتاء الخاصة بالأفراد أو الهيئات، ويتم كتابة الفتوى وإرسالها إلى الشخص نفسه أو الجهة المرسِلة على هيئة رسالة جوابية خاصّة.... إلا أنها في الغالب تنشر أيضاً في أعداد مجلة البحوث الإسلامية[2]، التي تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية

---

(١) سوف يُقْتَصَر هنا على ذكر بعض الأنشطة الدعوية التي تعتمد على المراسلة (داخل بلاد الحرمين فقط)، حيث توجد أنشطة مشابهة في البلاد الأخرى، نسأل الله أن ينفع بها ، وليس هذا مجال حصرها أو تعدادها .

(٢) مجلة البحوث الإسلامية : مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ، ـ الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء ـ وهي تصدر كل أربعة أشهر مؤقتاً .

والإفتاء[١].

إذاعة القرآن الكريم :

يمكن أيضاً إرسال الفتوى مـن خـلال الإذاعـة، حيـث يوجـد حاليـاً عـدة برامج تستقبل رسائل الاستفتاء، ويقوم أهل العلم -عبر الإذاعة- بالاستماع إلى الاستفتاء والـرد عليـه مباشـرة، ومـن تلـك الـبرامج برنـامج نـور علـى الدرب[٢] وبرنامج سؤال على الهاتف[٣].

التلفزيون السعودي:

ويمكن أيضاً إرسـال الفتـاوى والأسئلة الاجتماعيـة مـن خـلال التلفـاز، حيث يقوم العلمـاء والدعـاة بالإجابـة علـى رسـائل السـائلين، والـرد علـى استفسـاراتهم عـبر عـدة برامـج منهـا: برنـامج منكـم وإليكـم[٤]، وبرنـامج

---

(١) انظر : د. صالح بن غانم السدلان، **الأنشطة الدعويّة في المملكة العربية السعودية** [الرياض - دار بلنسية- ط الأولى ١٤١٧هـ] (ص٢٠٤) .

(٢) برنامج يومي، يجيب فيه أصحاب الفضيلة العلماء على رسائل المستمعين، المتضمنـة لأسئلتهم الدينية والاجتماعية ، البرنامج من تقديم عبـدا لله فـرح الغـامدي وعبدالكريـم صـالح المقـرن ، المرجع: هيكل البرامج الإذاعية في إذاعة القرآن الكريم ١٤١٦هـ .

(٣) برنامج يتم فيه استعراض رسائل المستمعين، المتضمنة لأسـئلتهم الدينيـة والاجتماعيـة ، بحيـث يجيب فيه أصحاب الفضيلة العلماء على تلـك الأسئلة بـأصواتهم عـبر الهـاتف، انظـر: المرجـع السابق.

(٤) برنامج تلفزيوني، يجيب فيه الشيخ عبدالعزيز المسند علـى الأسـئلة الاجتماعيـة والأسـرية الـتي يرسلها المشاهدون عبر رسائلهم للبرنامج ، ويبـث لمـدة ٢٥دقيقـة أسـبوعياً ، المرجـع : هيكـل البرامج التلفزيونية ، دورة خريف عام ١٤١٦هـ التلفزيونية .

(الإفتاء)[١]، وبرنامج قضايا وردود[٢]، وبرنامج على الهاتف[٣]، وكذلك في القناة التلفازية الثانية (الأجنبية) يتم الإجابة باللغة الإنجليزية على رسائل المشاهدين الناطقين بغير اللغة العربية عبر برنامج (قضايا وردود issues and answers)[٤].

ب- الرسائل الدعوية الخاصة:

استخدمت المراسلات الشخصية في هذا الزمان أيضاً لأغراض الدعوة إلى الأديان المختلفة. فقد نشط أعداء الإسلام من أصحاب المعتقدات الفاسدة في استغلال هذه الوسيلة، حيث أخذوا يرسلون الرسائل لأبناء المسلمين بغرض التنصير، أو اعتناق المذاهب الباطلة والمنحرفة، أو تشكيك المسلمين، في عقائدهم، وقد استغل الأعداء وسيلة المراسلة على نطاق واسع، وبتقنيات

---

(١) برنامج (الإفتاء) وهو برنامج تلفزيوني يجيب فيه الشيخ صالح بن محمد اللحيدان على استفتاءات المشاهدين التي يرسلونها للبرنامج ، ويبث لمدة ٢٠ دقيقة أسبوعياً ، المرجع السابق .

(٢) برنامج (قضايا وردود) وهو برنامج يجيب فيه د. عبدالله عبدالعزيز المصلح على رسائل المشاهدين وأسئلتهم واستفساراتهم الاجتماعية والأسرية والتربوية ، ويبث لمدة ٢٥دقيقة أسبوعياً، المرجع السابق .

(٣) برنامج (على الهاتف) يعده ويقدمه عبدالكريم صالح المقرن، حيث يستعرض فيه رسائل المشاهدين المتضمنة لأسئلتهم الدينية والاجتماعية، ويقوم بالإجابة عليها أصحاب الفضيلة أعضاء هيئة كبار العلماء بأصواتهم عبر الهاتف، ومدة البثّ خمس دقائق يومياً. المرجع السابق.

(٤) برنامج أسبوعي يعده ويقدمه الداعية د. أحمد بن سيف الدين، حيث يتولى الإجابة على رسائل المشاهدين الناطقين باللغة الإنجليزية وأسئلتهم الدينية والاجتماعية بأسلوب دعوي متّزن، ويبث لمدة ٣٠ دقيقة .المرجع السابق .

متطورة، حيـث رصـدوا الميزانيـات الضخمـة، وكلفـوا الأعـداد الكبـيرة مـن الموظفين ودعاة الباطل، ليقوموا بإرسال الرسائل لأبناء المسلمين، وينشطوا في دعوتهم إلى معتقداتهم الباطلة من خلال تلك الرسائل.

– فعلى سبيل المثال –: نجـد أن المنصريـن استـخدموا هـذه الوسـيلة علـى نطاق واسع، وأخذوا يرسلون الرسائل التنصيرية لأبناء الإسلام، ويرفقون بها كتيبـات ومطويـات تنصيريـة، مثـل كتيـب بعنـوان [لا...ديـن المسـيح لم ينسـخ][1]، بـل أبدعـوا في اسـتخدام وسـيلة المراسـلة لأغـراض أخـرى، فقـد كشف المؤتمر التنصيري الذي عقد في مدينة جلـين آيـري بولايـة كولـورادوا الأمريكية سنة ١٩٧٨م[2] عن كثـير مـن الطـرق الجديـدة الـتي حققوهـا مـن خلال وسيلة المراسلة، ومـن ذلـك: الحلقـات الدراسـية بالمراسـلة، ويتـم مـن خلالها إرسال دروس مكثفة لأبنـاء المسـلمين، هدفهـا تشـكيكهم في دينهـم، ودعوتهم للديانة المسيحية[3].

---

(١) انظر : أحمد فـون دنفـر ، **التبشـير المسـيحي في منطقـة الخليـج** ، [ضمـن سلسـلة دراسـات إسلامية تاريخية– بدون ذكر اسم البلد ودار النشر– ب ت](ص٣١).

(٢) نشرت ترجمة كاملة لأبحاث هذا المؤتمر تحت عنـوان: **التنصـير خطـة لغـزو العـالم الإسـلامي**، [الولايات المتحدة– دار marc للنشر– ١٩٧٨م].

(٣) يتم توجيه هذه الرسائل أيضاً لبنـات المسـلمين، حيـث يطـرح فيهـا مواضيـع تناسـبهن، مثـل (حقوق المرأة في الكتاب المقدس، كيف تجدين حلولاً لمشاكل أسرتك). وقد بـدأ العمـل بهـذه الوسـيلة، وهـي الحلقـات الدراسـية بالمراسـلة منـذ عـام ١٩٦٣م، انظـر: **خطـة لغـزو العـالم الإسلامي**، [مرجع سابق] ص٦٤٤.

ومن استخداماتهم للمراسلة أيضاً: عقد دورات تعليمية بالمراسلة، تسمى (دورات المراسلة الإنجيلية)، مثل دورة (رب واحد وطريق واحد)، ودورة (الرب الذي يتحدث للإنسان)، ودورة (شعب الرب) وهناك مدارس متخصصة لا شأن لها إلا عقد هذه الدورات بوسيلة المراسلة مثل (المدرسة الباكستانية لدورات الإنجيل عن طريق المراسلة)(١).

بل إن هناك مدارس أخرى تقوم بالتدريس النظامي المستمر بطريقة الفصول الدراسية المعتادة في المدارس النظامية، وليست مجرد دورات منقطعة.

ومن تلك المدارس المستمرة (مدرسة التدريس بالمراسلة في تركيا)، والتي كانت تعمل منذ منتصف الستينات، وكان لها أثر بالغ في تنصير أعداد كبيرة من المسلمين(٢).

وأحياناً نجد أن المنصرين وأعداء الإسلام يستخدمون وسيلة المراسلة (بدعوى التعارف واكتساب الثقافات)، وذلك للإيقاع بالشباب المسلم المحب لهواية المراسلة(٣).

وقد نشرت جريدة المسلمون في أحد أعدادها(٤)، تحقيقاً صحفياً موسعاً عن استغلال المنصرين وأعداء الإسلام وسيلة المراسلة لتحقيق أهدافهم، حيث

---

(١) انظر المرجع السابق (ص٥٢٥).

(٢) انظر المرجع السابق (ص٤٢١).

(٣) هواية المراسلة إحدى الأغراض الحديثة لوسيلة المراسلة ويقصد بها المراسلة بقصد التعارف وتبادل الثقافات، لكنها قد تستغل لأغراض أخرى.

(٤) جريدة المسلمون ـ جريدة دولية أسبوعية ـ العدد (٥٣٢) ١٤/ ذي القعدة / ١٤١٥هـ (ص١، ٧).

ذكرت أن من وسائلهم أن تقوم فتيات منصرات بمراسلة شباب الإسلام، واستمالتهم بدعوى الصداقة، ثم يتدرجن معهم في المراسلة، حتى يعرضن عليهم الانتقال للديانة النصرانية، ويرسلن لهم كتباً فيها دعوة صريحة إلى التنصير، كما أشارت الصحيفة إلى أن من طرقهم أن تقوم منظمات تنصيرية بتقديم خدمات مادية أو معنوية للطلاب وللشباب المسلم، عن طريق المراسلة وذلك لأغراض مشبوهة، ومن طرقهم الخبيثة أيضاً إقامة نواد خاصة للمراسلة مثل (نادي هواة المراسلة)[١]، حيث تقوم تلك النوادي بعرض صور وعناوين شبان وفتيان للمراسلة بدعوى التعارف والثقافة، لكنها تبطن أهدافاً مشبوهةً وأغراضاً شريرة، من أخطرها إتلاف عقائد الشباب وأخلاقهم، وقد نشرت الصحيفة صوراً من إعلانات تلك النوادي وشعاراتها وأغلفة لأشرطة فيديو تنصيرية أرسلت بالبريد إلى إحدى بلدان العالم الإسلامي.

– وأما دعاة الإسلام: فقد بدأ بعضهم يدرك –ولله الحمد– أهمية هذه الوسيلة، وشدة تأثيرها ومزاياها العديدة، فبدأوا يقبلون عليها، ويحاولون استغلالها، وهناك جهود في هذا المجال، بعضها فردية وبعضها مؤسسية، ولكنها ما زالت محدودة، ومن الجهات[٢] التي نشطت في هذا المجال (في المملكة العربية السعودية –على سبيل المثال).

---

(١) نشرت الصحيفة صورةً لشعار هذا النادي، وفيه دعوة للحصول على ما يسمى (كراسة المراسلة) مقابل إرسال العنوان والصورة وخمسة دولارات . حيث تحوي الكراسة مئات من العناوين البريدية مع صور أصحابها .

(٢) جمع الباحث هذه المعلومات من خلال زيارات ميدانية لتلك الجهات، ولقاءات مباشرة مع المسئولين فيها ، هذا في الفترة من ٨/٢٠ ـ ٩/٨ /١٤١٦هـ .

- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: حيث تقوم الوزارة باستقبال الرسائل المتضمنة لطلب بعض الكتب والمصاحف، وتقوم مشكورة بإرسالها إلى طالبيها إلى عناوينهم.

- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء: حيث تقوم باستقبال رسائل الاستفتاء، وترسل الرد عليها، كما تستقبل رسائل طلب الكتب، وتقوم بإرسالها إلى المستفيد على عنوانه.

- مراكز الدعوة والإرشاد التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وكذلك المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات التابعة لقسم الدعوة بالداخل بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف: حيث إن لهذه الجهات جهوداً طيبة وملحوظة في استقبال رسائل المدعوين، وإرسال ما يناسبهم من المطويات والكتب الدعوية[1].

- الندوة العالمية للشباب الإسلامي[2]: حيث تبادر مشكورة بإرسال الرسائل الدعوية، وتستقبل رسائل المدعوين وطلباتهم، وترسل لهم بعض الكتيبات والمطويات الدعوية في العقيدة والأحكام والآداب الإسلامية، باللغتين العربية والإنجليزية.

---

(١) انظر تفصيل هذه الجهود، وإحصائية بما أرسله بعض هذه المكاتب والمراكز من الكتب الدعوية والعلمية ونحوها من جهود الدعوة بالمراسلة: د. صالح بن غانم السدلان، **الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية** [مرجع سابق] (ص٣٩٥ - ٤٧٣).

(٢) المرجع: تقرير لجنة المراسلة المنبثقة من لجنة الدعوة الإسلامية بالندوة العالمية للشباب الإسلامي.

ويبلغ معدل الرسائل الدعوية الصادرة من الندوة حوالي ألف رسالة شهرياً.

- مؤسسة الحرمين الخيرية[١]:

تقوم هذه المؤسسة مشكورة بعمل نموذجي في هذا المجال،حيث أنشأت ما يسمى: (رسالة الخير)، وهو اسم لرسالة بريدية شخصية ترسل إلى المدعوين في أنحاء العالم، حيث تؤخذ العناوين من مجلات التعارف وهواة المراسلة، ويتم إرسال أربع نماذج تباعاً لكل مدعو، يرفق بكل نموذج مجموعة من الكتيبات والمطويات، أغلبها في العقيدة والأحكام من مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب وتلاميذه وأئمة الدعوة، وعلماء هذه البلاد المباركة، ويبلغ معدل إرسالها الشهري أربعة آلاف رسالة، وهو معدل في تزايد مستمر.

وترسل هذه الرسالة باللغة العربية، وكذلك ترسل باللغات الأجنبية، بغرض دعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

ولعل مما يحمد للمؤسسة، ويدل في الوقت ذاته على بركة علم الإمام محمد ابن عبد الوهاب -رحمه الله- أن المؤسسة ركزت على نشر كتب الإمام وإرسالها إلى جميع أنحاء العالم ، بلغات مختلفة ، مثل كتاب التوحيد والأصول الثلاثة وكشف الشبهات[٢].

---

(١) المرجع : (تقرير عن عمل لجنة نشر الكتاب الإسلامي في مؤسسة الحرمين الخيرية) من إعداد وطباعة وتوزيع مؤسسة الحرمين الخيرية . وانظر بقية أنشطة هذه المؤسسة : د . صالح بن غانم السدلان ، **الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية** [مرجع سابق] (ص٣٩٥- ٤٥٩).

(٢) انظر:عبد الملك القاسم ، **دليل المراسلة الإسلامي** [الرياض ـ دار القاسم للنشر ـ ط الأولى١٤١٧هـ](ص٤٢)

كما تقوم المؤسسة أيضاً بإرسال طرود تحتوي على أمهات الكتب، حيث يتم إرسالها إلى أماكن التجمعات الإسلامية والمراكز العلمية، ومكتبات الجامعات في أنحاء العالم، وقد كان لهذه الجهود أثر طيب.

وإن المتأمل لبعض الرسائل الجوابية الواردة للمؤسسة[١]، ليدرك مدى التأثير العميق الذي تتركه هذه الرسائل في نفوس المدعوين[٢]، ويدرك في الوقت ذاته عظم المسؤولية الملقاة على كاهل كل مسلم تجاه إخوانه المسلمين، وتجاه الدعوة الإسلامية، وضرورة الحرص على إيصال الدعوة إلى تلك القلوب المتعطشة إلى نور الإسلام والعقيدة الصافية من الشوائب.

- مدرسة الإمام محمد بن عبدالوهاب الخيرية لتحفيظ القرآن -قسم المراسلة-[٣].

تبنّت هذه المدرسة مشروع (الدعوة إلى الله بالمراسلة)، وهو عمل شبيه بعمل مؤسسة الحرمين، ويتم فيه إرسال خمسة نماذج متتابعة إلى كل مدعو، ويرفق بكل نموذج مجموعة من الكتيبات والمطويات، إضافة إلى إرسال بعض

---

(١) انظر نماذج من تلك الرسائل : المرجع السابق (ص٦٤-١٠٠) .

(٢) لوحظ على المدعوين بهذه الوسيلة سرعة الاستجابة ، والتأثر العميق ، وطلب المزيد من الرسائل والكتب النافعة، مع الاستعداد لدفع التكاليف مهما كانت . انظر : المرجع السابق (ص٦٩).

(٣) تقرير (مشروع الدعوة إلى الله بالمراسلة) إعداد وطباعة مدرسة الإمام محمد بن عبدالوهاب الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، تحت إشراف الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، ترخيص (٢٣٠) .

الطرود لبعض الجهات، وهي محتوية على كتب ومطويات باللغتين العربية والإنجليزية، ويبلغ معدل الإرسال من ٢٠-٤٠ رسالة يومياً.

- جهود فردية:

سبق تلك الجهود المؤسسية وتبعها أيضاً جهودٌ فردية في الدعوة إلى الله بالمراسلة، فقد شعر بعض الدعاة بأهمية هذه الوسيلة، فنشطوا فيها، وهدى الله على أيديهم أعداداً كبيرة من المدعوين.

حتى إن إحدى الداعيات في هذه البلاد تقوم بمراسلة النساء، وقد بلغ المعدل الأسبوعي لما ترسله حوالي ٤٠ رسالة أسبوعياً.

نسأل الله أن يبارك في هذه الجهود، وأن يجزل الأجر والمثوبة لكل من ساهم فيها، ولعلَّ الله أن يبرئ بها الذمَّة، ويخفف من التبعة الملقاة على عاتق كل مسلم.

ج- الرسائل الدعوية والتربوية المفتوحة:

وهي رسائل ليست في الحقيقة موجهة إلى شخص بعينه، بل إلى فئة معينة، وإن كانت تصاغ بأسلوب شخصي، ليكون ذلك أوقع في النفس.

وقد نشط الدعاة إلى الله في هذا الزمان في استخدام هذا النوع من الرسائل، فمنها ما خرج على هيئة نماذج مطبوعة لرسائل شخصية موجهة إلى فئات معينة من الناس، يقوم المرسل فقط بكتابة الاسم على النموذج، ثم إرساله، ومن ذلك -على سبيل المثال (سلسلة رسائل الإصلاح) التي تصدرها

دار ابن القيم[١]، وقد صدر منها: نماذج ترسلها جماعة المسجد إلى من فرط في صلاة الجماعة ، ونماذج لمن فرط في صلاة الفجر.. ونماذج لأغراض أخرى.

– ومن الرسائل الدعوية التربوية المفتوحة ما خرج على هيئة مطويات أو كتيبات كتبت على صورة رسالة شخصية خاصة تبدو كما لو كانت مكتوبة لشخص واحد بعينه، ومن الأمثلة على ذلك: (رسالة إلى جار المسجد -لمحمد المسند، ورسالة إلى الطبيب- لعبدالوهاب الطريري، ورسالة إلى التجار والموظفين- لسعيد مسفر، ورسالة إلى سجين- لإبراهيم المحمود، ورسالة إلى المتعاملين بالربا -لعلي الدهامي، ورسالة إلى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر- لعبدا لله الجارا لله، ورسالة إلى هاو- لصالح الونيان، ورسالة إلى الطلبة والطالبات - لأحمد السيد، ورسائل إلى شبل الإسلام - لصالح العصيمي، وكتيب: عشر رسائل لإصلاح المجتمع- لصالح أبو عرّاد الشهري- ضمنها الكاتب رسالة للمغتاب والنمام والمتسول والمدخن والمسبل والمتكبر والمنافق والكاذب والمذنب.

وقد كتبت جميع تلك الرسائل بأسلوب الرسالة الشخصية، حيث تبدأ في الغالب بعبارة (أخي ... أو: إلى أخي أو أختي ...) وتخاطب المدعو بأسلوب

(١) دار ابن القيم للنشر والتوزيع في الدمام بالمملكة العربية السعودية ، تباع هذه السلسلة في المكتبات على هيئة كراس يحوي عدد من النماذج الجاهزة لرسائل شخصية موجهة إلى أصناف معينة من المدعوين الواقعين في بعض المخالفات ، حيث يكتفي المرسل بكتابة اسم المدعو على النموذج وإرساله للمدعو مباشرة .

المخاطب، وفي ذلك دلالة على إدراك الدعاة لأهمية هذا الأسلوب الشخصي وقوة تأثيره على المدعو.

ولا شك أن هناك مجالات أخرى عديدة للرسائل، ولكن المقصود هنا هـو الإشارة إلى بعض الصور الحديثة لاستخداماتها، وهذا لا يعني إغفال ما سبق ذكره من الأغراض التي استخدمت لها هذه الوسيلة في الماضي، فمعظمهـا مـا زال مستخدماً اليوم، فلا داعي لتكرارها ،ولعـل الأنسـب الاقتصـار علـى مـا ذُكر، تجنباً للإطالة.

الفصل الأول

مضمون رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)

المبحث الأول : بيان العقيدة الصحيحة

المبحث الثاني : الدعوة والاحتساب

المبحث الثالث : تفنيد الشبه وردّ ما ألصق بالإمام من التهم

المبحث الرابع : مسائل متنوعة في الفقه وأصوله وعلوم الحديث

الفصل الأول

مضمون رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)

إنّ المتأمل لرسائل الإمام (رحمه الله)، يتبيّن له من خلال دراستها وتحليل مضامينها أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين مضامين تلك الرسائل من جهة، وحصيلة الإمام العلمية المتنوعة من جهة أخرى، إضافة إلى طبيعة البيئة الفكرية المحيطة بالإمام، والمعارك العنيفة التي تعرض لها وخاضها ضد الخصوم والمناوئين، ولذلك فليس من المستغرب أن نجد أن رسائل الإمام قد تضمنت العديد من المسائل المتنوعة من علوم الشريعة والفنون المتعلقة بها، حيث تضمنت بيان العقيدة الصحيحة، من حيث منهج التلقي، وتقرير أركان الإيمان، وبيان نواقض الإسلام، والموقف من المبتدعة ورؤوسهم، كما تضمنت بعض المسائل المتعلقة بواجب الدعوة والاحتساب من حيث أهمية هذا الواجب، وفضله، وقيام الإمام بنفسه بهذا الواجب، إضافةً إلى الصفات التي ينبغي توافرها في الداعية والمحتسب، مع ذكر بعض المعوقات التي يمكن أن تعرض للداعية والمحتسب .

كما أشارت الرسائل إلى كثيرٍ من التهم التي وجهت للإمام ورده عليها، وكذلك تفنيده للشبه التي أثيرت على الدعوة.

ولم تخلُ الرسائل أيضاً من مسائل في الفقه وأصوله، وفي علم الحديث والمصطلح، وغير ذلك من المسائل النافعة.

وسيتم تناول هذا الفصل بعون الله تعالى من خلال أربعة مباحث:

المبحث الأول

بيان العقيدة الصحيحة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في تلقي العقيدة

المطلب الثاني: تقريره أركان الإيمان بالله تعالى

١) تقريره الإيمان بالله تعالى

٢) تقريره بقية أركان الإيمان

المطلب الثالث: بيانه لنواقض الإسلام

المطلب الرابع: موقفه من المبتدعة ورؤوسهم

المطلب الأول

منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في تلقي العقيدة

وردت في رسائل الإمام -رحمه الله- كثير من العبارات التي توضح منهجه في تقرير العقيدة؛ ومن خلال تتبع معالم منهج الإمام في تقرير العقيدة يتضح أن منهجه في حقيقة الأمر هو منهج أهل السنة والجماعة في تقرير العقيدة(1)، ويمكن توضيح ذلك المنهج من خلال النقاط التالية:

١- اقتصاره في مصدر التلقي على الوحي: كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ(2):

وذلك ليقينه -رحمه الله- بكمال هذا الدين، وأن رضا الله تعالى لا يتحقق إلا باتباع وحيه، وتقديمه على العقل عند توهم التعارض(3).

وهذا المنهج واضح المعالم في رسائل الإمام؛ فلا يكاد -رحمه الله- يورد مسألة، أو يُدلي بحجة، أو يرد على شبهة إلا ويورد الدليل عليها من نصوص

---

(١) انظر : عبدالرحمن بن صالح المحمود ، **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**، [الرياض ـ مكتبة الرشد ـ ط٢ ـ ١٤١٦هـ] (١/٥١ ـ ٧٨) .

(٢) وذلك يتضمن فهم السلف الصالح لهذه النصوص، وإجماعهم وقياسهم المبني عليها كما سيأتي، انظر : عثمان علي حسن ، **قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد**، [الرياض- دار الوطن- ط١- ١٤١٣هـ] (ص١٤٣).

(٣) وهذا لا يعني أن الإمام -رحمه الله- كان يلغي العقل تماماً، ويتنكر له، بل كان يعطيه منزلته اللائقة به دون إفراط أو تفريط، فلا يُعمل العقل فيما لا مجال فيه من الغيبيات ونحوها، ولذلك نراه مثلاً يُعمل العقل ويستأنس بأقيسته المعتبرة حين يجادل المتكلمين، فيقول: (والمراد أن مذهبهم، مع كونه فاسداً في نفسه مخالفاً للعقول، وهو أيضاً مخالف لدين الإسلام) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٦٤).

الكتاب والسنة، مجافياً بذلك طريقة أهل البدع والمتكلمين، من الاعتماد على المقدمات والنتائج العقلية، التي لا تكاد تسلم من الأهواء والنقص البشري، خاصة فيما لا مجال للعقل فيه من أمور الغيبيات ونحوها، بل إن الإمام لا يأخذ باجتهادات الفقهاء إذا عارضت نصوص الكتاب والسنة، ويحذر من أن ذلك ربما يؤول إلى الشرك، يقول -رحمه الله- في رسالته لأحد القضاة[(١)]: (ولا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتباعهم، وإنّما الشأن إذا اختلفوا: هل يجب عليَّ أن أقبل الحق ممن جاء به، وأرد المسألة إلى الله والرسول، مقتدياً بأهل العلم؟ أو أنتحل بعضَهم من غير حجة وأزعم أن الصواب في قوله، فأنتم على هذا الثاني، وهو الذي ذمّه الله، وسماه شركاً وهو اتخاذ العلماء أرباباً، وأنا على الأول أدعو إليه وأناظر عليه)[(٢)].

ويؤكد الإمام على ضرورة الحذر من تقديم كتب المتأخرين على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فيورد في ذلك جواب الإمام أحمد[(٣)] - رحمه الله- حين ذكر له بعض أصحابه أن هذه الكتب فيها فائدة لمن لا يعرف الكتاب والسنة، فقال الإمام أحمد -رحمه الله-: (إن عرفت الحديث، لم تحتج

---

(١) هو القاضي عبدالله بن محمد بن عبداللطيف .

(٢) انظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٥٨) .

(٣) الإمام أحمد هو : أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني ، أبو عبدالله (١٦٤ - ٢٤١هـ) الإمام الشهير صاحب المسند ، ولد ببغداد وبها توفي ، وقد نصر الله به الدين في فتنة القول بخلق القرآن ، وروى عنه الإمام البخاري ومسلم وأبو داود وآخرون ، انظر : الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، [مرجع سابق] (١١/١٧٧) .

إليها، وإن لم تعرفه لم يحل لك النظر فيها، وقال: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان[١]، وا لله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣]. قال: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك).

ثم بيّن الإمام محمد -رحمه ا لله- بعد ذلك أن سفيان الثوري -رحمه ا لله- كان -كما هو معلوم- ممن يُجلّهم الإمام أحمد، ويعترف برسوخ أقدامهم في العلم، بل إنه كان يسميه أمير المؤمنين[٢]، ومع ذلك لم يُبِح تقديم كتبه والنظر فيها وترك النصوص. ويؤكد الإمام -رحمه ا لله- إيمانه بكمال هذا الدين وأن الوحي كافٍ شافٍ، مشتمل على كل ما يحتاجه العباد في عباداتهم ومعاملاتهم؛ فيسوق أبياتاً من نونية ابن القيم رحمه ا لله، قال في آخرها:

فالوحي كافٍ للذي يُعنى به ∴ شافٍ لداء جهالة الإنسان[٣]

وصدق ابن القيم رحمه ا لله تعالى، فالوحي (المتضمن للكتاب والسنة) قد جاء بالبيان الشافي القاطع للعذر، الموضح لجميع أصول الدين وأدلته ومسائله.

---

(١) سفيان هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدا لله الكوفي، (٩٧ ـ ١٦١هـ) أحد الأئمة الأعلام، قال شعبة وغير واحد: سفيان أمير المؤمنين في الحديث، وقال شعبة أيضاً: أن سفيان ساد الناس بالعلم والورع، توفي بالبصرة -رحمه ا لله- انظر: المرجع السابق، (١٢٩/٧).

(٢) يعني في الحديث .

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٢٦٧/٥).

٢- عدم خوضه في علم الكلام والفلسفة واقتصاره في بيان وفهم العقيدة على ما في الكتاب والسنة من العلم النافع الذي يثمر العمل:

من خلال رسائل الإمام -رحمه الله- تتضح نظرته إلى علم الكلام والفلسفة والمنطق ، فهو يرى أنها علوم لا تفيد -إن أفادت- إلا أموراً كلية، لا حقيقة لها ولا ثمرة ، ويرى أن هذه العلوم-كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لا يحتاج إليها الذكي، ولا ينتفع بها البليد، بل إن الإمام محمداً -رحمه الله- ساق بعض عبارات السلف التي ذموا فيها علم الكلام وأهله، ورموهم بالابتداع، ومن ذلك سياقه في الرسائل لكلام الإمام أحمد في ردّه على من قال: إنه- يعني الله سبحانه وتعالى- ليس بجوهر ولا عَرَض، حيث قال رحمه الله: (فهذه الألفاظ لا يطلق إثباتها ولا نفيها، كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة، ونحو ذلك من الألفاظ، ولهذا لما سُئِل ابن سريج عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين، قال: وأما توحيد أهل الباطل، فهو الخوض في الجواهر والأعراض، وإنما بُعث النبي ﷺ بإنكار ذلك ، وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في غير هذا الموضع)[1].

ويحذّر الإمام محمد-رحمه الله- في الرسالة نفسها من طريقة أهل الكلام، وأنها تقود إلى الابتداع ؛ فيبيّن طريقة السلف في باب الأسماء والصفات، وأنهم (لا يتكلمون فيها إلا بما تكلم به الله ورسوله، فما أثبته الله لنفسه، أو

(١) انظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٥/١٣١ - ١٣٢) .

أثبته رسوله أثبتوه، مثل: الفوقية والاستواء والكلام والمجيء وغير ذلك، وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله نفوه، مثل: المثل والند والسَّمِيِّ، وغير ذلك لا يثبتونه ولا ينفونه ، فمن نفاه ... فهو عند أحمد والسلف مبتدع، ومن أثبته – مثل هشام بن الحكم[1]– وغيره، فهو عندهم مبتدع، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع، اقتداءً بالنبي ﷺ وأصحابه)[2].

بل إن الإمام–رحمه الله– في موضع آخر يورد حكم السلف في علم الكلام، ويؤكد (نقلهم الإجماع: أن علم الكلام بدعة وضلالة، حتى قال أبو عمر بن عبد البر: أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات، لا يعدّون عند الجميع من طبقات العلماء)[3].

ويلخص الإمام حديثه عن مذهب المتكلمين، فيقول: (والمراد أن مذهبهم، مع كونه فاسداً في نفسه، مخالفاً للعقول، وهو أيضاً مخالف لدين الإسلام والكتاب والرسول ﷺ وللسلف كلهم، ويذكرون في كتبهم أنهم مخالفون للسلف، ثم مع هذا راجت بدعتهم على العالم والجاهل، حتى طبقت مشارق الأرض ومغاربها)[4]. ولهذا نجد أن الإمام محمداً في رسائله ومؤلفاته يقتصر

---

(١) هشام بن الحكم البغدادي (الرافضي) مولى بني شيبان، وهو من متكلمي الشيعة الإمامية الرافضة ، وكان شيخ الإمامية في وقته ، كان أولاً من أصحاب الجهم بن صفوان ، وهو من المشبهة، الذين يرون أن معبودهم له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية ، توفي مستتراً بعد نكبة البرامكة التي حدثت سنة (١٨٧هـ)، ويقال: عاش إلى خلافة المأمون، انظر: ابن النديم، **الفهرست** [بيروت -دار المعرفة- ط الأولى- ١٤١٥هـ] ص٢١٧- ٢١٨، والشهرستاني ، **الملل والنِحَل**، [مرجع سابق] (٩٣/١) وانظر: الزركلي، **الأعلام**، [مرجع سابق] (٨٥/٨) وانظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (١٣١/٥) .

(٢) انظر : المرجع السابق، (١٣١/٥).

(٣) المرجع السابق، (٢٦٣/٥).

(٤) انظر : [المرجع السابق] (٢٦٤/٥).

في بيان العقيدة، وفهم مسائلها على نصوص الكتاب والسنة، وفهم السلف، ويُعرض عن الخوض في علم الكلام والفلسفة ، ويطّرح مناهجهم الفاسدة في تقرير العقيدة.

٣- تقريره لحجية السنة الصحيحة في العقيدة:

ومن ذلك خبر الآحاد[١]، لأن الأخذ بها من مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله، ولأن الرسول ﷺ أعرف العباد بما يصلح لهم، وقد بلّغ جميع ما

(١) خبر الآحاد : لغةً : جمع أحد، بمعنى الواحد، وخبر الواحد هو ما يرويه شخص واحد ، واصطلاحاً : هو ما لم يجمع شروط المتواتر، وخبر الآحاد-كما يذكر الجويني صاحب الورقات-: (هو الذي يوجب العمل ولا يوجب العلم): أي يجب العمل بما تضمنه خبر الآحاد، بتصديقه إن كان خبراً ، وتطبيقه إن كان طلباً، بشرط صحته عن رسول الله ﷺ لا فرق في ذلك بين الأحكام والعقائد على القول الصحيح، لعموم الأدلة في وجوب العمل بخبر الواحد، ومن ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: (بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت، فقال: إن النبي ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة). أخرجه البخاري[كتاب القبلة -باب ما جاء في القبلة- ح٣٩٥] (١/١٥٧). وأحاديث الآحاد إذا لم تكن ضعيفة الإسناد تفيد الظنّ كما قال الجمهور، وهو رجحان صحة نسبتها إلى من نقلت عنه، لأن أعدل رواة الآحاد يجوز في حقه الغلط والسهو، فلا يقطع بصحة روايته، وربما تفيد أحاديث الآحاد العلم ؛ إذا احتفت بها القرائن، وشهدت بها الأصول، خلافاً للمتكلمين ومن نحا نحوهم فإنهم يرفضون الاحتجاج بأحاديث الآحاد الصحيحة في باب العقائد. انظر : الشيخ عبد الله بن صالح الفوزان، **شرح الورقات في أصول الفقه** [الرياض- دار المسلم- ط الثانية ١٤١٤هـ] (ص١٤٩-١٥١) ود . محمود الطحان، **تيسير مصطلح الحديث** (الرياض -مكتبة المعارف- ط الثامنة ١٤٠٧هـ) ص٢٢، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، **مصطلح الحديث** (الرياض- مكتبة المعارف- ط١٤٠٤ هـ) ص١٢، وانظر النصوص الدالة على الاحتجاج بخبر الآحاد والرد على شبه المخالفين عند: د. عمر سليمان الأشقر، **العقيدة في الله** (الكويت- مكتبة الفلاح- ط الخامسة ١٩٨٤م) ص٤٧-٥٦ .

أنزل إليه من ربه أتمّ بلاغ وأبينه، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ويؤكد الإمام محمد -رحمه الله- هذه الحقيقة، فيذكر في إحدى رسائله حقوق المصطفى ﷺ ووجوب تصديقه في كل ما أخبر، ما دام قد وصلنا بسند متصل صحيح، سواء كان خبرَ آحاد أو خبراً متوتراً؛ لأن ردّه تكذيبٌ للنبي ﷺ وطعنٌ في صحابته رضوان الله عليهم، يقول الإمام -رحمه الله- عن نبينا محمد ﷺ: (وهو نبي لا يُعبد، ورسول لا يكذب، بل يطاع ويُتّبع، صلوات الله وسلامه عليه)[١]، ويتضح تعظيم الإمام للسنة، واحتجاجه بها، والتسليم لما جاء فيها من النصوص الصحيحة من خلال كثرة حديثه -رحمه الله- عن وجوب اتّباع النبي ﷺ والاستجابة لما جاء به، والتحاكم إلى سنته، مع التحذير الشديد من التهاون في ذلك وأنه سبيل أتباع الطواغيت، ويسوق الإمام في ذلك ما ذكره ابن القيم في أعلام الموقعين[٢]، عند قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾[القصص:٥٠]، حيث قال:

---

(١) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع السابق][الرياض ـــ ط٥ ـــ ١٤١٣هـ](١/١٥٠ - ١٥١).

(٢) يجوز تسمية (إعلام) و(أعلام) بالكسر والفتح وإن كان الكسر هو الأكثر المستفيض -كما يذكر الشيخ بكر ابو زيد- ... ويجوز نطقه بالفتح: لأنه تضمن قواعد وأحكاما يهتدى بها فهي كالأعلام.. أما تعليل فتح الهمزة بكونه مشتملاً على جملة من أسماء القضاة والمفتين فيرى الشيخ بكر أبوزيد أنه غير وجيه، وكذا تسمية الكشميري لهذا الكتاب باسم (أعلام الموفقين) لا مستند له. لكن ورد عن ابن القيم رحمه الله أنه سمى كتابه هذا (معالم الموقعين) ومن غير الممتنع أن يسمي المؤلف كتابه باسمين وله نظائر، انظر التحقيق في هذه المسألة : بكر بن عبدالله أبو زيد، **ابن قيّم الجوزية: حياته آثاره موارده**، [الرياض- دار العاصمة- ط الأولى ١٤١٢هـ] (ص٢١٧).

(فقسم الأمر إلى أمرين، لا ثالث لهما: إما الاستجابة للرسول ﷺ وإما اتّباع الهوى .. ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ فقد حكّم الطاغوت، وتحاكم إليه)[1].

ثم بيّن الإمام محمد أن ابن القيم -رحمه الله- يعني هنا الآيات في سورة النساء، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ..﴾[النساء: ٦٠].

كما إن الإمام محمداً -رحمه الله- كان يحرص في كثير من رسائله على تربية المدعوين على تعظيم السنة، واتباع النبي ﷺ ويدعو الله تعالى أن يثبته على ذلك، فتجده - على سبيل المثال- يختم إحدى رسائله بقوله: (جعلنا الله وإياكم من أتباع الرسول، وحشرنا تحت لوائه ...)[2].

٤- احتجاجه في مسائل العقيدة بأقوال الصحابة وإجماع السلف وتفاسيرهم للنصوص:

فالصحابة هم الذين عاشوا مع النبي ﷺ وهم بعد رسول الله ﷺ أعلم الناس بالتنزيل وأسباب نزوله، وأعلم الناس بالحديث ومناسبته، وهم العدول بتعديل الله لهم، وقد اكتمل فيهم الفهم، وسلامة اللغة، ومعرفة أصول الدين، ومقاصد الشريعة.

---

(١) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٣٠٤/٥) وانظر: ابن القيم، **أعلام الموقعين**، [بيروت- دار التراث العربي- ب ت] (٤٩/١).

(٢) من رسالة الشيخ إلى أحد أتباعه، ويدعى نغيمش، انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٣٠٩/٥).

ومن هذا المنطلق ، قرّر الإمام -رحمه الله- وجوب الأخذ بأقوال السلف الصالح رحمهم الله في فهم النصوص، ووجوب الأخذ بإجماعهم، وعدم مخالفتهم في المسألة المجمع عليها. ففي وجوب الأخذ بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم وتفاسيرهم يسوق الإمام أبياتاً للحافظ الذهبي، فيقول: (ومما ينسب للذهبي رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله .·. قال الصحابة ليس خلف فيه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهةً .·. بين الرسول وبين رأي فقيه)[١].

وفي الرسالة نفسها يذكر الإمام -رحمه الله- أهمية الأخذ بكلام علماء السلف، ويحضُّ المرسَل إليه على الرجوع إلى أقوالهم ويبين أنهم المرجع في فهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ فيقول مخاطباً عبد الله بن محمد بن عبداللطيف[٢]: (... فاضرع إلى الله، واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق، وتجرد إلى الله ناظراً أو مناظراً، واطلب كلام أهل العلم في زمانه -يعني ابن القيم -رحمه الله- مثل الحافظ الذهبي وابن كثير وابن رجب وغيرهم ... فإن لم تتبع هؤلاء، فانظر كلام الأئمة قبلهم، كالحافظ البيهقي في كتاب (المدخل) والحافظ ابن عبد البر والخطابي وأمثالهم ومَن قبلهم، كالشافعي وابن جرير وابن قتيبة وأبي عبيد، فهؤلاء إليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله..)[٣].

---

(١) انظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٥٩) .

(٢) سبق الحديث عنه في ص (٤٥) من هذا البحث .

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٥٨ ـ ٢٥٩) .

ويقرر الإمام -رحمه الله- أيضاً وجوب الأخذ بإجماع السلف الصالح، فيقول: (ولا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتّباعهم)[١].

ويبيّن أن من خالف إجماعهم، فقد استحق اللوم، وتوجّه عليه القول، ويبدأ بتطبيق هذا الحكم على نفسه، فيقول مخاطباً بعضَ الخصوم: (فإن سمعتم أني أفتيت بشيء خرجت فيه من إجماع أهل العلم، توجّه عليّ القول)[٢]،يعني أصبحتُ عندها مستحقاً للّوم والعتاب.

٥- التسليم للنصوص بدون مقررات سابقة تُحاكَم إليها النصوص أو تُستلهم معاني هذه النصوص وفقاً لها:

كما فعل المعتزلة وغيرهم، الذين وضعوا أصولاً عقلية، ثم حاكموا نصوص الكتاب والسنة إلى هذه المقررات والأصول العقلية؛ فما وافق أصولهم أخذوا به، وما خالفها أوّلوه أو أنكروا الاحتجاج به.

ولذلك نرى الإمام -رحمه الله- ينعى على المتكلمين انتهاجهم هذا المسلك، ويبيّن مدى انحرافه حين يورد محاجّة الفلاسفة للمتكلمين، وكيف أنهم ألزموهم الحجة وخصموهم عندما ردوا عليهم بنفس حجتهم، يقول الإمام في سياق حديثه عن المتكلمين: (وهم وأتباعهم مقرّون أنهم مخالفون للسلف، حتى إن أئمة المتكلمين لما ردّوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الأمر والنهي، مثل قولهم: المراد بالصيام: كتمان أسرارنا، والمراد بالحج زيارة مشايخنا، والمراد بجبريل العقل

(١) انظر : المرجع السابق ، (٢٥٨/٥) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٢٦٥/٥) .

الفعّال، ... وغير ذلك من إفكهم؛ رَدّوا[١] عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام، فقال لهم الفلاسفة: أنتم جحدتم علوّ الله على خلقه واستواءه على عرشه، مع أنه مذكور في الكتب على ألسنة الرسل، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم ، وغيرهم من أهل الملل، فكيف يكون تأويلنا تحريفاً وتأويلكم صحيحاً ؟ فلم يقدر أحدٌ من المتكلمين أن يجيب على هذا الإيراد..)[٢].

٦- أخذه بجميع النصوص في كل مسألة:

بخلاف أهل الأهواء، الذين يأخذون بجزء من النصوص حسب ما يوافق مذهبهم، ويطعنون في بقية النصوص الأخرى التي تستدل بها الطوائف الأخرى.

ولا شك أن الوسطية التي اتّصف بها أهل السنة، والتي أخذها الإمام عنهم تقتضي الأخذ بجميع النصوص، وهذا المسلك ثمرته الفوز بالحق الذي مع كل من الطائفتين المنحرفتين ، والسلامة من الباطل الذي معهما.

ويشير الإمام -رحمه الله- إلى بعض ثمرات هذا المنهج ؛ ومنها الوسطية التي ارتضاها الله لعباده بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة: ١٤٣] حيث يقول الإمام -رحمه الله-: (والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية، وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة،وبين المرجئة والجهمية، وهم

(١) يعني : أن المتكلمين ردوا على الفلاسفة .

(٢) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] [ط١٣٨٥هـ] (١/٤٠) وانظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٦٤) .

وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج)[1]

ومنهج الوسطية والأخذ بجميع النصوص نراه واضحاً في كثير من ردود الإمام -رحمه الله- ومسائله ، وليس هذا قاصراً على المسائل العقدية، بل حتى في مسائل الفقه والفتيا، ومن ذلك ردُّه -رحمه الله- على من أباح الوقف الجائر الذي سماه الإمام وقف الجنف والإثم[2]، حيث أورد الإمام أدلتهم التي انتقوها للاستدلال بها على جواز هذا الوقف، وبيّن أنهم لم يأخذوا- في حكمهم هذا- بمجموع النصوص، بل أخذوا بعضها وبنوا عليه الحكم، وأعرضوا عن النصوص الأخرى؛ ثم جمع الإمام بين النصوص، فقرر أنّ هذا الوقف من التحايل على شرع الله وحدوده الواضحة في مسائل الإرث وغيرها، وبيّن أن مجموع النصوص تدل على تحريم هذا الوقف الجائر[3].

٧- التزامه العدل والإنصاف، وعدم تعميم الأحكام حتى مع الأعداء والخصوم مع الاعتراف بما عندهم من الحق:

وذلك بخلاف أهل الأهواء، الذين يرمون خصومهم بما ليس فيهم من الباطل، ويردون ما عندهم من الحق، ويحملونه على أسوأ المحامل.

ونرى ملامح العدل والإنصاف واضحة جلية في عدة مواضع من رسائل الإمام -رحمه الله- ومن ذلك ما ورد في إحدى رسائله من حرصه

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٨) .

(٢) سيأتي مزيد تفصيل لهذه المسائل في المطلب الرابع من هذا البحث .

(٣) انظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٧٨ ـ ٨٥) .

على عدم التعميم في الحكم على أهل الشام بأنهم يعبدون القبور ويعظمونها، وذلك في سياق رده على عبدا لله المَوَيْس[1]، الذي زار الشام، ثم عاد متأثراً بما رأى، مما دعاه إلى عدم الإنكار على عباد القبور، أو تكفيرهم، ما داموا يتلفظون بالشهادة؛ فردَّ عليه الإمام بأن مسيلمة الكذاب وغلاة الرافضة الذين حرقهم علي رضي الله عنه؛ كلهم يتلفظون بالشهادة، ومع ذلك كفّرهم الصحابة، وقاتلوهم، وحكموا بردتهم، ثم علل الإمام جنوحَ المويس إلى هذا التصور بقوله: (لكن هو- يعني المويس- آتٍ من الشام، وهم يعبدون ابن عربي، جاعلين على قبره صنماً يعبدونه). ثم قال بعد ذلك مباشرة: (ولست أعني أهل الشام كلهم، حاشا وكلا، بل لا تزال طائفة على الحق، وإن قلّت واغتربت)[2].

والإمام -رحمه الله- لا تحمله معاداته لأهل الكلام ومنهجهم الباطل على إنكار ما تميز به كثير منهم من الذكاء والفطنة، بل يعترف لهم بهذه الخصلة،

---

(١) عبدا لله بن عيسى المَوَيْسيُّ ((المويْسْ)) (تصغير موسى) ولد في حرمة وتلقى العلم في بلاد نجد، ثم رحل منها إلى الشام ورجع إلى بلاده وتولى القضاء فيها ، وهو من أشد خصوم الشيخ، المتعصبين ضد دعوته، وقد ردّ عليه الشيخ في عدة مواضع من رسائله، وحذر من مسلكه، وتوفي سنة ١١٧٥هـ. انظر : محمد بن حميد، **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، [بيروت- مؤسسة الرسالة- ط الأولى- ١٤١٦هـ] (٦٣٩/٢)، ومحمد بن عمر الفاخري، **الأخبار النجدية**، [من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية] دراسة وتحقيق د. عبدا لله يوسف الشبل، (ص١١٢) .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(١٣٧/٥) .

فيقول: (وأهل الكلام وأتباعهم من أحذق الناس وأفطنهم حتى إن لهم من الذكاء والحفظ والفهم ما يحير اللبيب)[١]. وليست هذه العبارة أو تلك مجردَ حادثةَ عينٍ. سلك فيها الإمام مسلك العدل؛ بل هو منهج مطَّرِد التزم الإمام به، بل وأشهَدَ الله وملائكته على التزامه به، وعدم تخليه عنه، وعدم ردّ الحق ممن جاء به أيّاً كان؛ حيث يقول في إحدى رسائله: وأُشهد الله وملائكته أنه إن أتاني منه -يعني من عبدالله بن عيسى-[٢]. أو ممن دونه في هذا الأمر كلمة من الحق، لأقبلنها على الرأس والعين، وأترك قول كل إمام اقتديت به حاشا رسول الله ﷺ، فإنه لا يفارق الحق)[٣].

٨- عدم تعصبه لشخص إلا للرسول ﷺ فكلٌ يؤخذ من قوله ويترك إلا الهادي البشير عليه الصلاة والسلام :

وذلك ليقينه بأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى؛ وهذا بخلاف أهل الأهواء، الذين يتعصبون لطائفتهم، أو لرجل من رجالهم، ويجعلون أقوالهم كالنصوص التي لا تقبل الرد ولا التأويل.

ومسلك التحرر من التعصب لآراء الرجال ومذاهبهم الفقهية من المعالم

---

(١) انظر : المرجع السابق (٥/١٦٤) .

(٢) عبد الله بن عيسى : مطوع الدرعية ، وقد عانى الإمام - رحمه الله - منه ومن ابنه عبدالوهاب معاناةً شديدة، وأصابه منهما همٌّ وغمٌّ كما هو مذكور في بعض رسائله، انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٨٠ ، ٣١٤، ٣١٥) .

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢٥٢)، وانظر المعنى نفسه في المرجع نفسه (٥/٢٥٢).

الواضحة في منهج الإمام -رحمه الله- ومن المسائل التي يدركها بيسر كل من يتتبع تراث الإمام الفكري بشكل عام، ورسائله بشكل خاص.

فالإمام -رحمه الله- يصدع بهذا المنهج بكل صراحة ووضوح، فيقول في رسالته إلى عبدالله بن محمد بن عبداللطيف[(١)]: (ولست -ولله الحمد- أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أُعظِّمُهُم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أرد الحقَّ إذا أتاني، بل أُشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق، لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق)[(٢)].

ولا يكتفي الإمام -رحمه الله- بذلك، بل يحذر أشد التحذير من مسلك التعصب لآراء الأشخاص واجتهادات العلماء وتقديمها على النصوص؛ حيث يؤكد أن ذلك من اتخاذهم أرباباً من دون الله، ويورد في ذلك قول الله تعالى عن مثل هؤلاء: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[التوبة: ٣١]، ثم يسوق تفسير النبي ﷺ لهذه الآية حين سأله عدي بن حاتم رضي الله عنه فقال: إنّا لسنا نعبدهم، فقال ﷺ: (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما

---

(١) الأحسائي القاضي، سبق الحديث عنه (ص ٨٥) من هذا البحث.

(٢) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٢٥٢/٥) وانظر المرجع نفسه (٢٧٦/٥) .

حرم الله فتحلونه؟ قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم)[١].

وينعى الإمام -رحمه الله- على أولئك الذين تعصبوا لأقوال علمائهم، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، فيؤكد أنهم داخلون في عموم هذه الآية، ويستدل على ذلك بما قاله أبو العالية[٢] -رحمه الله- حين سئل عن قوله تعالى في هذه الآية: ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وكيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل؟ فقال: (كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أُمِروا به ونهوا عنه، فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء؛ فما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم، فاستنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم)[٣]، واستحقوا أن يوصفوا بأنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وهكذا كل من سلك مسلكهم، وتعصب لأقوال الرجال، ونبذ النصوص وراء ظهره، فقد اتخذ هؤلاء الرجال أرباباً من دون الله.

---

(١) حديث حسن أخرجه الترمذي، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، [بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ـ ط ١٤١٥هـ] كتاب تفسير القرآن الكريم، باب سورة التوبة، [ك٤٤، ب٩، ح ٣١٠٤] (٢٧٨/٥)، وانظر بقية طرق الحديث ورواياته لصالح العصيمي، **الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد**، [الرياض- دار ابن خزيمة - ط الأولى - ١٤١٣هـ](ص١٣٠). وقد حسّنه شيخ الإسلام في كتاب الإيمان، **مجموع الفتاوى**، [مرجع سابق](٦٧/٧).

(٢) أبو العالية الرياحي، رفيع بن مهران البصري، من كبار التابعين، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، روى عن جمع من الصحابة، وكان إماماً حافظاً مقرئاً مفسراً، توفي رحمه الله في شوال سنة (٩٠هـ)، انظر: الإمام الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، [بيروت -مؤسسة الرسالة- ط ٨- ١٤١٢هـ] (٢٠٧/٤-٢١٣).

(٣) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٣٠٥/٥)، جمع: عبدالرحمن بن قاسم، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، [مرجع سابق] (٦٧/٧).

المطلب الثـاني

تقريره أركان الإيمان بالله تعالى

لعل من أبرز المضامين التي اشتملت عليها رسائل الإمام محمد –رحمه ا لله– الشخصيـة ما كـان يحـرص عليـه –رحمـه ا لله– أشـد الحرص من تقرير أركان الإيمان با لله تعـالى، ويمكـن تنـاول هـذا المطلـب مـن خـلال المسـألتين الآتيتين:

المسألة الأولى: تقريره الإيمان بالله تعالى.

المسألة الثانية: تقريره بقية أركان الإيمان.

المسألة الأولى: تقريره الإيمان بالله تعالى:

ويدخل ضمن ذلك ما يلي:

١– تقريره معنى الإيمان با لله تعالى إجمالاً:

تحدث الإمام –رحمه ا لله– في رسائله عن الإيمان وحقيقته وأركانـه، فقـال في تقريره لحقيقة الإيمان: (وأعتقد أن الإيمان: قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركـان واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعـة وينقـص بالمعصيـة، وهـو بضـع وسـبعون شـعبة؛ أعـلاها شهـادة أن لاإلـه إلا ا لله، وأدنـاها إماطـة الأذى عـن الطريق)[1].

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/١١) .

وقال الإمام في رسالته للبكيلي[١]، مبيناً عقيدته في الإيمان وشهادة التوحيد: (وحقيقة اعتقادنا: أنها -أي الشهادة- تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح)[٢].

كما أورد الإمام ما قاله الشيباني في منظومته مستحسناً لقوله حين قال:

(وإيماننا قولٌ وفعلٌ ونيةٌ ∴ ويزداد بالتقوى وينقص بالردى)[٣].

وقد ركّز الإمام -رحمه الله- على ركن (الإيمان با لله تعالى)، لأنه هو الأصل الذي يستلزم بقية أركان الإيمان[٤]، ولأنه أيضاً يستلزم أقسام التوحيد الثلاثة، فالإيمان با لله تعالى-كما بين الإمام- يستلزم الإيمان بربوبيته وبإلهيته وبأسمائه وصفاته[٥]، وهو ما فصّله الإمام في مواضع أخرى تحت مسمى توحيد العبادة وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وسيأتي بيان ذلك في المطالب الثلاثة التالية.

---

(١) صاحب اليمن ، لم أعثر على ترجمته ، وبكيل: قبيلة يمنية معروفة في اليمن، يرجع نسبها إلى بكيل بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان، وبكيل هذا أحد الجدين الكبيرين في قبائل همدان إلى اليوم (حاشد وبكيل)، وهو من قدماء الجاهليين في اليمن ، انظر : ابن حزم الأندلسي ، **جمهرة أنساب العرب** ، تحقيق عبد السلام هارون، [مصر- دار المعارف- ط٣ - ١٣٩١هـ] (ص٣٩٢،٣٩٦) وانظر : الزركلي، **الأعلام**، [مرجع سابق] (٧٢/٢).

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٩٦/٥) .

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٩٧/٥) .

(٤) انظر : عمر الأشقر ، **العقيدة في الله**، [الكويت- مكتبة الفلاح- ط ٥- ١٩٨٤] (ص٦٠).

(٥) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٨٦/٢)، انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٤٧/١، ١٥١، ١٧٠) وانظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٨/٥، ١٢١ ، ١٨٧).

وقد أشار الإمام -رحمه الله- في عدة مواضع من رسائله إلى بقية أركان الإيمان، فقال في رسالته التي أرسلها إلى جميع النواحي بناءً على طلب الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود: (وإذا قيل لك: ما الإيمان؟ فقل: هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره كله من الله، والدليل قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ودليل القدر قوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩])[١].

ولم يكتف الإمام -رحمه الله- بذكر أركان الإيمان إجمالاً، بل تحدث بالتفصيل عن كل ركن منها على حدة؛ كما سيأتي تفصيله في المسألة الثانية.

٢ـ تقريره معنى توحيد العبادة (الألوهية) وأهميته ومقتضياته:

تحدث الإمام -في معرض تقريره للإيمان- عن معنى توحيد العبادة وأهميته ومقتضياته على النحو التالي:

معنى توحيد العبادة:

يقول الإمام معرّفاً توحيد العبادة: (واعلم أن التوحيد: [يعني توحيد العبادة أو الألوهية]: هو إفراد الله سبحانه بالعبادة؛ وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده)[٢].

وقال -رحمه الله-: (...وإن الذي يدخل الرجل في الإسلام هو توحيد

(١) انظر : جمع: عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] [ط٥] (١/١٤٩-١٥٠).
(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/١٥٢).

الإلهية، وهو: أن لا يُعبد إلا الله، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً)[١]، ويوضح الإمام معنى توحيد العبادة في موضع آخر، فيقول: (هو أن لا يسجد إلا لله، ولا يركع إلا له، ولا يُعبد بجميع العبادات إلا الله وحده لا شريك له، وأن من فعل ذلك في نبي من الأنبياء، أو ولي من الأولياء، فقد أشرك بالله، وذلك النبي أو الرجل الصالح بريء ممن أشرك به كتبرؤ عيسى عليه السلام من النصارى، وموسى عليه السلام من اليهود، وعلي رضي الله عنه من الرافضة، وعبد القادر من الفقراء[٢])[٣].

ويضرب الإمام بعض الأمثلة على توحيد العبادة، فيقول بأسلوب ميسّر في إحدى رسائله التي وجّهها للعامة: (... وتوحيد الإلهية فعلك أيها العبد، مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والرغبة والرهبة والنذر والاستغاثة، وغير ذلك من أنواع العبادة ...)[٤].

أهمية توحيد العبادة:

أدرك الإمام -رحمه الله- أهمية توحيد العبادة، ونبّه إلى ذلك في كثير من رسائله، وظهر هذا الاهتمام واضحاً من خلال كثرة تكرار حديث الإمام عن هذا القسم من أقسام التوحيد، بل يمكن أن يقال دون تحفظ: إن توحيد

---

(١) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/١٥٠) وانظر المعنى نفسه في ذات المرجع (٥/٦٤).

(٢) الفقراء: يطلق هذا الوصف على المتصوفة، انظر: جمع عبد الرحمن بن قاسم، **مجموع الفتاوى** [مرجع سابق] (ج١١، ١٢).

(٣) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/١٤٧).

(٤) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١/١٥٢).

العبادة كان المحور الأساس لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله؛ حتى إن الإمام يقرر في إحدى رسائله التي وجهها للعامة أن توحيد العبادة هو أصل الدين وقاعدته، حيث يقول: (فإذا قيل لك: أيش دينك؟ فقل: ديني الإسلام، وأصله وقاعدته أمران؛ الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه والإنذار[١] عن الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله)[٢].

كما استدل -رحمه الله- على أهمية توحيد العبادة ؛ بأنه هو المتضمن لمعنى شهادة أن لا إله إلا الله، فبعد أن ذكر جوانب من توحيد الإلهية وبيّن أن منها: (.. أن لا يُسجد إلا لله، ولا يركع إلا لله، ولا يُدعى لكشف الضر إلا هو ولا لجلب الخير إلا هو، ولا ينذر إلا له، ولا يحلف إلاّ به ... وجميع العبادات لا تصلح إلا له وحده لا شريك له ..) قال بعد ذلك: (وهذا معنى قول لا إله إلا الله، فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه)[٣].

وبيّن الإمام أن توحيد الربوبية مع أهميته، وأنه (هو الأصل ، ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه)[٤]، إلا أن هذا التوحيد لم يُدخِل الكفار الذين قاتلهم النبي ﷺ في دين الإسلام، ولم يعصم دماءهم ولا أموالهم، بل قال

---

(١) يعني أن الأمر الثاني (الإنذار ...).

(٢) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٥٣/١) .

(٣) انظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(١٢٤/٥) .

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (١٢١/٥) .

الإمام: (إن الذي يُدخِل الرجل في الإسلام هو توحيد الإلهية، وهو أن لا يُعبد إلا الله لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً..)[١]، بل إن الإمام -رحمه الله- لقوة إدراكه لأهميّة توحيد العبادة، كان إذا تحدث عن التوحيد بمفهومه العام، انصرف حديثه - في أغلب الأحيان- إلى توحيد العبادة، وعرّف التوحيد بما يُعرّف به توحيد العبادة، فهو يقول في موضع آخر: (فاعلم أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم؛ إفراد الله بالعبادة، كلها، ليس فيها حق لملك مقرب ولا لنبي مرسل، فضلاً عن غيرهم)[٢].

ويؤكد الإمام -رحمه الله- أن مسمى التوحيد إذا أُطلق فإنما يراد به توحيد الإلهية، وأن من خالف في ذلك فقد جانب الصواب يقول الإمام: (وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر ومن أهل العبادة حتى قلبوا حقيقته، فطائفة ظنت أن التوحيد هو نفي الصفات، وطائفة ظنوا أنه الإقرار بتوحيد الربوبية، ومنهم من أطال في تقرير هذا الموضع[٣]، وظن أنه بذلك قرر الوحدانية، وأن الألوهية هي القدرة على الاختراع ونحو ذلك..)[٤]، ثم بيّن الإمام -رحمه الله- أهمية التوحيد، وأنه أول ما تجب

---

(١) انظر : المرجع السابق (٥/١٥٠) .

(٢) انظر : المرجع السابق (٥/١٦٦) .

(٣) يعني : أطال في تقرير توحيد الربوبية والاستدلال له، وبه .

(٤) ذكر الإمام ذلك في إحدى رسائله وبيّن أنه من عبارات الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله، انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ**، (الشخصيّة) (٥/٦٧) .

الدعوة إليه والعناية به؛ فحين سأله أحد المدعوين[١] عن عدة مسائل في الفقه والتوحيد وغيره؛ بدأ بالإجابة على مسألة التوحيد، وقال: (وصل كتابك تسأل عن مسائل كثيرة، وتذكر أن مرادك اتباع الحق، منها مسألة التوحيد، ولا يخفاك أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: (إن أول ما تدعوهم إليه أن يوحِّدوا الله فإن هم أجابوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات)[٢]، إلى آخره، فإذا كان الرجل لا يدعى إلى الصلوات الخمس إلا بعد ما يعرف التوحيد وينقاد له، فكيف بمسائل جزئية اختلف فيها العلماء)[٣].

بل إن الإمام امتنع عن الإجابة على مسائل جزئية طرحها أحد المدعوين قبل أن يتوثق الإمام من اتفاق ذلك المدعو معه على أصل الأصول، وهو وجوب الاستقامة على التوحيد علماً وعملاً، حيث يقول الإمام في نهاية الرسالة التي اكتفى فيها بالإجابة على مسألة التوحيد فقط، وترك الإجابة على بقية المسائل الجزئية في الفروع: (... فإن بان الصواب معك، وجب علينا الرجوع إليك، وإن لم تستقم على التوحيد علماً وعملاً ومجاهدةً، فليس

---

(١) هذا المدعو هو : عبدالرحمن بن ربيعة ، مطوع ثادق ، انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (١٦٦/٥) .

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، البخاري ، **صحيح البخاري** ، [مرجع سابق] كتاب : الزكاة ، باب : أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا ، [ك٣٠، ب٦٢، ح١٤٢٥] (٥٤٤/٢) .

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(١٦٦/٥) .

هذا محل المراجعة في المسائل، وا لله أعلم)[١].

وبعد أن قرر الإمام أن توحيد الإلهية هو معنى شهادة أن لا إله إلا ا لله[٢]، بيّن -رحمه ا لله- أهمية هذه الشهادة العظيمة الدالة على توحيد الإلهية، وذكر أنها تجمع الدين كله، وهي التي تُخرج قائلها من النار[٣]، بل إن شهادة التوحيد والعمل بمقتضاها هو زبدة الرسالة، وهو دين محمد ﷺ[٤]، يقول الإمام مبيناً ذلك: (لا إله إلا ا لله هي العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، وهي الحنيفية ملة إبراهيم، وهي التي جعلها ا لله عز وجل كلمة باقية في عقبه، وهي التي خُلِقت لأجلها المخلوقات، وبها قامت الأرض والسماوات، ولأجلها أرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، قال ا لله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٥][الذاريات: ٥٦])، ثم بيّن الإمام أن المقصود من أهمية الشهادة هو تحقيق معناها، وما دلّت عليه من توحيد الإلهية، يقول الإمام بعد أن بيّن أهمية الشهادة: (والمراد: معنى هذه الكلمة، وأما التلفظ باللسان، مع الجهل بمعناها فلا ينفع؛ فإن المنافقين يقولونها، وهم تحت الكفار

(١) انظر : المرجع السابق (١٦٧/٥) .

(٢) انظر : المرجع السابق (١٢٤/٥) .

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (١٢٢/٥) .

(٤) انظر : المرجع السابق (١٨٢/٥) .

(٥) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٠٢/٢) .

في الدرك الأسفل من النار)[١]، ووضح الإمام أن معنى الشهادة، وإن جهله بعض العوام، وبعض المتعالمين، إلا أنه في الحقيقة أمر بدهي أدركه حتى الكفار[٢]، الذين علموا أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو توحيد الإلهية، وإفراد الله تعالى بالعبادة، والكفر بما يُعبد من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[٣][ص:٥]، ثم قال الإمام مستنكراً: (فلا خير في رجلٍ جُهَّالُ الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله)[٤].

ولعل من أهم أسباب اهتمام الإمام بتوحيد الإلهية وحرصه الدائم على بيانه والتذكير به؛ ما رآه من انتشار الجهل به، وبمعنى شهادة أن لا إله إلا الله، وكثرة الوقوع فيما يناقض هذا التوحيد، حتى بين أولئك الذين ينتسبون إلى العلم ويسمونهم الناس (مطاوعة)، حيث أكدّ الإمام أن كثيراً منهم -في الحقيقة- لم يعرفوا بعد معنى الشهادة، وخاطبهم قائلاً: (فاعلموا أنكم لم تعرفوا دين الإسلام، ولا شهادة أن لا إله إلا الله)[٥]، ويحتدّ في العبارة مخاطباً

(١) انظر : المرجع السابق (١٠٢/٢) وانظر : عبدالسلام آل عبدالكريم ، **الرسائل والمسائل النجدية** ، [مرجع سابق] (٣٥/٤) .
(٢) المرجع السابق (١٥٥/٥) .
(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (١٥٥/٥).
(٤) انظر : المرجع السابق (١٥٥/٥) .
(٥) ذكر الشيخ ذلك في رسالة أرسلها (إلى من يصل إليه الكتاب من المسلمين، خصوصاً محمد بن عبيد، وعبدالقادر العديلي وابنه، وعبدا لله بن سحيم ، وعبدا لله بن عضيب، وحميدان بن تركي، وعلي بن زامل، ومحمد أبا الخيل ، وصالح بن عبدا لله). انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ**، (١٢٦/٥).

سليمان بن سحيم وأباه، فيقول: (.. وأنت إلى الآن أنت وأبوك لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، أنا أشهد بهذا شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة أنك لا تعرفها إلى الآن ولا أبوك)[١]، وقد استنبط الإمام هذا الحكم من خلال عدة دلائل[٢]، منها: عدم إنكار هؤلاء المطاوعة ما يرونه من مظاهر الشرك المخالف لتوحيد الإلهية، يقول الإمام: (بل أعجب من هذا أنكم لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، ولا تنكرون هذه الأوثان التي تُعبد في الخرج وغيره، التي هي الشرك الأكبر بإجماع أهل العلم)[٣]، وأحال الإمام أولئك المطاوعة إلى كتاب يثقون به، وهو كتاب (الإقناع)[٤]، فقال: (فانظروا في الإقناع في باب حكم المرتد، وما ذكر فيه من الأمور الهائلة التي ذكر أن الإنسان إذا فعلها، فقد ارتد وحلّ دمه، مثل الاعتقاد في الأنبياء والصالحين، وجعلهم وسائط بينه وبين الله، ومثل الطيران في الهواء، والمشي في الماء، فإذا كان من فعل هذه الأمور منكم، مثل السائح الأعرج ونحوه،

---

(١) المرجع السابق (٥/٢٢٦).

(٢) ذكر الشيخ في هذه الرسالة -على سبيل المثال- ستةً من الدلائل الوجيهة، انظر: المرجع السابق (٥/٢٢٧).

(٣) انظر: المرجع السابق (٥/٢٧٨).

(٤) هو كتاب: **الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل**، لأبي النجا شرف الدين موسى الحجاوي المقدسي (ت ٩٦٨هـ) وقد طبع عدة طبعات، منها طبعة دار المعرفة ببيروت، تصحيح وتعليق عبداللطيف محمد موسى السبكي.

تعتقدون صلاحه وولايته -وقد صرَّح في الإقناع بكفره- فاعلموا أنكم لم تعرفوا معنى شهادة أن لا إله إلا الله)[١].

ويستمر الإمام في بيان جهل بعض هؤلاء (المطاوعة) بأهمية توحيد الإلهية، وضرورة تعلم معنى الشهادة ، فيقول: (وكذلك أيضاً من جهالة هؤلاء وضلالتهم: إذا رأوا من يُعَلِّم الشيوخ وصبيانهم أو البدو شهادة أن لا إله إلا الله قالوا: قولوا لهم يتركوا الحرام. وهذا من جهلهم، فإنهم لا يعرفون إلا ظلم الأموال، وأمّا ظلم الشرك، فلا يعرفون، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: ١٣]، وأين الظلم الذي إذا تكلم الإنسان بكلمة منه، أو مدح الطواغيت، أو جادل عنهم؛ خرج من الإسلام ولو كان صائماً قائماً؛ من الظلم الذي لا يخرج من الإسلام، بل إما أن يؤدي إلى صاحبه بالقصاص، وإما أن يغفره الله، فبين الموضعين فرق عظيم)[٢].

وحين استنكر البعض شدة اهتمام الإمام بتوحيد العبادة، وكثرة حديثه عن انتشار الشرك والجهل بين الناس مع أن أولئك الناس، الذين تحدث عنهم الإمام ينطقون بالشهادة ويتلفظون بها؛ أجاب الإمام عن هذه الشبهة قائلاً :

(فإن قيل: كل الناس يقولونها، قيل:

- منهم من يقولها ويحسب معناها: لا يخلق إلا الله، ولا يرزق إلا الله وأشباه ذلك ..

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ**، (٥/١٢٦).

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ**، (٥/١٩٠).

- ومنهم من لا يفهم معناها ..
- ومنهم من لا يعمل بمقتضاها ..
- ومنهم من لا يعقل حقيقتها ..

وأعجب من ذلك من عرفها من وجه ،وعاداها وأهلها من وجه ..

وأعجب منه من أحبها وانتسب إلى أهلها، و لم يفرق بين أوليائها وأعدائها)[١].

مقتضيات توحيد العبادة:

بيّن الإمام –رحمه الله– أن توحيد الإلهية يقتضي عدة أمور؛ منها: عدم دعاء الأنبياء والأولياء وغيرهم من دون الله وأن من (دعا نبياً أو ولياً عند قبره، فقد اتخذ إلهين اثنين، و لم يشهد أن أن لا إله إلا الله)[٢].

كما أكّد –رحمه الله– أن توحيد الإلهية يقتضي (...إثبات الألوهية كلها لله وحده، ونفيها عن الأنبياء والصالحين وغيرهم، وليس معنى الألوهية أن لا يخلق ولا يرزق ولا يدبِّر ولا يحيي ولا يميت إلا الله؛ فإن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يُقرّون بهذا ..)[٣]، ويقول مبيناً بعض مقتضيات الشهادة: (فاعلم أن معنى هذه الكلمة نفي الإلهية عما سوى الله تبارك وتعالى، وإثباتها كلها لله وحده لا شريك له، ليس فيها حق لغيره؛ لا لملك مقرب،

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/١٨٢– ١٨٣) .

(٢) انظر : المرجع السابق (٥/١٦٦).

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** ، (٥/١٨٧).

ولا لنبي مرسل، كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا .لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا .وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣-٩٥]، .. واعلم أن معنى الإله هو المعبود. هذا هو تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم، فمن عبد شيئاً؛ فقد اتخذه إلهاً من دون الله ... والعبادة أنواع كثيرة .. من ذلك السجود .. ومن ذلك الذبح .. ومن أنواع العبادة الدعاء..)[1].

ويقول شارحاً ألفاظ الشهادة، ومبيناً أنها تدل على ما دلّ عليه واقتضاه توحيد الإلهية، من نفي جميع الآلهة من دون الله، وحصر جميع أنواع العبادة لله وحده: (... وهذا معنى لا إله إلا الله؛ فإن (لا) هذه: نافية للجنس، فنفى جميع الآلهة، و(إلا) حرف استثناء يفيد حصر جميع العبادة على الله عزّ وجلّ (والإله) اسم صفة لكل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق، وهو الله تعالى)[2].

بل إن الإمام -رحمه الله- يؤكد أن توحيد الإلهية، وشهادة أن لا إله إلا الله، يقتضي كل منهما الالتزام بجميع شرائع الله تعالى وفرائضه وواجباته، ويستدل على ذلك بأن الصحابة والسلف -رحمهم الله ورضي عنهم- كانوا (يستدلون بها -(يعني الشهادة)- على مسائل الفقه، فضلاً عن مسائل

---

(١) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٠٣/٢ - ١٠٤)

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** ،(٥/ ١٠٥ - ١٠٦) .

الشرك)[١]، ثم يسوق قصة أبي بكر ﷺ مع مانعي الزكاة من المرتدين حين استدرك عليه عمر ﷺ واستنكر قتالهم، مع أنهم كانوا يقولون: لا إله إلا الله، فقال أبو بكر ﷺ: (فإن الزكاة من حقها)، يعني من حق لا إله إلا الله، ومن مقتضيات توحيد الإلهية، ويعلق الإمام محمد- رحمه الله- فيقول: (.. فإذا كان منع الزكاة من منع حق لا إله إلا الله؛ فكيف بعبادة القبور والذبح للجن ودعاء الأولياء ..)[٢].

٣- تقريره معنى توحيد الربوبية والفرق بينه وبين توحيد العبادة:

تحدث الإمام -رحمه الله- في رسائله عن توحيد الربوبية، والفرق بينه وبين توحيد العبادة، وبين ذلك بشيء من التفصيل.

- **معنى توحيد الربوبية:** يقول الإمام موضحاً المقصود بتوحيد الربوبية: (التوحيد نوعان[٣]: توحيد الربوبية، وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٣٨/٥) .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (١٣٨/٥- ١٣٩) .

(٣) تحدث الإمام في مواضع أخرى من رسائله عن نوع ثالث من أنواع التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات؛ إلا أن الشيخ يجعله مع توحيد الربوبية، داخلاً، معه بجامع أنهما يدخلان في توحيد (المعرفة والإثبات)-حسب تقسيم ابن القيم- رحمه الله- أما توحيد الإلهية، فسماه ابن القيم (توحيد القصد والطلب). انظر : سليمان بن عبدالله بن الشيخ، **تيسير العزيز الحميد**، [مرجع سابق] (ص٣٣). وانظر الحديث عن توحيد الأسماء والصفات في رسائل الشيخ، **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٨/٥، ٦٠، ١٣٠) وانظر إيراده لأنواع التوحيد الثلاثة مجتمعة في رسائله الشخصية، **مجموع مؤلفات الشيخ**، القسم الثالث (٤٢/٤) .

والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم ..)[١]، ثم يبيّن الإمام أن معاناة الأنبياء مع أقوامهم لم تكن بسبب تكذيب الناس بهذا القسم من أقسام التوحيد؛ بل على العكس فإن أكثر الناس مقرّون به، واستدل الإمام على ذلك بقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[يونس: ٣١]، ثم قال الإمام: (... وإن الذي يُدخل الرجل في الإسلام هو توحيد الإلهية..)[٢].

ثم يبيّن الإمام -رحمه الله- أهمية هذا القسم من أقسام التوحيد وهو توحيد الربوبية ويصرّح أنه: (هو الأصل ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه)[٣]، إلا أن الإمام يعترف بعدم إكثاره من ذكر هذا القسم، والتركيز عليه، مقارنةً بتوحيد الإلهية، ويعلل ذلك: بأن توحيد الإلهية هو الذي وقع فيه النزاع بين الرسل وأقوامهم، أما توحيد الربوبية، فقد أقرّ الكفار به، إلا أنه لم يدخلهم في دين الإسلام، (ولم يعصم دماءهم ولا أموالهم، بل قاتلهم رسول الله ﷺ وهم يشهدون بهذا التوحيد)[٤]، يعني توحيد الربوبية.

- الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة:

بيّن الإمام -رحمه الله- الفرق بين توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية؛ فقال بأسلوب تعليمي ميسّر: (فإذا قيل لك: أيش الفرق بين توحيد الربوبية

---

(١) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/١٥٠).

(٢) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/١٥٠) وانظر المعنى نفسه (٥/٦٤).

(٣) انظر: المرجع السابق (٥/١٢١).

(٤) انظر: المرجع السابق (٥/١٥١).

وتوحيد الألوهية؟ فقل: توحيد الربوبية: فعل الرب؛ مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة، وإنزال المطر، وإنبات النبات، وتدبير الأمور. وتوحيد الإلهية: فعلك أيها العبد؛ مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والرغبة والرهبة والنذر والاستغاثة، وغير ذلك من أنواع العبادة ..)[١]، ثم بيّن الإمام أن الربوبية والألوهية إذا ذكرا معاً في موضع واحد: افترقا في المعنى وصار لكلٍ منهما معناه المستقل، أما إذا ذكر كل واحد منهما على حدة في موضع مستقل، فإن لفظ أحدهما يشمل المعنيين جميعاً.. يقول الإمام: (الربوبية والألوهية يجتمعان [يعني في اللفظ] ويفترقان [يعني في المعنى] كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ* مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾[الناس: ١-٣]، وكما يقال: رب العالمين وإله المرسلين، وعند الإفراد [يعني حين ينفرد كل واحدٍ منهما عن الآخر في اللفظ، ويذكر منفرداً عن الآخر] يجتمعان [يعني أن كل واحد منهما يجمع المعنيين جميعاً]؛ كما في قول القائل: مَن ربك ؟،[أي من خالقك، ومعبودك]، مثاله: الفقير والمسكين نوعان في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾[التوبة: ٦٠]، ونوع واحد في قوله [ﷺ]: (افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)[٢] [يعني فقراءهم، ومساكينهم])[٣].

---

(١) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٥٢/١).

(٢) سبق تخريجه : (ص).

(٣) انظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (١٧/٥).

٤- تقريره معنى توحيد الأسماء والصفات :

أشار الإمام -رحمه الله- في رسائله إلى النوع الثالث من أنواع التوحيد، وهو توحيد الأسماء والصفات؛ حيث بيّن أنه من الإيمان بالله تعالى، وقال موضحاً معناه وحقيقته: (ومن الإيمان بالله تعالى: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته، ولا أكيف ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سَمِيَّ له ولا كفؤ له، ولا نِدَّ له، ولا يقاس بخلقه، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً)(١).

وقد حرص الإمام -رحمه الله- في رسائله على بيان عقيدة السلف في بعض مسائل الصفات، واجتهد في التصدي للشُبَه التي يثيرها الخصوم في هذا الشأن، فحين كتب عبد الله المويس كتاباً أرسله لأهل الوشم، يشتمل على مآخذ في الصفات؛ بادر الإمام محمد -رحمه الله- إلى إرسال رسالة إلى عبد الله بن سحيم مطوع المجمعة، حيث وضح له فيها ما ورد في تلك الرسالة

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٨) وهو قريب جداً من المعنى واللفظ الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ، انظر: د. صالح الفوزان ، **شرح العقيدة الواسطية** ، [الرياض- طبعة رئاسة البحوث العلمية- ط الخامسة ١٤١١هـ] (ص١٣-١٧).

من مآخذ في الصفات، وبيّن له موقف السلف - رحمهم الله تعالى- من الألفاظ المجملة؛ كلفظ الجسم والجوهر والعرَض والحيِّز ونحوها، وأنهم يرون فيما لم يرد عن رسول الله ﷺ إثباته ولا نفيه أن لا يثبتوه ولا ينفوه؛ فمن نفاه فهو -عند السلف- مبتدع، قد سلك مسلك الجهمية والمعتزلة، ومن أثبته فهو مبتدع قد سلك مسلك هشام بن الحكم[١]، وأتباعه من المشبهة، والسلف بريئون من هذا وذاك[٢].

كما أن حمد التويجري[٣] -أحد أتباع الإمام- أرسل إلى الإمام رسالةً، وأرفق بها مكتوباً وصل إليه فيه كلام عن الصفات ، وسأل الإمام في رسالته هذه عن ذلك المكتوب، فبيّن له الإمام أن ما تضمنه هذا المكتوب من الكلام في الصفات مخالف لمذهب السلف الصالح[٤].

- المسألة الثانية: تقريره بقية أركان الإيمان ومسائله:

بيّن الإمام -رحمه الله- حقيقة الإيمان بالله تعالى إجمالاً كما سبق ذكره، ثم قرر بقية أركان الإيمان، فذكرها وذكر الدليل على كل ركن منها ، وقال مبيناً ذلك: (وإذا قيل لك: ما الإيمان ؟ فقل: هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره كله من الله، والدليل قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

(١) سبقت ترجمته (ص ٢٧٥) .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/١٣٠- ١٣٢) .

(٣) لم يعثر الباحث على ترجمته .

(٤) انظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٥/٦٠) .

وَرُسُلِهِ﴾[البقرة: ٢٨٥]، ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩])[1].

ولم يكتف الإمام في رسائله بذكر بقية أركان الإيمان إجمالاً؛ بل تحدث بشيء من التفصيل عن كل ركن من هذه الأركان على النحو التالي:

- تقريره الإيمان بالملائكة :

تحدث الإمام- رحمه الله- عن الإيمان بالملائكة، وبيّن أنه يعتقد (ما اعتقدته الفرقة الناجية ؛ أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته..إلخ)[2]، وذكر أن الإيمان بالملائكة من أصول الإيمان الستة، فقال: (.. وأصول الإيمان ستة: أن تؤمن بالله وملائكته ..)[3].

-تقريره الإيمان بالكتب :

وقرر الإمام أيضاً في رسائله الإيمان بالكتب، فذكر أنه من أصول الإيمان الستة[4] وبيّن أنه يرى ويعتقد ما قرره أهل السنة والجماعة من وجوب الإيمان بالكتب السماوية، التي أنزلها الله على رسله الكرام عليهم السلام[5].

---

(١) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٤٩/١-١٥٠)

(٢) انظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٨/٥) .

(٣) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٥٣/١) .

(٤) انظر : المرجع السابق.

(٥) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٨/٥) .

– تقريره الإيمان بالرسل :

أكد الإمام –رحمه الله– وجوب الإيمان بالرسل[١]، وحرص على تلقين (العامَّة) ما يجب عليهم من ذلك، فقال في رسالة أرسلها إلى هذه الفئة من المدعوين بأسلوب حواري ميسّر: (وإذا قيل لك: مَن أول الرسل؟ فقل: أولهم: نوح وآخرهم وأفضلهم: محمد ﷺ، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[النساء: ١٦٣]، وإذا قيل لك: هل بينهم رسل؟ فقل: نعم؛ والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]، وإذا قيل لك: نبينا محمد بشر؟ فقل: نعم؛ والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾ الآية[الكهف: ١١٠]، ثم بيّن الواجب تجاه نبينا محمد ﷺ فقال ... وهو نبي لا يُعبد، ورسول لا يكذب، بل يطاع ويتّبع، صلوات الله وسلامه عليه)[٢].

ووجَّه الإمام كل من تصدى لتعليم الناس إلى أن يحرص على تعليمهم حق الله تعالى، ثم حقوق العباد؛ كالوالدين والأرحام وسائر المسلمين، ثم قال: (وأعظم من ذلك: حق النبي ﷺ وأفرضه شهادتك له أنه رسول الله وأنه

---

(١) انظر : المرجع السابق ، وانظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٥٣/١) .

(٢) انظر : جمع : عبد الرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٥٠/١ - ١٥١)

خاتم النبيين، وتعلم أنك لو ترفع واحداً من الصحابة في منزلة النبوة، صرت كافراً)[١].

وركّز الإمام -رحمه الله- على بيان وجوب نصرة الرسول ﷺ ونصرة دينه ؛ لأن ذلك هو الثمرة الحقيقية للإيمان به، يقول الإمام في ذلك بعد أن ساق قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾[آل عمران: ٨١]: (..فإذا كان سبحانه قد أخذ الميثاق على الأنبياء إن أدركوا محمداً ﷺ على الإيمان به ونصرته، فكيف بنا يا أمته ؟ فلا بد من الإيمان به، ولا بد من نصرته، لا يكفي أحدهما عن الآخر..)[٢].

- تقريره الإيمان باليوم الآخر :

تحدث الإمام أيضاً عن الإيمان باليوم الآخر؛ فذكر أنه من أصول الإيمان الستة[٣]، وبيّن عقيدته في ذلك، وأنه يعتقد ما اعتقده أهل السنة والجماعة من وجوب الإيمان باليوم الآخر[٤]، وحرص الإمام على تعميق إيمان المدعوين باليوم الآخر، وتذكيرهم بما سيواجهونه بمجرد خروجهم من هذه الدنيا الفانية. يقول الإمام لأحد المدعوين مصوراً له حال من أعرض عن دين الله،

---

(١) انظر : المرجع السابق (١٧١/١) .

(٢) انظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٣١٢/٥) .

(٣) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٥٣/١) .

(٤) انظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٨/٥) .

واستنكف عن تعلّمه: (.. فما ظنّك به إذا وضع في قبره، وأتاه الملكان، وسألاه عما عاش عليه من الدين، بماذا يجيب؟ ..(هاه .. هاه .. لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته)[١].. وما ظنك إذا وقف بين يدي ا الله سبحانه وسأله: ماذا كنتم تعبدون[٢]، وبماذا أجبتم المرسلين[٣]، بماذا يجيب؟...)[٤]، ويبرهن الإمام على شدة غفلة الناس عما يواجههم بعد الموت، فيرُدّ على أحد المدعوين الذين ظنوا أن الإمام يبالغ في وصف ما آلت إليه حال بعض الناس من الجهل، ويقول له: (فإن استغربت ذلك مني، فأحضر عندك جماعة، واسألهم عما يُسألون عنه في القبر، هل تراهم يعبرون عنه لفظاً وتعبيراً؟ فكيف إذا طولبوا بالعلم والعمل ؟)[٥].

ويلقّن الإمام عوامّ المسلمين بعض ما يجب عليهم معرفته من عقيدة الإيمان باليوم الآخر؛ فيقول بأسلوب تعليمي ميسّر: (فإذا قيل لك :وهل

(١) إشارة إلى حديث البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ في سؤال الملكين للميت ، والحديث أخرجه : أبوداود ، **سنن أبي داود** ، [سوريا ـ دار الحديث ـ ط الأولى ــ ١٣٩٤هـ] كتاب السنة ، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر ، (ح ٤٧٥٣) (٥/١١٤) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ. مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سورة الشعراء ، آية رقم(٩٢).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ سورة القصص ، آية رقم (٦٥).

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/١٧١).

(٥) انظر : المرجع السابق (٥/١٧٣).

الناس إذا ماتوا يبعثون؟ فقل: نعم، والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[طه: ٥٥].

ثم قال: والذي ينكر البعث كافر، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧])(١).

ثم يذكّر الإمام –رحمه الله– ببعض ما يكون بعد الموت، فيقول: (وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فأومن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاةً عراةً غرلاً، تدنو منهم الشمس، وتنصب الموازين، وتوزن بها أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، وتنشر الدواوين؛ فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، وأومن بحوض نبينا ﷺ ... وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم ... وأومن بشفاعة النبي ﷺ ...)(٢).

- **تقريره الإيمان بالقدر خيره وشره:**

ولم يغفل الإمام –رحمه الله – عن تناول الإيمان بالقدر، فذكر أنه من أركان الإيمان وأصوله الستة، وأشار إلى دليله من كتاب الله تعالى، فقال:

---

(١) انظر : جمع: عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٥٥/١)، وانظر : **مجموع مؤلفات الشيخ**، (٣٧٣/١).

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٩/٥) .

(ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [1] [القمر: ٤٩])، كما بيّن أنه يعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية -أهل السنة والجماعة- من وجوب الإيمان بالقدر، ونبّه إلى وسطية هذه الفرقة الناجية في باب القدر، فقال: (والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية)[2]، وقال: (وأومن بأن الله فعّالٌ لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، و لا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلاّ عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خُطّ له في اللوح المسطور)[3].

---

(١) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٥٠/١) وانظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** ، (٣٧٣/١) .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٨/٥) .

(٣) انظر : المرجع السابق (٩/٥) .

المطلب الثالث

بيانه لنواقض الإسلام

ويمكن تناول هذا المطلب من خلال المسائل التالية :

المسألة الأولى: بيانه خطر نواقض الإسلام.

المسألة الثانية: بيانه ضوابط التكفير .

المسألة الثالثة: بيانه أنواع نواقض الإسلام .

المسألة الرابعة: بيانه نواقض الإسلام العشرة.

المسألة الأولى: بيانه خطر نواقض الإسلام:

تحدث الإمام في رسائله -رحمه الله- عن نواقض الإسلام، فحذّر منها أشدّ تحذير، ونوّع الأساليب في بيان خطرها ووجوب الحذر منها، ونبّه -رحمه الله- إلى أنه (لا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد، والخائف؛ إلا المكره ، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه)[1].

وحين أحسّ الإمام بتهاون أحد المدعوين[2]، في هذا الأمر، طمعاً في شيء من متاع الدنيا وعرَضِها الزائل، سارع -رحمه الله- بإرسال رسالة يحذره فيها من هذا الأمر، ويبين له خطورته، وقال في نهاية هذه الرسالة بعد أن بيّن

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢١٤) .

(٢) هو أحمد بن عبدالكريم من أهل الأحساء وممن كانت بينه وبين الشيخ مراسلات عديدة كما يبدو من هذه الرسالة ، انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢١٦) .

خطورة الشرك: (...فإن فهمت هذا، وإلا أشير عليك أنك تكثر من التضرع والدعاء إلى من الهداية بيده، فإن الخطر عظيم، فإن الخلود في النار جزاء الردة الصريحة، ما يسوى بضيعة[١]، تربح توماناً[٢]، أو نصف تومان...)[٣].

كما نبّه الإمام -رحمه الله- إلى أن من دلائل خطورة نواقض الإسلام أن بعضها (قد يقع فيمن هو أعلم الناس وأصلحهم وهو لا يدري، كما قيل: الشرك [وهو أحد نواقض الإسلام] أخفى من دبيب النمل)[٤].

ومن هذا المنطلق حرص الإمام على بيان وجوب قيام كل مسلم بتعليم أهله وأولاده خطورة نواقض الإسلام، والحذر من الوقوع فيها، وبيّن -رحمه الله- أن تعليمهم ذلك أعظم من وجوب تعليمهم الوضوء والصلاة، ونبّه الإمام - رحمه الله- إلى أهمية أن يقوم الدعاة بنشر هذا المفهوم؛ فكتب إلى اثنين[٥] من طلبة العلم من أتباعه رسالة، بيّن فيها خطورة نواقض الإسلام، وخطورة الشرك، وموالاة أعداء الله، وأمرهما في نهاية هذه الرسالة أن

---

(١) بضيعة : تصغير بضاعة ، وهي الطائفة من المال تبعث للتجارة ، انظر : محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح** ، [لبنان ـ مكتبة لبنان ـ ١٩٨٩م] مادة (بضع) ص٤٧.

(٢) تومان : اسم نقد (عملة) كان يتعامل به في ذلك العهد ، ومثله : محمدية ، أحمر ، مشخص، جديدة .. انظر **مقدمة عنوان المجد** ، لابن بشر ، [مرجع سابق] (صفحة ج).

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢٢٤).

(٤) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١١٢/٢) .

(٥) هما عبدالله بن علي ، ومحمد بن جماز .

يذكرا للمدعوين (أنه واجب على الرجل يعلم عياله وأهل بيته ذلك[١]، أعظم من وجوب تعليم الوضوء والصلاة)[٢].

واستنكر -رحمه الله- تهاون بعض (المطاوعة) بأمر تعليم الناس العقيدة، وخطورة نواقض الإسلام، وظنهم أن تعليم الناس خطورة ظلم الأموال أهمّ، فقال معرضاً بهم: (... وهذا من عظيم جهلهم ؛ فإنهم لا يعرفون إلا ظلم الأموال؛ وأما ظلم الشرك فلا يعرفون، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: ١٣]، وأين الظلم الذي إذا تكلم الإنسان بكلمة منه، أو مدح الطواغيت، أو جادل عنهم، خرج من الإسلام -ولو كان صائماً قائماً- من الظلم الذي لا يخرج من الإسلام؛ بل إما أن يؤدي صاحبه بالقصاص ، وإما أن يغفره الله، فبين الموضعين فرق عظيم)[٣]. وأكدّ الإمام بالأيمان المغلظة خطورة الجهل بنواقض الإسلام أو إنكارها، وذكر أن الخطأ في هذا الأمر (ليس مثل الخطأ في الفروع، بل ليس الجهل بهذا - فضلاً عن إنكاره - مثل الزنا والسرقة، بل والله ثم والله ثم والله، إن الأمر أعظم)[٤]،كما نصّ الإمام رحمه الله.

---

(١) [يعني خطورة نواقض الإسلام، كالشرك وموالاة أعداء الله..] .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٣٢٣) .

(٣) انظر: المرجع السابق (الشخصيّة)(٥/١٩٠) .

(٤) انظر: المرجع السابق ، (٥/٧٥) وانظر : المرجع نفسه (٥/٢٠٠) .

ثم إنه -رحمه الله- نوّع الأساليب في التحذير من نواقض الإسلام وبيان خطرها، ومن ذلك: تحذيره من الشرك؛ حيث بيّن أن من دلائل خطورته ما جاء في النصوص من أنه لا يغفره الله في الآخرة[١]، ويوجب تبرؤ النبي ﷺ من صاحبه[٢]، ويحبط عمل صاحبه ولو كان رسولاً [٣]، إلا أن الرسل قد عصمهم الله من الشرك.

وساق -رحمه الله- في عدة مواضع من رسائله بعض الآيات الدالة على خطورة الشرك، الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾[المائدة: ٧٢] وقوله تعالى لنبيه ﷺ على سبيل التغليظ، وإلا فهو منزّه هو وإخوانه عن الشرك:﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الزمر: ٦٥-٦٦]، وغير ذلك من الآيات)[٤].

كما بيّن -رحمه الله- أن نواقض الإسلام -ومنها الشرك- مما يوجب قتال صاحبه، وسبي أولاده، وأخذ أمواله، والحكم بكفره (إذ أنه ﷺ تبرأ ممن اعتقد في الأنبياء والصالحين ، وقتلهم [ﷺ] وسباهم وأولادهم، وأخذ أموالهم وحكم بكفرهم)[٥]، مع أن (الكفار الذين قاتلهم النبي ﷺ واستحل

(١) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٤٤) .

(٢) انظر: المرجع السابق، (٥/٥٣) .

(٣) انظر : المرجع السابق، (٥/٢٠٠) .

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٩٥) .

(٥) انظر : المرجع السابق (٥/٥٣) .

دماءهم يُقِرّون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، النافع الضار، المدبر لجميع الأمور)[١]، وإنما استحقوا ذلك لارتكابهم أحد نواقض الإسلام، وهو الشرك.

وأكدّ -رحمه الله- إجماع العلماء المعتبرين على تكفير من ارتكب نواقض الإسلام، كمن (أقرّ بدين الله ورسوله، ثم عاداه، وصدّ الناس عنه، وكذلك من عبد الأوثان بعد أن عرف أنها دين للمشركين وزينة للناس)[٢]، وبيّن الإمام أنه لم يستقل وحده بهذا الحكم، بل إن (كل عالم على وجه الأرض يكفّر هؤلاء، إلا رجلاً معانداً أو جاهلاً)[٣]، واستشهد -رحمه الله- بقول الحجاوي (في الإقناع) في باب حكم المرتد في أوله: فمن أشرك بالله، أو جحد ربوبيته أو وحدانيته، إلى أن قال: أو استهزأ بالله أو رسله، قال الشيخ [يعني ابن تيمية][٤]: أو كان مبغضاً لرسوله، أو لما جاء به اتفاقاً، أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم؛ كفر إجماعاً)[٥].

---

(١) انظر : المرجع السابق (٥/٤٤، ٤٥) .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/ ٥٨) .

(٣) انظر : المرجع السابق نفسه والصفحة ذاتها .

(٤) ذكر الحجاوي في مقدمة كتابه ما نصّه :(ومرادي بالشيخ : شيخ الإسلام بحر العلوم أبوالعباس أحمد بن تيمية)، **الإقناع** ، [مرجع سابق] (١/٢) .

(٥) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٦٨) . وانظر : الحجاوي ، **الإقناع** ، [مرجع سابق] (٤/٢٩٧) .

المسألة الثانية: بيانه ضوابط التكفير:

حرص الإمام -رحمه الله- كما هو واضح في رسائله- على بيان ضوابط التكفير، وأنكر على من تسرع في إطلاق حكم التكفير دون مراعاة لهذه الضوابط، ومن ذلك إنكاره على سليمان بن سحيم إطلاقه تكفير القدرية بالعموم دون تفصيل؛ حيث قال الإمام عن الأوراق التي أرسلها ابن سحيم: (ثم ذكر فيها كفر القدرية، والعلماء لا يكفرونهم، [يعني: بالعموم، بل يكفّرون غلاتهم فقط]، فكفّر ناساً لم يُكفّروا)[1]، فالإمام إذاً يقرر وجوب تحري الضوابط الشرعية عند إطلاق حكم التكفير، ومن تلك الضوابط:

١- أن الحكم بالتكفير من الأحكام الشرعية التي مردّها إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ فلا يُكفّر إلا من دلّ الكتاب أو دلّت السنة على كفره[2].

أكّد الإمام في رسائله -رحمه الله- على ضرورة التثبت والتبين قبل إطلاق مثل هذه الأحكام، وقال ما نصّه: (من أظهر الإسلام، وظننا أنه أتى بناقض؛ لا نكفره بالظن لأن التبين لا يرفع بالظن، وكذلك لا نكفر من لا نعرف منه الكفر بسبب ناقض ذكر عنه، ونحن لم نتحققه)[3]، ولا شك أن هذا هو منهج سلف الأمة؛ حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

---

(١) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٨٨).

(٢) انظر: الشيخ محمد بن عثيمين، **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، [الرياض - مطابع السفراء - ط ١٤٠٦هـ] (ص٨٧).

(٣) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٤).

(فليس لأحدٍ أن يُكفِّر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتُبيَّن له المَحجّة، ومن ثبت إسلامه بيقين، لم يزل عنه ذلك بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة)[١]. وقال أيضاً: (وهذا بخلاف ما كان يقوله بعض الناس ، كأبي إسحاق الإسفرائيني[٢]، ومن اتبعه يقولون: (لا نكفر إلا من كفّرنا) فإن الكفر ليس حقاً لهم، بل هو حق الله، وليس للإنسان أن يَكْذِب على من يكذب عليه، ولا يفعل الفاحشة بأهل من فعل الفاحشة مع أهله..)[٣]، ويقول الإمام -رحمه الله- في رسالته إلى محمد بن عيد: (وأما ما ذكر الأعداء أني أكفر بالظن، فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله [ﷺ])[٤].

---

(١) انظر : ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** ، [مرجع سابق] (٤٦٥/١٢) .

(٢) الإسفرائيني : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ، أبو إسحاق ، عالم بالفقه والأصول ، كان يلقب بركن الدين، نشأ في إسفرايين بين نيسابور وجرجان، (وكلاهما في شمال شرق دولة إيران حالياً) ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له فيها مدرسة عظيمة فدرس فيها، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق فاشتهر، له كتاب الجامع في أصول الدين ، وكان ثقة في رواية الحديث، وله مناظرات مع المعتزلة، مات في نيسابور سنة(٤١٨هـ)، ودفن في إسفرايين، انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، [مرجع سابق] (٢٨/١).

(٣) ابن تيمية ، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية** ، [الرياض ـ مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ ط الأولى ١٤٠٦هـ] (٢٤٤/٥) .

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٢٥/٥) .

٢- عدم التكفير إلا بعد قيام الحجة بتوفر الشروط وانتفاء الموانع :

نصّ الإمام -رحمه الله- على ذلك في عدة مواضع من رسائله، منها قوله في إحدى رسائله[١]: (.. وإنما نكفّر من أشرك با لله في إلهيته، بعدما نبين له الحجة على بطلان الشرك)[٢]، وقال في موضع آخر مبيِّناً ضابط تكفيره لأي شخص: (.. وأيضاً نكفّره بعد التعريف إذا عرف وأنكر)[٣].

كما نبّه الإمام -رحمه الله- إلى أن السلف فرقوا بين تكفير النوع وتكفير المعين وذكر أن (السلف كَفّروا النوع، أما المعين، فإن عرف الحق وخالف، كَفَر بعينه، وإلا لم يكفّروا)[٤]. فهو هنا يثبت (أن المعيّن يكفر إذا قامت عليه الحجة) [٥] فقط، وأما إذا لم تقم، فيكفّر نوع فعله الكفري، ولا يكفّر هو، ونظير ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال :(إن القول قد يكون كفراً، فيطلق القول بتكفير صاحبه [يعني على سبيل الإطلاق، لا على سبيل التعيين] ويقال: من قال هذا فهو كافر ، لكن الشخص المعين الذي قاله لا

---

(١) رسالته إلى حمد التويجري .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٦٠).

(٣) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١/١٧٩) وانظر : **مجموع مؤلفات الشيخ**، (٤/٩) .

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢٢١) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٥/٢٢٠) .

يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها)[١]، ويقصد بقيام الحجة: توفر الشروط وانتفاء الموانع[٢].

٣- التفريق بين قيام الحجة وفهم الحجة :

حدّد الإمام -رحمه الله- المقصود بقيام الحجة، وأوضح (أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله، مثل فهم أبي بكر ﷺ، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شيء يعذر به، فهو كافر؛ كما كان الكفار كلهم

---

(١) جمع عبدالرحمن بن قاسم ، **مجموع فتاوى بن تيمية** ، [مرجع سابق] (١٦٥/٣٥) .

(٢) لا بد للحكم بتكفير المسلم من شرطين :

أحدهما : أن يقوم الدليل على أن هذا الشيء مما يكفر ، ولذلك لا يكفر إلا من دلّ الكتاب والسنة على تكفيره، أو أجمع العلماء على الحكم بكفره، قال الإمام عن ضوابطه في التكفير والقتال :(ولا نقاتل إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان، وأيضاً نكفّره بعد التعريف إذا عرف وأنكر).انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١٧٩/١).

الثاني : انطباق الحكم على من فعل ذلك، بحيث تتوفر فيه الشروط بكونه عالماً قاصداً .. وتنتفي عنه الموانع كالجهل والإكراه ونحوه ، فإن اختل أحد هذه الشروط فلا يكفر . وقد ذكر الإمام -رحمه الله- في رسائله (أن من قال المكفر أو فعله فقد كفر إلا المكره، بالشروط المذكورة). انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٢١٧/٥)، واستدل، بقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ سورة النحل، الآيتان رقم (١٠٦- ١٠٧) وانظر أيضاً: جمع: فهد السليمان، **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، [الرياض- دار الثريا- ط الثانية-١٤١٤هـ] (١٢٥/٢-١٢٦).

تقوم عليهم الحجة بالقرآن مع قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾(١)[الأنعام: ٢٥])، ولذلك فقد عجب الإمام من تردد بعض أتباعه في الحكم بتكفير بعض الطواغيت المعاصرين للإمام، بحجة الشك في قيام الحجة عليهم، فقال: (..كيف تشكون في هذا وقد أوضحته لكم مراراً، فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون في مسألة خفية مثل الصرف والعطف؛ فلا يكفر حتى يعرّف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن، فقد بلغته الحجة)(٢).

ثم وضح الإمام -رحمه الله- مكمن الإشكال في هذه المسألة فقال: (ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الفرقان: ٤٤]، وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم -وإن لم يفهموها- نوع آخر)(٣).

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٢٠).

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٤٤).

(٣) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١٨٢/١). ويوجد في **الدرر السنية**، [مرجع سابق] (٩٠/٨) و**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٤٤) رسالة بنفس الألفاظ، لكن دون ذكر اسم المرسل إليهما ، (الشيخ عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم) مع نقص صفحة ونصف من آخرها.

٤ـ عدم التكفير بالعموم:

لعل من أبرز الشبه التي أثارها الخصوم ضد الإمام زعمهم أنه يكفر بالعموم، وقد ردّ الإمام على هذه الشبه في أكثر من موضع من رسائله؛ منها قوله في إحدى هذه الرسائل: (..ما ذكر لكم عني أني أكفّر بالعموم فهذا من بهتان الأعداء)[١]، وقوله في رسالته لإسماعيل الجرّاعي[٢]: (...وأما القول: إنّا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء، الذين يصدون به عن هذا الدين، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم)[٣]. وسيأتي مزيد تفصيل لهذه الشبهة في المبحث الخامس من هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

٥– عدم التكفير بالمعصية:

بيّن الإمام –رحمه الله– في عدة مواضع من رسائله أن من ضوابطه في التكفير الالتزام بما دلّت عليه النصوص الشرعية، من عدم تكفير المسلم بالمعصية، خلافاً للخوارج، الذين بيّن –رحمه الله– أنهم (يكفّرون بالذنوب)[٤]، وساق ما قاله ابن القيم –رحمه الله– في نونيته عنهم حين قال:

من لي بمثل خوارج قد كفّروا ∴ بالذنب تأويلاً بلا برهان[٥]

---

(١) جمع عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] [ط ١٣٨٥هـ) (١٠٧/٨).

(٢) هو إسماعيل بن عبدالكريم بن محيي الدين الجراعي الدمشقي، (١١٣٤-١٢٠٢هـ). ولد في دمشق، وقرأ على علمائها، ومهر في الفقه، حتى أصبح مفتي السادة الحنابلة بدمشق، وله عدة مؤلفات؛ منها: شرح دليل الطالب، وشرح غاية المنتهى، انظر : محمد بن حميد، **السحب الوابلة**، [مرجع سابق] (٢٨٥/١).

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (١٠١/٥).

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٢٠٩/٥).

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٢٠٨/٥-٢٠٩).

وأكّد -رحمه الله- حقيقة معتقده في ذلك، حين قال في رسالته التي أرسلها إلى أهل القصيم يبين فيها عقيدته: (... ولا أكفّر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام)[١]، وساق ما ذكره أهل العلم في ذلك، وأكده حيث بيّن (أن أهل العلم قالوا: لا يجوز تكفير المسلم بالذنب)[٢]، ثم قال الإمام مؤكداً ذلك: (وهذا حق)[٣].

وحين سأله أحد المدعوين[٤] عن عدة مسائل أشكلت عليه تتعلق بهذا الموضوع، وهي: ورود بعض النصوص الشرعية التي أطلقت الكفر على بعض الذنوب[٥][التي دون الكفر الأكبر] أجاب الإمام -رحمه الله- قائلاً: (...الخامسة[٦]: أن من أطلق الشارع كفره بالذنوب، فالراجح فيها قولان:

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٥/١١).

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٥/٢٣٣).

(٣) المرجع السابق ، الموضع نفسه .

(٤) هذه الرسالة ذكرها حسين بن غنام في **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١/٢٠٤ إلى ٢٠٩)، وليس فيها ذكر لاسم السائل غير أن ابن غنام أورد الأسئلة التي أرسلها السائل للإمام (١/٢٠٣- ٢٠٤)، وهي اثنتا عشرة مسألة، ولم ترد هذه الرسالة في القسم الخامس من مطبوعات الجامعة ، وواضح من أسلوبها أنها رسالة شخصية، فقد جاء في مطلعها: فأجاب -رحمه الله- بعد السلام : فسرني ما ذكرت ألهمك الله التوفيق ...) والسلام هنا يوحي أن الإجابات تمّت بالمراسلة وأن السائل بعيد عن الشيخ ، ومن عباراتها قول الشيخ: (وما أشكل عليك في هذا، فراجعني، وأذكر لك لفظهم بعينه)، فهي إذاً موجهة لشخص بعينه يعرفه الشيخ، وهو يعرف الشيخ، ويستطيع زيارته ومراجعته للاستزادة منه .

(٥) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١/٢٠٤) .

(٦) يعني : الجواب على المسألة الخامسة من جملة المسائل التي أوردها السائل في هذه الرسالة ومجموعها اثنتا عشرة مسألة .

أحدهما: ما عليه الجمهور، وأنه لا يخرج من الملة.

والثاني: التوقف، كما قال الإمام أحمد: أمِرُّوها كما جاءت؛ يعني لا يقال: يخرج ولا ما يخرج. وما سوى هذين القولين غير صحيح)[١].

فالإمام هنا رجَّح هذين القولين، معرضاً عن بقية الأقوال في هذه المسألة[٢].

المسألة الثالثة: بيانه أنواع نواقض الإسلام:

تحدث الإمام في رسائله عن أنواع[٣] نواقض الإسلام -من حيث محِلِّها- فبيّن أن منها ما محله الاعتقاد، ومنها ما محله القول، ومنها ما محله العمل.

---

(١) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١/٢٠٧) .

(٢) انظر التفصيل في هذه المسألة وبقية الأقوال : الحجاوي ، **الإقناع** ، [بيروت ـ دار المعرفة ـ ب ت] (٤/٢٩٧ ، ٢٩٨) . والبهوتي ، **كشاف القناع عن متن الإقناع** ، [بيروت ـ دار الفكر ـ ط ١٤٠٢هـ] (٦/١٦٩) .

(٣) بيّن العلماء رحمهم الله تعالى أن من نواقض الإسلام الكفر بالله تعالى ، كما بينوا أن الكفر نوعان : كفر أكبر وكفر أصغر .

- فالأكبر : هو الكفر الاعتقادي، المنافي لقول القلب وعمله أو لأحدهما ، وهومخرج من الملة موجب للخلود في النار ، وقد بيّن العلماء أنه خمسة أنواع هي : كفر تكذيب وكفر إباء واستكبار مع التصديق ، وكفر شك ، وكفر إعراض ، وكفر نفاق .

-والأصغر : هو الكفر العملي الذي لا يناقض قول القلب ولا عمله، ولا يستلزم ذلك ، فهو ينافي كمال الإيمان ولا ينافي مطلقه ، وهو موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، كما في قوله ﷺ : (اثنتان في أمتي هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة) رواه مسلم في الإيمان، باب إطلاق الكفر على الطعن في النسب (١/٨٢) رقم (٦٧). انظر: ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**، [بيروت- دار الكتاب العربي- ط الثانية- ١٤١٤هـ] (١/٣٤٤-٣٤٨) وانظر : الشيخ حافظ الحكمي، **أعلام السنة المنشورة** ، [الرياض- مكتبة الرشد- ط الثانية- ١٤١٤هـ] (ص١٧٥،١٨١) وأحمد بن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب ، **مجموعة التوحيد**، [مصر-دار اليقين- ط الأولى- ١٤١٣هـ] (ص٧-١١).

يقول الإمام -رحمه الله- في إحدى رسائله وهو يتحدث عن الإسلام:

(... وأنكم تعرفون كلام الله وكلام رسوله [ﷺ] وإجماع العلماء [1]، أن له [أي للإسلام] نواقض كنواقض الوضوء الثمانية؛ منها:

- اعتقاد بالقلب: وإن لم يعمل أو يتكلم؛ يعني إذا اعتقد خلاف ما علّمه الرسول [ﷺ] أمته بعدما تبيّن له.

- ومنها كلام باللسان : وإن لم يعمل و لم يعتقد

- ومنها عمل بالجوارح : وإن لم يعتقد ويتكلم)[2].

المسألة الرابعة: بيانه نواقض الإسلام العشرة :

تحدّث الإمام في رسائله عن نواقض الإسلام التي عدّها العلماء من النواقض التي تخرج مرتكبها من دين الإسلام، وأوجزها الإمام في عشرة نواقض هي بإيجاز:

---

(١) ذكر كثير من العلماء ـ في أبواب حكم المرتد ـ صوراً عديدة لما تحصل به الردّة : منها ما يكون بالقلب، ومنها ما يكون باللسان، ومنها ما يكون بالجوارح، انظر: الإمام القاضي أبو الوليد بن أحمد القرطبي المالكي، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، [مصر -مطبعة حسان- ب ت] (٢/٥٩٣) . والإمام محمد بن إدريس الشافعي ، **الأم**، [بيروت -دار المعرفة- ط الثانية -١٣٩٣هـ] (٦/١٥٦) وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ، **المهذب** ، [مصر -مطبعة مصطفى البابي الحلبي- ط الثالثة ـ ١٣٩٦هـ] (٢/٢٨٤) وموفق الدين ابن قدامة المقدسي، **المغني** ، ويليه الشرح الكبير لشمس الدين ابن قدامة المقدسي ، [بيروت -دار الكتاب العربي -ط ١٤٠٣هـ] (١٠/٧٤) .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢٤) .

١- الشرك في عبادة الله .

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط .

٣- من لم يُكَفِّر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحّح مذهبهم .

٤- من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه.

٥- من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به .

٦- من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه.

٧- السحر، ومنه الصرف والعطف.

٨- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين.

٩- من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباعه ﷺ، وأنه يسعه الخروج من شريعته.

١٠- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به[١].

ثم قال الإمام: (ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره..)[٢] و لم يكتف الإمام -رحمه الله- بذكر هذه النواقض

---

(١) نظمها الباحث لنفسه - اجتهاداً- في ثلاثة أبيات (لِتُحْفَظ) وهي قوله :

شركٌ ، وسائطُ ، تركُ تكفيرِ لِمَن ∴ كفروا ، مساواةٌ بهدي المصطفى

أو بغضُ ذاك الهدي ، أو هزءٌ به ∴ سحرٌ ، مظاهرةٌ على أهل الوفا

أو ظنُّ شخص كونه أهلاً لأن ∴ يخرجْ عن الشرعِ ، وإعراضٌ كفى

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢١٢ - ٢١٤) .

إجمالاً، بل فصّل فيها في مواضع أخرى، وذكر بعض الأدلة والشواهد على هذه النواقض على النحو التالي :

١- الشرك في عبادة الله :

تحدث الإمام -رحمه الله- في رسائله عن الشرك، وبيّن أقسامه وأنواعه وصوره على النحو التالي:

أولاً: أقسام الشرك[١]:

تحدث الإمام عن أقسام الشرك، فذكر أنها قسمان :

١- شرك أكبر[٢]: وهو -كما ذكر أهل العلم- كل شرك أطلقه الشارع، وهو يتضمن خروج الإنسان عن دينه، مثل أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى[٣] وذكر الإمام أن من أمثلة هذا الشرك ما يصرفه

---

(١) يذكر أئمة الدعوة أن الشرك ثلاثة أقسام : شرك أكبر، وشرك أصغر وشرك خفي، انظر : ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب ، **مجموعة التوحيد**، [مرجع سابق] (ص٩، ١٠). والذي يميل إليه ابن القيم في مدارج السالكين، وكذلك بعض العلماء المعاصرين أن الشرك قسمان: شرك أكبر وشرك أصغر، وأما الخفي، فمنه الأكبر، ومنه الأصغر، فهو داخل فيهما، انظر: ابن قيم الجوزية ، **مدارج السالكين**، [مرجع سابق] (١/٣٤٨)، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز، **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، [الرياض- طبع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء- ١٤٠٨هـ] (١/٤٣) ، (٣/٤٥٢) وانظر: جمع فهد السليمان ،**مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، [مرجع سابق] (٢/٢٠٢ ، ٢٠٣).

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢٧٨) .

(٣) انظر : جمع فهد السليمان ، **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، [مرجع سابق] (٢/٢٠٢) .

بعض الجهال للقبور والأضرحة والطواغيت من أنواع العبادة؛ كدعائها وقصدها ومحبتها؛ أو طاعة[١] الطواغيت في معصية الله.

ويَعجَب الإمام من جهل بعض (المطاوعة) بهذا الأصل وعدم إنكارهم لما يقع في بلدانهم من الشرك، حيث يقول في إحدى رسائله مخاطباً أحدهم[٢]: (بل أعجب من هذا أنكم لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، ولا تنكرون هذه الأوثان التي تعبد في الخرج وغيره، التي هي الشرك الأكبر بإجماع أهل العلم)[٣].

٢- **شرك أصغر**[٤]: وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك، ولكنه لا يخرج من الملة، مثل الحلف بغير الله، فإن النبي ﷺ قال: (من حلف بغير الله، فقد كفر أو أشرك)[٥]، فالحالف بغير الله الذي لا يعتقد أن لغير الله تعالى من العظمة ما يماثل عظمة الله، فهو مشرك شركاً

(١) ذكر العلماء أن الشرك الأكبر أربعة أنواع: شرك الدعوة، وشرك النية والإرادة والقصد، وشرك المحبة ، وشرك الطاعة، وذكروا الأدلة على كل نوع، انظر : أحمد بن تيمية و محمد بن عبد الوهاب، **مجموعة التوحيد** ، [مرجع سابق] (ص٩) .

(٢) هو : عبدالله بن عيسى (أحد مطاوعة الدرعية) .

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢٧٨) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٥/٩٠) .

(٥) رواه الترمذي وحسّنه، **سنن الترمذي**، [مرجع سابق] [كتاب النذور والأيمان باب٩ حديث رقم ١٥٣٩] (٤/١١٠). ورواه الحاكم وصححه، **المستدرك**، [بيروت- دار الكتب العلمية- ط الأولى ١٤١١هـ] برقم (٧٨١٤) (٤/٣٣١).

أصغر[١].

وقد استنكر الإمام -رحمه الله- على سليمان بن سحيم زعمه أن النصوص الواردة في الشرك إنما المراد بها النهي عن الشرك الأكبر الجلي دون الأصغر، وقال مستنكراً: (... فصرّح [يعني سليمان بن سحيم] بأن مراد الله ومراد النبي ﷺ لا يدخل فيه عبادة الأوثان، وأن الشرك الأصغر لا يدخل فيه ويسمي الذين أدخلوه فيه (الجهال)[٢]، ثم يتعجب الإمام من تناقض هذا الرجل؛ لأنه في نفس الصفحة رجع فناقض نفسه، وقرر ما قرره الإمام من دخول الشرك الأكبر والأصغر في النهي، قال الإمام: (.. ثم في آخر الصفح بعينه قال: وقد يطلق الشرك بعبارات أُخَر، وكل ذلك في قوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨]، فردّ علينا في أول الصفح، وكذب على الله ورسوله في أن معنى ذلك بعض الشرك، ثم رجع يقرر ما أنكره، ويقول: إن الشرك الأكبر والأصغر داخل في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣][يوسف: ١٠٨]).

ثانياً: أنواع الشرك:

تحدث الإمام -رحمه الله- أيضاً عن أنواع الشرك فبيّن أن الشرك، منه ما يكون شركاً في الربوبية: كمن اعتقد أن أحداً غير الله بيده تدبير بعض أمور

---

(١) انظر: جمع فهد السليمان، **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، [مرجع سابق] (٢/٢٠٣).

(٢) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٩٠).

(٣) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٩٠).

الكون أو معرفة المغيبات، أو نحو ذلك، كبعض غلاة الصوفية، الذين يعتقدون أن الكون يدبّره أربعة أقطاب.

وبيّن الإمام أن من الشرك ما يكون شركاً في الألوهية: وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير ا لله تعالى.

واستنكر الإمام على سليمان بن سحيم عدم دقّته في معرفة هذين النوعين من الشرك، حيث ظنها أربعة أمور، فقال الإمام في معرض الرد عليه: (التاسع: أنه ذكر أن الشرك أربعة أنواع: شرك الألوهية، وشرك الربوبية، وشرك العبادة، وشرك الملك، وهذا كلام من لا يفهم ما يقول؛ فإن شرك العبادة هو شرك الألوهية، وشرك الربوبية هو شرك الملك)[١].

ثالثاً: صور الشرك:

تحدث الإمام أيضاً عن بعض صور الشرك، وأفاض في ذلك، وذكر أن من هذه الصور[٢] ما يلي:

١- **دعاء غير ا لله**: ويقصد بالدعاء هنا: (هو دعاء المسألة فيما لا يقدر عليه إلا ا لله تعالى فإن ذلك شرك)[٣]، وقد بيّن الإمام -رحمه ا لله- (أن دعوة

---

(١) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٩٠).

(٢) ذكر بعض العلماء أن صور الشرك كثيرة ولكن مدارها على أربعة أنواع: شرك الدعوة، وشرك النية والإرادة والقصد، وشرك الطاعة، وشرك المحبة. انظر: أحمد بن تيمية و محمد ابن عبدالوهاب، **مجموعة التوحيد**، [مرجع سابق] (ص٩).

(٣) الشيخ سليمان بن عبدا لله بن محمد بن عبدالوهاب، **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، [الرياض ـ مكتبة الرياض الحديثة ـ ب ت] (ص١٨٠).

الصالحين والتعلق بهم هو الشرك با لله، الذي قال ا لله فيه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾[المائدة: ٧٢])[1]، وقرر أنه (ما يُدْعى إلا ا لله وحده لا شريك له كما قال تعالى في كتابه: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[2][الجن: ١٨])، كما أوضح الإمام أن (كل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يدعوه من دون ا لله، فكل هذا شرك وضلال، يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتِل)[3].

وقد قام الإمام بواجبه في محاربة هذا النوع من الشرك، (وقام يلزم الناس بالإخلاص، ويمنعهم من دعوة أهل القبور)[4]، إلا أن الخصوم والمنتفعين شرقوا بهذه الدعوة، وقاموا (يوهمون الناس أن هذا تنقّص بالصالحين، وأن دعوتهم من إجلالهم واحترامهم)[5]، وذكر الإمام أيضاً أن الخصوم (قاموا يجادلون، ويلبسون على الناس، ويقولون: كيف تكفرون المسلمين؟ كيف تسبون الأموات؟ آل فلان أهل ضيف، آل فلان أهل كذا وكذا، ومرادهم بهذا لئلا يتبيّن معنى لا إله إلا ا لله، ويتبيّن أن الاعتقاد في الصالحين النفع والضر، ودعاءهم كفر ينقل عن الملة)[6].

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٣٣).
(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٣٣، ٤٤).
(٣) انظر : المرجع السابق ،(٥/١٧٧) . وكذلك (٥/٦٧، ٢٢٩).
(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٣٧).
(٥) انظر : المرجع السابق ، الموضع نفسه.
(٦) انظر : المرجع السابق(٥/١٨٦).

كما بيّن الإمام -رحمه الله- شناعة دعاء غير الله، وأن من دعا غير الله -سواءً أكان صالحاً أم فاسداً أم شجراً أم حجراً- فقد زعم أن له نصيباً من الألوهية، وأنه إله مع الله، وقال الإمام لأحد المدعوين مبيناً له ذلك: (..وإن دعوت مخلوقاً طيباً أو خبيثاً، أو ذبحت له، أو نذرت، فقد زعمتَ أنه هو الله)[1]، حتى لو كان المدعو هو الرسول ﷺ فإن ذلك لا يجوز، حيث بيّن الإمام أن العلماء كرهوا حتى تعظيم حجرة بيت النبي ﷺ الذي دفن فيه سدّاً للذرائع، (وأما النذر له، ودعاؤه، والخضوع له، فهو الشرك الأكبر)[2]. هذا إذا وجّه الدعاء للقبر، أما (لمس القبر، [أي قبر]، والصلاة عنده، وقصده لأجل الدعاء [يعني دعاء الله تعالى عنده] رغم أنه محرم، لا يجوز، إلا أن الإمام قال عن ذلك: (ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر ... ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك فيشتد نكير العلماء لذلك، كما صحّ عنه ﷺ أنه قال: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[3])[4]. كما نبّه الإمام إلى أن (الذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم، لم يكونوا

---

(١) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٢٢٥/١).

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٢٠٩/١) وانظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** ، (٧٠/٤) .

(٣) أخرجه الشيخان ، البخاري ، **صحيح البخاري** ، [مرجع سابق] [كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة] [ك١١ - ب ٢٢ - ح٤٢٥] (١٦٧/١) . ورواه مسلم ، **صحيح مسلم** ، [مرجع سابق] كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب باب النهي عن بناء المساجد على القبور] [ك ٥ - ب٣ - ح٥٣١] (٣١٥/١).

(٤) انظر: حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢٠٩/١).

يعتقدون أنها تنزل المطر وتنبت النبات)[١]، وبيّن أن الله تعالى بعث الرسل (وأنزل الكتب تنهى أن يدعى أحد من دونه)[٢].

٢- الاستعاذة والاستعانة والاستغاثة بغير الله:

ذكر العلماء أن :

الاستعاذة: تكون بالالتجاء إلى الله تعالى لدفع شر، واللياذ: لطلب الخير.

والاستعانة: طلب العون من الله في حال الرخاء والشدة.

والاستغاثة :طلب العون من الله، ولكنه مخصوص بحال الشدة، وتكون من المكروب[٣].

وقد عبّر الإمام عنها أيضاً بألفاظ أخرى؛ مثل: (طلب الغوث من الصالحين، ونخوتهم وندبهم ...) وكلها ألفاظ متقاربة .

ومن ذلك أن الإمام -رحمه الله- بيّن أن من الشرك أن يطلب أحدٌ الغوث من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو يستجير به، وبيّن أن (كل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية ... بأن يقول: يا سيدي فلان أغثني أو أجرني، أو أنت حسبي، أو أنا في حسبك، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتِل)[٤].

---

(١) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٦٧-٦٨).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد** ، [مرجع سابق] (ص١٧٤ - ١٨٠) .

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/١٧٧) وانظر : المرجع السابق (٥/٦٧ ، ٢٢٩) .

كما نبّه الإمــام إلى أن الله تعـالى أرسـل الرسـل وأنـزل الكتـب تنهـى أن يدعى غير الله (لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة)(١).

وذكر الإمام أن من مظاهر الانحراف في زمنه: أن وجد أشـخاصاً يدعـون الناس إلى الاستغاثة بهم، والاستعانة بهم، والاستعاذة بهم مـن كـل مكـروه، ومـن أولئـك الأشـخاص: (أولاد شمسـان، وأولاد إدريـس، الذيـن يـأمرون الناس... ينخونهم(٢)،ويندبونهم(٣))(٤).

وقال الإمام مصوراً بعض مظاهر الشرك: (.. وهذا تلحقـه الشـدة في الـبر أو البحر ، فيستغيث بعبد القادر، أو شمسان، أو نبي من الأنبيـاء، أو ولي مـن الأولياء أن ينجيه من هذه الشدة)(٥)، وقال في موضع آخر: (... وأن من دعا

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٦٨) .

(٢) ينخونهم : يقول الفيروز آبادي :(نُخِيَ : أي قُصِد في الشدائد، ومُدِح وعُظّم ليكشفها، **القاموس المحيط**، [مرجع سابق] مادة [نخا] (ص١٧٢٤) وقال ابن منظور: (والنخـوة: العظمـة والكبر والفخر) **لسان العرب**، [مرجع سابق] مادة [نخـا] (١٥/٣١٣)، والمقصـود أن هـؤلاء يأمرون الناس ليقصدوهم ويستعينوا بهم في الشدائد، ويتفاخروا بهم عند النّوب.

(٣) يندبونهم : قال ابن منظور : (النَّدبُ : أن يندب إنسانٌ قوماً إلى أمر أو حرب أو معونة، أي: يدعوهـم إليه، فينتدبـون لـه، أي: يجيبـون) **لسـان العـرب**، [مرجـع سـابق] مـادة [نـدب] (١/٧٥٤) وقال ابن فـارس: (النـدب: الخطـر) **معجـم مقـاييس اللغـة**، [مرجـع سـابق] مـادة [ندب] (٥/٤١٣) والمقصود أن هؤلاء يأمرون الناس ليدعوهم عند الخطر ويستغيثوا بهم.

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٥٢).

(٥) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم، **الـدرر السـنية**، [مرجـع سـابق] [ط الخامسـة ١٤١٣هـ] (٢/١٠٤).

عبد القادر، فهو كافر، وعبد القادر منه بريء، وكذلك من نخا الصالحين والأنبياء أو ندبهم .. أو قصدهم بشيء من أنواع العبادة، التي هي حق الله على العبيد [يعني فهو كافر أيضاً])[1]كما أوضح وجوب إخلاص العبادة لله وحده، وأن (لا يدعى لكشف الضر إلا هو، ولا لجلب الخير إلا هو)[2]، وإذا كان من اعتقد في عيسى ابن مريم مع أنه نبي من الأنبياء وندبه ونخاه فقد كفر فكيف بمن يعتقدون في الشياطين كالكلب أبي حديدة ..)[3].

٣- السجود لغير الله والركوع لغيره والصلاة لغيره:

بيّن الإمام -رحمه الله- (أن الله تبارك وتعالى أرسل محمداً ﷺ إلينا على حين فترة من الرسل، فهدى الله به إلى الدين الكامل والشرع التام، وأعظم ذلك وأكبره وزبدته هو إخلاص الدين لله بعبادته وحده لا شريك له ... فمن ذلك: أن لا يسجد إلا لله، ولا يركع إلا له..)[4]، كما بيّن -رحمه الله- كفر من عبد غير الله ومن غلا في الصالحين، (أو سجد لهم)[5].

وحين ظنّ بعض المدعوين أن المقصود بالمشرك هو الذي لا يعبد الله إطلاقاً؛ وضّح لهم الإمام فساد هذا الظن، وبيّن أن المشرك يعبد الله ويعبد

---

(١) انظر: المرجع السابق، والموضع نفسه.

(٢) انظر : جمع عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] (١٢٤/٢) . والدعاء لكشف الضر يدخل في الاستغاثة .

(٣) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/ ٥٤).

(٤) انظر: المرجع السابق، والموضع نفسه.

(٥) انظر: المرجع السابق، (٥٢/٥).

معه غيره، وضرب مثلاً لذلك، فقال: (تعرفون المشهد، فيه قبة، والذي من الرجال صلى الظهر، قام وتقبل القبر، وولّى الكعبة قفاه، وركع لعلي ركعتين: صلاته لله توحيد، وصلاته لعلي شرك، أأنتم فهمتم؟ قالوا: فهمنا؛ صار هذا مشرك صلّى لله وصلّى لغيره)[١].

٤- النذر لغير الله:

بيّن الإمام -رحمه الله- أساس دعوته وقال: (رأس الأمر عندنا وأساسه إخلاص الدين لله، نقول: ما يدعى إلا الله، ولا ينذر إلا لله)[٢]، لأن النذر من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

وقد قام الإمام -رحمه الله- بواجب الاحتساب على من تحت يده وعلى أهل قريته في بداية الدعوة، فنهاهم (عن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر)[٣].

كما بيّن -رحمه الله- أن تعظيم القبور لا يجوز، ولو كان قبر النبي ﷺ فإن (النذر له .. من الشرك الأكبر)[٤]، وأوضح الإمام أن بعض الضالين قد

---

(١) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] [ط ١٣٨٥هـ] (٦٥/١) وجمع عبدالسلام آل عبدالكريم ، **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية** ، [مرجع سابق] (٣٥/٤).

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٤٤/٥) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٣٦/٥) .

(٤) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢٠٩/١) .

حرصوا على إفساد عقائد الناس، (مثل أولاد شمسان، وأولاد إدريس الذين يأمرون الناس ينذرون لهم)[(١)].

وبيّن -رحمه الله- كفر من غلا في الصالحين، (أو نذر لهم، أو قصدهم بشيء من أنواع العبادة التي هي حق الله على العبيد)[(٢)].

كما ألمح الإمام إلى أن بعض الخصوم أرادوا أن يهونوا من أمر النذر لغير الله، وأورد إحدى الشبه التي ساقها أحد الخصوم، وقال مخاطباً له، عارضاً شبهته ليرد عليها ضمن باقي الشبه: (الأولى: النذر لغير الله، تقول: إنه حرام ليس بشرك)[(٣)]، وقد ردّ الإمام على هذه الشبهة بقوله: (... فأما المسألة الأولى: فدليلك قولهم: إن النذر لغير الله حرام بالإجماع، فاستدللت بقولهم: حرام على أنه ليس بشرك، فإن كان هذا قدر عقلك فكيف تدّعي المعرفة؟ يا ويلك ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، فهذا يدل على أن الشرك حرام ليس بكفر؟ يا هذا الجاهل الجهل المركب، ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [الأعراف: ٣٣]، هل يدل هذا التحريم على أنه لا يكفر صاحبه؟ يا

(١) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٥٢).

(٢) انظر: المرجع السابق، والموضع نفسه.

(٣) انظر: المرجع السابق، (٥/٢٣١).

ويلك، في أيّ كتاب وجدته إذا قيل لك: هذا حرام أنه ليس بكفر؟ فقولك: إن ظاهر كلامهم ليس بكفر كذب وافتراء على أهل العلم، بل يقال: ذكر أنه حرام، وأما كونه كفر فيحتاج إلى دليل آخر والدليل عليه: أنه صرّح في الإقناع[1] أن النذر عبادة، ومعلوم أن لا إله إلا الله معناها: لا يُعبد إلا الله، فإذا كان النذر عبادة، وجعلتها لغيره، كيف لا يكون شركاً؟)[2].

٥- الذبح لغير الله:

أوضح الإمام -رحمه الله- خطورة الذبح لغير الله، وأنه شرك، كما بيّن أن الذبيحة التي ذبحت لغير الله محرمة، بل إن تحريمها أوضح وأظهر من تحريم ما ذبحه النصراني للحم، وقال فيه:(باسم المسيح) ونحوه، وساق الإمام -رحمه الله-كلاماً نفيساً لشيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة، أكدّ فيه أن الشرك بالله بالذبح لغيره أشد وأعظم من الشرك به بالاستعانة باسم غيره في فواتح الأمور، وقال: (إن عبادة الله والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشرك بالنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه [يعني باسم هذا الغير] وعلى هذا؛ لو ذبح لغير الله، متقرباً، إليه وإن قال فيه: (باسم الله) كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدين، لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا الباب ما قد

---

(١) يعني: أبو النجا الحجاوي في كتاب **الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل**.

(٢) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٣٢).

يفعله بعض الجاهلين بمكة وغيرها من الذبح للجن)[١]، ثم بيّن الإمام المانعين اللذين يجتمعان في الذبيحة، وأكد أنها (تحرم من جهتين: من جهة أنها مما أُهِلّ به لغير الله، وتحرم أيضاً لأنها ذبيحة مرتدّ)[٢].

ورغم وضوح الحكم فيمَن ذبح لغير الله، وأنه شرك، إلا أن ذلك أشكل على أحد المدعوين؛ لأنه حين قرأ عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك وقوله: (وأما ما يذبحه الآدمي خوفاً من الجن فمنهي عنه)[٣]، ظن هذا المدعو أن قول شيخ الإسلام (منهي عنه) يقتضي كونه ليس بكفر ولا شرك، فأجابه الإمام -رحمه الله- على هذه المسألة بقوله: (السادسة: قوله (الذبح للجن منهي عنه)، فاعرف قاعدة أهملها أهل زمانك، وهي: أن لفظ (التحريم) و(الكراهة) وقوله (لا ينبغي)؛ ألفاظ عامة تستعمل في المكفرات والمحرمات التي هي دون الكفر، وفي كراهة التنزيه التي هي دون الحرام، مثل استعمالها في المكفرات: قولهم (لا إله إلا الذي لا تنبغي العبادة إلا له)، وقوله:﴿ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾[مريم: ٩٢]، ولفظ التحريم مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا

---

(١) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٢٢١) وانظر : شيخ الإسلام ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم** ، بتحقيق محمد حامد الفقي، [مصر – مكتبة السنة المحمدية ـ ط الثانية ـ ب ت] (ص٢٥٩) بتصرف يسير.

(٢) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢٢١ ـ ١٢٢) وانظر: انظر: حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١/٢٠٧).

(٣) انظر نص أسئلة هذا السائل: حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١/٢٠٧).

حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[الأنعام: ١٥١]، وكلام العلماء لا ينحصر في قولهم (يحرم كذا) لِمَا صرَّحوا في مواضع أخرى أنه كفر، وقولهم (يكره) كقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، إلى قوله: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨]، وأما كلام الإمام أحمد في قوله: (أكره كذا)، فهو عند أصحابه على التحريم)[٢]. ثم استطرد الإمام قائلاً: (إذا فهمت هذا، فَهُمْ صرّحوا أن الذبح للجن ردّة تخرج، وقالوا: الذبيحة حرام ولو سمى عليها)[٣]، كما بيّن -رحمه الله- أن الذبح لله تعالى أساس الدين، فقال: (فرأس الأمر عندنا وأساسه إخلاص الدين لله، نقول: ما يدعى إلا الله ولا يذبح القربان إلا الله)[٤]، (من ذبح لله ألف ضحية، ثم ذبح لنبي أو غيره، فقد جعل إلهين اثنين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢]، والنسك هو الذبح)[٥]، وكذلك فإن (من ذبح لغير الله من جني أو قبر، فكما لو سجد له، وقد لعنه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح قال: (لعن الله من ذبح لغير الله)[٦])[٧].

---

(١) سورة الأنعام ، الآية رقم (١٥١) .

(٢) انظر: حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٢٠٧/١).

(٣) انظر: المرجع السابق، والموضع نفسه.

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٤٤/٥) .

(٥) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(١٦٧/٥) .

(٦) أخرجه مسلم ، **صحيح مسلم** ، [مرجع سابق] كتاب الأضاحي ، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله] [ك٣٥ - ب٨ - ح١٩٧٨] (١٢٤٥/٣) .

(٧) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٠٤/٢) .

٦- التوكل على غير الله:

بيّن الإمام -رحمه الله- في رسائله- أن التوكل عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، وأكد أن صرفها لغير الله تعالى شرك، وقال: (... كذلك التوكل من أنواع العبادة؛ إن توكلت على الله صار توحيداً، وإن توكلت على صاحب القبة صار شركاً)(١)، ثم استدل على ذلك بقول الله تعالى:﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[هود: ١٢٣].

ولم يكتف -رحمه الله- ببيان ذلك، بل قام منذ وقت مبكر بواجب الاحتساب على من أمكنه الاحتساب عليه في ذلك الوقت، يقول الإمام في إحدى رسائله التي بيّن فيها عقيدته وحقيقة دعوته: (ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يُعبَد الله به من الذبح والنذر والتوكل)(٢).

٧- الخوف من غير الله:

بيّن الإمام -رحمه الله- أن الخوف من الله من أفضل مقامات الدين وأجلّها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٧٥].

---

(١) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] [ط ١٣٨٥هـ] (٦٥/١). وجمع عبدالسلام آل عبدالكريم، **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية**، [مرجع سابق] (٣٦/٤).

(٢) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٣٦/٥).

وبيّن -رحمه الله- أن الخوف المقصود هنا هو خوف العبادة، الذي يسميه بعض العلماء (خوف السر)، وهو خوف مصحوب بإجلالٍ وتعظيم[1]، وذكر الإمام أن صرف هذا الخوف لغير الله، شرك وأن الخوف من الله وحده من أساسيات إخلاص الدين لله، الذي هو رأس الأمر وأساسه، يقول الإمام: (...فرأس الأمر عندنا وأساسه إخلاص الدين لله، نقول: ما يدعى إلا الله ... ولا يخافَ خوف الله إلا من الله، فمن جعل من هذا شيئاً لغير الله فنقول: هذا الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[النساء: ٤٨])[2].

٨- تعظيم غير الله:

لم يكتف الإمام -رحمه الله- بالنهي عن أنواع معينة من الشرك، بل نهى عن تعظيم غير الله تعالى بجميع صوره، وبيّن (أن الله سبحانه بعث محمداً

---

(١) بخلاف خوف الأسد مثلاً، فليس فيه إجلال ولا تعظيم، وقد ذكر العلماء أن الخوف ثلاثة أقسام :

١- خوف السر: وهو أن يخاف من غير الله؛ من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره؛ كمن يخاف من ميت بالهند، فلا يجرؤ أن يحلف به كاذباً، في حين لا يتورع عن الحلف بالله كاذباً، وهذا شرك ينافي التوحيد بالكلية.

٢- أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس، كترك الجهاد والاحتساب وغيرهما، وهذا هو سبب نزول الآية ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ (آل عمران:١٧٥) وهو محرم بل هو نوع من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد.

٣- الخوف الطبيعي : وهو الخوف من عدوٍ أو سبع ونحوه، فهذا مباح إذا انعقدت أسبابه، أما إذا لم تنعقد، فهذا جبن، استعاذ النبي ﷺ منه، انظر: عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، **فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد**، [مرجع سابق] (٢٨١) .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٤٤) .

ﷺ لإخلاص الدين لله، لا يجعل معه أحد في العبادة والتأله، لا ملَك، ولا نبي، ولا قبر، ولا حجر، ولا شجر، ولا غير ذلك، وأن من عظّم الصالحين بالشرك با لله، فهو يشبه النصارى، وعيسى عليه السلام بريء منهم)[١]، كما ذكر الإمام (أن المنتسب إلى الإسلام قد يمرق من الدين، وذلك بأمور؛ منها: الغلو الذي ذمّه ا لله مثل الغلو في عدي بن مسافر أو غيره، بل الغلو في علي بن أبي طالب [رضي الله عنه] بل الغلو في المسيح [عليه السلام] ونحوه، فكل من غلا في نبي أو صحابي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، فهذا كافر يستتاب فإن تاب، وإلا قتل)[٢]، و(إذا كان من اعتقد في عيسى ابن مريم -مع أنه نبي من الأنبياء- فقد كفر، فكيف بمن يعتقدون في الشياطين، كالكلب أبي حديدة، وعثمان الذي في الوادي، والكلاب الأخر في الخرج)[٣]. وبيّن الإمام بعض مظاهر تعظيم غير ا لله فذكر أن من ذلك: (تعظيم المشاهد، وبناء القباب على القبور وعبادتها واتخاذها مساجد)[٤]، وكذلك ما ساد في زمن الإمام مثل (ما يفعل المشركون .. عند قبر الزبير [رضي الله عنه] أو عبد القادر، أو غيرهم، وكما يُفعل قبل هذا عند قبر زيد [رضي الله عنه] وغيره)[٥].

وقد قام الإمام بواجبه في الاحتساب على مثل هـذه الانحرافات، مما أدى بالخصوم إلى معادات الإمام، حتى جرت فتنة بسبب ذلك، تحدث عنها الإمام

(١) انظر : المرجع السابق، (٥/١٨٠).
(٢) انظر : المرجع السابق، (٥/٦٧).
(٣) انظر : المرجع السابق، (٥/٥٤).
(٤) انظر : المرجع السابق، (٥/١٧٦).
(٥) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/١٦٦).

في رسالة أرسلها (إلى من يصل إليه من علماء الإسلام)، قال فيها: (.. فإنه قد جرى عندنا فتنة عظيمة، بسبب أشياء نهيت عنها بعض العوام من العادات التي نشأوا عليها، وأخذها الصغير والكبير، مثل عبادة غير الله، وتوابع ذلك من تعظيم المشاهد ..)[١].

٩- عبادة الأوثان:

بيّن -رحمه الله- أن من الشرك عبادة الأوثان، وقد كان له موقف من عباد الأوثان في زمنه حيث عاداهم وكفّرهم، وأعلن موقفه منهم، يقول الإمام في ذلك: (ولكن نكفّر من أقرّ بدين الله ورسوله، ثم عاداه، وصدّ الناس عنه، وكذلك من عبد الأوثان بعدما عرف أنها دين للمشركين، وزينه للناس، فهذا الذي أكفره وكل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء، إلا رجلاً معانداً أو جاهلاً)[٢].

٢) من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم:

بيّن الإمام -رحمه الله- أن من أكثر نواقض الإسلام وقوعاً، وأعظمها خطراً على المرء، أن يجعل المرء بينه وبين الرب جلَّ وعلا وسائط يدعوهم لكشف الملمات وإغاثة اللهفات وتفريج الكربات وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين[٣].

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٧٦/٥) .

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية/ (٥٨/٥) .

(٣) انظر : الشيخ سليمان بن ناصر العلوان ، **التبيان في شرح نواقض الإسلام** ، [الرياض ـ دار الوطن ـ ط الأولى ـ ١٤١٣هـ] (ص٢٨) .

وقد أكّد الإمام -رحمه الله- في عدة مواضع من رسائله- أن من (جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم، كَفَرَ إجماعاً)[١]، حتى لو كان الواسطة رجلاً صالحاً، بل حتى لو كان نبياً من الأنبياء، كما وقع من بعض الضلال، الذين غلو في النبي ﷺ واتخذوه واسطة بينهم وبين الله تعالى، وقصدوه ﷺ بما لا يقصد فيه إلا الله تعالى، وقد قال الإمام في ذلك: (واعلم رحمك الله: أن أشياء من أنواع الشرك الأكبر وقع فيه بعض المصنفين على جهالة، لم يفطن له، من ذلك قوله في البردة:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ∴ سواك عند حلول الحادث العمم)[٢]

وبيّن الإمام أن من خطورة هذا الناقض وقوعه من أجلّ الناس مثل: (أصحاب موسى، الذين اختارهم الله، وفضلهم على العالمين حين قالوا: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[الأعراف: ١٣٨]، فإذا خفي هذا على بني إسرائيل -مع جلالتهم وعلمهم وفضلهم- فما ظنك بغيرهم)[٣]، ثم استطرد الإمام فقال: (... أصلح من الجميع وأعلم؛ أصحاب محمد ﷺ لما مروا بشجرة، قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط[٤]،

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/(٥/٦٨) وانظر المرجع السابق (٥/٢٣٢).

(٢) جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] (٢/١١١) .

(٣) جمع عبدالرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] (٢/١١١) .

(٤) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، سنن الترمذي (مرجع سابق) كتاب: الفقه، باب: (ما جاء لتركبن سنن من كان فيكم) [ن ٣١ ب١٨ ح ٢١٨٥] (٤/٤٧٥) وصححه من المعاصرين: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (مرجع سابق) برقم (٣٦٠١) (١/٦٧٤).

فحلف رسول الله ﷺ أن هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨])[١]. وسبب خطورة هذا الناقض، وإمكان وقوعه -حتى من أجلّ الناس- هو ما قد يقذفه الشيطان على بعض قلوب العباد من الشبه، حتى يقتنع بها، ويبدأ يلبس بها على الناس (فقد يقول هذا المشرك: إنّ الأمر بيد الله، ولكن هذا العبد الصالح يشفع لي عند الله وتنفعني شفاعته وجاهه، ويظن أن ذلك يسلمه من الشرك)[٢]، وقد بيّن الإمام كيف يرد على هذا الشخص، وأوصى أتباعه بأن (يقال لهذا الجاهل: المشركون عبّاد الأصنام الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وغنم أموالهم وأبناءهم ونساءهم، كلهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار، الذي يدبر الأمر، وإنما أرادوا ما أردت من الشفاعة عند الله كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[يونس: ١٨])[٣]، وقد بيّن الإمام أن من الانحرافات التي وجدت في عصره: ظهور أناس من الطواغيت -كما عبّر الإمام- يدعون الناس إلى اتخاذهم شفعاء ووسائط ويستشفعون بهم وبآبائهم وأجدادهم، ومع ذلك فقد استنكر بعض الخصوم على الإمام تكفيره هؤلاء بشبهة (أن الذي يجعل الوسائط هو الكافر، وأما المجعول فلا يكفر)[٤]، وقد ردّ الإمام على هذه الشبهة بقوله: (إن هذا كلام تلبيس وجهالة. ومن

(١) جمع عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] ط ١٤١٣هـ] (١١٢/٢).

(٢) جمع عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] (١٠٤/٢).

(٣) جمع عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] (١٠٥/٢).

(٤) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٢٣٢/٥).

قال إن عيسى وعزيراً وعلي ابن أبي طالب وزيد بن الخطاب وغيرهم من الصالحين يلحقهم نقص بجعل المشركين إياهم وسائط ؟حاشا وكلا ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] وإنما كفّرنا هؤلاء الطواغيت أهل الخرج وغيرهم بالأمور التي يفعلونها هم؛ منها: أنهم يجعلون آباءهم وأجدادهم وسائط، ومنها: أنهم يدعون الناس إلى الكفر ...)[١].

كما أثار أحد الخصوم شبهة، أن اتخاذ المرء الوسائط و(دعاء الموتى والنذر لهم ليشفعوا له عند الله) كل (هذا شرك أصغر ، وشبهته أنه [يعني ابن القيم في مدارج السالكين][٢]، ذكره في الفصل الثاني الذي ذكر أوله الأصغر)[٣]، وقد ردّ الإمام على هذه الشبهة وعلى غيرها من الشبه -على ماسيأتي تفصيله في المبحث الثالث من هذا الفصل إن شاء الله- حيث قال في علاج هذه الشبهة: (... وأنت - رحمك الله - تجد الكلام من أوله إلى آخره في الفصل الأول والثاني صريحاً لا يحتمل التأويل من وجوه كثيرة، أن دعاء الموتى والنذر لهم ليشفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر...وآخر ما صرح به قوله آنفاً: وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين ..)[٤].

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٣٢).

(٢) انظر : ابن القيم ، **مدارج السالكين** ، [مرجع سابق] (١/٣٤٨- ٣٥٤).

(٣) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢/٢٩).

(٤) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢/٢٩) وانظر : ابن القيم، **مدارج السالكين** ، [مرجع سابق] (١/٣٤٨- ٣٥٤). وانظر مزيداً من التفصيل عن هذه الشبهة ومن أشاعها في المبحث الثالث من هذا الفصل .

٣) من لم يُكفِّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم:

بيّن الإمام -رحمه الله- أن الناقض الثالث من نواقض الإسلام: من لم يُكَفِّر المشركين أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم[١]، فهذا كافر بالإجماع، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وصفة الكفر بالطاغوت -كما ذكر الإمام-: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها، وتبغضها، وتكفِّر أهلها وتعاديهم[٢]. وقال في رسائله مبيِّناً حقيقة هذا الأمر: (... بل نُشْهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد، وتبرأ من الشرك وأهله، فهو المسلم ...)[٣].

وأنكر -رحمه الله- ما جاء في رسالة[٤]. أحد الخصوم من الشبه الباطلة (في تهوين أمر الشرك بل في إباحته)[٥]، وأكد أن هذا منهج فاسد، وأن (من

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢١٣) .

(٢) انظر : رسالة في معنى الطاغوت للإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ (وهي رسالة علميّة وشخصيّة أيضاً) ضمن **مجموعة التوحيد** ، [مرجع سابق] (ص١٣) .

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٦٠) .

(٤) قام أحد أتباع الإمام وهو (حمد التويجري) بإرسال رسالة إلى الإمام أرفق بها هذه الرسالة المذكورة ليطّلع عليها الإمام ويرد عليها ، وقد كتب الإمام جواباً لحمد التويجري دون أن يذكر اسم كاتب الرسالة المذكورة، بل اقتصر على بيان أنها اشتملت على بعض الشبه الباطلة والاتهامات للإمام. انظر: المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٥) المرجع السابق ، الموضع نفسه.

أبين الأمور بطلانه لمن سلم من الهوى والتعصب)[١]، كما أوضح -رحمه الله- أن من (مدح دين المشركين، الذي بعث الله الأنبياء بإنكاره، ودعا الناس إليه بعد معرفته)[٢]، فإنه كما أخبر الإمام (كافر مرتد)[٣]، وبيّن الإمام أيضاً أنه لا يجوز مجرد الشك في كفر الكافرين وضلالهم، واستشهد بأن الحجاوي (قد صرّح في (الإقناع) بأن من شك في كفرهم، فهو كافر)[٤].

قال الإمام: (فكيف بمن جادل عنهم، وادّعى أنهم مسلمون؟..)[٥]، بل لا يجوز الرضا بالكفر أو موالاة الكافرين، حيث أكدّ (أن الرضا بالكفر كفر صرّح به العلماء، وموالاة الكفار كفر)[٦].

٤) من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه:

لا شك أن الله تعالى قد امتن على هذه الأمة بأن أكمل لها الدين، وأتمّ عليها النعمة ببعثه نبيه محمد ﷺ؛ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣]، وقد نفى الله الإيمان عمّن أعرض عن هدي النبي ﷺ وحكمه، قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ

---

(١) المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٢) المرجع السابق ، (٥/٣٠).

(٣) المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٤) المرجع السابق ، (٥/٢٣٠) وانظر : الحجاوي ، **الإقناع** ، [مرجع سابق] (٤/٢٩٨) .

(٥) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٣٠) .

(٦) المرجع السابق ، (٥/٢٣٢) .

حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥].

ومن هذا المنطلق ذكر الإمام -رحمه الله- أن الناقض الرابع من نواقض الإسلام: (من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه)(١)، قال الإمام: (فهو كافر)(٢).

وساق الإمام في إحدى رسائله ما قاله ابن القيم في أعلام الموقعين(٣). عن قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]، حيث قال: (ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول [ﷺ] فقد حكم الطاغوت، وتحاكم إليه، يعني الآيات في النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]، قال: والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ...)(٤).

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢١٣).

(٢) المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٣) انظر : ابن قيم الجوزية ، **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، بتحقيق عبدالرحمن الوكيل، [بيروت -دار إحياء التراث العربي- ب ت] (٥٣/١) .

(٤) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٣٠٤/٥).

وقد بيّن الإمام أن من نماذج اعتقاد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، ما يفعله بعض أهل البادية من تحكيم ما يسمى (بالحق) و(العادة)، وترك هدي النبي ﷺ، يقول الإمام لمن تردّد في تكفيرهم: (..وأعظم وأطم أنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله وتبرأوا من الدين كله، واستهزأوا بالحضر الذين يصدّقون بالبعث، وفضّلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزأوا بها... ومع هذا تنكرون علينا كفرهم)[١].

٥) من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به:

نبّه الإمام -رحمه الله- إلى خطورة أن يبغض المرء شيئاً مما جاء به النبيﷺ ولو كان ملتزماً به غير مفرِّط فيه. يقول في بيان ذلك: (مَن أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به؛ كفر إجماعاً، والدليل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩])[٢].

وقد أدّى بغض هذا الدين ببعض الخصوم إلى أن عادوه، وصدوا الناس عنه، بعدما أقروا أنه الحق، وعن هؤلاء وأمثالهم قال الإمام: (... ولكن نكفّر من أقرّ بدين الله ورسوله ثم عاداه وصدّ الناس عنه ..)[٣].

ومن أبرز الخصوم الذين اجتهدوا في بغض هذا الدين وصدّ الناس عنه سليمان بن سحيم؛ حتى شهد عليه بذلك كثير من المعاصرين له رجالاً

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصيّة)(٥/٢١٣).

(٢) المرجع السابق(٥/ ٢٠٩).

(٣) المرجع السابق، (٥/٥٨).

ونساءً، والعجيب أن هذا الرجل لا يقبل الأدلة التي يستدل بها الإمام إذا كانت من نصوص الكتاب والسنة، بحجة أنه ليس أهلاً للأخذ بهذه النصوص، بل لا يفهمها إلا العلماء الكبار[١]، ولذلك لا يقبل إلا ما جاء في كتب المذهب الذي يتعصب له، مثل: كتاب (الإقناع)، ولذلك فقد ردّ عليه الإمام مستشهداً له بما جاء في هذا الكتاب، فقال: (الثاني: أنه [يعني الحجاوي في كتاب الإقناع] ذكر في أوله[٢] أن المبغض لما جاء به الرسول كافر بالإجماع ولو عمل به، وأنت مقرّ أن هذا الذي أقول في التوحيد أمر الله ورسوله، والنساء والرجال يشهدون عليكم أنكم مبغضون لهذا الدين، مجتهدون في تنفير الناس عنه، والكذب والبهتان على أهله، فهذا كتابكم كفّرَكم)[٣].

ولمّا سئل الإمام عن هذا البغض وكيفيته[٤]، وضّح أن المقصود هو بغض هذا الدين، كمن (أبغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه، كما هو حال من يدّعي العلم ويقرر أنه دين الله ورسوله، ويبغضونه أكثر من بغض دين اليهود والنصارى، بل يعادون من التفت إليه، ويحلون دمه وماله، ويرمونه عند الحكام ..)[٥].

---

(١) سيأتي مزيد تفصيل عن هذه الشبهة في المبحث الثالث من هذا الفصل بمشيئة الله تعالى.

(٢) يعني أول باب حكم المرتد ، انظر : الحجاوي ، **الإقناع** ، [مرجع سابق] (٤/٢٩٧).

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢٣٠).

(٤) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١/٢٠٣) .

(٥) المرجع السابق ، (٢/٢٠٥) .

٦) من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه:

تحدث الإمام في رسائله عن خطورة الاستهزاء بالدين، وبيّن أنه من نواقض الإسلام، وأكدّ أنّ (من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه كفر،والدليل قوله تعالى:﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ.لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ..﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦])[١].

وقد سئل الإمام مسألة في هذا الموضوع، حيث قال السائل مشيراً إلى ما كتبه الحجاوي في الإقناع: (قوله في باب حكم المرتد: أو استهزأ بالله أو كتبه أو رسله، كفر. فما وصف هذا الاستهزاء المكفر؟)[٢]، فأجاب - رحمه الله- عن هذه المسألة، وبيّن أن (العلماء استدلوا عليها بقوله تعالى في حق بعض المسلمين في غزوة تبوك: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، فذكر السلف والخلف أن معناها عامّ إلى يوم القيامة فيمن استهزأ بالله والقرآن والرسول [ﷺ]،وصفة كلامهم أنهم قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسُناً، ولا أجبن عند اللقاء[٣]، يعنون بذلك رسول الله والعلماء من أصحابه، فلما نقلَ الكلامَ عوفُ بن مالك، أتى القائل يعتذر أنه قاله على وجه اللعب كما يفعل المسافرون، فنزل الوحي أن هذا كفر بعد

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢١٣) .

(٢) حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢٠٣/١) .

(٣) انظر : الإمام الطبري ، **تفسير الطبري المسمى : جامع البيان في تأويل القرآن** ، [بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ط الأولى ١٤١٢هـ] (٤٠٩/٦) .

الإيمان، ولو كان على وجه المزح)[1]، وأضاف الإمام مثالاً، فقال: (وكذلك من يدّعي العلم والفقه، وإذا استدللنا عليه بآيات الله؛ أظهر الاستهزاء)[2].

كما بيّن -رحمه الله- أن الاستهزاء المكفر قد يكون بالقول، وقد يكون أيضاً بالفعل، وقال في جوابه للسائل: (.. فالقول الصريح في الاستهزاء بالدين: مثل ما قدمت لك، وأما الفعل، فمثل مدّ الشفة، وإخراج اللسان، أو رمز العين مما يفعله كثير من الناس عندما يؤمر بالصلاة والزكاة، فكيف بالتوحيد)[3].

وقد نبّه الإمام إلى الفرق بين أن لا يعرف الناطق معنى هذه الكلمة -فهذا معذور- وبين أن يعرف معناها، لكن لا يعرف أنها تكفره- فهذا غير معذور- يقول الإمام: (إذا نطق بكلمة الكفر، ولم يعلم معناها: صريحٌ واضحٌ أنه يكون نطق بما لا يعرف معناه، وأما كونه أنه لا يعرف أنها تكفره، فيكفي فيه قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، فهم يعتذرون للنبي ﷺ، ظانّين أنها لا تكفرهم)[4].

٧) السحر ومنه الصرف والعطف:

بيّن الإمام -رحمه الله- أن الناقض السابع من نواقض الإسلام: (السحر، ومنه الصرف والعطف)[5]، وأكّد أن (من فعله أو رضي به كفر،

---

(١) حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٢٠٤/١ - ٢٠٥).
(٢) المرجع السابق، (٢٠٥/١).
(٣) المرجع السابق، (٢٠٦/١).
(٤) حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٢٠٦/١).
(٥) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٢١٣/٥).

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾[البقرة:١٠٢])[1].

وساق ما ذكره صاحب الإقناع في حكم السحر وتعريفه؛حيث قال: (ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله، وهو: عُقَدٌ ورقى وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله ، ومنه ما يقتل، ومنه ما يمرض، ومنه ما يأخذ الرجل من امرأته، فيمنعه وطأها، ومنه ما يبغض أحدهما للآخر، ويحبب بين اثنين، ويكفر بتعلمه وفعله، سواءً اعتقد تحريمه أو إباحته)[2].

ويشير الإمام –رحمه الله– إلى انتشار هذا البلاء في زمنه، وخاصة الصرف والعطف، مع غفلة الناس عنه وعدم إدراكهم لكونه كفراً مخرجاً من الملة. يقول الإمام بعد أن ساق ما ذكره صاحب الإقناع في ذلك: (... فتأمل هذا الكلام [يعني آنف الذكر] ثم تأمل ما جرى من الناس، خصوصاً الصرف والعطف، تعرف أن الكفر ليس ببعيد)[3].

بل إن الإمام –رحمه الله– كان يتابع بنفسه بعض أولئك الذين يتسترون بثوب العلم والفتيا، ويتظاهرون بكتابة الرقى الشرعية للمرضى وغيرهم مع أنهم – في الواقع– يتعاملون بالسحر ويكتبون الطلاسم، وقد تمكن الإمام من

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٢١٣/٥).

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/ ٦٩) وانظر : الحجاوي ، **الإقناع**، [مرجع سابق] (٣٠٧/٤).

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٦٩/٥) .

أخذ واحدة من تلك الحجب أو الرقى وتعرّف على خط كاتبها[1]، ووجد فيها طلاسم مجهولة، لم يشك الإمام أنها من السحر، ثم واجه الإمام كاتب تلك الحجب بهذه الحقيقة، وكتب له رسالة مطولة، ذكر فيها عدداً من الانحرافات التي لاحظَها عليه، وبيّن أن بعض تلك الانحرافات مما ذكر صاحب الإقناع كفر صاحبها، ومما قاله الإمام في تلك الرسالة: (الوجه الرابع: [يعني من دلائل جهله بلا إله إلا الله] أنك تكتب في حجبك طلاسم، وقد ذكر في (الإقناع) أنها من السحر، والسحر يكفر صاحبه، فكيف تفهم التوحيد وأنت تكتب الطلاسم؟ وإن جحدت، فهذا خط يدك موجود)[2].

وقال الإمام في الرسالة نفسها: (الخامس: [أي من المكفرات التي ذكرها صاحب الإقناع] أنه ذكر أن السحر يكفر بتعلمه وتعليمه، والطلاسم من جملة السحر، فهذه ستة مواضع في (الإقناع) في باب واحد أن من فعلها فقد كفر، وهي دينك ودين أبيك، فإما أن تبرأوا من دينكم هذا، وإلا فأجيبوا عن كلام صاحب الإقناع ..)[3].

٨) مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين:

ذكر الإمام -رحمه الله- أن الناقض الثامن من نواقض الإسلام: (مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١])[4]، كما ردّ -رحمه الله- على من

---

(١) هو سليمان بن سحيم، انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/ ٢٢٦) .

(٢) المرجع السابق، (٥/٢٢٧).

(٣) المرجع السابق ، (٥/٢٣٠).

(٤) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢١٣).

اتهمه بأنه يُكفّر بالعموم، ووصف هذه التهمة بأنها من البهتان، وقال: (الذي نُكفّر: الذي يشهد أن التوحيد دين الله ورسوله، وأن دعوة غير الله باطلة، ثم بعد هذا يكفّر أهل التوحيد، ويسميهم الخوارج، ويتبيّن مع أهل القبب على أهل التوحيد)[١].

وقال في موضع آخر: (... وإنما نكفر من أشرك بالله ... وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يُشرَك بالله عندها، وقاتل من أنكرها، وسعى في إزالتها..)[٢].

ثم ذكر الإمام بعد ذلك نماذج من صور المظاهرة للمشركين التي حصلت في زمنه ، وعانى منها هو وأتباعه -رحمهم الله- حيث بيّن أن من ذلك: (ما فعل المويس وأمثاله مع قبة الكواز وأهلها، وما فعله هو وابن إسماعيل وابن ربيعة وعلماء نجد في مكة سنة الحبس مع أهل قبة أبي طالب، وإفتائهم بقتل من أنكر ذلك ، وأن قتلهم وأخذ أموالهم قربة إلى الله، وأن الحرم الذي يحرّم اليهودي والنصراني لا يحرّمهم)[٣]، ثم يستطرد الإمام مخاطباً السائل، فيقول متسائلاً: (ثم تفكّر في الأحياء الذين صالوا معهم؛ هل تابوا من فعلهم ذلك وأسلموا، وعرفوا أن عشر معشار ما فعلوا ردّة عن الإسلام بإجماع المذاهب

---

(١) المرجع السابق ، (٥/٤٨) .

(٢) المرجع السابق ، (٥/٦٠) .وانظر : المرجع السابق ، (٥/١٥٨) .

(٣) حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١/٢٠٥) وانظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٠٥).

كلها؟ أم هم اليوم على ما كانوا عليه بالأمس؟)[١].

٩) من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتّباعه ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعته:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ..﴾ [الانعام: ١٥٣]، فمن رغب الخروج عن شريعة محمد ﷺ، أو ظن أن بوسعه الاستغناء عنها، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وقد ذكر الإمام -رحمه الله- أن الناقض التاسع من نواقض الإسلام: (من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتّباعه ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعته، كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام، فهو كافر)[٢].

ثم ساق الإمام ما ذكره صاحب (الإقناع) في باب حكم المرتد، حيث قال مستشهداً ببعض الأمثلة: (ومن اعتقد أن لأحدٍ طريقاً إلى الله غير متابعة محمدﷺ، أو لا يجب عليه اتّباعه، أو أن لغيره خروجاً عن اتّباعه، أو قال: أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو قال: إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، كفر في هذا كله)[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومما يبين الغلط الذي وقع لهم في الاحتجاج

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٢٠٥).

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢١٤) .

(٣) المرجع السابق، (٥/٦٨). وانظر : الحجاوي ، **الإقناع**، [مرجع سابق] (٤/٢٩٨- ٢٩٩).

بقصة موسى والخضر على مخالفة الشريعة: أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولا أوجب الله على الخضر متابعته... وذلك أن دعوة موسى كانت خاصة)[1].

وقد انتشر هذا الناقض بين كثير من معاصري الإمام -رحمه الله- حتى إنه أشار إلى ذلك في إحدى رسائله؛ حيث ساق ما ذكره ابن القيم[2] في بيان أن طاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، ويتبعونه على غير بصيرة من الله، ثم قال الإمام: (فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها، وتأملت أحوال الناس معها؛ رأيت أكثرهم ممن أعرض عن طاعة الله ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته)[3].

١٠) الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به:

ذكر الإمام -رحمه الله- الناقض العاشر من نواقض الإسلام، وذكر الدليل عليه، فقال: (العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به[4]، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ

---

(١) جمع عبدالرحمن بن قاسم، **مجموع الفتاوى** ، [مرجع سابق] (٤١٨/١١).

(٢) انظر : ابن قيم الجوزية ، **أعلام الموقعين**، [مرجع سابق] (٥٣/١).

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٣٠٤/٥) .

(٤) قال ابن القيم: (... وأما كفر الإعراض، فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول [ﷺ] لا يصدقه ولا يكذبه ، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتّة) ابن قيم الجوزية، **أعلام الموقعين**، [مرجع سابق] (٣٤٧/١).

مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢][1]. وقد بيّن الإمام -رحمه الله- أنه وجد في زمنه من تلبّس بهذا الناقض؛ مثل بعض أهل البوادي، الذين يزعمون أن كتاب الله إنما أنزل للحضر، وأنهم [أي أهل البوادي] عايفينه[2]، وقد وصفهم الإمام بأنهم (ينكرون البعث والجنة والنار، وينكرون ميراث النساء، مع علمهم أن كتاب الله عند الحضر، وأن رسول الله ﷺ بُعِثَ بالذي أنكروا)[3]، قال الإمام: (فلما أفتيت بكفرهم -مع أنهم أكثر الناس في أرضنا- استنكر العوام ذلك..)[4]، وإنما حصل منهم ذلك بسبب إعراضهم عن دين الله وعن تعلمه كبراً وعناداً.

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢١٤).

(٢) من عاف الطعام أو الشراب: كرهه فلم يشربه، انظر: الفيروز آبادي ، **القاموس المحيط**، [مرجع سابق] مادة (عَيَفَ) (ص١٠٨٦).

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٤١).

(٤) المرجع السابق ، الموضع نفسه. وانظر أيضاً: المرجع السابق (٥/٢٠٩،٢٣٥،٢٣٦،٢٣٧) .

المطلب الرابع
موقف الإمام من المبتدعة ورؤوسهم

لعل من أبرز ما تضمنته رسائل الإمام محمد -رحمه الله- الحديث عن البدع وأصحابها، والتحذير من مسالك المبتدعة ورؤوسهم. ويمكن تناول هذا المطلب على النحو التالي:

المسألة الأولى : تحذيره من البدع

١- تعريف البدعة:

البدعة في اللغة: مأخوذة من البدْع، وهو إنشاء الشيء وبدؤه واختراعه على غير مثال [١] سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[البقرة: ١١٧]، أي مخترعها على غير مثال سابق[٢].

واصطلاحاً: (طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية)[٣].

وقد ذكر أهل العلم أن الابتداع قسمان: ابتداع في العادات؛ كابتداع المخترعات الحديثة؛ وهذا مباح ؛ لأن الأصل في العادات الإباحة، وابتداع في

(١) ابن منظور ، **لسان العرب** ، [مرجع سابق] مادة بدع (٦/٨) .

(٢) انظر : الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، **محاضرات في العقيدة والدعوة** ، [الرياض ـ دار العاصمة ـ ط الأولى ١٤١٣هـ] (١٠٧/١) .

(٣) أبو إسحاق الشاطبي ، **الاعتصام** بتحقيق سليم الهلالي[الخبر ـ دار ابن عفان ـ ط الأولى١٤١٢هـ] (٥١/١) .

الدين، وهذا محرم ؛ لأن الأصل فيه التوقيف[١]لقوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ)[٢].

٢- حرص الإمام على إنكار البدع و سبب ذلك:

أنكر الإمام محمد -رحمه الله- الابتداع في الدين، وتبرأ منه، فقال: (..ونحن و لله الحمد متبعين غير مبتدعين..)[٣]، وأكّد -رحمه الله- رفضه الابتداع بجميع صوره؛ لعلمه أن دين الله قائم على أساسين: أن لا يعبد إلا الله، وألاّ يُعبد إلا بما شرع[٤]، يقول الإمام -رحمه الله- في بيان ذلك: (..والمقصود بيان ما نحن عليه من الدين، وأنه عبادة الله وحده لا شريك له فيها؛ بخلع جميع الشرك، ومتابعة الرسول فيها؛ بخلع جميع البدع، إلاّ بدعة[٥] لها أصل في الشرع؛ كجمع المصحف في كتاب واحد، وجمع عمر رضي الله عنه الصحابة على التراويح جماعة ، وجمع ابن مسعود أصحابه على القصص كل

---

(١) انظر: الشاطبي ، **الاعتصام** ، [مرجع سابق] (٥١/١) .

(٢) أخرجه البخاري ، **صحيح البخاري** ، [مرجع سابق] كتاب : الصلح ، باب : إذا اصطلحوا على صلح جورٍ فالصلح مردود ، [ك٥٧ - ب٥ - ح٢٥٥٠] (٩٥٩/٢).

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٤٠/٥).

(٤) انظر : شيخ الإسلام ابن تيمية ، **العبودية** ، بتحقيق بشير محمد عيون [الرياض ـ مكتبة دار الوعي الإسلامي - ب ت] (ص٢٥).

(٥) بالاعتبار اللغوي لا الشرعي.

خميس ونحو ذلك، فهذا حسن)[١]، وليس مقصود الإمام -رحمه الله- أن هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة، إنما المقصود بلفظ البدعة هنا البدعة اللغوية لا الشرعية، حيث خصصها بقوله: (.. إلا بدعة لها أصل في الشرع)، (والبدعة ما ليس له أصل في الشرع يرجع إليه، وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع؛ لأن النبي ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن)[٢].

ولم يكتف الإمام -رحمه الله- بإنكار البدع بنفسه[٣]، بل حرص على تعليم طلابه خطورة البدع ومسائلها، وطلب حضورهم لمدارستها وتفهمها[٤]، كما اجتهد في حث المدعوين على محاربة البدع وتركها، وجَعَل ذلك داخلاً في نصرة دين الله ورسوله، فقال: (وليعلم الواقف على هذا الكلام.. وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ وترك البدع، وإن اشتهرت بين أكثر العوام، وليعلم أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم من تحقيق هذه المسائل، ونقل كلام العلماء، فرحم الله من نصر الله ورسوله ودينه، ولم تأخذه في الله لومة لائم)[٥].

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/١٠٧).

(٢) انظر : الشيخ صالح الفوزان ، **محاضرات في العقيدة والدعوة** ، [مرجع سابق] (١/١١٠).

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٥/١٣١،١٣٢،١٣٤) .

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢١) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٥/١٨٠) .

وجعل الإمام من أسباب اهتمامه بمحاربة البدع، ما رآه من جهل الناس بها، والتباس الأمر، حتى على (المطاوعة) الذين ينقل بعضهم كلام المبتدعة، ظانّاً أنه داخل في معتقد أهل السنة[١]، إضافة إلى ما توهمه بعض هؤلاء المطاوعة من أن البدع إنما كان انتشارها في السابق، وقد خلا منها زمن الإمام ومعاصريه[٢]، وقد ردّ -رحمه الله- على هذه المزاعم والأوهام.

كما بيّن الإمام أن من أهم عوائق محاربة البدع: كثرة انتشارها بين الناس[٣]، إضافة إلى شدة تعلقهم بها، إذ أنهم لما صعبت عليهم التكاليف الشرعية التي كلفهم الله بها (عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ..)[٤].

٣- إنكاره تقسيم البدع إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة :

قرر الإمام -رحمه الله- في أكثر من موضع من رسائله أن كل بدعة ضلالة، ونفى أن يكون هناك بدعة حسنة، واستنكر على أحد المدعوين -زعمه- أن التذكير يوم الجمعة[٥] بدعة حسنة، فقال: (.. ومن أعجب

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٣٣/٥) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١٣٤/٥) .

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (١٨٠/٥) .

(٤) من رسالة أرسلها الإمام لأهل العيينة وهو ينقل هنا عن أبي الوفاء بن عقيل -رحمه الله- انظر: حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٣١/٢) .

(٥) سيأتي تفصيل هذه البدعة وردّ الشيخ عليها في المبحث الرابع من هذا الفصل ص .

العجاب أنت تقول بدعة حسنة والنبي ﷺ يقول (كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)[١]، ولم يستثنِ شيئاً...)[٢]، بل أورد الإمام كثيراً من النصوص الدالة على تحريم البدع وبطلانها؛ منها قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ثم قال الإمام معلقاً على هذه الآية: (فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمّه على لسان رسوله ﷺ وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا، وترك البدع والتفرق والاختلاف..)[٣].

وقال في موضع آخر: (.. وأما متابعة الرسول ﷺ فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس

---

(١) أخرجه أبوداود ، **سنن أبي داود** ، [مرجع سابق] [كتاب السنة ، باب في لزوم السنة] [ك ٣٤ ـ ب ٦ ـ ح ٤٦٠٧] (١٥/٥) وذكره الترمذي تعليقاً في كتاب العلم حديث (٢٦٧٨) باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وقال: (هذا حديث حسن صحيح). وأخرجه مسلم بلفظ: (.. وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) مسلم ، **صحيح مسلم** ، [مرجع سابق] [كتاب الجمعة ـ باب تخفيف الصلاة والخطبة] [ك ٧ ـ باب ـ ١٣ ـ ح ٨٦٧] (٤٩٦/٢) .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٢٣٤/٥) وانظر أيضاً (٢٣٥/٥) .

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (١١٠/٥).

منه، فهو رد)[1]، رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد)[2]، فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله[ﷺ]؛ فما وافق منها قُبِل، وما خالف منها رُدّ على فاعله كائناً من كان)[3].

٤- بيانه أن البدع باطلة ولو صحت نية صاحبها:

وبيّن الإمام -رحمه الله- أن البدع منهي عنها، (ولو صحّت نية فاعلها)[4]، لأنها تبقى على هذه الحال بدعة داخلة في عموم النهي.

٥- إشارته إلى حرص العلماء على إنكار البدع:

بيّن الإمام -رحمه الله- أنه لم يأت بشيء جديد حين حرص على إنكار البدع، وأكّد أن العلماء اهتموا من قبل بإنكار البدع، وحرصوا على محاربتها[5]، حتى إن بعضهم أفردوا تصانيف، وألفوا كتباً مستقلة في بيان البدع والتحذير منها ، ذكر الإمام من تلك التصانيف كتاب (الباعث على

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٧٠) من هذا البحث.

(٢) مسلم ، **صحيح مسلم** ، [مرجع سابق]، كتاب : الأقضية، باب : نقض الأحكام الباطلة، وردّ محدثات الأمور ، [ك٣٠- ب٨ - ح١٧١٨] (١٠٨٣/٣).

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (١٠٦/٥).

(٤) انظر : المرجع السابق (٨٤/٥) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (١٣٣/٥) .

إنكار البدع والحوادث)[1]، للإمام (أبي شامة)[2] محدث الشام[3]، وكتاب (الحوادث والبدع)[4]، للإمام أبي بكر (الطرطوشي)[5]، المالكي[6].

٦- تذكيره بأدلة انتشار البدع في آخر الزمان:

أشار الإمام في عدة مواضع من رسائله[7] إلى ما دلت عليه النصوص من انتشار البدع آخر الزمان، حيث يقول الإمام في رسالته إلى عبد الله بن محمد

(١) هذا الكتاب مطبوع عدة طبعات، منها: طبعة دار الأصفهاني بجدة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

(٢) هو : عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي أبو شامة (٥٩٩ - ٦٦٥) . مؤرخ محدث ، ولد في دمشق وبها نشأته ووفاته ، ولي مشيخة دار الحديث ، ولقب بأبي شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر ، له عدة مؤلفات منها : كتاب الروضتين ، والوصول في الأصول، والباعث على إنكار البدع والحوادث . انظر : الزركلي ، **الأعلام** [مرجع سابق] (٢٩٩/٣) .

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٧١/٥، ١٧٨) .

(٤) طبع الكتاب عدة طبعات، منها طبعة دار ابن الجوزي بالدمام، بتحقيق علي بن حسن عبد الحميد الحلبي الأثري وقد صدرت منها الطبعة الثانية عام ١٤١٧هـ .

(٥) هو الإمام محمد بن الوليد الطرطوشي (٤٥١-٥٢٠هـ)، نسبةً إلى (طرطوشة) من بلاد الأندلس، شيخ المالكية وعالم الإسكندرية، له العديد من المصنفات، منها: كتاب الزهد، وبر الوالدين، والرد على اليهود، وكتاب الحوادث والبدع ، انظر:الإمام الذهبي،**سير أعلام النبلاء**، [مرجع سابق] (٤٩٠/١٩) .

(٦) انظر : المرجع السابق، (١٧٩/٥) .

(٧) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٦٦/٥، ٧٠، ١١١، ١١٢، ١٧٩، ٢٣٧، ٢٥٧، ٢٥٩) .

ابن عبد اللطيف: (...وتأمل قوله في الصحيح: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)[١]، وقوله ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم) .. إلى آخره)[٢]، ويقول الإمام في موضع آخر : (وهل يتصور شيء أصرح مما صحّ عنه ﷺ أن أمته ستفترق على أكثر من سبعين فرقة، أخبر أنهم كلهم في النار إلا واحدة[٣]، ثم وصف تلك الواحدة أنها التي على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه)[٤].

المسألة الثانية: بيانه بعض طوائف المبتدعة وتحذيره منهم:

لم يكتف الإمام -رحمه الله- بالحديث عن البدع إجمالاً؛ بل تحدث بالتفصيل عن بعض طوائف المبتدعة ورؤوسهم، مناقشاً ومحذراً، ويمكن توضيح ذلك من خلال النقاط التالية:

---

(١) أخرجه ابن ماجة من حديث أبي هريرة في كتاب الفتن، باب بدأ الإسلام غريباً (ك٣٦-ب١٥-ح٣٩٨٦) **سنن ابن ماجة**، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، [القاهرة، دار الحديث، ب ت] (١٣١٩/٢). وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ أن رسول الله ﷺ قال: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء)، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً (ك١ ، ب٦٥، ح٢٣١) الإمام مسلم ، **صحيح مسلم** ، [مرجع سابق] كتاب: الإيمان، باب : بيان أن الإسلام بدأ غريباً [ك١، ب ٦٥، ح١٤٥] (١/ ١١٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، الإمام البخاري، **صحيح البخاري** [مرجع سابق]، كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم ، [ك٣- ب٣٤- ح١٠٠] (٥٠/١).

(٣) يشير الإمام هنا إلى ما أخرجه ابن ماجة من حديث أنس رضي الله عنه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم [ك٣٦، ب١٧، ح٣٩٩١]، ابن ماجة، **سنن ابن ماجة**، [مرجع سابق] (١٣٢١/٢) وصححه الألباني برقم ٢٠٤٢، **صحيح الجامع** ، [مرجع سابق] (٤٠٩/١).

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٢٥٩/٥).

١) **الخوارج.**

٢) **الرافضة.**

٣) **الفرق الكلامية (الجهمية والمعتزلة) وبعض رموزهم.**

٤) **القدرية.**

٥) **الصوفية وبعض رؤوسهم ومظاهر الغلو عند بعضهم:**

(الغلو في مقام النبي ﷺ، الغلو في الصحابة رضي الله عنهم، الغلو في بعض الفساق وأهل الضلال، الغلو في بعض المواضع ونحوها، بعض رؤوس الصوفية الغلاة المعاصرين للإمام محمد رحمه الله).

١- الخوارج :

تحدث الإمام -رحمه الله- في عدة مواضع من رسائله عن فرقة الخوارج[1]، وساق بعض الأحاديث الواردة في حقهم، فقال: (فانظروا

---

(١) الخوارج : هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد قبوله مبدأ التحكيم بينه وبين معاوية رضي الله عنه فخرجوا عليه بقولهم: لم حكمت الرجال لا حكم إلا لله- مع أنهم هم الذين حملوه على التحكيم أولاً- وهم عشرون فرقة أكبرها ست، ويجمعهم القول بالتبرى من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً وواجباً، انظر: الشهرستاني، **الملل والنحل**، [مرجع سابق] (١/١٠٦)، وعبدالقاهر الاسفرائيني، **الفَرق بين الفِرق**، [بيروت -دار المعرفة- ب ت] (ص٧٢).

قولهﷺ في الخوارج :(أينما لقيتموهم فاقتلوهم)(١)، وقوله: (شـر قتلى تحـت أديم السماء)(٢)، مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم)(٣)، وقال مخاطباً سليمان بن سحيم: (وما تقول في الخوارج الذين قـال فيهم رسول الله ﷺ: (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)(٤)، (أينمـا لقيتموهـم فاقتلوهم)(٥).

---

(١) أخرجه البخاري من رواية علي ﷺ ، البخاري، **صحيح البخاري،** [مرجع سـابق] [كتـاب استتابة المرتدين ، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهـم] [ك ٩٢- ب ٦- ح ٦٥٣١] (٦/٢٥٣٨) .

(٢) أخرجه الترمذي وقال حديث حســن، وهـو مـن روايـة أبـي أمامـة البـاهلي ﷺ، الـترمذي، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)** [مرجع سابق][كتاب التفسير- باب سورة آل عمران- [ك ٤٤- ب٣ ـ ح ٣٠٠٧] (٥/٢٢٦) وأخرجه أحمـد في مسـنده، الإمـام أحمـد، **مسـند الإمـام أحمد،** [مرجع سابق] برقم (٢٢٦٤٧) (٥/٣١٥).

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٤٤) وانظر: المرجع السابق (٥/٢٤٢).

(٤) أخرجه البخاري من رواية أبـي سـعيد ﷺ، البخـاري، **صحيـح البخـاري،** [مرجـع سـابق] [كتاب الأنبياء ـ باب قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [ك ٦٤- ب٩ ح٣١٦٦] (٣/١٢١٩).

(٥) أخرجه البخاري من رواية علي بن أبي طـالب ﷺ، البخـاري، **صحيـح البخـاري،** [مرجـع سـابق] كتـاب المنـاقب، بـاب: علامـات النبـوة في الإسـلام [ك٦٥- ب٢٢- ح٣٤١٥] (٣/١٣٢٢).

وذكر الإمام -رحمه الله- بعض بدع الخوارج وضلالاتهم، وبين أن منها: (أن الخوارج يكفرون بالذنوب)[١]، وساق ما قاله ابن القيم -رحمه الله- في نونيته حين قال:

من لي بمثل خوارج قد كفّروا ∴ بالذنب تأويلاً بلا برهان[٢]

كما بيّن الإمام -رحمه الله- سبب ضلالهم، وذكر (إجماع الناس أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والغلو والاجتهاد، وهم يظنون أنهم يطيعون الله)[٣].

٢- الرافضة:

تضمنت رسائل الإمام -رحمه الله- الحديث أيضاً عن فرقة الرافضة[٤]، حيث بيّن الإمام -رحمه الله- خطورة هذه الفرقة، وأنهم من أول من أدخل

(١) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٠٩).

(٢) انظر: المرجع السابق (٥/٢٠٨-٢٠٩).

(٣) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٤٤-٢٤٥) وانظر رسالة الشيخ إلى أهل العيينة، حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٢/٢٥).

(٤) الرافضة : فرقة من الشيعة وهم الذين كانوا قد اعترفوا بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه إلا أنهم لما عرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين، رفضوه، فسموا بالرافضة، وهم خمس فرق يميل بعضها في الأصول إلى الاعتزال.

والشيعة : هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص ، وقالوا بإمامته نصاً ووصيّة إما جليّة وإما خفّية، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت، فبظلم يكون من غيره، أو بتقيّة من عنده، وأول من أظهر بدعته منهم السبئية الذين قال بعضهم لعلي رضي الله عنه: أنت الله، فأحرق علي رضي الله عنه قوماً منهم ، انظر : الشهرستاني ، **الملل والنحل** ،[مرجع سابق] (١/١٤٤) وانظر : عبدالقاهر الاسفرائيني ، **الفَرق بين الفِرق** ،[مرجع سابق] (ص٢١).

الشرك في هذه الأمة، حيث يقول الإمام مبيناً عقيدته ومنهجه في رسالته إلى السويدي -وهو عالم من أهل العراق-: (.. وبيّنت لهم (يعني للمدعوين) أن أول من أدخل الشرك في هذه الأمة هم الرافضة الملعونة الذين يدعون علياً وغيره، ويطلبون منهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات)[١].

كما قرر الإمام أن بدعة الرافضة قد تؤدي إلى المروق من الإسلام، وساق ما قاله الإمام تقي الدين ابن تيمية -رحمه الله- الذي ذكر حديث الخوارج، ثم قال: (فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه ممن قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة قد يمرق أيضاً، وذلك بأمور؛ منها: الغلو الذي ذمه الله تعالى، كالغلو في بعض المشائخ كالإمام عدي[٢]، بل الغلو في علي بن أبي طالب، [وهو يشير هنا إلى

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٣٦/٥) .

(٢) يعني : الشيخ عدي بن مسافر الشامي ثم الهكاري(ت ٥٥٧هـ) من شيوخ الزهاد ، ولد في بيت قار (من أعمال بعلبك- شرق دولة لبنان حالياً)، وجاور بالمدينة أربع سنوات ، وبنى زاوية في جبل الهكارية (من أعمال الموصل- شمال دولة العراق حالياً) فانقطع للعبادة وتوفي ودفن بها، قال عنه الذهبي: (الشيخ الإمام الصالح القدوة، زاهد وقته) كان صالحاً ناسكاً عابداً، إليه تنسب الطائفة العدوية، وانتشرت طريقته في أهل السواد والجبل، وغالى أتباعه العدوية في اعتقادهم فيه، واتخذوا قبره قبلة لهمن وزعموا أنه تحمّل عنهم صومهم وصلاتهم، وسيذهب بهم يوم القيامة للجنة من دون عقاب، واعتقدوا اعتقادات زائفة ،قال الذهبي: (وتبعه خلق جاوز اعتقادهم فيه الحد، حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها ..) وقد سئل ابن تيمية عنه فذكر أنه (كان رجلاً صالحاً .. ومن أصحابه من غلوا فيه غلواً عظيماً يبلغ بهم غليظ الكفر). انظر :جمع عبدالرحمن بن قاسم، **مجموع الفتاوى**، [مرجع سابق] (١٠٣/١١) وانظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء** [مرجع سابق] (٣٤٢/٢٠)، و: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، [مرجع سابق] (٤١٥/٣)، و الزركلي، **الأعلام**، [مرجع سابق] (٢٢١/٤).

الرافضة]، بل الغلو في المسيح ونحوه)[١]، كما بيّن الإمام أن الرافضة (يدعون علي بن أبي طالب وهو بريء منهم)[٢]، وقال: (أضرم لهم علي بن أبي طالب ﷺ ناراً فأحرقهم بها، وأجمعت الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس [ﷺ] أنكر تحريقهم بالنار، وقال: يقتلون بالسيف)[٣].

فلا خلاف بين الصحابة في ردتهم واستحقاقهم القتل، وإنما اختلفوا في كيفية القتل فقط، وهذا الحكم خاص بغلاتهم؛ فقد بيّن الإمام أن (غلاة الرافضة .. الذين يقذفون عائشة، ويكذبون القرآن، وكذلك الذين يزعمون أن جبريل غلط، وغير هؤلاء ممن أجمع أهل العلم على كفرهم)[٤]، وساق الإمام ما ذكره الحجاوي في الإقناع من أن (من سبّ الصحابة، واقترن بسبه دعوى أن علياً إله أو نبي، أو أن جبريل غلط، فلا شك في كفر هذا، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره)[٥].

ومن ضلالهم أنهم إذا رأوا (من عرف حقوق أصحاب رسول الله ﷺ وأحبهم، ولم يقل فيهم، رموه ببغض أهل بيت رسول الله ﷺ)[٦].

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (١٧٧/٥) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٥٥/٥) وانظر المرجع نفسه (٥٢/٥، ١٤٧).

(٣) انظر : المرجع السابق (٢٣٣/٥) وانظر : المرجع نفسه (١٣٦/٥، ١٤٨، ٢١٩، ٢٤٥).

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (١٣٦/٥).

(٥) انظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٦٨/٥) وانظر: المرجع نفسه (١٤٧/٥) وانظر: الحجاوي، **الاقناع**، [مرجع سابق] (٢٩٩).

(٦) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (١٧٦/٥) .

ورغم أن الإمام ينكر على الرافضة غلوهم في أهل البيت، إلا أن ذلك لم يجعله يغفل عن أهمية معرفة حقوق أهل البيت، ووجوب محبة الصالحين منهم وموالاتهم، ولذا نراه يوجه بعض أتباعه ويلفت انتباههم إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب (لأهل بيت رسول الله ﷺ على الناس حقوقاً، فلا يجوز لمسلم أن يسقط حقهم، ويظن أنه من التوحيد، بل هو من الغلو)[١]؛ لأن الغلو هو مجاوزة الحدّ مدحاً أو ذمّاً [٢].

٣- المتكلمون:

تحدث الإمام -رحمه الله- عن ما يسمى بعلم الكلام، وبيّن إجماع السلف -رحمهم الله تعالى- على: (أن علم الكلام بدعة وضلالة، حتى قال أبو عمر بن عبد البر: أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات، لا يعدّون عند الجميع من طبقات العلماء)[٣].

كما بيّن الإمام -رحمه الله- أن أهل الكلام، وإن كان منهم أهل ذكاء وفطنة وزهد وأخلاق[٤]، إلا أنهم مقرون على أنفسهم أنهم مخالفون

---

(١) المرجع السابق ، (٢٨٤/٥) .

(٢) انظر : ابن الأثير ، **النهاية في غريب الحديث والأثر** [مرجع سابق] (٣٨٢/٣)، ابن مفلح، **الآداب الشرعية** [مرجع سابق](٥٢/١) .

(٣) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٢٦٣/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق، (٢٢٣/٥، ٢٦٤).

للسلف[1]، فهم يسمون (طريقة رسول الله ﷺ حشواً وتشبيهاً وتجسيماً)[2]، وتوحيدهم إنما هو (بالقول، لا بالعبادة والعمل)[3]، وحقيقة (التوحيد الذي يدّعونه إنما هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات)[4]، وهذا التوحيد هو الذي سماه السلف توحيد أهل الباطل، قال الإمام -رحمه الله- في رسالته لعبد الله ابن سحيم ناقلاً عن شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ، بعد كلام له على من قال: إن الله تعالى ليس بجوهر ولا عرض ... قال رحمه الله: (فهذه الألفاظ لا يطلق إثباتها ولا نفيها كلفظ الجوهر والجسم والتحيّز والجهة ونحو ذلك من الألفاظ ،ولهذا لما سئل ابن سريج[5] عن التوحيد، فذكر توحيد المسلمين قال: (وأما توحيد أهل الباطل، فهو الخوض في الجواهر والأعراض، وإنما بُعث النبي ﷺ بإنكار ذلك)[6].

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٥/٢٦٣).

(٢) انظر : المرجع السابق.

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٢٣).

(٤) انظر : المرجع السابق .

(٥) ابن سريج : أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي القاضي. (ت٣٠٦) ،صاحب المصنفات، وصفه الإمام الذهبي بـ (الإمام، شيخ الإسلام، فقيه العراقين)، وَلِيَ القضاء بشيراز، وكان يفضل على جميع أصحاب الشافعي، له أكثر من (٤٠٠) مصنف؛ منها (الأقسام والخصال) و(الودائع لمنصوص الشرائع).انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء** [مرجع سابق] (٢٠١/١٤)، والزركلي **الأعلام** [مرجع سابق] (١٨٥/١).

(٦) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٥/١٣١) .

وبيّن الإمام -رحمه الله- ضلال مذهبهم، ومخالفته للعقول ، وذكر مثالاً لذلك ما ردّ به الفلاسفة على المتكلمين وخَصَمُوهُمْ به، حين أنكر المتكلّمون على الفلاسفة تأويلهم آيات الأمر والنهي؛ مثل قولهم: المراد بالصيام كتمان أسرارنا ، والمراد بالحج زيارة مشايخنا، والمراد بجبريل العقل الفعال، وغير ذلك من إفكهم، وأن ذلك التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام، فقال لهم الفلاسفة: أنتم جحدتم علو الله على خلقه واستواءه على عرشه مع أنه مذكور في الكتب على ألسنة الرسل، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم وغيرهم من أهل الملل، فكيف يكون تأويلنا تحريفاً وتأويلكم صحيحاً؟ فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب على هذا الإيراد[١].

ثم قال الإمام: (والمراد أن مذهبهم -مع كونه فاسداً في نفسه مخالفاً للعقول- وهو أيضاً مخالف لدين الإسلام والكتاب والرسول وللسلف كلهم، ويذكرون في كتبهم أنهم مخالفون للسلف، ثم مع هذا راجت بدعتهم على العالم والجاهل،حتى طبقت مشارق الأرض ومغاربها)[٢]، وهم معترفون -كما بيّن الإمام- أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي، بل من عقولهم، حتى (إنك إذا طالعت في كتاب من كتب الكلام.. تجد الكتاب من أوله إلى آخره لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله، اللهم إلا أن يذكره ليحرفه عن مواضعه)[٣].

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٢٦٤) .

(٢) المرجع السابق ، (٥/٢٦٤).

(٣) المرجع السابق ، (٥/٢٦٣) .

والحق أن بدعة الكلام من أخطر البدع وأشدها ضرراً على الإسلام والمسلمين، حتى إن الإمام -رحمه الله- في رسالته التي أرسلها إلى أهل العيينة نقل كلاماً نفيساً لأبي العباس ابن تيمية في الرد على المتكلمين، لما ذكر أحوال بعض أئمتهم، حيث قال: (وكل شرك في العالم إنما حدث برأي جنسهم، فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له، ومن لم يأمر منهم بالشرك، فلم ينه عنه، بل يُقِرّ هؤلاء وهؤلاء، وإن رجّح الموحدين ترجيحاً، فقد يرجح غيره المشركين)[1].

كما تناول الإمام -رحمه الله- بشيء من التفصيل بعض الطوائف الكلامية كالمعتزلة[2]، والجهمية[3]، وبيّن أن السلف -رحمهم الله- عدّوهما

---

(١) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٣٠/٢) .

(٢) المعتزلة : هم أصحاب واصل بن عطاء الغزال، لما اعتزل مجلس الحسن البصري، يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ويثبت المنزلة بين المنزلتين فطرده، فاعتزله وتبعه جماعة سموا بالمعتزلة. انظر : الشهرستاني ، **الملل والنِحل**، صححه وعلق عليه أحمد فهمي محمد، [بيروت-دارالكتب العلمية- ط الثانية- ١٤١٣هـ] (٣٨/١).

(٣) الجهمية : هم أصحاب جهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ- شرق دولة إيران حالياً- ووافق المعتزلة في نفي الصفات، وزاد عليهم أشياء منها: قوله: إن الإنسان مجبور في أفعاله بلا اختيار، وكذلك الثواب والعقاب جبر، وقوله: إن الجنة والنار تفنيان بعد دخول أهليهما فيهما، وقد كفّره أهل السنة، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو بخراسان (شرق إيران حالياً) في آخر ملك بني أمية. انظر: الشهرستاني ، **الملل والنِحل**، [مرجع سابق] (٧٣/١، ٧٤).

من فرق المبتدعة، وذكر من انحرافاتهم في العقيدة إطلاقهم الألفاظ المجملة التي لم تأت بها النصوص في باب الأسماء والصفات؛ كلفظ الجسم والجوهر والحيّز. يقول الإمام: (.. فالذي يقول : ليس بجسم ولا..ولا.. هم الجهمية والمعتزلة، والذين يثبتون ذلك هو هشام[1] وأصحابه. والسلف بريئون من الجميع؛ من أثبت بدّعوه، ومن نفى بدّعوه)[2].

كما ذكر الإمام -رحمه الله- بعض رؤوس المتكلمين من الجهمية والمعتزلة، وبيّن أن منهم من كفّره علماء السلف، وأفتوا بردته، ووجوب قتله، مثل الجعد بن درهم[3]، حيث نقل الإمام -رحمه الله- (إجماع أهل العلم من التابعين وغيرهم على قتل الجعد بن درهم، قال ابن القيم -رحمه الله-:

---

(١) سبقت ترجمته (ص ٢٧٥).

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (١٣٢/٥).

(٣) الجعد بن درهم ، عداده في التابعين ، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، فقتله خالد بن عبدالله القسري بالعراق يوم النحر، والقصة مشهورة، وكان الجعد من أهل الشام، وكان مؤدب مروان الحمار، وهو شيخ الجهم بن صفوان، الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية، وقد تلقى مذهبه الخبيث عن رجل يقال له أبان بن سمعان، الذي أخذه عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم، وأخذه طالوت عن خاله لبيد بن أعصم الذي سحر النبي ﷺ في مشط ومشاطة، انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، [مرجع سابق] (٢١/١٠) وانظر: ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية** ، بتحقيق د.عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط، [بيروت -مؤسسة الرسالة - ط الخامسة ١٤١٣هـ] (٣٩٥/٢).

شكر الضحية كل صاحب سنة ∴ لله درك من أخي قربان)[١]

وذكر الإمام أيضاً بعض رؤوس المعتزلة، مثل أبي علي الجبائي[٢]، وابنه أبي هاشم الجبائي[٣]، حيث بيّن أنهم من رؤوس المعتزلة، وذكر كلام السلف في تبديعهم للمعتزلة ومن سلك مسلكهم[٤]، واستنكر على عبدا لله المويس ما قرره في كتابه الذي أرسله إلى أهل الوشم من وجوب اتباع أبي علي وأبي هاشم في نفي الجوهر والعرض، فقال مخاطباً عبد ا لله بن سحيم مطوع المجمعة: (...وصاحبكم (يعني المويس) يدّعي أن الرجل لا يكون من أهل السنة حتى يتبع أبا علي وأبا هاشم بنفي الجوهر والعرض ، فإن أنكر الكلام

---

(١) انظر **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٢٠) .

(٢) أبو علي محمد بن عبدالوهاب المعروف بالجبائي ، أحد أئمة المعتزلة ، كان إماماً في علم الكلام، أخذ هذا العلم عن يعقوب الشّحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة ، وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري علم الكلام، وله معه مناظرات، توفي سنة ٣٠٣هـ ، انظر : ابن خلكان ، **وفيات الأعيان**، [بيروت- دار صادر- ١٤١٤هـ] (٤/٢٦٧) وانظر : الشهرستاني، **الملل والنحل**، [مرجع سابق] (١/٤٠).

(٣) أبو هاشم عبدالسلام بن أبي علي محمد الجبائي، المتكلم المشهور، كان هو وأبوه من كبار المعتزلة، وكتب الكلام مشحونة بمذهبهما واعتقادهما، توفي في شعبان من سنة ٣٢١هـ. انظر: ابن خلكان ، **وفيات الأعيان**، [مرجع سابق] (٣/١٨٣) وانظر: الشهرستاني ، **الملل والنِحَل**، [مرجع سابق] (١/٤١).

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/١٣٢).

فيهما مثل أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– فهو عنده على مذهب هشام الرافضي[(1)](2).

٤– القدرية:

تضمنت رسائل الإمام –رحمه الله– الحديث عن فرقة القدرية[(3)]، حيث ذكر الإمام (إجماع السلف على تكفير غلاة القدرية وغيرهم، مع علمهم وشدة عبادتهم وكونهم أنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم لأجل كونهم لم يفهموا)[(4)]، وليس هذا الحكم مطرداً على جميع القدرية، بل هو خاص بغلاتهم، الذين أنكروا القدر، وزعموا أن لا قدر، وأن الأمر أُنُف[(5)]، أما بقية القدرية غير الغلاة، فلم يحكم أهل السنة بكفرهم، بل إن الإمام محمداً –رحمه الله– أنكر على سليمان بن

---

(١) سبق ترجمته ص ٢٧٥، والمعنى أن المويس يظن أن من أنكر الكلام في ما لم يرد في النصوص إثباته ولا نفيه من الصفات، فهو مشبه مجسم، مثل هشام الرافضي.

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (١٣٢/٥) .

(٣) هم منكرو القدر، الذين يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، وأول من تكلم بهذه المقالة: سعيد بن خالد الجهني، الذي كان يجالس الحسن البصري، وعنه أخذ أهل البصرة لما رأوا عمرو بن عبيد قد انتحله، وقد قتله الحجاج بن يوسف صبراً. انظر : ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، [مرجع سابق] (٧٨/١) وشرح النووي على **صحيح مسلم**، [مرجع سابق] (٢٦٨/١).

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٢٤٥/٥).

(٥) انظر : شرح النووي على **صحيح مسلم**، [مرجع سابق] (٢٧١/١).

سحيم إطلاقه تكفير القدرية بالعموم دون تفصيل؛ فقال عن الأوراق التي أرسلها ابن سحيم: (ثم ذكر فيها كفر القدرية، والعلماء لا يكفرونهم (يعني بالعموم، بل يكفرون غلاتهم فقط) فكفّر ناساً لم يكفروا)[١].

٥- التصوف[٢]:

تحدث الإمام -رحمه الله- في رسائله عن الصوفية والتصوف، إلا أنه لم يذم هذا المسلك بإطلاق، بل خصّ بالذمّ غلاة الصوفية ، لأن التصوف - كما قال ابن تيمية- (مرّ بمراحل وأطوار متعددة، والكلام بذمه مطلقاً خطأ؛ لأنه يُدخل في الذم من لا يستوجب الذم لسلامته، والكلام بمدحه مطلقاً خطأ أيضاً ؛ لأنه يُدخِل في المدح من لا يستوجبه، وفيه من يذم من وجه ويُمدح من وجه آخر)[٣] ،ولذلك نرى الإمام محمداً -رحمه الله- يفرق بين التصوف البدعي، وبين ما يطلق عليه تصوف، كالزهد والورع، وما جاءت

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٥/٨٨) .

(٢) التصوف لفظ مبتدع يراد به: التنسك والعبادة والزهد في الدنيا وتفريغ القلب من غير الله. والصوفية: هم المنتسبون لهذا الطريق: منهم العباد الصادقون، ومنهم المنحرفون، ومنهم الملحدون، وقد اختلف في أصول التسمية؛ فذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن أصل كلمة التصوف: من لبس الصوف، لاختصاص أصحابه به، وذكر أقوالاً أخرى، انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، **مجموع فتاوى بن تيمية** ، [مرجع سابق] (١١/٦-٧).

(٣) ابن تيمية ، **مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية**، تقديم وتعليق: عبدالرحمن دمشقية [الرياض -دار طيبة- ط ١٤٠٨هـ] (ص ١٢) وانظر : صابر طعيمة ، **الصوفية معتقداً ومسلكاً**، [الرياض- شركة العبيكان للطباعة والنشر- ط الأولى- ١٤٠٥هـ] (ص٢٠).

الشريعة بتأييده، والحضّ عليه من تنزيه الباطن، وحب الله ورسوله، وحب أولياء الله تعالى، والإيمان بكرامات الأولياء ،ونحو ذلك[1]، في حين يرفض الإمام جميع أشكال التصوف التي تُخرج الإنسان عن دائرة إخلاص العبودية لله في جميع أنواع العبادات، وتنقله إلى التردِّي في متاهات الجهل والخرافات التي انتشرت في زمن الإمام -رحمه الله- وما قبله وحاربها الإمام -رحمه الله- بلسانه وسنانه[2]، ولذلك يُلاحظ أن الإمام -رحمه الله- لا يمدح بإطلاق، كما لا يذم بإطلاق، بل يُعنى بنقض المعتقدات الفاسدة، ويحذر من مروّجيها، ومن ذلك ما ذكره -رحمه الله- في سياق حديثه عن بعض الصوفية من أنه كما وجد في بعض الأمم من يغلو في عيسى عليه السلام [3]، ومن يغلو في عزير عليه السلام[4] فكذلك وجد في هذه الأمة من يغلو في الأشخاص،

---

(١) ساقت الباحثة : د. آمنة محمد نصير ، في كتابها : **الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة** ، [بيروت- دار الشروق- ط الأولى ١٤٠٣هـ] (ص١٦٠) شواهد من رسائل الإمام ومؤلفاته تدل على إيمانه بالكرامات، وحب أولياء الله ، وحثه على الزهد والورع، وعدم التعلق بالدنيا، والحرص على تنزيه الباطن من رذائل المعاصي المتعلقة بالقلب والجوارح ،،كما بينت بالشواهد أن الإمام حذر من التصوف البدعي ونهى عنه.

(٢) انظر : آمنة نصير ، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة**، [مرجع سابق] (ص ٢٧٥).

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٣٢).

(٤) انظر : المرجع السابق.

ويجاوز بهم الحد، ويعتقد فيهم المعتقدات الفاسدة، كبعض الصوفية الذين غلو في مقام النبي ﷺ، وبعض صحابته، وبعض الصالحين من أمته من العبَّاد والزهَّاد ونحوهم، كما بيّن الإمام -رحمه الله- أن صرف شيء من أنواع العبادة للصالحين أو غيرهم شرك، والصالحون بريئون من تلك الانحرافات [١]، بل ذكر الإمام -رحمه الله- أن من الصوفية وغيرهم من غلا في بعض الفساق وأهل الضلال والزيغ والانحراف، فعظموهم، وصرفوا لهم بعض أنواع العبادة التي لا يجوز أن تصرف لغير الله تعالى، ومنهم من غلا في شجر أو حجر أو نحوه، وفيما يلي تفصيل ما ذكره الإمام -رحمه الله- في ذلك:

- الغلو في مقام النبي ﷺ:

بيّن -رحمه الله- أن من الصوفية من غلا في مقام النبي ﷺ، وخلع عليه بعض الصفات التي لا تصلح إلا لله سبحانه وتعالى، ومن ذلك (قول صاحب البردة [٢]:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ∴ سواك عند حدوث الحادث العمم

وقوله:

---

(١) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٥٢).

(٢) هو البوصيري: محمد بن سعيد البوصيري المصري أبو عبدالله، (ت ٦٩٦هـ) شاعر حسن الديباجة، له ديوان شعر (مطبوع)، وأشهر شعره البردة، ومطلعها: (أَمِن تذكر جيران بذي سلم) وهي جيدة السبك،إلا أن فيها جملة من المزالق والضلالات والغلو في مقام النبوة، انظر: الزركلي، **الأعلام**،[مرجع سابق] (٦/١٣٩).

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ∴ إذ الكريم تجلى باسم منتقم[١]

وقد استنكر بعض الخصوم على الإمام تخطيئه لما جاء في البردة، بحجة صلاح قائلها ومحبته للنبي ﷺ؛ فأجاب الإمام بأن صلاح الشخص لا يعصمه من الخطأ، وقد أخطأ من هم خير منه حين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط[٢]، ثم قال الإمام متعجباً من موقف سليمان بن سحيم: (.. يا عجباً! إذا جرى هذا من أولئك السادة (يعني الصحابة الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط)، كيف ينكر علينا أن رجلاً من المتأخرين غلط في قوله: يا أكرم الخلق، كيف تعجبون من كلامي فيه، وتظنونه خيراً وأعلم منهم؟)[٣].

ثم يعتب الإمام على أحد المنتسبين للعلم[٤] في زمنه، كيف يلبّس على الناس بمدحه لقصيدة البردة، واستحسانها وشرحها، دون بيان ما فيها من مخالفات، مع أنه ينتسب إلى أهل العلم، ويفسر القرآن والحديث، يقول الإمام: (.. وأعجب من ذلك ما رأيت وسمعت ممن يدّعي أنه أعلم الناس، يفسر القرآن ويشرح الحديث بمجلدات، ثم يشرح (البردة) ويستحسنها..)[٥].

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٤٧) .

(٢) يشير إلى حديث سبق تخريجه ص ٣٤٥.

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٧١) .

(٤) لم يذكر الشيخ اسمه .

(٥) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/١٢٢) .

- **الغلو في الصحابة :**

كما بيّن الإمام -رحمه الله- أن من الصوفية وغيرهم مَن غلا في الصحابة رضوان الله عليهم ، وقصد قبورهم في قضاء الحاجات وتفريج الكربات، ومن ذلك ما اتخذه بعض الصوفية في الشام من القِبّاب على قبر الزبير بن العوام ﷺ وطلحة بن عبيد الله ﷺ، وغيرهم ؛حيث ذكر الإمام -رحمه الله- أنه نهى هو وأتباعه عن (الأوثان المجعولة على قبر الزبير[١]، وطلحة[٢]، وغيرهما في الشام أو في غيره)[٣]، وبيّن أن (مَن عَبَدَ الله ليلاً ونهاراً، ثم دعا نبياً أو ولياً عند قبره، فقد اتخذ إلهين اثنين، و لم يشهد أن لا إله إلا الله،كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزبير ... وكما يُفعل قبل

---

(١) هو أبو عبدالله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب، أمه صفية بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ، أسلم الزبير وهو ابن ثمان سنين، وهاجر إلى أرض الحبشة مرتين و لم يتخلف عن غزاة غزاها الرسول ﷺ وهو أول من سلّ سيفاً في سبيل الله، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، قتل ﷺ بعد أن انصرف يوم الجمل سنة ٣٦ هـ، وكان عمره ٦٧عاماً. انظر : ابن حجر ، **الإصابة في تمييز الصحابة**، [بيروت- دار الكتب العلمية- ط الأولى ١٤١٥هـ] (٢/٤٥٧- ٤٦١).

(٢) هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عمرو بن كعب القرشي التيمي، أحد العشرة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى ، أبلى بلاءً عظيماً يوم أُحد وفي غيرها من المغازي ، وقتل يوم الجمل سنة ٣٦هـ،وله أربع وستون سنة، ودفن بالبصرة. انظر : المرجع السابق ، (٣/٤٣٠- ٤٣٢) .

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/١٣٧).

هذا عند قبر زيد[١]، وغيره)[٢]، ثم أكد الإمام -رحمه الله- أن أولئك الصحابة والصالحين الذين غلا الناس فيهم وقصدوا قبورهم، لا يلحقهم نقص بما أحدثه الناس فيهم من المخالفات ، وبيّن الإمام أن هذه قضية بدهية ، حتى إنه خاطب سليمان بن سحيم وسأله بأسلوب الاستفهام الإنكاري قائلاً: (..ومن قال: إن عيسى وعزيراً وعلي بن أبي طالب وزيد بن الخطاب وغيرهم من الصالحين يلحقهم نقص بجعل المشركين إياهم وسائط؟ .. حاشا وكلا .. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]..)[٣].

-الغلو في الصالحين:

بيّن الإمام -رحمه الله- في رسائله أيضاً أن من الصوفية وغيرهم من غلا في بعض الصالحين من الزهّاد والعبّاد ونحوهم؛ وأصبحوا يصرفون لهم ولأمثالهم بعض أنواع العبادات كالدعاء ونحوه، قال الإمام محمد -رحمه الله- (..فصار ناس من الضالين يدعون أناساً من الصالحين في الشدة والرخاء، مثل

---

(١) هو زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما، يكنى أبا عبدالرحمن، كان أسنّ من أخيه عمر، وأسلم قبل عمر، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، قتل في معركة اليمامة سنة ١٢هـ. انظر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، [مرجع سابق] (٤٩/٢- ٥٠٠).

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (١٦٦/٥).

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٢٣٢/٥).

عبدالقادر الجيلاني[١]، وأحمد البدوي[٢]، وعدي بن مسافر، وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح ..)[٣].

---

(١) الجيلاني : عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد محيي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي ، مؤسس الطريقة القادرية ، من كبار الزهاد والمتصوفين ، ولد سنة (٤٧١هـ) في جيلان شمال دولة إيران حالياً، وانتقل إلى بغداد شاباً، واتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب واشتهر، وكان يأكل من عمل يده، وتصدر للتدريس والإفتاء ببغداد وتوفي بها سنة (٥٦١هـ) ومن كتبه: ألفية الطالب الحق، والفتح الرباني ، انظر : الزركلي **الأعلام** ، [مرجع سابق] (٤٧/٤).

(٢) البدوي : أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني البدوي(٥٦٩-٦٧٥هـ)، المتصوف، صاحب الشهرة في الديار المصرية، ولد بفاس، وطاف البلاد، وأقام بمكة والمدينة، ودخل مصر فعظم شأنه فيها، وانتسب إلى طريقته جمهور كبير، وتوفي ودفن بطنطا، حيث يقام له كل عام احتفال بمولده يفد إليه الناس من جميع أنحاء القطر المصري، انظر : الزركلي ، **الأعلام** ، [مرجع سابق] (١٧٥/١). انتهت الترجمة .

- **تعليق لا بد منه** : العجيب : أن البدوي كان مجهولاً في عصره والعصر الذي يليه، فلم يتمكن معاصروه من معرفة حقيقة دعوته، فهو تارة يظهر في صورة المجذوب صاحب الكرامات الذي رفع عنه التكليف، وتارة يختار الدعاة، ويأخذ عليهم العهد، وينشرهم في مصر والشام واليمن، حتى اكتمل عددهم أربعين، وهم الذين يسمون السطوحية (نسبة إلى السطح الذي كان يسكنه بعيداً عن الناس لتزداد هيبته)، وليس هذا التخطيط المحكم من فعل المجاذيب، كما أن ما وصل إلينا من أذكاره وأشعاره، المليئة بادّعاء خصوصيات الألوهية وعقيدة الحلول والاتحاد، توحي -كما يؤكد بعض الباحثين- بوجود علاقه بينه وبين حركة الشيعة الباطنية، الرامية إلى إعادة الحكم العبيدي إلى مصر، حتى إن الظاهر بيبرس كان يشك في نواياه، خوفاً من تجدد المؤامرات الشيعية الباطنية، فأرسل القاضي ابن دقيق العيد ليتقصى أمره، ورغم أنه قابله بالفعل- كما تذكر بعض الروايات- وقال له: (يا أحمد، هذا الحال الذي أنت فيه ما هو مشكور، فإنه مخالف للشرع الشريف، فإنك لا تصلي ولا تحضر الجماعة، وما هذه طريقة الصالحين). إلاّ أن هذه الرحلة لم تفلح في إزالة الشكوك عند الظاهر بيبرس. انظر: د.عبد الله صابر، **السيد البدوي، دراسة نقدية**، [مصر -دار الطباعة والنشر الإسلامية- ب.ت] ص ٦ إلى ص٥٥، والشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، **قرة عيون الموحدين** بتحقيق بشير محمد عيون [دمشق- مكتبة دار البيان- ط الأولى ١٤١١هـ] ص١٠٦و١٠٧.

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٦٥/٥) وانظر : (٥٢/٥،١٤٧،١٥١،٢٣٣).

واستطرد الإمام في بيان بعض صور الانحراف والغلو التي أحدثها الناس. وساق -رحمه الله- بعض ما ذكره أهل العلم في حكمها، ومن ذلك (النذر الذي يقع من أكثر العوام، بأن يأتي إلى قبر الصلحاء قائلاً: يا سيدي، إن رُدَّ غائبي أو عوفي مريضي، أو قُضيت حاجتي، فلك من الذهب والطعام أو الشمع كذا وكذا، (وأنه) باطل إجماعاً بوجوه؛ منها: أن النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها: أن ظن الميت يتصرف في الأمر واعتقاد هذا كفر ... وقد ابتلي الناس بذلك، ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي)[1].

كما ساق الإمام -رحمه الله- في إحدى رسائله ما ذكره ابن تيمية في (الرسالة السنية) التي أرسلها إلى طائفة من أهل العبادة، ينتسبون إلى بعض الصالحين ويغلون فيهم (حيث ذكر ابن تيمية في هذه الرسالة) حديث الخوارج، ثم قال: (فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ممن ينتسب إلى الإسلام مَنْ مَرَقَ منه، مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام قد يمرق من الدين، وذلك بأمور منها: الغلو الذي ذمّه الله، مثل الغلو في عدي بن مسافر أو غيره، فكل من غلا في نبي أو صحابي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني أو أنا في حسبك ونحو هذا، كافر يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل)[2].

---

(١) انظر : المرجع السابق (١٧٧/٥-١٧٨) والإمام هنا ينقل عن أحد علماء الحنفية، وهو الشيخ (قاسم) في شرح (درر البحار) .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٦٧/٥،١٧٧).

- الغلو في بعض الفسّاق وأهل الضلالة والزيغ والانحراف:

لم يكتف بعض الصوفية وغيرهم من الجهال بالغلو في الصالحين، بل ذكر الإمام -رحمه الله- أن من الصوفية وغيرهم من غلا في بعض الفسّاق وأهل الضلالة والزيغ والانحراف، حيث بيّن الإمام أن من الصوفية (من ادّعى أن ابن عربي[١].. إله)[٢]، مع أن العلماء ذكروا أن ابن عربي وطائفته (أكفر من فرعون، حتى قال ابن المقري الشافعي: من شك في كفر طائفة ابن عربي، فهو كافر..)[٣].

كما بيّن الإمام أن من الصوفية وغيرهم (من يدعو شمسان وتاجاً وحطاباً)[٤]، وذكر أيضاً أن العلماء قد قصّروا في ذلك الوقت، فلم ينهوا الناس (عن عبادة شمسان وأمثاله)[٥].

---

(١) هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد ابن عربي ،المعروف بـ (محيي الدين ابن عربي) (٥٦٠ - ٦٣٨هـ) فيلسوف من أئمة المتكلمين، ولد في الأندلس، وتوفي في دمشق ، وله (شطحات) جعلت بعض العلماء يريقون دمه، منها: القول بوحدة الوجود، وله نحو أربعمائة كتاب، أشهرها: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، انظر: الزركلي ، **الأعلام** ، [مرجع سابق] (٢٨١/٦) .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٦٩/٥) .

(٣) انظر : المرجع السابق (٧٢/٥) .

(٤) انظر: المرجع السابق (٨٩/٥) وانظر الحديث عن هؤلاء في الفصل التمهيدي (الحالة الدينية).

(٥) المرجع السابق (٦٣/٥) .

بل إن بعضهم عابوا على الإمام نهيه الناس عن هذا الضلال، واستنكروا عليه تكفيره لشمسان وأولاده، حيث يقول الإمام في رسالته لعبد الله بن سحيم؛ التي فنّد فيها شبهات سليمان بن سحيم، وعدّد فيها ما أورده سليمان من المسائل التي جملتها أربع وعشرون مسألة، قال: (مسألة سادسة: وهي إفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم، وسميتهم طواغيت، وذلك أنهم يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله، عبادة أعظم من عبادة اللات والعزى بأضعاف، وليس في كلامي مجازفة، بل هو الحق، لأن عبادة اللات والعزى يعبدونها في الرخاء، ويخلصون لله في الشدة ؛ وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياهم في شدائد البر والبحر)[1].

والعجيب أن سليمان بن سحيم كان موافقاً للإمام محمد في تكفيره لشمسان وأمثاله، بل إنه قرأ رسالة الإمام التي فيها تكفير شمسان، ونسخها بيده، وكتب عليها تعليقاً يؤيد به ما جاء فيها، وقال: (ما ينكر هذا إلا أعمى القلب)[2]، ثم عاد يناقض نفسه، ويكذب ما جاء فيها.

وقد بيّن الإمام -رحمه الله- كفر كل من نصب نفسه للنذور، ودعا الناس إلى قصده بالقرابين، وصرف أنواع العبادة له، فأفتى -رحمه الله- (بكفر الطواغيت مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس والذين يعبدونهم مثل طالب الحمضي وأمثاله)[3].

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٧٥).
(٢) انظر : المرجع السابق ، (٥/٢٢٨) .
(٣) المرجع السابق ، (٥/٢٤٠) .

كما بيّن الإمام -رحمه الله- أن بعض المتصوفة وغيرهم غلوا في أشخاص آخرين، فساد عند بعضهم (الاعتقاد في الزاهد، والمطيوية، والاعتماد عليهم)[١]، (وعبادة العيدروس وأبي حديدة، وأمثالهما)[٢]، واعتقاد صلاح (السائح الأعرج) وولايته، (وقد صرح في[الإقناع] بكفره)[٣]، يعني ما ذكره الحجاوي -رحمه الله- في باب حكم المرتد من الأمور الموجبة للردة، والتي رأى الإمام محمد -رحمه الله- أن السائح الأعرج قد وقع فيها، كجعل الوسائط بينه وبين الله ومثل الطيران في الهواء، والمشي في الماء ونحوه[٤].

كما ذكر الإمام -رحمه الله- في رسائله بعض الأشخاص الذين اشتهروا بالغلو في المخلوقين؛ مثل (طالب الحمضي، وأمثاله، الذين يشركون بالله في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ويزعمون أن حسيناً وإدريس ينفعون ويضرون؛ وهذه الربوبية ، ويزعم أنهم ينخون ويُندبون؛ وهذا توحيد الألوهية)[٥]. وقد أفتى الإمام محمد -رحمه الله- بكفر طالب هذا في أكثر من موضع [٦].

---

(١) انظر : المرجع السابق (٢٤١/٥) .

(٢) انظر : المرجع السابق (٢١٧/٥) وانظر : (١٧٢/٥، ٢٢٣) .

(٣) انظر : المرجع السابق (١٢٦/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (الشخصية) (١٢٦/٥).

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٨٩/٥) . ولم يعثر الباحث على ترجمة طالب هذا .

(٦) المرجع السابق ، (٢٤٠/٥- ٢٤٢).

كما بيّن الإمام أن ممن غلا في المخلوقين رجل يدعى عبدا لله بن عون، كان يصرف أنواعاً من العبادة لأبي حديدة[١]، وكذلك ابن فيروز وصالح بن عبدا لله، وغيرهم ممن (عبد الوثن الذي على قبر يوسف وأمثاله)[٢]، وقد أفتى الإمام -رحمه ا لله- بكفرهم، وحشد الأدلة على ذلك[٣]، وحذّر الإمام أيضاً من بعض المتصوفة الضلاّل المعاصرين له، فقال: (وكذلك أيضاً من أعظم الناس ضلالاً متصوفة في معكال وغيره؛ مثل ولد موسى بن جوعان، وسلامة ابن مانع وغيرهما يتبعون مذهب ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ الناس كفراً من اليهود والنصارى)[٤]، وبيّن الإمام أيضاً أن (عبدالكريم، وموسى بن نوح[٥])[٦] من المتصوفة الضلاّل، الذين كان سليمان ابن سحيم قد تظاهر بالتبرؤ منهم حين ناقشه عبد الرحمن الشنيفي ومن معه من أتباع الإمام، إلا أن سليمان عاد لموالاتهم بعد أن رحل عنه أتباع الإمام، وزعم أنهم على الحق، وأن الإمام وأتباعه على الباطل[٧].

---

(١) انظر : المرجع السابق (٥/٢٢٣).

(٢) المرجع السابق ، (٥/٢١٦).

(٣) المرجع السابق الموضع نفسه.

(٤) انظر : المرجع السابق، (٥/١٨٩). ولم أعثر على ترجمة ابن مانع وابن جوعان.

(٥) لم أعثر على ترجمتهما.

(٦) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢٢٩).

(٧) انظر : المرجع السابق (الشخصيّة) (٥/٢٢٩).

الغلو في بعض المواضع والأشجار والأحجار:

كما بيّن الإمام -رحمه الله- أن من الصوفية وغيرهم من غلا في بعض المواضع، وساق ما ذكره أحد علماء الشافعية[١]، من (ما قد عمّ الابتلاء به [في زمن هذا العالم] من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد، وإسراج مواضع في كل بلد؛ يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه أحداً ممن شهر بالصلاح، فيفعلون ذلك، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله، ثم يجاوزون ذلك إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي بين عيون وشجر وحائط وحجر، وفي دمشق - صانها الله- من ذلك مواضع متعددة، كعوينة الحمى، والشجرة الملعونة خارج باب النصر، سهل الله قطعها، فما أشبهها بذات أنواط)[٢].

ثم بيّن الإمام أن من الصوفية وغيرهم من استمر على هذا المعتقد الفاسد، حتى في زمن الإمام -رحمه الله-، وأن منهم من لم يكتف بالغلو في الصالحين، فتجاوز ذلك بأن غلا في أهل الضلال، بل وفي الجمادات، كالشجر والحجر ونحوها، حيث يقول الإمام في إحدى رسائله لأحد المدعوين[٣]، بعد أن تحدث عن شناعة الغلو في أحد الصالحين من شيخ أو

---

(١) هو أبو شامة في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث).

(٢) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٧٢).

(٣) هو شخص سماه الإمام (الأخ فايز).

إمام أو نحوه: (فإذا وازنت بين هذا وبين ما يفعله أكثر الناس اليوم من دعوة الله[١]، ودعوة أبي طالب، أو الكواز، أو أخسّ الناس، أو شجرة، أو حجر، أو غير ذلك، تبيّن لك أن الأمر أعظم مما ذكرنا بكثير ...)[٢].

وذكر الإمام أيضاً أن منهم من وقع إلى جانب ذلك في تعاطي بعض المحرمات؛ كأكل الحشيشة ، وساق الإمام ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من زعم بعضهم أن الحشيشة تحل للخاصة (الذين يزعمون أنها لقمة الذكر والفكر، وأنها تحرك العزم الساكن، وتنفع في الطريق ..)[٣].

---

(١) يعني أنهم يجمعون بين دعوة الله تعالى ودعوة أبي طالب، وكذلك بين دعوة الله ودعوة الكواز ...الخ .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢٠٠) .

(٣) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢/٤) .

المبحث الثاني

الدعوة والاحتساب

الدعوة: هي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة[١]، وكفى بها شرفاً أنها وظيفة الأنبياء والرسل.

والاحتساب: هو الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله[٢]، وهو-كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية- (من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها)[٣] .

وقد تحدّث الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في رسائله عن واجب[٤] الدعوة والاحتساب، فبيّن أهمية هذا الواجب، وأنكر على من

(١) انظر : محمد أبو الفتح البيانوني ، **المدخل إلى علم الدعوة**، [مرجع سابق] (ص١٧).

(٢) انظر : الماوردي ، **الأحكام السلطانية**، تعليق وتخريج خالد عبد اللطيف السبع العلمي [بيروت- دار الكتاب العربي- ط الأولى ١٤١٠هـ] (ص٣٩١) .

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية ، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، بتحقيق د. صلاح الدين المنجد، [بيروت ـ دار الكتاب الجديد ـ ط الأولى ١٣٩٦هـ] (ص٢٦) .

(٤) لا شك أن الدعوة والاحتساب من أوجب الواجبات، وإنما اختلف العلماء في نوعية هذا الوجوب هل هو وجوب عيني أم كفائي، على تفصيل ليس هذا موضعه، انظر : محمد أبو الفتح البيانوني ، **المدخل إلى علم الدعوة**، [مرجع سابق] المرجع السابق، ص٣٣ ، ود.فضل إلهي، **الحسبة تعريفها ومشروعيتها وحكمها**، [باكستان- إدارة ترجمان الإسلام- ط الأولى ١٤١٠هـ] (ص٢٩-٥٥).

فرط فيه، وذكر بعض الشواهد التي تـدل علـى قيامـه بنفسـه بهـذا الواجـب، كما أشار -رحمه الله- إلى بعض الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها القـائمون بهذا الواجب، وألمـح -رحمـه الله- إلى بعـض المعوقـات الـتي ربمـا تعـرض في طريق القائمين بهذه الرسالة الشريفة.

ويمكن تناول هذا المبحث من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول: بيانه فضل الدعـوة والاحتسـاب، وحثـه علـى القيـام بهـذا الواجب.

المطلب الثاني: إنكاره على من فرّط في الدعوة والاحتساب، وترهيبـه مـن ترك هذا الواجب .

المطلب الثالث: قيامه بواجب الدعوة والاحتساب بنفسه .

المطلب الرابع: الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية والمحتسب.

المطلب الخامس: معوقات في طريق الدعوة والاحتساب .

المطلب الأول

بيانه فضل الدعوة والاحتساب، وحثه على القيام بهذا الواجب

تحدث الإمام -رحمه الله- في رسائله- عن فضل الدعوة والاحتساب، ورغّب في القيام بهذا الواجب، وذكر النصوص الدالة على فضله ، وقال في رسالةٍ إلى أحد المدعوين[(١)]: (... ويكون عندك معلوماً أن أعظم المراتب وأجلها عند الله؛ الدعوة إليه التي قال الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ الآية [فصلت: ٣٢]، وفي الحديث (فوالله لأن يهدي بك رجلاً واحداً، خير لك من حُمْرِ النَّعَم)[(٢)])[(٣)].

وأكّد الإمام على ضرورة نشر الدعوة بين الرجال والنساء وجميع فئات المجتمع، وخاصة مسائل الاعتقاد، وضرورة بيان خطر الشرك، وأن إنكار الإمام له (هو الحق الذي لا ريب فيه، وأن الواجب إشاعته في الناس وتعليمه النساء والرجال، فرحم الله من أدى الواجب عليه)[(٤)].

---

(١) هذا (المرسَل إليه) لم يُذكر اسمه واكتُفي بذكر أنه (عالم من أهل المدينة) انظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** ،(٥/٤٤)

(٢) أخرجه الشيخان ، انظر : **صحيح البخاري**، [مرجع سابق] كتاب الجهاد، باب دعاء النبيﷺ إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضُهم بعضاً أرباباً من دون الله، [ك ٦٠-ب١٠١ -ح ٣٧٠١] (٣/١٠٧٧) ومسلم، **صحيح مسلم**، [مرجع سابق] كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب من فضائل علي بن أبي طالب ، [ك٤٤- ب٤- ح ٢٤٠٦] (٤/١٤٩٢) .

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٤٨) .

(٤) المرجع السابق ، (٥/١٢٧).

كما حرص الإمام -رحمه الله- على تربية المدعوين على القيام بواجب الاحتساب والنصح، وشجعهم على ذلك، وأوضح لهم أنه سيفرح بهذا النصح، وسيعمل به إذا كان حقّاً، ومن ذلك قوله لأحدهم[١]، في نهاية رسالته إليه: (... وإن كان الصواب معهم [يعني الخصوم] أو معنا شيء من الحق وشيء من الباطل، أو معنا غلو في بعض الأمور، فالواجب منك مذاكرتنا ونصيحتنا، وتورينا عبارات أهل العلم، لعل الله أن يردنا بك إلى الحق ..)[٢]، ويقول في موضع آخر: (... فإن كان مذكور لكم أني قائل شيئاً، أو قائل أحد يحضرني كلام سوء ولا ردّيت عليه، فاذكروا لي، ترى التنبيه حسن، ولا يدخل خاطري إلاّ ربما أني أعرف أنه محبة وصفو)[٣].

كما وجّه الإمام المدعوين وحرّضهم على القيام بواجب الاحتساب وإزالة المنكرات، كالأشجار التي يقصدها الجهال ويعظمون من شأنها ، وساق الإمام في ذلك ما ذكره أحد علماء المالكية[٤] مستحسناً لقوله، حين قال: (...فانظروا رحمكم الله، أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء لمرضاهم من قِبَلها، فهي ذات أنواط فاقطعوها)[٥].

---

(١) هو أحمد بن يحيي ، مطوع من أهل الرغبة.

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٣٠١).

(٣) المرجع السابق، (٥/٣١٨)، وانظر في المعنى نفسه: المرجع السابق، (٥/٤٢، ٢٨٩).

(٤) هو أبو بكر الطرطوشي، في كتاب الحوادث والبدع.

(٥) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/١٧٩)، وانظر : الإمام أبو بكر الطرطوشي ، **كتاب الحوادث والبدع** ، [مرجع سابق] (ص٣٨) ..

المطلب الثاني

إنكاره على من فرّط في الدعوة والاحتساب وترهيبه من ترك ذلك الواجب

أنكر الإمام أشد إنكار على أولئك الذين فرّطوا في واجب الدعوة والاحتساب ، وقال مخاطباً لبعضهم ممن عرفوا حرمة دعاء الصالحين، وأنه شرك، ولم ينكروه على أقوامهم: (... فإن كنتم تعرفون أن هذا من الشرك، كعبادة الأصنام... فما بالكم لم تفشوه بين الناس، وتبيّنوا لهم أن هذا كفر با لله، مخرج عن الإسلام... وإن عرفتم ذلك، فكيف يحل لكم كتمان ذلك والإعراض عنه ، وقد أخذ ا لله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس ولا تكتمونه)[1].

وحين أفتى الإمام في بعض المسائل بما يوافق الدليل، ثار عليه بعض الخصوم، بحجة أنه خالف المذهب، وتظاهروا بأن عملهم هذا من باب إنكار المنكر، فردّ عليهم الإمام قائلاً: (... وقد بلغني أنكم في هذا الأمر قمتم وقعدتم، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار للمنكر، فيا ليت قيامكم كان في عظائم في بلدكم تضاد أصلَي الإسلام: شهادة أن لا إله إلا ا لله وأن محمداً رسول ا لله منها، وهو أعظمها: عبادة الأصنام عندكم من بشر وحجر..)[2].

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/١٢٦).

(٢) المرجع السابق، (٥/٢٦٥).

ويوبّخ الإمام كلاًّ من سليمان بن سحيم وأباه، اللذَين أقرّا أن عبادة الطواغيت - التي انتشرت عندهم- من الشرك، ومع ذلك لم ينكرا على الناس، و لم يحاولا تغيير هذا الانحراف، فيقول موبّخاً: (... فإذا كنتم تعرفونه، كيف يحل لكم أن تتركا الناس يكفرون ما تنصحانهم؟)[1]، ثم يرهّب الإمام كل من ترك واجب الاحتساب مع قدرته عليه، وخاصة القضاة والحكّام، ويسوق في ذلك قول أحد العلماء[2]: (فويل للقضاة والحكام، حيث لا يغيرون هذا [يعني الخرافات الصوفية] مع قدرتهم)[3].

(١) المرجع السابق ، (٥/٢٢٧ - ٢٢٨) .

(٢) هو الإمام البزازي في فتاويه ، انظر المرجع السابق ،(٥/١٧٨) .

(٣) المرجع السابق ، الموضع نفسه .

المطلب الثالث

قيامه بواجب الدعوة والاحتساب بنفسه

تضمنت الرسائل بعض الشواهد على حرص الإمام -رحمه الله- على القيام بواجب الدعوة والاحتساب بنفسه ومن ذلك:

١ـ دعوته واحتسابه بالقول :

حرص الإمام على القيام بنفسه بواجب الدعوة والاحتساب (بالقول) مهما بذل في سبيل ذلك من التضحيات ، وأنكر على من طلب[1]، منه السكوت عن المنكر، وقال: (... وإن كان مرادك أني أسكت عمن أظهر الكفر والنفاق، وسلّ سيف البغض على دين الله وكتابه ورسوله... فهذا لا ينبغي منك، ولا يطاع أحدٌ في معصية الله)[2]، بل إن السمة الغالبة لمعظم رسائل الإمام أنها رسائل دعوة واحتساب، وحين خشي الإمام أن يظن أحد المدعوين أن رسالته له رسالة توبيخ وعتاب، أقسم له أنه ما قصد بها إلا

(١) الخطاب موجه لعبدالله بن عيسى من رسالة أرسلها الإمام له ، وقد ذُكِرَت هذه الرسالة ضمن القسم الخامس من **مجموع مؤلفات الشيخ** الذي طبعته الجامعة ، ولكن بها تصحيفات كثيرة، وسقط من بينها تسمية المرسل إليه عبدالله بن عيد، بدل عبدالله بن عيسى ، ولم يرد في المصادر التي اطّلعت عليها شخص اسمه عبدالله بن عيد، بل عبدالله بن عيسى ، انظر الرسالة في **الدرر السنية** ، جمع عبدالرحمن بن قاسم ، [مرجع سابق] (٧/٢٨)، وانظر الرسالة التي بها بعض التصحيفات ، **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/ ٣١٨).

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٣١٩) .

النصح والقيام بواجب الدعوة والاحتساب، وقال: (ولا تظن أن كلامي هـذا معاتبة وكلام عليك، فوا لله الذي لا إله إلا هو إنه نصيحة..)[1].

ومن شواهد احتسابه بالقول ؛ نهيه عن دعاء الصالحين والغلو فيهم، يقول -رحمه ا لله- مبيّناً ما حصل منه مع بعض المدعوين: (... ومع هذا نهيناهم عن دعواهم [يعني دعاء الصالحين]، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله)[2].

ولم يقتصر الإمام على إنكار المنكر في حدود بلدته بل استخدم عدة وسائل ليقوم بالاحتساب والدعوة خارج حدود بلدته، وهذا واضح من قوله: (...وأن الذي ننهى عنه في الحرمين والبصرة والحسا هو الشرك با لله..)[3].

٢ـ دعوته واحتسابه بالعمل :

لعل من أبرز الشواهد الواردة في رسائل الإمام، والتي تدل على قيامه – رحمه ا لله- بالدعوة والاحتساب العملي؛ ما أوضحه في رسالته إلى علماء مكة حين بيّن لهم أن سبب الفتنة التي أثارها الخصوم على الإمام هو قيامه بالاحتساب العملي، وهدمه القبب والبناء الذي كان مبنياً على قبور الصالحين، يقول الإمام في ذلك: (..جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ

(١) المرجع السابق (٥/٢٠) وانظر قيامه بالنصح أيضاً، المرجع السابق (٥/١٩٦، ٢٢٤).

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٤٠).

(٣) المرجع السابق (٥/٢٠٤).

غيركم وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين)[1]، كما صرّح الإمام في عدة مواضع بقيامه بالاحتساب العملي بأمر الناس بالمعروف وإلزام من تحت يده بالقيام به، ونهي الناس عن المنكر وتأديب من تحت يده على انتهاكه، وعلل انتقاله إلى هذه الدرجة من درجات التغيير بقوله: (وأنا صاحب منصب في قريتي مسموع الكلمة)[2]، ثم قال: (وأيضاً ألزمت من تحت يدي بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الربا وشرب المسكر وأنواع من المنكرات)[3].

وقال في موضع آخر: (... إنا نعمل بالزين، ونغصب الذي يدنا[4] عليه، وننهى عن الشين، ونؤدب الناس عليه)[5].

---

(١) المرجع السابق (٥/٤٠) .

(٢) المرجع السابق (٥/٣٦) .

(٣) المرجع السابق ، الموضع نفسه وكذلك المرجع السابق (٥/١٥٠) .

(٤) كذا في الأصل ، ولعله قصد (الذي تحت يدنا) .

(٥) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٤٤) .

المطلب الرابع

بيانه الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية والمحتسب

ذكر الإمام في رسائله بعض الصفات التي ينبغي -وربما يجب- أن يتحلى بها الداعية والمحتسب، ومن تلك الصفات:

١- الإخلاص لله تعالى:

بيّن الإمام -رحمه الله- أن هذه الصفة يجب أن تكون ملازمة لكل عمل، وخاصة الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي ذلك يقول الإمام: (... فإذا خاف أحد منكم من بعض إخوانه قصداً سيئاً، فلينصحه برفق، وإخلاص لدين الله، وترك الرياء، والقصد الفاسد)[1].

٢- العمل بما يأمر به والحرص على تربية النفس وإصلاحها:

أكّد الإمام -رحمه الله- على أن يكون الداعية والمحتسب قدوةً عمليةً بسلوكه وتصرفاته، ونبّه إلى ضرورة الحذر من أن يخالف قولُ الداعية والمحتسب فعلَه لئلا يتصف بصفات من قال الله فيهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة: ٤٤]، يقول الإمام في ذلك، مبيّناً أنه لم يبتدع شيئاً من عنده، وأنه يمتثل للأمر قبل أن يحث الناس عليه: (... فما اختلفنا في شيء من شرائع الإسلام... ولا في شيء من المحرمات، الشيء الذي عندنا زين هو عند الناس زين، والذي عندهم شين هو عندنا شين، إلا

---

(١) كذا في الأصل. **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٢٨٩/٥).

أنّا نعمل بالزين ونغصب الذي يدنا عليه... إلخ)[1]، فالإمام إذاً يعمل بالواجب قبل أن يأمر الناس به، ويجتنب المحرم قبل أن ينهى الناس عنه.

٣- أن يكون عالماً بما يأمر به ويدعو إليه:

لا شك أنه لا خير في دعوة أو احتساب مبني على جهل ، ومن هذا المنطلق أكّد الإمام على ضرورة الحذر من التسرع في الإنكار بلا علم، وبيّن أن من الصفات التي يحتاجها الداعية والمحتسب: (أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه)[2]، كما بيّن أن (أول درجات الإنكار: معرفتك أن هذا مخالف لأمر الله)[3].

٤- الرفق والحلم :

حرص الإمام -رحمه الله- على بيان أهمية الرفق في الدعوة إلى الله، وأنكر على من لم يتصف بهذه الصفة، وقال: (ينبغي للداعي إلى الله أن يدعو بالتي هي أحسن، إلاّ الذين ظلموا منهم، وقد أمر الله رسوليه موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولاً ليّناً لعله يتذكر أو يخشى)[4]، وقال في موضع آخر: (فلينصحه برفق وإخلاص)[5]، وأكّد -رحمه الله- على ضرورة

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٤٤).

(٢) المرجع السابق (الشخصية) (٥/٢٨٤).

(٣) المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٤) المرجع السابق (٥/٢٥١).

(٥) المرجع السابق (٥/٢٨٩).

الرفق[١] عند إنكار المنكر، وعدم الغلظة التي توجب الفرقة، وربما العناد والمكابرة، وعدم الاستجابة، وبيّن -رحمه الله- (أن بعض أهل الدين ينكر منكراً -وهو مصيب- لكن يخطيء في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ الآية[آل عمران: ١٠٢-١٠٣]، ... وأهل العلم يقولون: الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث: أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه، ويكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه، صابراً على ما جاء من الأذى)[٢].

وحين تسرّع بعض أتباع الإمام بالإنكار دون علم؛ سارع الإمام بإرسال رسالة إلى اثنين من أتباعه[٣]، ينبههما إلى الخطأ في هذا التسرع، وقال: (فقد ذكر لي عنكم أن بعض الإخوان تكلم في عبد المحسن الشريف يقول: إن أهل الحسا يحبون على يدك، وأنك لابس عمامة خضراء، والإنسان لا يجوز له

---

(١) هذا في أغلب الحالات، إلا أنه يوجد حالات معينة يعدل فيها عن اللين إلى الشدة ، انظر : د. فضل إلهي، **من صفات الداعية اللين والرفق،** [باكستان- إدارة ترجمان الإسلام- ط الأولى ١٤١١هـ] (ص٣٤،٦٠).

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢٩٦) .

(٣) هما أحمد بن سويلم ، وثنيان بن سعود. انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٨٤).

الإنكار إلا بعد المعرفة)[١]، ثم بيّن الإمام أن ما أنكراه مما لا يسوغ إنكاره؛ فهي مسائل خلافية، وبيّن أن الواجب القيام بما أوجب الله لأهل بيت رسوله ﷺ من الحقوق.

٥- التثبت والتبيّن والحكم بالظاهر مع وكل السرائر إلى الله تعالى:

حرص الإمام -رحمه الله- كما يظهر من رسائله- على تربية أتباعه على التريث والتثبت، وعدم الاستعجال عند القيام بواجب الاحتساب، مع الستر على المسلمين وعدم تتبع عوراتهم، ووَكْل سرائرهم إلى الله تعالى، وطلب من بعض طلابه أن يلفتوا نظر المحتسبين إلى ضرورة مراعاة ذلك، وقال: (نبهوهم على مسألتين:

-الأولى: عدم العجلة، ولا يتكلمون إلا مع التحقق، فإن التزوير كثير.

- الثانية: أن النبي ﷺ كان يعرف منافقين بأعيانهم، ويقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، فإذا ظهر منهم وتحقق ما يوجب جهادهم جاهدهم)[٢].

وحين سمع الإمام أن أحد المدعوين[٣] ارتكب منكراً [٤]، لم يسارع إلى الاحتساب عليه، بل أرسل رسالة إلى ابنه[٥]، ليتحقق من ذلك المنكر، ومما

---

(١) المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٢) المرجع السابق (٥/٢٨٥).

(٣) هو عبدالله بن عيسى.

(٤) وصلته رسالة فيها سبٌّ للإمام -رحمه الله- فأرسل بعض السفهاء ليقرأها على الناس وينشرها وحبَسَها عن الإمام.

(٥) هو : عبدالوهاب بن عبدالله بن عيسى .

قال فيها: (... وأنا إلى الآن ما تحققت ذلك وهوجس فيه بالهاجوس الجيد[١])[٢].

٦- مراعاة حال المدعو ومكانته:

لا شك أن مراعاة أحوال المخاطبين منهج شرعي، جعله الله سبحانه وتعالى من سننه في عباده[٣]، وأمر به نبيه ﷺ[٤]، حين وجهه إلى القيام بالدعوة بعدة طرق مراعاةً لتعدد طبائع المدعوين، فقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل: ١٢٥]، ومن هذا المنطلق حرص الإمام -رحمه الله- على مراعاة حال المدعو عند قيامه بواجب الدعوة والاحتساب، وقد تضمنت رسائل الإمام بعض الشواهد الدالة على حرص الإمام على هذا الجانب، وتوجيهه أتباعه إلى ضرورة مراعاته، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الإمام في كيفية إنكار المنكر إذا صدر من صاحب

---

(١) يعني ما زلت أحسن فيه الظن، من هجس الشيء في صدره: خطر بباله، أو هو أن يحدث نفسه في صدره مثل الوسواس، انظر : الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، [مرجع سابق] مادة (هجس) (ص٧٤٩).

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٧٦) .

(٣) وهذا واضح من خلال إرسال الله الرسل بألسنة أقوامهم، وبمعجزات تتلاءم مع أحوال أقوامهم... وغير ذلك من الدلائل، انظر: د. فضل إلهي، **من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين**، [باكستان -إدارة ترجمان الإسلام- ط الأولى ١٤١٧هـ] (ص٨).

(٤) انظر: المرجع السابق ، (ص١٣).

سلطة[١]، أو أمير أو غيره، وبيانه أنه لا يعامل مثلما يُعامل غيره، خشية أن يترتب على إنكار المنكر منكرٌ أعظم منه. يقول الإمام في بيان ذلك: (... والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره أن يُنصح برفقٍ خُفيةً ما يشترف[٢] أحد، فإن وافق وإلا استلحق[٣] عليه رجلاً يقبل منه بخفية، فإن لم يفعل، فيمكن الإنكار ظاهراً، إلا إن كان على أمير، ونَصَحَهُ ولا وافق، واستلحق عليه ولا وافق، فيرفع الأمر يمّنا[٤]خفية)[٥].

٧- مراعاة قاعدة (درء المفاسد أولى من جلب المصالح)[٦].

وقد طبق العلماء مقتضى هذه القاعدة على الحسبة[٧]، وأكّدوا على ضرورة مراعاتها، وفي رسائل الإمام -رحمه الله- شواهد تدل على حرصه

---

(١) ورد عن النبي ﷺ أنه قال :(من أراد أن ينصح السلطان بأمر، فلا يُبْدِ له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه له) رواه الإمام أحمد ، **مسند الإمام أحمد** ، [مرجع سابق] برقم (١٥٣١١)) (٣/٤٠٤) .

(٢) أي لا يطلع أحد على ذلك . ولعله من قول القائل : أشرف على الشيء : أي علاه واطّلع من فوقه. انظر: الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، [مرجع سابق] مادة (شرف) (ص١٠٦٥).

(٣) أي أرسل إليه رجلاً ليدركه وينصحه ، من لحق الشيء : أدركه. المرجع السابق، مادة (لحق) (ص١١٨٩).

(٤) أي إلى جهتنا، من أمّ الشيء : إذا قصده، انظر : المرجع السابق، مادة (أمم) (ص١٣٩١).

(٥) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢٩٧) .

(٦) انظر : جلال الدين السيوطي ، **الأشباه والنظائر** ، [بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ط الأولى ١٤٠٣هـ] (ص٨٧) ومحمد صدقي بن أحمد البورنو ، **الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية**، [الرياض ـ مكتبة المعارف ـ ط الثانية ١٤١٠هـ] (ص٢٠٨) .

(٧) انظر : شيخ الإسلام ابن تيمية ، **الحسبة في الإسلام** ، بتحقيق محمد زهري النجار [الرياض – المؤسسة السعيدية- ب ت] (ص١٢٢) .

على هذه المسألة، ومن ذلك توجيهه بعض أتباعه[1] إلى أن يتفطنوا لهذا الأمر، وذلك حين أغلظ بعضهم في الإنكار، حتى أدى ذلك إلى حدوث نوع من الجفوة والفرقة بينهم وبين بعض البلدان المجاورة لهم ، فقال الإمام موجهاً لهم: (...وأيضاً يذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق، لم يجز إنكاره، فا لله ا لله في العمل بما ذكرت لكم والتفقه فيه، فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرةً على الدين، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه ودنياه)[2]، وحين أرسل له شخص رسالة يسأله فيها عن مسألة التذكير[3]، ويصف له صفة مذاكرة عبدا لله بن عيسى وابنه في هذه المسألة، رفض الإمام الإجابة عن هذه المسألة، خشية أن يستغلها خصوم عبدا لله بن عيسى وابنه في التشهير بهم، وقال: (ولا يخفاكم أنه وصلني أمس رسالة في صفة مذاكرتكم في التذكير، لكن ما أنا بكاتب لهم جواباً؛ لأن الأمر معروف أنه منكم، وأخاف أن أكتب لهم جواباً، فينشرونه فيزعلكم، وأشوف غايتكم قريبة وتحملون الأمر على غير محمله)[4].

---

(١) هذه الرسالة وجهها الإمام ـ رحمه ا لله ـ إلى إخوانه من أهل سدير بسبب ماجرى بين أهل الحوطة من بلدان سدير ، انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢٩٦) .

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٢٩٦- ٢٩٧) .

(٣) مسألة التذكير يوم الجمعة : سيأتي إن شاء ا لله التعريف بهذه المسألة ومناقشتها ، ووصف الإمام لها أنها بدعة، وذلك في المبحث الرابع من هذا الفصل.

(٤) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٣١٥).

المطلب الخامس

معوقات في طريق الدعوة والاحتساب

تضمنت رسائل الإمام -رحمه الله- بيان بعض المعوقات التي تعرّض لها هو وأتباعه أثناء قيامهم بواجبهم في الدعوة والاحتساب، ولعل من المناسب التعرض لهذه المعوقات من خلال المسألتين التاليتين:

المسألة الأولى: معاداة الداعية المحتسب ومحاولة كف دعوته أو القضاء عليها:

لا شك أن من أبرز المعوقات التي يمكن أن يتعرض لها الداعية المحتسب معاداة بعض المدعوين للداعية المحتسب، ومناهضة دعوته بعدة وسائل، ومن تلك الوسائل:

١- التشكيك في نيته:

بيّن الإمام -رحمه الله- أن من وسائل تثبيط المدعو، وكفه عن دعوته: التشكيك في نيته، كاتّهامه بأنه يبحث عن مطامع دنيوية، متستراً بثوب الدعوة والاحتساب، وربما يحدث هذا المعوّق حتى داخل صفوف الدعاة أنفسهم، ولا شك أن النيات مردّها إلى الله تعالى، ولا يجوز الحكم على النيات؛ وإنما يكون الحكم على الظاهر، والله يتولى السرائر، وقد نبّه الإمام إلى خطورة هذا الأمر، وأنه عظيم عند الله، وأنه ربما يدخل في (لمز المُطَّوِّعِين) الذي نهى الله عنه. فحين غضب الشيخ عبدالله بن سويلم على ابن عمه أحمد، الذي قام بواجبه في إنكار المنكر؛ عتب عليه الإمام أشد

العتب، وقال له: (..لا يخفاك أن بعض الأمور كما قال تعالى:﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، وذلك أني لا أعرف شيئاً يتقرب به إلى الله أفضل من لزوم طريقة رسول الله ﷺ في حال الغربة، فإن انضاف إلى ذلك الجهاد عليها للكفار والمنافقين، كان ذلك تمام الإيمان، فإذا أراد أحد من المؤمنين أن يجاهد، فأتاه بعض إخوانه، فذكر له: إن أمرك للدنيا[١]، أخاف أن يكون هذا من جنس الذين يلمزون المطَّوِّعِين من المؤمنين في الصدقات... فإذا خاف أحدكم من إخوانه قصداً سيئاً، فلينصحه برفق وإخلاص[٢]..)[٣].

٢- محاولة كفّه عن الكلام في مجال الدعوة والاحتساب :

بيّن الإمام في رسائله أن من معوقات الدعوة محاولة بعض المدعوين كفّ الداعية عن الدعوة والاحتساب، بحجة أن الأمور قد تغيرت، وأن الكلام ربما يسبب ضرراً، أو غير ذلك من الحجج، وقد تعرض الإمام نفسه لهذا المعوق حين تصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، وحاول البعض نصحه بالكف عن ذلك بحجج واهية، يقول الإمام: (... وأما قولكم: إن الأمور ليست على الذي أعهده، وتشيرون عليّ بترك الكلام، فلا أدري

---

(١) يعني اتّهمه أنه لم يقصد بدعوته وجهاده وجه الله تعالى، بل أراد مقاصد دنيوية .

(٢) وهذا هو الواجب: أن يذكّر أخاه بضرورة الإخلاص وتجديد النية، لا أن يتّهمه بالرياء والسمعة ونحو ذلك.

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/٢٨٨، ٢٨٩).

أيش مرادكم؟ ... وإن كان مرادك أني أسكت عمن أظهر الكفر والنفاق، فهذا لا ينبغي منك ولا يطاع أحدٌ في معصية الله)[١].

٣- تحريض الناس عليه وإغراؤهم بأذيّته:

أشار الإمام في رسائله إلى أن الداعية ربما يتعرض إلى معوقات أشد وأخطر ؛ قد تصل إلى تعريض حياته للخطر، وهذا ما حدث للإمام -رحمه الله- كما يتضح من إحدى رسائله التي ذكر فيها أن المويس حرّض القبوريين أهل القبب على الإمام وأتباعه، وأفتاهم بكفر الإمام وأتباعه، وحلّ دمهم في الحل والحرم، وأخبر الإمام أن المويس كان يذهب إلى أولئك القبوريين (ويقول لهم: طالع الناس [يعني الإمام وأتباعه] ينكرون قببكم وقد كفروا وحلّ دمهم ومالهم)[٢]، وكذلك فإن الخصوم قد شكوا الإمام وأتباعه عند أهل قبة أبي طالب[٣]، بل إن بعض الخصوم[٤] أرسلوا رسائل يكفرون فيها الإمام وأتباعه، ويغرون الناس بقتلهم، وقد حصل الإمام على نسخة من هذه الرسائل، وأكد أنهم (صرّحوا فيها أن من أقرّ بالتوحيد كفر، وحلّ دمه وماله،وقتل في الحل والحرم)[٥]، وقد آتت هذه الجهود الخبيثة ثمراتها المرّة،

---

(١) المرجع السابق ٥/٣١٩).

(٢) المرجع السابق (٥/٢٠٥).

(٣) المرجع السابق (الشخصية) (٥/٢٠٥) ..

(٤) هم علماء الحرمين ، انظر : المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٥) المرجع السابق ، الموضع نفسه .

وتمكن الخصوم بها من تحريض الناس على الإمام، وتهديد حياته ودعوته بالخطر، وقد عبّر الإمام عن ذلك بقوله: (والذي قلب الناس علينا الذي قلبهم على سيد ولد آدم ﷺ)[١]، إلا أن الله تعالى قد حفظ الإمام بحفظه، وكفاه بمنته وكرمه كيد الخصوم.

٤- تتبع زلاته أو تلفيق التهم عليه ونشرها:

أشار الإمام -رحمه الله- في رسائله إلى أن من أساليب الخصوم محاولة تتبع زلات الداعية والمحتسب، وكذلك تلفيق التهم عليه ونشرها؛ لتشويه سمعته، أو التلبيس على العوام بأنه مخالف للعلماء، أو أنه أتى بمذهب جديد من عند نفسه.

ومن شواهد ذلك ما ذكره الإمام عن دعوته وأنه بدأ بالأمر بالمعروف كالصلاة والزكاة، والنهي عن المنكر كالربا وشرب المسكر، قال الإمام: (... فلم يمكن الرؤساء القدح في هذا وعيبه؛ لكونه مستحسناً عند العوام، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما آمر به من التوحيد، وما نهيتهم عنه من الشرك، ولبّسوا على العوام أن هذا خلاف ما عليه الناس، وكبرت الفتنة جداً، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله)[٢].

وما إن سمع الخصوم أن الإمام أفتى في إحدى المسائل بما وافق الدليل،

---

(١) المرجع السابق (٥/٤٤) .

(٢) المرجع السابق ، (٥/١٥٠) وانظر : المرجع السابق ، (٥/٦٤) .

فخالف عالماً يتعصبون له؛ حتى سارعوا إلى اغتنام هذه الفرصة، والإنكار بغلظة على الإمام، بدعوى إنكار المنكر، قال الإمام: (فإذا خالفت قول عالم لمن هو أعلم منه أو مثله إذا كان معه الدليل، و لم آت بشيء من عند نفسي تكلمتم بهذا الكلام الشديد؟ فإن سمعتم أني أفتيت بشيء خرجت فيه من إجماع أهل العلم، توجَّه علي القول، وقد بلغني أنكم في هذا الأمر قمتم وقعدتم، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار منكر، فيا ليت قيامكم كان في عظائم في بلدكم تضاد أصل الإسلام ..)[1].

المسألة الثانية: ترك الدعوة والاحتساب والتقاعس عنهما بحجج واهية:

إن من أبرز المعوقات التي تعيق الداعية وتعرقل مسيرته في الدعوة والاحتساب: نكوص كثير من الناس عن تأييد هذا المسلك، فضلاً عن القيام به؛ حيث يجد الداعية المحتسب نفسه غريباً منبوذاً بين أولئك القوم، لا يجد من يعينه، أو حتى يكفّ أذى الناس عنه.

وقد تعرض الإمام –رحمه الله– لهذا العائق الذي لم يظهر في عامة الناس فحسب، بل برز حتى عند خاصتهم من العلماء وطلبة العلم، الذين اعتذروا عن ترك الاحتساب بحجج واهية رغم إدراكهم ما قرره العلماء من أن الدعوة والاحتساب من أوجب الواجبات[2].

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٦٥) .

(٢) انظر : شيخ الإسلام ابن تيمية، **الحسبة في الإسلام**، [مرجع سابق] (ص١٣٠).

وقد أشار الإمام -رحمه الله- في رسائله إلى بعض تلك الحجج وأبطلها؛ ومنها:

١- ترك الدعوة والاحتساب بحجة كثرة المنكرات وعدم القدرة على إنكارها:

أشار الإمام إلى هذه الشبهة في إحدى رسائله في معرض استنكاره على بعض القضاة[1] سكوتهم عما يقع في بلدانهم من عبادة الشجر والحجر، ودعاء الصالحين، والذبح لهم دون إنكار أو احتساب، وقال الإمام: (... وإن ادّعيتم أنكم لا تقدرون على ذلك، فإن لم تقدروا على الكل قدرتم على البعض)[2]، فليست كثرة المنكرات واستشراء الجهل مسوَّغاً شرعياً يبيح النكوص عن القيام بما أوجبه الله على المسلمين عامة، وعلى أهل العلم خاصة من واجب الدعوة والاحتساب.

٢- تعلل أهل العلم بأن الناس لم يسألوهم:

ذكر الإمام أيضاً في رسائله أن من الشبه التي تعلل بها بعض من ينتسبون للعلم في تركهم إنكارهم المنكر، رغم إقرارهم بأنه منكر، دعوى أن الناس لم يسألوهم، ولو سألوهم، لأفتوهم وأنكروا عليهم، وفي ذلك يقول الإمام

---

(١) قاضي الأحساء: عبدالله بن محمد بن عبداللطيف، انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٥٠).

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٢٦٥ - ٢٦٦).

مخاطباً سليمان بن سحيم وأباه: (... وأنت وأبوك تقولان: نعرف هذا، لكن ما سألونا ، فإذا كنتم تعرفونه كيف يحل لكم أن تتركا الناس يكفرون؟ ما تنصحانهم ولو لم يسألوكم؟)، فلا تبرأ ذمة أهل العلم حتى يبادروا بتبيين ما آتاهم الله من العلم، ويحذروا الناس من أسباب غضب الله تعالى ، فقد قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

٣- التعلل بخشية الناس :

لا شك أن من أبرز معوقات الدعوة والاحتساب خشية الداعية والمحتسب من انتقاد الناس أو أذيتهم، ولا شك أيضاً أن كل من تصدى للدعوة والاحتساب فهو معرّض لأنواع الإيذاء والابتلاء[١]، والواجب عليه أن يتحلى بالصبر، واحتساب الأجر والثبات على ما هو عليه، وليس النكوص وترك الدعوة والاحتساب، ولهذا لما أمر لقمان ابنه بالاحتساب، أوصاه بعدها مباشرة بالصبر؛ لأن من احتسب تعرّض لما يحوجه إلى الصبر: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[لقمان: ١٧].

---

(١) انظر : د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، **صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر**، [الرياض -مطبعة السفير- ط الأولى ١٤١٤هـ] (ص٦٦).

وقد تعرض الإمام في رسائله لذكر هذا المعوق، ومن الشواهد على ذلك ما جاء في رسالته -رحمه الله- إلى محمد بن عباد؛ وذلك أن أحد خصوم الإمام جاء بكتاب فيه ضلالات وشبه وكفر وردّة؛ فقرأه على جماعة محمد ابن عباد، إلا أن محمد بن عباد لم يحرك ساكناً، ولم ينكر هذا المنكر العظيم؛ رغم أنه هو مطوع البلدة وعالمها، وذلك بحجة خشية الناس، ومما قاله الإمام في ذلك: (... إن كنت تعرف أن هذا هو الكفر الصراح، والردة الواضحة، ولكن تقول: أخشى الناس، فالله أحقّ أن تخشاه)[1].

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(٥/ ٢٠).

المبحث الثالث

تفنيد الشبه وردّ ما ألصق بالإمام من التهم

لم يكتفِ المناوئون لدعوة الإمام برفض دعوته وعدم اتّباعه.. بل سعوا، وبذلوا الجهود المضنية في سبيل صد الناس عن دعوة الإمام، والحيلولة بينه وبين المدعوين، وسلكوا في ذلك عدة طرق خبيثة؛ منها:

أ) إلصاق التُّهم والمفتريات بالإمام.

ب) إثارة بعض الشبه التي تعارض دعوته رحمه الله.

ويظهر أن قضية: (تفنيد الشبه وردّ ما ألصق بالإمام من التهم)كانت تُشغل ذهن الإمام باستمرار، حيث تكرر الحديث عنها في نصف رسائله تقريباً، فقد ورد الحديث عنها في (أربع وثلاثين) رسالة من رسائل الإمام رحمه الله تعالى.

ولعل من المناسب أن يتم التعرض لهذه القضية بإيجاز من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: التُّهم التي ألصقت بالإمام وردّه عليها.

المطلب الثاني: الشبه التي تعارض دعوة الإمام رحمه الله.

المطلب الأول

التُّهم التي ألصقت بالإمام وردّه عليها

ألصق الخصوم بالإمام كثيراً من التّهم، وقد تولى الإمام الردّ عليها في عدة مواضع من رسائله.. فمنها ما أنكره بالكلية، وتبرأ منه، وذكر أنه من البهتان، ومنها ما أقرّه؛ لأنه الحق الذي يؤيده الدليل، وإن كان الناس قد هجروه، وصار عندهم غريباً، وقد حرص الإمام على ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على ما ذهب إليه.

ومن تلك التّهم :

١ - التكفير:

كان من أبرز التّهم التي وجّهت للإمام: الزعم بأنه (كان يكفّر المسلمين)؛ حيث تكرر الحديث عن هذه التهمة في ثمان رسائل من مجموع رسائل الإمام -رحمه الله- وهذه نسبة عالية إذا ما قورنت بالتهُّمة التي تليها مباشرة في كثرة التكرار، وهي تهمة سبّ الصالحين، حيث تكرر الحديث عنها أربع مرات، وقد تنوعت عبارات الخصوم الذين رموا الإمام بهذه الفرية، ومن ذلك:

- اتهامه بأنه يكفّر بالعموم:

ذكر الإمام -رحمه الله- في عدّة رسائل أنه اتُّهِم هو وأتباعه بأنهم يُكَفِّرون بالعموم، وحرص الإمام على بيان بطلان هذه التهمة التي تمكّن

الخصوم من نشرها حتى بلغت الآفاق، حيث أرسل الإمام للشريف[١] في مكة رسالة يبين فيها بطلان هذه التهمة، إذ يقول: (... وأما الكذب والبهتان ، فمثل قولهم: إنا نكفّر بالعموم ..) إلى أن قال: (فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون الناس به عن دين الله)[٢]، ويقول في رسالة أرسلها لتُقرأ على عامّة المسلمين: (من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين .. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد ما ذُكِر لكم عني أني أُكَفّر بالعموم فهذا من بهتان الأعداء ...)[٣].

وقد كانت التهمة موجهة للإمام ولأتباعه أيضاً، حيث يقول الإمام: (فإن قال قائلهم: إنهم[يعني الإمام وأتباعه] يُكَفّرون بالعموم، فنقول: سبحانك هذا بهتان عظيم) [٤].

وقد ذكر الإمام أن الذين أثاروا هذه التهمة هم الأعداء وخصوم الدعوة، حيث يقول عن هذه التهمة: إنها (من بهتان الأعداء)[٥].

---

(١) لعله (الشريف أحمد بن الشريف سعيد) الذي سبق أن حصل بينه وبين الإمام مراسلة سنة (١١٨٤هـ) حول هذا الموضوع وأرسل الإمام محمد والأمير عبد العزيز شيخاً يناقشهم وهو عبدالعزيز الحصين، انظر: عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، [مرجع سابق] حوادث سنة (١١٨٤هـ) .

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ**، (٩/٤) الملحق ٧ : ٢٥ .

(٣) انظر: جمع : عبد الرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**،[مرجع سابق] (١٠٧/٨) الملحق ١٩: ١٢٢

(٤) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٤٨/٥) وانظر: (٦٤/٥)، (٤٨/٥) من المرجع نفسه.

(٥) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**،[مرجع سابق] (١٠٧/٨) الملحق ١٢٢:١٩.

كما بيَّن أنّ هدفهم من إثارتها هو التلبيس على الناس[١]، وصدّهم عن هذا الدين[٢]، وعن الاستماع للإمام والاستجابة لدعوته، ومن الأشخاص الذين حرصوا على وصم الإمام وأتباعه بهذه التهمة: سليمان بن سحيم، الذي أرسل رسالة لأهل القصيم، حشد فيها كثيراً من التهم الشنيعة التي وجهها للإمام، وقد تولى الإمام الردّ على هذه التهم في رسالة أرسلها لأهل القصيم، ومما قال فيها: (... ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم، وأنه قبِلَها وصدّقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أن الرجل افترى عليّ أموراً لم أقلها، ولم يأتِ أكثرها على بالي، فمنها قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وإني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وإني... إلى أن قال: (وجوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم)[٣].

- اتهامه بتكفير أشخاص معينين :

من الخصوم من كذب على الإمام، ونقل عنه أنه يُكَفِّر بعض الأشخاص[٤]، كالبوصيري صاحب البردة، وابن الفارض، وابن عربي، وأن

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/ ١٨٦).

(٢) المرجع السابق (٥/١٠١).

(٣) المرجع السابق (٥/١٢).

(٤) لا يفهم من ذلك أن الإمام لا يرى تكفير المعين، فالإمام يعتقد ما اعتقده أهل السنة والجماعة من تكفير مَن كفّرَهم الله ورسوله، وكذلك من قامت عليه الحجة بتوفّر الشروط وانتفاء الموانع، ولذلك نرى الإمام في مواضع أخرى من رسائله يكفر أشخاصاً بأعيانهم، مثل إفتائه بكفر شمسان وأولاده؛ لأنهم يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله، عبادة أعظم من عبادة اللات والعزى، حيث يعبدونهم في الرخاء والشدة، انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٧٥).

الإمام يُكَفِّر من توسَّل بالصالحين، مع أن الإمام لم يتكلم بذلك، حيث قال الإمام عن سليمان بن سحيم: (والله يعلم أن الرجل افترى عليّ أموراً لم أقلها و لم يأت أكثرها على بالي... ومنها أني أُكَفِّر البوصيري، لقوله: يا أكرم الخلق... وأني أُكَفِّر ابن الفارض وابن عربي[١]، وجوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم)[٢].

ويقول الإمام في رسالة أخرى أرسلها جواباً لأحد العلماء حين سأله عن كتاب سليمان بن سحيم (مطوّع الرياض الذي أرسله للبصرة والحسا يشنّع فيه على الإمام ويرميه بالبهتان)، فيقول الإمام: (إذا تبيّن هذا فالمسائل التي شنّع بها؛ منها ما هو من البهتان الظاهر، وهي قوله: إني مبطل كتب المذاهب .. وقوله: إني أُكَفِّر من توسّل بالصالحين.. وقوله: إني أُكَفِّر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق، وجوابي فيها أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم)[٣]، وكذلك فقد رَمَوا الإمام واتهموه بأنه يُكَفِّر كل من حلف بغير

(١) الإمام هنا إنما يستنكر على سليمان بن سحيم أنه يفتري عليه ويقول على لسانه ما لم يقل، وإنكار الإمام ما نقل عنه من إفتائه بكفر ابن الفارض وابن عربي لا يقتضي بالضرورة أن الإمام يرى عدالتهما، وأنهما من أهل الإسلام، حيث أن الإمام نقل في إحدى رسائله ماذكره أهل العلم من أن (ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ كفراً من اليهود والنصارى) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (١٨٩/٥) وانظر ما نقله الإمام عن الإقناع، **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (١٣٧/٥).

(٢) المرجع السابق ، (١٢/٥) .

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٦٤/٥) .

الله[1] على إطلاقه دون تفصيل، واتهموه بأنه يُكَفِّر من لم يقاتل معه، ومن امتنع عن تكفير من كفّره[2]، وقد وصف الإمام ذلك كله من البهتان الذي افتراه الخصوم على لسانه.

وقد ردّ الإمام على هذه الاتهامات والافتراءات في عدة مواضع ، ومن ذلك ما ذكره الإمام في رسالته إلى الشريف[3]، التي بيّن فيها ضوابط التكفير، فكان مما قال:

(أركان الإسلام الخمسة أولها : الشهادتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقرّ بها وتركها تهاوناً، فنحن -وإن قاتلناه على فعلها- فلا نُكَفِّره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود، ولا نقاتل إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم وهو الشهادتان، وأيضاً نُكَفِّره بعد التعريف إذا عرف وأنكر ، فنقول: أعداؤنا معنا على أنواع:

- النوع الأول: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله الذي أظهرناه للناس، وأقرّ أيضاً أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر -الذي هو دين غالب الناس- هي الشرك بالله الذي بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل أهله، ليكون الدين كله لله، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلّمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشرك، فهذا كافر، نقاتله بكفره؛ لأنه عرف دين

(١) المرجع السابق ، (٥/٦٤) .

(٢) المرجع السابق، (٤/١١).

(٣) سبق الحديث عنه ، ص (٤٢٠).

الرسول فلم يتبعه، وعرف دين الشرك فلم يتركه، مع أنه لا يبغض دين الرسول ولا من دخل فيه، ولا يمدح الشرك ولا يزينه للناس.

– النوع الثاني: من عرف ذلك كله، ولكنه تبين في سبّ دين الرسول، مع ادِّعائه أنه عامل به، وتبين في مدح من عَبَدَ يوسف والأشقر، ومن عَبَد أبا عليّ والخضر(١) من أهل الكويت، وفضَّلهم على من وحَّد وترك الشرك، فهذا أعظم من الأول، وفيه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، وهو ممن قال الله فيه: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢].

–النوع الثالث: من عرف التوحيد وأحبّه واتّبعه، وعرف الشرك وتركه، ولكن يكره من دخل في التوحيد، ويحب من بقي على الشرك ، فهذا أيضاً كافر، وهو ممن ورد فيه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

– النوع الرابع: من سلم من هذا كله ، ولكن أهل بلده مصرحون بعداوة التوحيد، واتّباع أهل الشرك، وساعون في قتالهم، ويعتذر بأن تركه وطنه يشق عليه، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده، ويجاهد بماله ونفسه، فهذا أيضاً كافر... وهو ممن قال الله فيهم: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ

(١) في روضة الأفكار طبعة أبا بطين: والأشعري.

﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿سُلْطَانًا مُبِينًا﴾[١] [النساء: ٩١])، وقال في موضع آخر: (وإنما نُكَفِّر من أشرك بالله في إلهيته بعدما نُبيِّن له الحجة على بطلان الشرك، وكذلك نُكَفِّر من حسَّنه للناس، وأقام الشبه الباطلة على إباحته، وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يشرك بالله عندها)[٢].

٢- اتهامه بأنه يوجب الهجرة إليه:

وقد ذكر الإمام أن ذلك من الكذب والبهتان[٣]، وأرسل رحمه الله رسالة لعامة المسلمين قال فيها: (من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: ما ذكر لكم أني أُكَفِّر بالعموم، فهذا من بهتان الأعداء.

وكذلك قولهم: إني أقول: من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن في بلده أنه ما يكفيه حتى يجيء عندي، فهذا أيضاً من البهتان...)[٤].

وقد ردّ الإمام على هذه الشبهة فقال: (وكذلك تمويهه[٥] على الطغام بأن

---

(١) انظر: حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١/١٧٩)، و**مجموع مؤلفات الشيخ** (٤/٩) بتصرف طفيف.

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٦٠).

(٣) انظر: المرجع السابق (الشخصية)، (٥/٦٠).

(٤) انظر: جمع : عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] (٨/١٠٧) وانظر المعنى نفسه في رسالة أخرى في **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٥٨).

(٥) يشير الإمام هنا إلى أحد الخصوم، وهو رجل لم يصرّح الإمام باسمه، بل اكتفى بأن ذكر أنه ينتسب لمذهب الإمام أحمد، إلا أن عنده -كما يذكر الإمام- مخالفات في العقيدة في أبواب الصفات، وقد أرسل هذا الرجل رسالة إلى حمد التويجري تضمنت هذه المخالفات، إضافة إلى بعض الشبهات ضد الإمام محمد بن عبدالوهاب، فقام حمد التويجري بإرسال رسالة إلىالإمام محمد رحمه الله يسأله عن هذه الشبه. انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٦٠).

ابن عبد الوهاب يقول: الذي ما يدخل تحت طاعتي كافر، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، بل نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد، وتبرأ من الشرك وأهله فهو المسلم في أي زمان، وأي مكان)[1].

٣- اتهامه بالرغبة في هدم قبة النبي ﷺ وتغيير ميزاب الكعبة:

هذه أيضاً من التهم الباطلة التي وجهها بعض الخصوم للإمام؛ لينفّروا الناس، ويصدّوهم عن الحق، حين وجدوا أن دعوة التوحيد التي نادى بها الإمام ستفوِّت عليهم ما كانوا يأكلونه من أموال الناس بالباطل، مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس، الذين يأمرون الناس أن ينذروا لهم وينخوهم ويندبوهم في الشدائد، وكذلك غلاة المتصوفة الذين سمّاهم الإمام فقراء الشيطان، الذين ينتسبون إلى الشيخ عبد القادر -رحمه الله- وهو منهم بريء كبراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الرافضة.

وقد ردّ الإمام هذه التهمة في ثلاثٍ من رسائله؛ حيث قال في رسالته لأهل القصيم: (.. والله يعلم أن الرجل [يعني سليمان بن سحيم] افترى عليَّ أموراً لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها: أني مبطل كتب المذاهب، وإني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ هدمتها، ولو أقدر على الكعبة، لأخذت ميزابها، وجعلت لها ميزاباً من خشب)[2]، ثمّ ردّ

---

(١) المرجع السابق ، (٥/٦٠).

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/١٢)، وانظر المعنى نفسه في رسالة الإمام إلى ابن صباح، المرجع السابق (٥/٥٢)، وكذلك في رسالته إلى عبدالله بن سحيم (٥/٦٤).

الإمام على ذلك كله، فقال: (فكل هذا كذب وبهتان، افتراه عليّ الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل ...)[١].

٤- اتهامه بأنه يحرّم زيارة قبر النبي ﷺ وينهى عن الصلاة عليه، وينهى عن زيارة قبر الوالدين:

ذكر الإمام أن هذه التهمة من التهم التي وجهها له سليمان بن سحيم، وبيَّن -رحمه الله- أنها تهمة باطلة، وقال مبيِّناً ذلك (..ومنها [يعني من اتهامات ابن سحيم] أني أحرم زيارة قبر النبي ﷺ، وأني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما... وجوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم)[٢].

ويقول الإمام في رسالته إلى ابن صباح (... أما بعد، فما ذكره المشركون علي أني أنهى عن الصلاة على النبي ﷺ... فكل هذا كذب وبهتان، افتراه عليّ الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل ...)[٣].

ويقول في رسالته إلى عبد الله بن سحيم، مشيراً إلى دعاوى سليمان بن سحيم: (وقوله: إني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ، وقوله: إني أنكر زيارة قبر

(١) المرجع السابق، (٥/٥٢).

(٢) المرجع السابق، (٥/١٢).

(٣) المرجع السابق، (٥/٥٢).

الوالدين وغيرهم... جوابي فيها أن أقول: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[1] [النور: ١٦].

ولا شك أن الإمام يرى ما قرره أهل السنة والجماعة، من أن زيارة القبور منها ما هو مشروع، ومنها ما هو ممنوع، فالمشروع زيارتها بقصد الاتعاظ والدعاء لأهلها، سواءً كانوا من الآباء أو الأقارب أو غيرهم، وكذلك السفر بقصد الصلاة في مسجد النبي ﷺ بحيث تدخل زيارة قبر النبي ﷺ تبعاً، لا استقلالاً، فكل ذلك من الزيارة المشروعة المجمع على استحبابها والتي أقرَّها الإمام بشرط عدم فعل محظور عند القبر[2]، وأما الزيارة الممنوعة، فهي شد الرحال لها أو زيارتها بقصد تعظيمها، وتوجيه نوع من أنواع العبادات لها، كالتوكل عليها أو النذر لها وخطاب أصحابها بطلب الحوائج والتبرك بها، ونحو ذلك[3]. وهذا النوع من الزيارة أبدى له الإمام أهمية بالغة، فعقد له عدة أبوابٍ في كتابه كتاب التوحيد؛ منها باب بعنوان [باب ما جاء في التغليظ فيمن عَبَدَ الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده]، ثم تلاه بـ[باب ما

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٦٤).

(٢) انظر ما كتبه أحد أتباع، الإمام وهو الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود في شرحه لحديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ..) سليمان بن سحمان، **الهدية السّنية والتحفة الوهابية النجدية**، [مصر – مطبعة المنار –ط٢– ١٣٤٤هـ] (ص١٨).

(٣) انظر: محمد علي بن غريب (وآخرون) **التوضيح عن توحيد الخلاق**، [مرجع سابق] (ص٢١٤).

جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون ا لله] ثم أعقبه بباب ثالث [باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك][1].

٥- اتهامه بأن دعوته فيها تنقيص للأنبياء، وأن الإمام يسبّ الصالحين، وينكر شفاعة النبي ﷺ:

وقد شاع ذلك[2] عند بعض العوام بسبب أن بعض من يدّعي العلم زيّن لهم ذلك، وأوهمهم أن إخلاص الدين لله -الذي دعا له الإمام- فيه تنقيص للأنبياء والصالحين[3]، حيث يورد الإمام في إحدى رسائله التي بيَّن فيها ما دار بينه وبين بعض مدّعي العلم فيقول: (لمّا ذكرت لهم ما ذكره ا لله ورسوله وما ذكره أهل العلم من جميع الطوائف من الأمر بإخلاص الدين لله، والنهي عن مشابهة أهل الكتاب من قبلنا في اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون ا لله، قالوا لنا: تنقصتم الأنبياء والصالحين والأولياء، وا لله تعالى ناصر لدينه ولو كره المشركون، وها أنا أذكر مستندي في ذلك من كلام أهل العلم من جميع الطوائف ...)، ثم ذكر الإمام الأدلة القاطعة على ذلك من الكتاب والسنة

---

(١) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ**، (١/٦٢- ٦٧).

(٢) أشار الإمام في رسائله إلى هذه التهم ، انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٤٠، ٤٨، ٥٢، ١٧٦، ١٨٦) .

(٣) انظر : المرجع السابق، (٥/١٧٦) من رسالة أرسلها الإمام إلى علماء الإسلام وردّ فيها على هذه الشبهة .

وأقوال الأئمة الأربعة وتلامذتهم[١]، وقد كانت هذه التهمة من الحِيَل التي اخترعها مَن أسماهم الإمام [الشياطين من مردة الإنس] ليصدوا الناس عن التوحيد وعن دين الله القويم، فهم -كما قال الإمام-: (إذا رأوا مَن يُعَلِّم الناس ما أمرهم به محمد ﷺ من شهادة أن لا إله إلا الله، وما نهاهم عنه، مثل الاعتقاد في المخلوقين الصالحين وغيرهم، قاموا يجادلون ويُلبِّسُون على الناس، ويقولون: كيف تُكَفِّرون المسلمين، كيف تسبون الأموات، آل فلان أهل ضيف، آل فلان أهل كذا وكذا...)[٢].

وأما فرية إنكار الإمام لشفاعة النبي ﷺ فقد ردّ عليها الإمام بقوله: (سبحانك هذا بهتان عظيم، بل نشهد أن رسول الله ﷺ الشافع المشفع، صاحب المقام المحمود، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يشفّعه فينا، وأن يحشرنا تحت لوائه، هذا اعتقادنا، وهذا الذي مشى عليه السلف الصالح من المهاجرين والأنصار... وهم أحب الناس لنبيهم، وأعظمهم في اتّباعه وشرعه، فإن كانوا يأتون عند قبره يطلبونه الشفاعة، فإن اجتماعهم حجة، والقائل: إنه يطلب الشفاعة بعد موته، يورد علينا الدليل من كتاب الله، أو من سنة رسول الله، أو من إجماع الأمة، والحقُّ أَحَقُّ أن يُتَّبَع)[٣].

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/١٧٦-١٨٠).

(٢) انظر : المرجع السابق، (٥/١٨٦).

(٣) انظر : المرجع السابق (٥/٤٨-٤٩) .

ويقول في رسالته إلى أهل القصيم :(ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥])[1].

٦- اتهامه بأنه على غير جادة العلماء ويخالف منهجهم:

لم يكتف الخصوم بكيل التهم ضد الإمام في معتقده وأصول دعوته، بل أرادوا أن ينفروا الناس، حتى من فتاواه في الفروع والأحكام الفقهية، حيث أشاعوا بين الناس أن الإمام على غير جادة العلماء[2]، وأنه يدّعي الاجتهاد[3]، ويبطل كتب المذاهب الأربعة، ويحرق كتب العلم[4]، ويخالف أقوال العلماء في كثير من المسائل، مثل قيامه برجم الزانية دون إذن الإمام[5].

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٩) .

(٢) انظر : المرجع السابق، (٥/٤٠ - ٢٠٦) .

(٣) انظر: المرجع السابق، (٥/١٢-٤٠-٦٤-٩٧-٢٥٨) وقد ألّف بعض الخصوم مؤلفات حول هذا الموضوع، فمحمد بن عفالق كتب ضد الإمام محمد رسالة سماها [تهكم المقلدين بمن ادّعى تجديد الدين] وداود الخالدي ألّف رسالة جعل عنوانها [أشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد] حيث حاول كلا المؤلفين إيضاح أن الإمام لا يحق له الاجتهاد، انظر:عبدالله العثيمين، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره**، [مرجع سابق] (ص١٤٧).

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/١٢، ٣٦).

(٥) جاءت الإشارة إلى هذه التهمة في رسالة من الإمام إلى شخص مجهول أجابه الإمام فيها على١٢ مسألة .انظر: حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١/٢٠٨)، **ومجموع مؤلفات الشيخ** ، (٤/٦٧) .

وقد أورد الإمام -رحمه الله- هذه التهم، وناقشها على النحو التالي:

- اتهامه بأنه على غير جادة العلماء:

وقد أشار الإمام إلى هذه التهمه في رسائله ؛ حيث ذكر في رسالته لعلماء مكة أن من افتراءات الخصوم -كما قال الإمام- أنهم (أشاعوا عنا أنّا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنّا أشياء يستحيي العاقل من ذكرها)[1].

كما ذكر الإمام أن القباني[2] صنّف مصنفاً نقل فيه الإجماع على تحسين عبادة القبور ودعاء الصالحين، وعدّ القباني -في هذا الكتاب- الإمام محمد ممن شذ عن العلماء، قال الإمام: (إنه [يعني القباني في تصنيفه] يقول: إنه لم يخالف في تصنيفه إلا ابن تيمية وابن القيم وعشرة أنا عاشرهم، فالجميع اثنا عشر، فإذا كان يوم القيامة، اعتزلوا وحدهم عن جميع الأمة..)[3].

وقد أجاب الإمام على مثل هذه الشبه بقوله: (وأنا أخبركم بما نحن عليه.. فنحن و لله الحمد متّبعين غير مبتدعين، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل..)[4].

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٥/٤٠) .

(٢) اسمه : أحمد بن علي البصري، اشتهر بالقباني، وهو -كما يظهر من رسائل الإمام- من خصوم الدعوة في العراق، و لم أعثر على ترجمة له ولكن له مجلد ضخم بعنوان [فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبدالوهاب] يزيد على مائتي ورقة، وتوجد منه نسخة خطية في قسم المخطوطات بجامعة الإمام، وهو الذي أشار إليه الإمام هنا.

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٠٦).

(٤) انظر : المرجع السبق (الشخصية)، (٥/٢٠٦).

– اتهامه بأنه يدّعي الاجتهاد ولا يتبع الأئمة:

تحدث الإمام عن فرية ادِّعاء الاجتهاد وعدم اتباع الأئمة، وسمّى ذلك بهتاناً، فقال: (وحتى من البهتان الذي أشاع الأعداء؛ أني أدّعي الاجتهاد ولا أتّبع الأئمة ..)[1]، (وأني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وأني خارج عن التقليد، وجوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم..)[2].

كما أجاب الإمام أيضاً عن هذه الفرية في رسالته الجوابية للبكيلي صاحب اليمن، حيث قال: (وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد، فنحن مقلدون الكتاب والسنة وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة ...)[3].

ويوضح الإمام ضوابطه في التقليد والاجتهاد، فيقول لأحد القضاة[4]: (ولا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتّباعهم، وإنما الشأن إذا اختلفوا: هل يجب عليّ أن أقبل الحق ممن جاء به، وأردّ المسألة إلى الله والرسول، مقتدياً بأهل العلم؟ أو أنتحلَ بعضهم من غير حجة، وأزعم أن

---

(١) المرجع السابق . الموضع نفسه .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١٢/٥) وانظر المعنى نفسه في رسالته إلى عبدالله بن سحيم ، المرجع السابق ، (٦٤/٥).

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٩٦/٥).

(٤) من رسالة أرسلها الإمام إلى القاضي عبدالله بن محمد بن عبداللطيف ، انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٢٥٨/٥).

الصواب في قوله؟ فأنتم على هذا الثاني، وهو الذي ذمّه الله، وسمّاه شركاً، وهو اتخاذ العلماء أرباباً ...)[1]، ويوضح هذا المنهج أحد تلاميذ الإمام، وهو ابنه الشيخ عبد الله، فيقول: (لا نستحقّ مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد منا يدّعيها، إلا أنّا في بعض المسائل إذا صحّ لنا نص جليّ من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصّص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة، أخذنا به، وتركنا المذهب الحنبلي)[2].

- اتهامه بإحراق دلائل الخيرات:

كما تعرض الإمام للحديث عن تهمة إحراق كتب العلم، فقال عن سليمان بن سحيم إنه (افترى عليّ أموراً لم أقلها، ولم يأتي[3] أكثرها على بالي.. ومنها: إني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين، وأسمِّيه روض الشياطين. جوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم)[4].

---

(١) ثم أحال الإمام بعد ذلك إلى المناظرة التي عقدها ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين بين مقلد وصاحب حجة، كما أحال إلى أقوال بعض أئمة السلف -رحمهم الله- في ذلك، انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٥٨).

(٢) انظر : جمع : عبد الرحمن بن قاسم ، **الدرر السنية** ، [مرجع سابق] (١/١٢٦) .

(٣) كذا وردت بإثبات الياء ، وقد حرص الإمام في كثير من المواضع على التلقائية والتسهيل في لغته مراعاة لما اعتاد عليه المدعو.

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/١٢).

وهذا لا يمنع أن ينهى الإمام عن قراءة بعض الكتب المشتملة على بعض البدع والأحاديث الضعيفة، خاصةً إذا رأى أن أصحابها يعظّمونها كما يُعظَّم القرآن، وللإمام سلف في ذلك، يقول الإمام موضحاً سبب إشاعة هذه التهمة: (وأما (دلائل الخيرات)، فله سبب، وذلك أني أشرت على من قَبِلَ نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجلّ من كتاب الله، ويظن أن القراءة فيه أجلّ من قراءة القرآن وأما إحراقه [يعني دلائل الخيرات] ... فهذا من البهتان)[1].

– اتهامه بمخالفة العلماء حين أمر برجم الزانية دون إذن الإمام:

بيَّن الإمام –رحمه الله– أن الخصوم رموه بمخالفة العلماء، وأنه أمر برجم الزانية دون إذن الإمام –ويعنون به الإمام الأعظم– يقول الإمام: (...كما أني لما أمرت برجم الزانية، قالوا: لا بد من إذن الإمام ...)[2]، وقد ردّ عليهم الإمام في الرسالة نفسها بما ذكره العلماء من أن كل من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا، لأن الناس منذ زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرف أن أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا

(١) انظر : المرجع السابق، (٣٧/٥).

(٢) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٢٠٨/١) و**مجموع مؤلفات الشيخ**، (٦٧/٤).

بالإمام الأعظم، كما بيّن الإمام تناقض هؤلاء المطاوعة وأئمة في المساجد والقضاة في دعواهم ضد الإمام، إذ لو صحّ كلامهم في عدم صحّة الأحكام في غياب الإمام الأعظم، لكانت ولايتهم للقضاء والإمامة كلها غير صحيحة[1].

(١) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١/٢٠٨) **ومجموع مؤلفات الشيخ** ، (٤/٦٧).

المطلب الثاني

الشبه التي أثيرت على دعوة الإمام رحمه الله

حرص الخصوم أيضاً على إثارة مجموعة من الشبه المختلفة ضد دعوة الإمام، بغرض التنفير من دعوته، والتشكيك في منهجه، وتمكنه العلمي، وقد يكون ثمة تداخل بين هذه الشبه وبين الاتهامات التي وجِّهت للإمام بشخصه[1]، إلا أن هذه الشبه موجهة ضد الدعوة عقيدة ومنهجاً وفكراً، بغضّ النظر عن صاحب هذه الدعوة وحامل لوائها -رحمه الله-، ومن هذه الشبه:

١- مسألة التكفير والقتال:

أثار الخصوم عدة شبه حول هذه المسألة ، فزعموا أن التكفير والقتال ليسا من دين الله ورسوله[2]، وأن من قال لا إله إلا الله لا يكفر[3]مطلقاً، وأن

---

(١) الفرق بين هذ المطلب والمطلب السابق (التهم التي ألصقت بالإمام ورده عليها)، أن الأول: مجرد أكاذيب وافتراءات، وجهت إلى (شخص) الإمام، وليس لها أي أساس من الصحة؛ أما الثاني، (الشبه التي أثيرت على دعوة الإمام)، فهو عبارة عن مسائل هي في الأصل مسائل شرعية وشبه عقدية أو فقهية أو منهجية، قد تخفى على كثير من الناس، فاستغل الخصوم خفاءها وأثاروا الشبه التي تعارض ما جاء به الإمام حول تلك المسائل، ولووا أعناق النصوص ليستدلوا بها على باطلهم، ولينفروا الناس عن دعوة الإمام، بغضّ النظر عن شخصه (رحمه الله). فالأول إذاً : اتّهامات موجهة للإمام بشخصه، وأما الثاني: فهو شبه أثارها الخصوم ضد المبادئ التي نادى بها الإمام.

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٥)، (٥/١٩٦)، (٥/٢١٠)، (٥/٢٧٢)، وكذلك : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١/١٨٨).

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٤١)، (٥/٨٨)، (٥/٩٦)، (٥/١٨٢)، (٥/٢١٠) ، (٥/٢١٨)

آيات التكفير الواردة في القرآن إنما نزلت في الكفار[١]، وأن الطواغيت المعاصرين للإمام لم تقم عليهم الحجة[٢]، وبالجملة، فإن كثيراً من الخصوم يرى أنه لا يكفر إلا من أنكر الإسلام جملة وكذّب بالرسول ﷺ[٣]، أو كان في عهد النبي ﷺ معاصراً له[٤].

وقد تعرض الإمام -في رسائله- لهذه الشبه وناقشها على النحو التالي:

- شبهة أن التكفير والقتال ليسا من دين الله ورسوله:

يقول الإمام -رحمه الله- في إحدى رسائله: إن الخصوم (يقولون: لو يترك أهل العارض التكفير والقتال، كانوا على دين الله ورسوله)[٥]، وزعم الخصوم أيضاً أن الإمام -رحمه الله- هو الذي جاء بالتكفير والقتال من عنده[٦]، والعجيب أنهم يشهدون أن ما جاء به الإمام من الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك هو دين الله ورسوله إلا التكفير والقتال، ولذلك نرى الإمام يُلقّن أصحابه الحجة لردّ هذه الشبهة، فيقول:

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٥/٢٤١) ، وكذلك : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١/١٨٨)، (٢/٢٨).

(٢) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق]، (١/١٨٢)، (١/١٨٨).

(٣) انظر : المرجع السابق (٢/٣٤) .

(٤) المرجع السابق (٢/٣٤).

(٥) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ**، (٥/١٩٦).

(٦) المرجع السابق (٥/٢١٠).

(والعجب ممن يخفى عليه جواب هذا إذا أقرّوا أن هذا دين الله ورسوله[١]، كيف لا يكفر من أنكره، وقتل من أمر به وحبسهم؟ .. كيف لا يكفر مَن جاء إلى أهل الشرك يحثّهم على لزوم دينهم وتزيينه[٢]لهم، ويحثهم على قتل الموحدين وأخذ مالهم ؟..)[٣].

كما أن ردّ هذه الشبهة كانت المحور الأساس لرسالة الإمام التي وجهها لمحمد بن عيد[٤]، وحرص الإمام في رسالته إلى أهل العيينة[٥] أن يسوق الأدلة من الكتاب والسنة، ثم أقوال فقهاء المذاهب الأربعة في أبواب حكم المرتد على الرأي الصحيح الذي يراه الإمام في مسألة التكفير والقتال.

– شبهة أن من قال لا إله إلا الله لا يكفر مطلقاً:

أثار الخصوم شبهة أن مَن قال لا إله إلا الله لا يكفر، خاصة حين أفتى الإمام –رحمه الله– بكفر البوادي، الذين ينكرون البعث والجنة والنار، وينكرون ميراث النساء، مع علمهم أن كتاب الله عند الحضر، وأن رسول الله ﷺ بُعِثَ بالذي أنكروا.

(١) انظر ما ذكره الإمام من شهادة الخصوم على رؤوس الأشهاد أن الإمام محق فيما يقول باستثناء التكفير والقتال ـ في نظرهم ـ انظر: المرجع السابق (٥/٢٧) .

(٢) كذا في الأصل ولعل (ويزينه) الأنسب للسياق .

(٣) انظر : المرجع السابق (٥/٢٧٢).

(٤) انظر : المرجع السابق (٥/٢٤–٣٠).

(٥) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٢/٢٠–٤٤).

قال الإمام: (فلما أفتيت بكفرهم، مع أنهم أكثر الناس في أرضنا، استنكر العوام ذلك وخاصتهم الأعداء ممن يدّعي العلم، وقالوا: من قال لا إله إلا الله لا يكفر، ولو أنكروا البعث وأنكروا الشرائع كلها ..)[١].

وممن حرص على إثارة هذه الشبهة والتلبيس على الناس بها؛ سليمان بن سحيم، مما حدى بالإمام أن يكتب رسالة لتُقرأ على عامة الناس فيها تفنيد لهذه الشبهة وغيرها من الشبه، ومما جاء فيها: (أنه -يعني سليمان بن سحيم- صنف الأوراق، يسبنا ويرد علينا في تكفير كل من قال لا إله إلا الله، وهذه عمدة ما يشبه به على الجهال وعقولها، فصار في أوراقه يقول: أما مَن قال: لا إله إلا الله لا يكفر، ومَن أمّ القبلة لا يكفر ...)[٢]، وقد بيَّن الإمام في هذه الرسالة جهل ابن سحيم وتناقضه، وردّ الإمام في رسالة أخرى[٣] على هذه الشبهة، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على بطلانها، ومن تلك الأدلة قتال الصديق ﷺ لمانعي الزكاة، ومعاملة النبي ﷺ مَن تزوج امرأة أبيه معاملة المرتد بقتله وتخميس ماله.

- شبهة أن آيات التكفير الواردة في القرآن إنما نزلت في الكفار :

كما أثار الخصوم بعض الشبه حول الأدلة القرآنية التي يستدل بها الإمام في مسألة التكفير، فزعموا أنها إنما نزلت في الكفار، وتحدثت عن قوم قد

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٤١).

(٢) المرجع السابق (٥/٨٨).

(٣) المرجع السابق (٥/٢١٨).

خلوا و لم يعقبوا وارثاً[١]. فتصدى الإمام لهذه الشبهة، وردّ عليها في عدّة مواضع من رسائله، ووصفها بأنها (ترسٌ قد أعدّه الجهال الضلال لردّ كلام الله، إذا قال لهم أحد: قال الله كذا، قالوا: نزلت في اليهود ونزلت في النصارى، نزلت في فلان ...)[٢]، وذكر الإمام أنها شبهة باطلة من عدة وجوه؛ منها: أن القرآن نزل بأسباب، فإن كان لا يستدلّ به إلا في تلك الأسباب، بطل استدلاله[٣]، وهذا خروج من الدين، ثم إن ابن سحيم قد ناقض نفسه حيث قال: إنه لا يجوز لنا تفسير القرآن، فكيف يفسر هذه الآية، ويزعم أنها خاصة بابن الأشرف؟ ثم يتساءل الإمام قائلاً: (من نقلت عنه من العلماء أن الآية إذا نزلت في رجل كافر أنها لا تعمّ من عمل بها من المسلمين؟ مَن قال بهذا القول قبلك وعمَّن نقلته؟ ..)[٤]، ثم يذكر الإمام – رحمه الله– أن في هذه الشبهة خروجاً عن الإجماع، فما زال العلماء من عصر الصحابة فمن بعدهم يستدلون بالآيات التي نزلت في اليهود وغيرهم على من يعمل بها[٥]، ثم يسوق –رحمه الله– بعض الشواهد على ذلك من سير الصحابة وأقوال الفقهاء[٦].

---

(١) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٢٨/٢).

(٢) المرجع السابق (١٨٨/١).

(٣) ويشهد لذلك القاعدة الأصولية المشهورة وهي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٤) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١٨٨/١).

(٥) المرجع السابق الموضوع نفسه.

(٦) انظر:**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٢٤٢/٥).

- شبهة أن الطواغيت المعاصرين للإمام لم تقم عليهم الحجة:

ثم إن الخصوم اعترضوا على إفتاء الإمام بتكفير بعض الطواغيت المعاصرين له؛ مثل (إدريس وآل شمسان)[١]، وزعموا أنه لا يجب تكفيرهم؛ لأنهم- في نظرهم- لم تقم عليهم الحجة، وادّعوا أن هؤلاء الطواغيت ما أمروا الناس بالكفر ولا رضوا به[٢]، وعليه فالكافر هو مَن اتّخذ الوسائط، أما الوسائط فلا يكفرون[٣]، وقد بيّن الإمام أن هذه مكابرة وإنكار للواقع، وذكر أن هؤلاء الطواغيت قد وقعوا في كثير من المكفِّرات التي ذكر صاحب الإقناع[٤] أن عشر معشارها يؤدي إلى الكفر واستحلال الدم، ويقول الإمام لأحد الخصوم الذين يباهون بأنهم يعرفون كتاب الإقناع ويعملون به[٥]: (إذا كان كتابكم قد صرّح تصريحاً لا مزيد عليه، ونقل الإجماع على أن من فعل عشر معشار فعل هؤلاء الطواغيت، أنه كافر، حلال الدم والمال، وقد صرّح بأنّ من شكّ في كفرهم فهو كافر، فكيف إذا مدحهم وأثنى عليهم ؟ فكيف إذا ضمّ إلى ذلك مدح طريقتهم)[٦].

(١) انظر: حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١٨٨/١).
(٢) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] ط١٤١٣هـ (١١٠/٢).
(٣) المرجع السابق ، وانظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٢٣٢/٥).
(٤) يعني الشيخ : أبا النجا شرف الدين موسى الحجّاوي المقدسي، (ت ٩٦٨) صاحب كتاب الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل.
(٥) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١٨٨/١).
(٦) المرجع السابق الموضع نفسه .

ثم ذكر الإمام أن سبب وقوع اللبس في هذه الشبهة هو عدم التفريق بين فهم الحجة وقيام الحجة ، أما قيام الحجة على هؤلاء الطواغيت، فلا شك فيه؛ لأن الذي لم تقم عليه الحجة هو حديث العهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو كانت مخالفته في مسألة خفية مثل الصرف والعطف ، قال الإمام: (فهذا لا يكفر حتى يعرّف)[١]، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإنّ حجة الله هي القرآن، فمن بلغه فقد بلغته الحجة.

ثم يوضح الإمام، فيقول: ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله، مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾ [الفرقان: ٤٤]، ثم ذكر الإمام مزيداً من الشواهد على ذلك من السنة ومن فعل الصحابة رضوان الله عليهم[٢].

– شبهة أنه لا يكفر إلا من أنكر الإسلام بالكلية:

اشتطّ بعض الخصوم، فزعموا أنه (لا يكفر إلا من أنكر الإسلام، وكذّب بالرسول ﷺ والقرآن، واتّبع يهودية أو نصرانية أو غيرهما... وتارة يقولون: لا يكفر إلا من كان في زمن النبي ﷺ ...)[٣]، ولكن الإمام –رحمه الله–

(١) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١/١٨٢).

(٢) انظر : المرجع السابق (١/١٨٢).

(٣) انظر : المرجع السابق (٢/٣٤).

ألجمهم بالحجة الواضحة، وردّ عليهم رداً مفصّلاً، يبين بطلان هذه الشبهة الواهية بالفطرة والبديهة، ثم بقواطع نصوص الكتاب والسنة، وما أُثِرَ عن النبي ﷺ وعن صحابته الكرام، منها أن النبي ﷺ بعث البراء رضي الله عنه ومعه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله ، ومثل همه ﷺ بغزو بني المصطلق لما قيل: إنهم منعوا الزكاة، ومثل قتال الصديق وأصحابه لمانعي الزكاة، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، وتسميتهم مرتدين[1].

٢- مسألة معنى الشهادة:

يبدو أن هذه المسألة كانت من المحاور الرئيسة لدعوة الإمام، حيث تكرر الحديث عنها في أكثر من (٢٠) رسالة[2]، وخصص الإمام -رحمه الله- رسالتين كاملتين للحديث عن هذه المسألة فقط.

وقد حرص الخصوم على منع الناس من معرفة الشهادة[3]، وبثّ الشبه حول هذه المسألة ، فزعموا أن مجرد تعلم معنى الشهادة وما يتعلق بها من

---

(١) انظر : المرجع السابق (٢/٣٥).

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (٥/١٢١،١٢٤،١٢٦ ، ١٣٨،١٥١،١٥٥،١٦٢، ١٦٦،١٧٠ ،١٨٢، ١٨٦،٢٢٦،٢٧٦،٢٨٠،٣٢٢) وانظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، **الدرر السنية** ، [ط٥/١٤١٣هـ] (١/١٥١ ،١٧٠) (٢/١٠٠) والطبعة القديمة المرجع نفسه [جدة- مطابع شركة المدينة- ط١- ١٣٨٨هـ] (٨/١٠٧) و انظر: حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٢/٢٠).

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/١٨٦).

أمور العقيدة لا حاجة له، بل هو بدعة محدثة[١]، وادّعوا أن الشهادة لفظة ما لها معنى، ومعناها لفظها[٢]، وتارة تراهم يؤكدون أن الشهادة معناها لا شريك له في ملكه [٣].

وممّن اشتهر عنه بثّ مثل هذه الشبه: المويس[٤]، الذي قال: [إن تعلّم معنى لا إله إلا الله بدعة][٥]، وزعم أنه لا حاجة لتعلم معنى التوحيد، فهو أمر فطري، لا ينبغي تعلمه إذ يقول: [إن بنيات حرمة وعيالهم يعرفون التوحيد، فضلاً عن رجالهم[٦]][٧]، ويردّ الإمام -رحمه الله- على مثل هذه الشبهة الواهية قائلاً: (إذا كان الأنبياء وسيدهم أعلم الخلق لم يعرفوا التوحيد والشهادة ومعناها إلا بالتعلم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[محمد: ١٩]،

---

(١) انظر : المرجع السابق، (١٧٣/٥) وجمع : عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] (ط١٤١٣/٥هـ) (١٠٨/٢).

(٢) أشرف على الطباعة: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية**، [مرجع سابق] (٣٥/٤).

(٣) المرجع السابق.

(٤) عبدالله بن عيسى المويس (ت ١١٧٥هـ) من أبرز خصوم الإمام، وأكثرهم عناداً ومناهضة، سبقت ترجمته ص ٢٨٣ من هذا البحث.

(٥) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (١٧٣/٥).

(٦) يعني أن البنات الصغيرات والأطفال في بلدة (حرمة) يعرفون التوحيد فضلاً عن الرجال الكبار، فلا حاجة لتعلمه وتعليمه.

(٧) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (١٧٣/٥).

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦]، وأبو الحنفاء إبراهيم الخليل عليه السلام خاف على نفسه من الشرك حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وكذلك خير القرون أصحاب الرسول ﷺ، لم يعرفوا ذلك إلا بالتعلم، بل إن هناك مسائل من الشرك ما عرفوها إلا بعد سنين، فكيف يزعم هذا الجاهل أنه عرف ذلك كله بلا تعلم؟)[1].

كما أن الإمام -رحمه الله- اعترف أنه لا هو ولا مشايخه كانوا يعرفون معنى الشهادة قبل هذا الخير الذي منَّ الله به[2].

ويقول الإمام -رحمه الله- في مذاكرته لأهل حرمة [3]: (لا إله إلا الله قد سألنا عنها كل من جاءنا منكم من مطوع وغيره، ولا لقينا عندهم إلا أنها

---

(١) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] (ط٥/١٤١٣هـ) (١٠٨/٢).

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (١٨٧/٥) ويقصد بهذا الخير هو مايسَّره الله للإمام من أمر القيام بالدعوة.

(٣) في [مجموع الرسائل والمسائل النجدية (٣٥/٤)] لأهل حريملة ، وإلى ذلك أيضاً يميل أحمد الضبيب في : **آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، [الرياض، المطابع الأهلية، ط١٣٩٧ هـ] هامش ص٩٩، وفي: **الدرر السنية**، [مرجع سابق] (٦٥/١) لأهل حرمة، ولعله الصواب، لأن الجدل في مسألة معنى الشهادة، وتعليم التوحيد كان محتدماً بين الإمام وبين المويس مطوع حرمة الذي كان يستخف بحرص الإمام على تعليم معنى الشهادة ويزعم أن ذلك بدعة.

لفظة ما لها معنى، ومعناها لفظها، ومن قالها فهو مسلم، وقد يقولون: لها معنى لكن معناها لا شريك له في ملكه)[١]، وقد وضّح الإمام -رحمه الله- أن الشهادة (ليست باللسان فقط، ولا بد للمسلم إذا لفظ بها أن يعرف معناها بقلبه)[٢].

كما أكدّ الإمام -رحمه الله- وكرّر التأكيد في أكثر من ربع رسائله بأنّ (لا إله إلا الله نفي وإثبات، إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن الأنبياء والصالحين وغيرهم، وليس معنى الألوهية أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر ولا يحيي ولا يميت إلا الله، فإن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يقرّون بهذا كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[يونس: ٣١][٣].

٣- مسألة الغلو في الصالحين وتعظيم القبور:

يتضح من خلال تتبُّع رسائل الإمام أن هذه القضية كانت من أعظم القضايا التي كرّس الإمام جهوده لتوضيحها، وكانت سبباً في تأليب الخصوم

---

(١) انظر : أشرف على الطباعه : عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم (المشرف على طباعة)، **مجموع الرسائل والمسائل النجدية**، [مرجع سابق] (٣٥/٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (١٨٧/٥).

عليه، وتصدّيهم لدعوته، وقد تكرّر حديث الإمام عن هذه القضية بالذات في أكثر من إحدى وثلاثين[١] رسالة من رسائله الشخصية التي بين أيدينا.

وقد تعددت شبه الخصوم حول هذه المسألة، فتارة نراهم يزعمون أن دعاء الأنبياء والصالحين من دون الله أمر جائز، ويستدلون على ذلك بأدلة واهية[٢]، وتارة يلبّسون على الناس، ويقولون: إن سبب ضلال الكفار أنهم يعتقدون في أصنام، أما نحن، فنعتقد في رجال صالحين[٣]، ثم إن دعاءنا للصالحين إنما هو للشفاعة[٤]، وأحياناً يعترفون أن دعاء الصالحين وتوجيه أنواع العبادة لهم كالنذر وغيره كلها أمور غير مستحسنة، ولكنهم يدّعون

---

(١) انظر : المرجع السابق، (٥/٣٢، ٤٠، ٤٤، ٥٢، ٦٦، ٨٩، ١٠٠، ١٠٤، ١١١، ١٢٤، ١٤٤، ١٥١، ١٦٦، ١٧٦، ١٠٨، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١٦، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٦٦، ٢٧٠، ٣٢٢)،
وكذلك حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١/٢٢٢ ، ٢٠٤) (٢/٢٠)، و جمع: عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] (ط٥/١٤١٣هـ) (١/١٥١، ١٧٠) (٢/١٠٠) وأشرف على الطباعه : عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، **مجموع الرسائل والمسائل النجدية**، [مرجع سابق] (٤/٣٥)

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٠٦).

(٣) انظر : المرجع السابق، (٥/١٤٤، ٢٦٥، ٢٧٠)، وجمع : عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [ط٥/١٤١٣هـ] (٢/١٠٦)، وأشرف على الطباعة: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، **مجموع الرسائل والمسائل النجدية**، [مرجع سابق] (٤/٣٥)

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٧٠) وجمع : عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية** ، (ط٥/١٤١٣هـ) (٢/١٠٠).

أنها من جملة المحرمات[١]، وليست شركاً مخرجاً من الملّة ، وأن ما يفعله العوام عند القبور هو شرك أصغر[٢]، لأن ابن القيّم ذكر -على حدّ زعمهم- أن دعاء الموتى شرك أصغر[٣]، وأن قول أهل السنة: (لا نكفر مسلماً بذنب) يقتضي عدم تكفير هؤلاء[٤]، خاصة وأن تكفيرهم فيه مخالفة لعلماء أجلاّء وعُبَّادٍ صالحين[٥].

وقد أورد الإمام هذه الشبه، وناقشها في رسائله على النحو التالي:

- شبهة أن دعاء الأنبياء والصالحين من دون الله أمر جائز:

ومن عباراتهم في ذلك: ما نقله الإمام عن ابن فيروز[٦]الذي صنف مصنفاً قرّر فيه أن ما يفعله العامة عند قبر يوسف وأمثاله هو الدين الصحيح، واستدل في تصنيفه بقول النابغة:

أيا قبر النبي وصاحبيه ∴ ووا مصيبتنا لو تعلمونا [٧]

---

(١) انظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٣١).

(٢) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢/٢٠).

(٣) المرجع السابق (٢/٢٩).

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٣٣).

(٥) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، (ط٥/١٤١٣هـ) (٢/١١١).

(٦) هو محمد بن عبدالله بن فيروز ، من أهل نجد أصلاً، ولد في الأحساء سنة ١١٤٢هـ، مهر في عدة فنون ، وله كثير من الشيوخ والتلاميذ ، توفي بالبصرة سنة ١٢١٦هـ ، انظر : عبدالله البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون** ، [مرجع سابق] (٣/٨٨٢).

(٧) كذا في الأصل، وقد أورد الأصفهاني عجز هذا البيت بلفظ : (ألا يا غوثنا لو تسمعونا) والبيت للنابغة الجعدي، انظر : الأصفهاني، **الأغاني**، [بيروت- دار الكتب العلمية- ط الثانية ١٤١٢هـ] (٤/١٣٧).

قال الإمام: (وفي مصنف ابن مطلق الاستدلال بقول الشاعر:

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة ∴ سواك بمغنٍ عن سواد بن قاربِ[١]

فالعجب من أقوام يستدلون بآراء الشعراء، ويردّون الآيات والأحاديث الصحيحة وأقوال الراسخين في العلم)[٢].

- قولهم: إن الكفار يعتقدون في أصنام، أما نحن فنعتقد في رجال صالحين:

ومن حججهم (أنهم يقولون: هذا حق، ولكن الكفار يعتقدون في الأصنام[٣] والشرك إنما هو عبادة الأصنام وأما الصالحون فلا)[٤]. وقد ردّ عليهم الإمام -رحمه الله- بالأدلة الكثيرة الواضحة، التي تدل على وجوب توحيد الإلهية، وصرف جميع أنواع العبادة لله وحده، وأن من صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله، فقد أشرك[٥]وبيّن الإمام أن (الكفار في زمان النبي ﷺ منهم من يعتقد في الأصنام، ومنهم من يعتقد في قبر رجل صالح؛ مثل اللات، ومنهم من يعتقد في الصالحين، وهم الذين ذكر الله في قوله عزّ وجل: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ

---

(١) البيت لسواد بن قارب ، انظر : ابن حجر العسقلاني ، **الإصابة في تمييز الصحابة** ، [بيروت -دار الكتاب العربي- ب.ت] (٩٥/٢) .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٢٠٦/٥) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (١٤٦/٥) .

(٤) المرجع السابق (٢٧١/٥) .

(٥) المرجع السابق (١٤٧/٥) .

﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء:٥٧].. ثم ذكر الإمام: أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة عند الله والتقرب إليه بالاعتقاد في الصالحين،وأن محمداً ﷺ لم يفرّق بين من اعتقد في الأصنام ومن اعتقد في الصالحين، بل قاتلهم كلهم وحكم بكفرهم)[1].

– شبهة أن دعاءهم للصالحين ليس للعبادة وإنما طلباً للشفاعة :

يسوِّغ البعض موقفهم، فيقولون: (نعلم أن الله هو النافع الضار، وأن الأنبياء وغيرهم لا يملكون نفعاً ولا ضراً..لكن نريد الشفاعة)[2]. وقد بيّن الإمام لأتباعه كيف يُردّ على من أثار هذه الشبهة، فقال :(يقال لهذا الجاهل: المشركون الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، وغنم أموالهم وأبناءهم ونساءهم، كلهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار، الذي يدبر الأمر، وإنما أرادوا ما أردت من الشفاعة عند الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] [3].

– شبهة أن صرف بعض أنواع العبادة لغير الله حرام وليس شركاً:

أثار بعض الخصوم شبهةً ماكرةً ، فزعموا أن صرف بعض أنواع العبادة لغير الله حرام، وليس شركاً، ومن ذلك أن سليمان بن سحيم أرسل رسالة شنّع فيها على الإمام، وضمَّنها بعض الشبه؛ منها قوله: إن (النذر لغير الله

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (١٤٦/٥).

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٢٧١/٥) .

(٣) انظر:جمع : عبد الرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، (ط٥/١٤١٣هـ) (١٠٤/٢– ١٠٥).

..حرام ليس بشرك)[١]، مستدلاً بقول العلماء: (إن النذر لغير الله حرام بالإجماع)[٢]، وما داموا يقولون: إنه حرام، فهو إذاً ليس بشرك.

وقد تهكم الإمام بهذه الشبهة وصاحبها قائلاً: (فإن كان هذا قدر عقلك، فكيف تدّعي المعرفة؟ يا ويلك.. ما تصنع بقول الله تعالى:﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، فهذا يدل على أن الشرك حرام ليس بكفر؟ يا هذا الجاهل الجهل المركب، ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [الأعراف: ٣٣]، هل يدل هذا التحريم على أنه لا يكفر صاحبه؟)[٣].

كما ردّ الإمام على صاحب الشبهة من الكتاب نفسه الذي استدل به -وهو كتاب الإقناع للحجاوي- فقال: (إنه صرّح في الإقناع أن النذر عبادة، ومعلوم أن لا إله إلا الله معناها لا يعبد إلا الله، فإذا كان النذر عبادة وجعلتها لغيره، كيف لا يكون شركاً؟)[٤].

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٣١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٣١).

(٤) المرجع السابق (٥/٢٣٢).

- شبهة أن ابن القيّم يرى أن النذر لغير الله والتوكل على غيره شرك أصغر:

حرص بعض الخصوم أن يشيعوا أن ما يفعله العوام عند قبور الصالحين، ومع كثير من الأحياء والأموات والجن، من التوجه إليهم، ودعائهم لكشف الضر والنذر لهم لأجل ذلك)[1]، أنه شرك أصغر، وذكر الإمام أيضاً (أن بعض الملحدين نسب إلى الشيخ -يعني ابن القيم رحمه الله- أن هذا- يعني: النذر لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره، والتوكل على غيره[2]،... شرك أصغر، وشبهته أنّ ابن القيم -رحمه الله- ذكره في الفصل الثاني[3]، الذي ذكر في أوله الأصغر)[4]، وقد أجاب الإمام على هذه الشبهة بقوله: (وأنت

---

(١) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٣٤/٢).

(٢) انظر : المرجع السابق (٢٨/٢).

(٣) يعني في كتابه مدارج السالكين ، انظر : المرجع السابق (٢٧/٢).

(٤) المرجع السابق (٢٩/٢) ، والمقصود أن ابن القيم -رحمه الله- قال في المدارج- باب التوبة- وأما الشرك فنوعان : أكبر وأصغر ، ثم ذكر الأكبر وفصّل فيه ، ثم ذكر الأصغر وفصّل فيه، ثم قال بعدما ذكر الشرك الأكبر و الأصغر : (ومن أنواع الشرك: النذر لغير الله وابتغاء الرزق...) فظنَّ من في قلبه مرض أنه يقصد أنها من الشرك الأصغر لأنها جاءت في نهاية الفصل الثاني، وليس الأمر كذلك ؛ فقد وضّح الشيخ ابن القيم -رحمه الله- وقال في نهاية الحديث عنها: (وما نجا من شَرَكِ هذا الشرك الأكبر إلا من جرّد توحيده وعادى المشركين ...) انظر: ابن قيم الجوزية ، **مدارج السالكين** ،[بيروت- دار الكتاب العربي- ط٢ ـ١٤١٤هـ] (٣٤٨/١-٣٥٤) .

رحمك الله تجد الكلام من أوله إلى آخره في الفصل الأول والثاني صريحاً لا يحتمل التأويل من وجوه كثيرة أن دعاء الموتى والنذر لهم ليشفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر .. وآخر ما صرّح به قوله آنفاً: وما نجا من شَرَكِ هذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين ...)[١].

وممن برز في إثارة الشبه حول هذه المسألة، وإشاعة أن الذبح والنذر لغير الله ونحوهما شرك أصغر: سليمان بن عبد الوهاب[٢] أخو الإمام محمد -رحمه الله- وابن عفالق، اللّذَان حشدا الأدلة ليوهما أن ابن تيمية وابن القيم كانا على هذا الرأي[٣]، إلا أن الإمام محمداً -رحمه الله- كشف هذه الشبه

(١) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢٩/٢) .

(٢) سليمان بن عبدالوهاب شقيق الإمام، ولد في العيينة وتولى قضاء حريملاء، وأقام في سدير، وتوفي في الدرعية (١٢٠٨هـ)، وكان من أشد الخصوم المناوئين لدعوة الإمام ، ويختلف المؤرخون في مسألة رجوعه وانضمامه للدعوة، حيث يؤكد البسام في علماء نجد (٣٠٥/١) بكثير من الأدلة عدم صحة رجوع الشيخ سليمان ، بينما يتعقب، الأستاذ محمد السكاكر أدلة البسام بالمناقشة ، ويرد تلك الأدلة في رسالته لنيل الماجستير (الإمام محمد بن عبدالوهاب ومنهجه في الدعوة) ص١٢٦ ، ويذكر الدكتور عبدالعزيز العبداللطيف أدلة أخرى لم يذكرها البسام ولا السكاكر، كأنها ترجح عدم رجوع الشيخ سليمان ويستأنس بالحديث الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه). انظر هذه الأدلة ومناقشة المسألة : عبدالعزيز العبداللطيف ، **دعاوى المناوئين**، [مرجع سابق] حاشية ص٤١ .

(٣) كانا يتتبعان أي نص للشيخين يمكن تأويله ليوافق تصورهما الفاسد، وإن اضطرا إلى التحريف والحذف أحياناً، مع أن الردّ عليهما أحياناً يكون في النص نفسه، إذا تمّ نقله بتمامه دون تحريف، انظر : عبدالعزيز بن عبداللطيف ، **دعاوى المناوئين**، [مرجع سابق] (ص٢٠٧).

وردّ عليها في عدّة مواضع ، وتابع تلاميذ[١] الإمام -رحمه الله- كتابة الردود على هذه الشبهة وغيرها.

- شبهة أن قول أهل السنة (لا نكفر مسلماً بذنب) يقتضي عدم تكفير عباد القبور:

زعم بعض الخصوم أن قول أهل السنة: (لا نكفر مسلماً بذنب) يقتضي عدم تكفير هؤلاء الذين يصرفون أنواع العبادة للقبور والصالحين، إذ يقول سليمان بن سحيم في إحدى رسائله معتذراً عن هؤلاء المشركين : (لا يجوز تكفير المسلم بالذنب)[٢]، ويرد عليه الإمام، فيبين أن هذه العبارة إنما يردُّ بها أهل السنة على الخوارج، الذين (يُكَفِّرون من زنى، أو من سرق أو سفك الدم، بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر)[٣].

ويضيف الإمام، فيقول: (وأما أهل السنة، فمذهبهم: أن المسلم لا يكفر إلا بالشرك، ونحن ما كفّرنا الطواغيت وأتباعهم إلا بالشرك ...) [٤].

(١) من ذلك ما كتبه الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين بعنوان (الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين)، وهو مطبوع [الكويت -مكتبة الصحابة الإسلامية- ط٣- ب ت].

(٢) ذكر ذلك في رسالته التي شنع بها على الإمام واتهمه بشتى التهم الباطلة ، انظر الإشارة إليها: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٢٣٣/٥).

(٣) المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٤) المرجع السابق (الشخصية)، (٢٣٣/٥).

- شبهة أن تكفير عباد القبور فيه مخالفة لعلماء أجلاّء وعُبَّادٍ صالحين:

يحتجّ بعض الخصوم بجلالة الواقعين في هـذه الشـركيات، وأنهـم مـن أهـل العلم، فكيف نخالفهم، ويشير الإمام لهذه الشبهة في بعض رسائله، فيذكـر أن كثيراً من علماء المشركين يقرّون في قرارة أنفسـهم أن مـا يفعلـه العـوام عنـد قبور الصالحين هو الشرك الأكبر، ولكنهـم يتجـاهلون هـذه الحقيقـة بدعـوى جلالة الواقعين في هذا الشرك ويكتفون بتعظيم أهله (ويعظمـون طريقتهـم في الجملة، وأنهم خير أمة أخرجت للناس، وأنهم العلماء الذيـن يجـب ردّ الأمـر عند التنازع إليهم، وغير ذلك من الأقاويل المضطربة)[1].

ويرد الإمام على هذه الشبهة بعد أن يشير إلى مـا ورد في الـبردة والهمزيـة من الشـركيات، فيقـول: (وإن جـادلك بعـض المشـركين بجلالـة هـذا القـائل وعلمه وصلاحه، وقال بجهله: كيف هذا؟ فقل له: أَعلَم منـه وأجـلّ أصحـاب موسى الذين اختارهم الله، وفضلهم على العالمين حين قالوا: ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[الأعراف: ١٣٨]، وقل لهذا الجاهل: أصلح مـن الجميـع وأعلـم، أصحاب محمد ﷺ لما مـروا بالشـجرة قـالوا يـا رسـول الله: اجعـل لنـا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فحلف رسول الله ﷺ أن هذا: كما قالت بنـو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨][2].

---

(١) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢/٣٤).

(٢) جمع عبدالرحمن بن قاسم، **الدرر السنية**، [مرجع سابق] (٢/١١٢).

٤ـ مسائل تتعلق بالاجتهاد والتقليد والفتيا والاحتساب:

أدرك الإمام -رحمه الله- منذ فترة مبكرة أن من أعظم أسباب الانحراف الذي وصل إليه المسلمون في ذلك الوقت هو التقليد الأعمى لآراء أصحاب الكتب المتأخرة في المذاهب الفقهية المختلفة، حتى وإن كانت هذه الآراء عارية من الدليل، بل حتى وإن كانت مناقضة للنصوص، فحرص الإمام -رحمه الله- على الوصية باتّباع الكتاب والسنة، والحرص على معرفة الدليل، وعدم التعصب للمذاهب الفقهية إذا عارضت النصوص الصحيحة الصريحة، وأوضح الإمام أن ذلك التعصب قد يؤدي إلى الشرك والعياذ بالله[1]، ولكن الخصوم المتعصبين انتقدوا هذا المنهج، وحرصوا على إثارة الشبه، لصرف الناس عن الأخذ بالكتاب والسنة، بحجة أنه لا يجوز أن يأخذ من الكتاب والسنة إلا المجتهد المطلق، الموصوف -عند البعض- بأوصاف لعلها لا توجد تامّة في أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- فقالوا: إن القرآن والسنة لا يجوز العمل بهما لنا ولأمثالنا، ومن أخذ بالكتاب والسنة، فقد نسب لنفسه الاجتهاد وترك الاقتداء[2]، ومن عمل بالقرآن كفر، والقرآن لا يفسر[3]، وبعضهم يوافق الإمام على ما جاء به، ويدّعي أنه لا يجهل أنه الحق، ولكن

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٥/٢٥٨).

(٢) انظر :المرجع السابق، (٥/٣٨،١٥٧،١٨٩،٢٢٩،٢٥٤،٢٥٧،٢٧٧،٢٧٨).

(٣) انظر : المرجع السابق (٥/٨٩) .

يعتذر بأهمية عدم مخالفة الناس[١]، وأنه لا يتعين عليه الفتيا بما يعلم[٢]، وقد يتشبث بدعوى عدم القدرة على إنكار المنكر[٣]، وبعض المنتسبين للعلم حرصوا على تسويغ بعض المخالفات الموجودة في المجتمع مثل رشوة الحاكم[٤]، والتذكير يوم الجمعة[٥]، والوقف الجائر الذي سماه الإمام وقف الجَنَف[٦]، فنراهم يحاولون أن يلووا أعناق النصوص، ويتكلفوا الأدلة، ليؤكدوا إباحة تلك المخالفات.

وقد أورد الإمام هذه الشبه، ورد عليها في رسائله على النحو التالي:

أ ـ شبهة قولهم : القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا:

أشار الإمام -رحمه الله- في رسائله إلى هذه الشبه فذكر أنّ الخصوم (قالوا: القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا، ولا بكلام الرسول ﷺ، ولا بكلام المتقدمين، ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون)[٧]، ويمثلون ببعض الكتب

(١) المرجع السابق (٥/٧٥،٢٥٦،١٧٤،٢٣٥)، وحسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢/٢٩) .

(٢) انظر:**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٢٧،٣١٤).

(٣) المرجع السابق (٥/٢٦٥-٢٦٦).

(٤) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١/١٨٥).

(٥) انظر: المرجع السابق (١/٢١٨) وانظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٣٤).

(٦) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٥/٧٨) .

(٧) المرجع السابق (٥/٣٨،١٥٧) .

التي يجب العمل بها، كالإقناع[١]، والتحفة[٢]، ولا يكتفون بذلك بل يهاجمون من دعا إلى الأخذ بالكتاب والسنة، ويقولون: (إن من سلك هذا المسلك فقد نسب نفسه للاجتهاد، وترك الاقتداء بأهل العلم)[٣]، ويزعمون أن أهل العلم يوجبون التقليد واتباع كتب المتأخرين[٤].

ويبدو أن الخصوم قد تشبعوا بهذه الشبهة، حتى أصبحوا لا يُعْمِلون فكرهم حتى في تدبر القرآن واستنباط الأحكام منه، وقد أشار الإمام لهذه الحقيقة حين استدلّ على تزيين أهل الباطل لباطلهم بقوله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ إلى قوله: ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣]، قال الإمام: لكنّ هذه الآيات ونحوها عندكم من العلوم المهجورة[٥].

ب- شبهة أن من أخذ بالكتاب والسنة فقد نسب نفسه للاجتهاد وترك الاقتداء:

نهى بعض الضُلال عن تدبر القرآن والعمل به لمن لم يصل إلى درجة الاجتهاد، وعدّوا ذلك كفراً، فقد أخبر الإمام أن عبد الله بن سحيم يقول:

---

(١) المرجع السابق (٥/١٩٠، ٢٢٩). والإقناع هو: كتاب الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل لأبي النجا شرف الدين موسى الحجاوي المقدسي ، المتوفّى سنة ٩٦٨هـ ، وقد طبع عدة طبعات منها طبعة [دار المعرفة ، بيروت ، ب ت].

(٢) هو كتاب تحفة المحتاج لشرح المنهاج، لابن حجر الهيتمي، (مطبوع عدة طبعات).

(٣) انظر : المرجع السابق، (٥/٢٥٧).

(٤) المرجع السابق ، (٥/٢٧٧).

(٥) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٧٧، ٢٧٨).

(من عمل بالقرآن كفر، والقرآن ما يفسّر)[١]، كما بيّن الإمام أن المذكور (ينهى عن تفسير القرآن، ويقول: ما يعرف)[٢].

وقد ردّ الإمام على هذه الشبه الباطلة في عدة مواضع من رسائله وبيّن أن اتهامهم له بترك الاقتداء بأهل العلم إنما هو بهتان وافتراء، وقال: (إن الذي أنا عليه وأدعوكم إليه هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم فإنهم قد وصّوا بذلك -يعني باتباع الدليل- ومن أشهرهم كلاماً في ذلك إمامكم[٣] الشافعي، قال: لا بد أن تجدوا عني ما يخالف الحديث، فكل ما خالفه، فأشهدكم أني قد رجعت عنه، وأيضاً أنا في مخالفتي هذا العالم لم أخالفه وحدي، فإذا اختلفت أنا وشافعي مثلاً في أبوال مأكول اللحم، وقلت: القول بنجاسته يخالف حديث العرنيّين، ويخالف حديث أنس أن النبي ﷺ صلى في مرابض الغنم، فقال هذا الجاهل الظالم: أنت أعلم بالحديث من الشافعي؟ قلت: أنا لم أخالف الشافعي، من غير إمام اتّبعته بل اتّبعت من هو مثل الشافعي أو أعلم منه، قد خالفه واستدلّ بالأحاديث، فإذا قال: أنت أعلم من الشافعي، قلت: أنت أعلم من مالك وأحمد؟ فقد عارضته بمثل ما عارضني به، وسلم الدليل من المعارض، واتّبعت قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].. الآية)[٤]، كما ذكر الإمام أن (لأهل العلم في إبطال

---

(١) انظر : المرجع السابق، (٥/٨٩).

(٢) المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٣) الرسالة موجهة إلى عبدالله بن محمد بن عبداللطيف القاضي، وهو الأحسائي موطناً الشافعي مذهباً.

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٥٧،٢٥٨).

هذه الشبهة ما يحتمل مجلداً، ومن أوضحه قول الله تعـالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣١] حين فسّرها النـبي ﷺ في حديـث عـديٍّ باتّباع العلماء في تحليل الحرام وتحريم الحلال[١].

كما أن الإمام كان يجادلهم أحياناً بأسلوب التنزل مع الخصم، فإذا رفضوا استدلاله بالقرآن والسنة، بحجة أنهم يقولون: (القرآن لا يجـوز العمـل بـه لنـا ولأمثالنا ولا بكلام الرسول ﷺ، ولا بكلام المتقدمين، ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون)[٢]، كان الإمام يتنزل معهم، ويقول: (أنا أخاصم الحنفـي بكـلام المتـأخرين مـن الحنفيـة والمـالكي والشـافعي والحنبلـي، كـلٌّ أخاصمـه بكتـب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم)[٣].

ولا شك أن العلماء الربانيين من جميع المذاهب متفقون على أن الدليـل إذا صحّ وسلم من المعارض، فهو الأولى بالاتباع، كما أن الإمام حين تحدّث عن شبهة وجوب اتباع كتب المتأخرين (كالتحفة)، وترك النصـوص مـن القـرآن والسنة، ذكر (أن العلماء المتأخرين وسادتهم منهم ابن القيم قـد أنكـروا هـذا غاية الإنكار، وأنه تغيير لدين الله، واستدلوا على ذلك بما يطـول وصفـه مـن كتاب الله الواضح)[٤]، وكذلك (ابن تيمية، وابن رجب له مصنـف مسـتقل

(١) انظر : المرجع السابق (الشخصية)، (٥/٥٤).

(٢) انظر : المرجع السابق (الشخصية)، (٥/٣٨).

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر : المرجع السابق، (٥/٢٥٤).

في هذا [١]، ومن الشافعية الذهبي وابن كثير وغيرهم، وكلامهم في إنكار هذا أكثر من أن يحصر) [٢].

ج- شبهة وجوب عدم مخالفة الناس:

من شبه الخصوم الاغترار بالكثرة والحرص على عدم مخالفة الناس، ويبدو أن هذه الشبهة كانت من أشد العوائق التي حالت دون الاستجابة لدعوة الإمام -رحمه الله- إذ نراه كثيراً ما يكرر التحذير من هذه الشبهة، فيقول لعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف: (وإن صعب عليك مخالفة الناس، ففكر في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الجاثية: ١٨-١٩]، وقوله:﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وتأمل قوله ﷺ في الصحيح: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)[٣])[٤]، ويقول الإمام في رسالة أخرى لشخص آخر: (فيا رجل، ألق سمعك لما فرض الله عليك، خصوصاً الشهادتين وما تضمنتاه من النفي والإثبات، ولا تغتر باللفظ والفطرة وما كان عليه أهل الزمان، فتهلك)[٥].

---

(١) له مصنف (غير مطبوع) بعنوان : الردّ على من اتّبع غير المذاهب الأربعة ، انظر : ابن رجب الحنبلي **جامع العلوم والحكم** ، [بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٢هـ] (٤٩/١).

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٢٧٧/٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥٧/٥).

(٥) المرجع السابق، (١٧٤/٥).

وممن أشاع هذه الشبهة سليمان بن سحيم، الذي لبّس على الناس، وزعـم أن الأَولى اتّباع ما شاع بين الناس وتعارفوا عليـه، وإن خـالف النصـوص[(١)]، واستدلّ على ذلك ببعض الأحاديث، مثل حديث (من شذّ شذّ في النـار)[(٢)]، و(يـد الله مـع الجماعـة)، وقـد ردّ الإمـام علـى استدلال ابـن سـحيم بهـذه الأحاديث، فقال: (وليس هذا معنى الأحاديث بإجماع أهل العلم كلهم، فـإن النبي ﷺ أخبر أن الإسلام سيعود غريباً، فكيف يأمرنا باتباع غالب النـاس؟ وكذلك الأحاديث الكثيرة، منها قوله: (يأتي على النـاس زمـان لا يبقـى مـن الإسـلام إلا اسمـه، ولا مـن القـرآن إلا رسمـه)[(٣)]، وأحـاديث عظيمـة كثـيرة، يبين ﷺ أن الباطل يصير أكثر من الحق، وأن الدين يصير غريباً، ولـو لم يكـن في ذلك إلا قوله ﷺ : (ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٥/٢٣٥) .

(٢) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر، وفيه [(ويد الله مع الجماعة) ومن شذّ شذّ إلى النار]، الترمذي، **سنن الترمذي** [مرجع سابق] كتاب: الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة [ك٣١- ب٢٧- ح ٢١٧٢] (٤/٤٦٦). وصحح الألباني ما بين القوسين، **صحيح الجامع**، [بيروت، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٨هـ] برقم : (١٨٤٨) (١/٣٧٨).

(٣) أخرجه الديلمي بلفظ (سيأتي على أمتي زمان لا يبقى من القرآن إلا اسمه ولا من الإسـلام إلا رسمه ، يقسمون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة، خراب مـن الهدى ، فقهـاء ذلـك الزمان شرٌّ فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنـة وإليهـم تعـود) الديلمـي ، **الفـردوس بمـأثور الخطـاب**، [بـيروت ـدار الكتـب العلميـة- ط الأولى ١٤٠٦هــ] (برقـم ٣٤٤٨) (٢/٣١٩). قـال الألبـاني: والحديـث ضعيـف جـداً، الألبـاني، **سلسـلة الأحـاديث الضعيفـة والموضوعة**، [الريـاض ـمكتبـة المعارف- ط الأولى ١٤٠٨هـ] (برقم ١٩٣٦) (٤/٤١٠).

النار إلا واحدة)[١]، هل بعد هذا البيان بيان، يا ويلك، كيف تأمر بعد هذا باتباع أكثر الناس؟)[٢].

وقد كشف الإمام أسباب تمسكهم بالباطل الذي أَلِفَهُ الناس وإعراضهم عن الحق ، وذكر أنه خالف أهواءهم من جهات متعددة:

الأولى: أنهم لا يعرفون؛ مع كونهم يظنون أنهم من العلماء.

الثانية : أن فيه مألَفَ عادةٍ نشأوا عليها ، ومخالفةُ العاداتِ شديدةٌ.

الثالثة: أنه مخالف لعلمهم الذي بأيديهم وقد أُشربوا حبه كما أُشْرِبَتْ بنو إسرائيل حب العجل .

الرابعة: أن هذا الدين يريد أن يحول بينهم وبين مآكلهم الباطلة المحرمة الملعونة[٣].

د- شبهة أن العالم لا يتعين عليه الفتيا بما يعلم:

ومن شبه الخصوم المدّعِين للعلم، التي يسوِّغون بها سكوتهم عما يرونه من ألوان المخالفات التي يقع فيها الناس، أنهم أحياناً يتشبثون بشبهة عدم القدرة على إنكار المنكر، فها هو الإمام يستنكر على عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب، ويتعجب كيف طرأت عليهم هذه الشبهة، فيقول: (ثم من العجب

---

(١) أخرجه ابن ماجة من حديث أنس ﷺ، ابن ماجة ، **سنن ابن ماجة**، [مرجع سابق] [كتاب الفتن- باب افتراق الأمم] [ك٣٦- ب ١٧- ح٣٩٩١] (١٣٢١/٢). وصححه الألباني، **صحيح الجامع** ، [مرجع سابق] برقم (٢٠٤٢) (٤٠٩/١).

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٢٣٥/٥) .

(٣) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١٨٥/١).

كفّكم عن نفع المسلمين في المسائل الصحيحة، وتقولون: لا يتعين علينا الفتيا)[١].

وفي رسالة أخرى نرى الإمام يوبّخ سليمان بن سحيم ووالده عبد الله، اللذين وصل بهما الأمر إلى السكوت عمّا يرونه في قومهم من الشركيات، وعبادة الطواغيت ونخوتهم وندبهم، وجعلهم وسائط من دون الله، ورغم أن سليمان وأباه يقرّانّ أن هذا من الشرك، إلا أنهما يسكتان عن ذلك، بحجة واهية، هي: أنهم لم يُسْألوا عن ذلك، يقول الإمام مخاطباً لهما: (وأنت وأبوك تقولان: نعرف هذا، لكن ما سألونا، فإذا كنتم تعرفونه، كيف يحل لكم أن تتركا الناس يكفرون؟ ما تنصحانهم ولو لم يسألوكم؟)[٢].

بل إن سليمان بن سحيم لم يكن يتورع عن مشاركتهم في اجتماعاتهم البدعية، يقول الإمام مخاطباً له: (الوجه الثاني: أنك تقول: إني أعرف التوحيد وتقرّ أن من جعل الصالحين وسائط فهو كافر، والناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد، وتقرأه لهم، وتحضرهم وهم ينخون ويندبون مشايخهم ويطلبون منهم الغوث والمدد، وتأكل اللّقم من الطعام المعدّ لذلك، فإذا كنت تعرف أن هذا كفر، فكيف تروح لهم، وتعاونهم عليه، وتحضر كفرهم)[٣].

ولا شك أن هذا المسلك الذي اتخذه هؤلاء الخصوم مخالف للأمانة التي أخذها الله سبحانه وتعالى على العلماء بنفع الناس وبيان أمر الله تعالى،

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٣١٤/٥).
(٢) انظر : المرجع السابق، (٢٢٨/٥).
(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٢٢٧/٥).

وعدم كتم العلم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، كما أن هذا المسلك مخالف للنصيحة الواجبة على كل مسلم لأخيه المسلم.

هـ- شبهة عدم القدرة على إنكار المنكر ولو باللسان والقلب:

لاحظ الإمام أن كثيراً من الخصوم يغفلون عن ذلك، فيسكتون عن المنكر، بل ويقرّونه، بدعوى عدم قدرتهم على إنكاره، لكنهم بالمقابل يُجلبون على الإمام بخيلهم ورجلهم، وينكرون عليه أشد الإنكار إذا رأوه قد خالف قول عالم إلى من هو أعلم منه أو مثله إذا كان معه الدليل[(١)]، ويردّ عليهم الإمام فيقول: (فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار للمنكر، فيا ليت قيامكم كان في عظائم في بلدكم تضادّ أصلَي الإسلام، وإن ادّعيتم أنكم لا تقدرون على ذلك، فإن لم تقدروا على الكل، قدرتم على البعض)[(٢)]، وقد بيّن النبي ﷺ درجات إنكار المنكر[(٣)]، وأقلها الإنكار بالقلب، وبغض المنكر وأهله، والبعد

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٢٦٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (الشخصية) (٥/٢٦٥،٢٦٦).

(٣) جاء ذلك من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) أخرجه الإمام مسلم ، **صحيح مسلم** ، [مرجع سابق]، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان [ك١- ب٢٠- ح٤٩] (١/٧١).

عنهم، أما مشاركتهم في منكرهم، وإعانتهم عليه بدعوى عـدم القـدرة علـى إنكاره، فهذا من تلبيس الشيطان الذي لبس به على أوليائه.

و ـ شبه أثارها الخصوم لتسويغ مخالفات موجودة في المجتمع:

ومن الشبه التي أثارها الخصوم لتسويغ بعض المخالفات الموجودة في المجتمع وتبرير سكوتهم عنها، دعوى جواز رشـوة الحـاكم، والتذكـير يـوم الجمعـة، ووقف الجَنَفْ والإثم، وقد أورد الإمام في رسائله بعض عبـارات الخصـوم في ذلك ، وناقشهم في شبههم على النحو التالي :

– دعوى جواز رشوة الحاكم:

ممن أشاع إحدى هذه الشبه سليمان بن سحيم، الذي استدلّ علـى جـواز رشوة الحاكم وقول من قال: (لا أحكم بينكما إلا بِجُعْلٍ) ببعض النصـوص، وذكر أنها ليست من الرشوة، وحمل الرشوة (على ما إذا حكم الحـاكم بغـير الحق، وأما إذا أخذ رشوة من صـاحب الحـق، وحكـم لـه بـه فهـي حـلال، مستدلاً بقوله ﷺ (أحـق مـا أخـذتم عليـه أجـراً كتـاب الله)[1]كمـا أن ابـن سـحيم لما جـادله محمـد بـن صـالح[2] بقولـه تعـالى:﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا

(١) أخرجه الإمام البخاري ، **صحيح البخاري** ، [مرجع سابق] [كتاب : الطب، باب: الشرط في الرقية بقطيع من الغنم] [ك٧٩ ـ ب ٣٣ ـ ح ٥٤٠٥] (٥/٢١٦٦).

(٢) محمد بن صالح : أحد المطاوعه المعاصرين للإمام وقد راسله الإمام وكتـب لـه رسـالة مطولـة اجاب فيها على سؤالة الذي يتعلق برشوة الحاكم وحكمهـا في الشـرع ، ويتضـح مـن خـلال تلك الرسالة أن المذكور كان له نشاط علمي ، ووقعت له محاورات ومجادلات مع أحد خصوم الإمام وهو سليمان بن سحيم ، ولم أعثر على ترجمة لـه. انظـر رسـالة الإمـام لـه ،حسين بـن غنام، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١٨٤/١) .

قَلِيلا﴾ [البقرة:٤١] أجاب :(بأنها نزلت في كعب بن الأشرف، وبأن الناس فرضوا لأبي بكر لما تولى الأمر درهمين كل يوم)[١].

وقد أرسل الإمام -رحمه الله- رسالة إلى محمد بن صالح عرض فيها هذه الشبهة، وأجاب عنها جواباً وافياً حيث قال: (قد علم بالكتاب والسنة والفطر والعقول تحريم الرشوة وقبحها، والرشوة هو ما يأخذه الرجل على إبطال حق وإعطاء باطل -وهذه يسلمها لك منازعك- وهي أيضاً ما يؤخذ على إيصال حق إلى مستحقه، بل يسكت ولا يدخل فيه حتى يعطيه رشوة، فهذه حرام، منهي عنها بالإجماع، ملعون من أخذها، فمن ادّعى حلّها، فقد خالف الإجماع، وقوله: بأي شريعة حكمتَ بتحريم هذا؟ فنقول: حَكَمَتْ به شريعةُ رسول الله ﷺ، وأجمع على ذلك علماء أمته، وأحلّ ذلك المرتشون الملعونون،ومن أنواع الرشوة: الهدايا التي تدفع إلى الحاكم بسبب الحكم، ولو لم يكن لصاحبها غرض حاضر، لا أعلم أحداً من العلماء رخّص في مثل هذا)[٢].

ثم يرد الإمام على ابن سحيم من نفس الكتاب الذي يعتمده ابن سحيم في الفتيا، فيقول: (والعجب إذا كان في كتابكم[٣] الذي تحكمون فيه: يجب العدل بين الخصمين في لحظه ولفظه ومجلسه وكلامه والدخول عليه، فأين

(١) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١٨٤/١) .

(٢) المرجع السابق (١٨٦/١) .

(٣) يعني به كتاب الإقناع للحجاوي .

هذا من أكل عشرة حمران[١] على أحد الخصمين، وإن لم يعطه أخذ بدلها من صاحبه وحكم له، سبحان الله! أين شريعة حكمت بحلّ هذا، أم أي عقل أجازه، ما أجهل من يجادل في مثل هذا، وأقلّ حياءه وأقوى وجهه)[٢].

كما أن الإمام أجاب على الأدلة التي استدل بها ابن سحيم من عدة وجوه؛ فذكر أن قوله ﷺ (أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله)[٣]، المقصود به: (الإنسان الذي يداوي المريض بالقرآن، فيأخذ على الطب والدواء، لا على الحكم وإيصال الحق إلى مستحقه، ويدل عليه اللفظ الآخر: (كل فتى أكل برقية باطل، فقد أكل برقية حق)[٤]، والقصة شاهدة بذلك توضحه، كما بيّن الإمام أنه لم يستدل أحد من أهل العلم بهذا الحديث على هذا الباطل الذي أباحه ابن سحيم، وكذلك جواب ابن سحيم على الآية: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١]، وأنها إنما نزلت في كعب بن الأشرف، ذكر الإمام أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والعلماء على أنّ الآية، ولو

---

(١) حمران : جمع أحمر ، وهو نقد يتعامل به أهل نجد في ذلك الزمان مسبوك من الذهب، انظر: تعليق عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ على **عنوان المجد في تاريخ نجد**، عثمان ابن بشر ،[الرياض، دارة الملك عبد العزيز، [ط٤/١٤٠٣هـ] حاشية (٣٤٢/٢).

(٢) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١٨٦/١).

(٣) سبق تخريجه (ص ٤٦٧).

(٤) أخرجه أبو داود بلفظ (كُلْ فلعمري لمن أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق) أبو داود ، **سنن أبي داود** ، [مرجع سابق] كتاب : البيوع والإجارات ـ باب في كسب الأطباء [ك١٧ ـ ب٣٨ ـ ح٣٤٢٠) (٧٠٦/٣) . وصححه الألباني ، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، [الرياض ـ مكتبة المعارف ـ ط الأولى ١٤١٢هـ] برقم (٢٠٢٧) (٤٤/٥).

نزلت في كافر، فإنها تعم من عمل بها من المسلمين[١].

- شبهة جواز بدعة التذكير يوم الجمعة:

وأما الشبهة الأخرى التي أثيرت لتسويغ المخالفات الموجودة في المجتمع، فهي دعوى جواز بدعة التذكير يوم الجمعة[٢]، وممن أشاع هذه الشبهة وسوغها للناس سليمان بن سحيم، الذي قرّر جواز هذه البدعة، وزعم (أن التذكير ليلة الجمعة لا ينبغي الأمر بتركه)[٣]، بحجة أنها (بدعة حسنة)[٤]، وأن الله (أمر بالصلاة على نبيه على الإطلاق)[٥]، كما ذكر محمد بن صالح

---

(١) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١٨٧/١، ١٨٨).

(٢) لا شك أن رفع الصوت في موضع الأذان بغير الأذان، سواء كان ذلك صلاة على النبي ﷺ أو آية قرآنية، أو ذكراً غير ذلك .. لا شك أنه من البدع المذمومة، التي أنكرها الإمام- رحمه الله- وأتباعه، وأنكرها أهل العلم قبلهم من سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى، ومن ذلك: (الصلاة والسلام على النبي ﷺ عقب الأذان جهراً ... والذي، أحدث ذلك هو محتسب القاهرة صلاح الدين البرلسي، سنة ستين وسبعمائة، وأمر به في مصر وأعمالها ليلة الجمعة فقط، ثم صار ذلك عاماً [يعني بعد كل أذان طوال الأسبوع] على يد نجم الدين الطنبدي) الذي زعم أنه رأى الرسول ﷺ في المنام ، وأنه ﷺ هو الذي أمره بذلك !! وجهل هذا المبتدع أن رسول الله ﷺ لا يأمر بعد وفاته إلا بما يوافق ما شرعه الله على لسانه ﷺ في حياته. انظر : الشيخ علي محفوظ ، **الإبداع في مضارّ الابتداع** [مصر -دار الاعتصام- ط الخامسة ١٣٧٥هـ] (١٧٢-١٧٣).

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٢٣١/٥).

(٤) المرجع السابق (٢٣٤/٥).

(٥) المرجع السابق.

أن من العوام (من لا يعرف الجمعة إلا به)[١]، يعني بالتذكير ، لشدّة تأصّل هذه البدعة فيهم، وقد ردّ الإمام على سليمان بن سحيم بأن قوله: بدعة حسنة مخالف لحديث النبي ﷺ: ([كل بدعة ضلالة] وكل ضلالة في النار)[٢]، كما أن الإمام ذكّر ابن سحيم بأنه سبق أن أقرّ أنها بدعة مكروهة حين جاءه أحد أتباع الإمام وهو عبدالرحمن الشنيفي وجادله في ذلك.

وردّ عليه الإمام أيضاً بأن أمر الله بالصلاة على نبيِّه على الإطلاق لا يقتضي جواز الابتداع وتخصيص وقت أو صفة معيَّنة لذلك كما أن أَمْرَهُ بالسجود في قوله:﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج:٧٧]، لا يقتضي جواز الصلاة أوقات النهي، أو السجود أمام الأصنام، ثم يقول الإمام: (ومعلوم أن هذا- يعني بدعة التذكير- حادث من زمن طويل ،وأنكره أهل العلم؛ منهم صاحب (الإقناع)[٣]. وقد ذكر السيوطي في كتاب (الأوائل) أن أول ما حدث

---

(١) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٢١٨/١).

(٢) ما بين المعكوفين أخرجه مسلم ، **صحيح مسلم** [مرجع سابق] ،كتاب: الجمعة ، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، [ك ٧ ـ ب ١٣– ح٨٦٧) ، (٤٩٦/٢) ، والحديث بتمامه أخرجه النسائي، **سنن النسائي** ، بشرح جلال الدين السيوطي [بيروت ــ دار المعرفة ــ ط٢ ــ ١٤١٢هــ] ، كتاب: العيدين ، باب :كيف الخطبة ، [ك١٩– ب ٢٢- ح١٥٧٧] (٢١٠/٣). وصحح الألباني هذه الرواية ، الألباني ، **صحيح سنن النسائي** [بيروت ـ المكتب الإسلامي ـ ط الأولى ١٤٠٩هـ] (برقم١٤٨٧) (٣٤٥/١) .

(٣) ذكر صاحب الإقناع كراهيته في مواضع متعددة في باب الأذان، انظر: الحجّاوي ، **الاقناع**، [مرجع سابق] (٧٧/١) ،وانظر البهوتي، **كشاف القناع عن متن الإقناع** ، [بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠٢هـ](٢٣٨/١).

التذكير يوم الجمعة لتهيؤ الناس لصلاتها بعيد السبعمائة في زمن الناصر بن قلاوون)[١].

وأما دعوى أن العوام لا يعرفون الجمعة إلا به، فقد ردّ عليها الإمام في رسالته لمقرن بن عبد الله حيث أخبره (أن رسول الله ﷺ أعلم منا بمصالح أمته، وهو سنّ الأذان ونهى عن الزيادة ، فلما فتح الله لكم باباً في اتباع نبيكم ﷺ فلا تتثقلوا من قطع العادات في طاعة الله ورسوله، والسلام)[٢].

– شبهة جواز الوقف الجائر:

وأما الشبهة الثالثة التي أثيرت لتسويغ إحدى المخالفات الموجودة في المجتمع فهي شبهة جواز الوقف الجائر، والمقصود به بعض صور الوقف التي كانت شائعة في نجد، وكان الغرض منها أن يقسم المرء ماله على هواه، ويفرّ من القسمة الشرعية، كأن يَحْرم امرأته من الميراث، أو يفضّل بعض أولاده على البعض الآخر، وعندما أنكر الإمام – رحمه الله– هذا النوع من الوقف، وسماه وقف الجنف والإثم، ثار عليه الخصوم، وأشاعوا أن الإمام يحرم الوقف بالجملة، ويقطع بفساده [٣]، وقد عالج الإمام –رحمه الله– هذه الشبهة في عدة مواضع من رسائله علاجاً وافياً [٤]، إذ يقول في إحدى رسائله (هذه

---

(١) انظر : **مجموع مؤ لفات الشيخ**، (٢٣٥/٥).

(٢) انظر : حسين بن غنام ، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (٢١٨/١).

(٣) انظر : المرجع السابق (١١٢/١) حيث زعم سليمان بن سحيم أن الإمام يقطع بفساد الوقف.

(٤) انظر :**مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٧٨/٥ ــ ٨٥) وحسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام** ، [مرجع سابق] (١١٢/١،١٢٤،٢١٠،٢١٣).

كلمات جواب عن الشبهة التي احتجّ بها من أجاز وقف الجنف[١]، والإثم...)[٢]، ثم ذكر الإمام صورة المسألة، وعرض شبه الخصوم وأدلتهم، وأن من تلك الأدلة التي استدلوا بها حديث أبي هريرة ﷺ الذي فيه (صدقة جارية)[٣]، وحديث عمر ﷺ أنه تصدّق بالأرض على الفقراء والرقاب والضيف وذوي القربى وابن السبيل)[٤]، (وأن زيداً وعمر سكنا داريهما التي وقفا)[٥]، وقوله ﷺ: (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)[٦].

---

(١) الجَنَفُ : الميل والجور ، وأجنف : كذلك وهو مختص بالوصية ، ومنه قوله تعالى ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ سورة البقرة ، الآية رقم (١٨٢) انظر : الفيروز آبادي ، **القاموس المحيط**، [مرجع سابق] مادة [جنف] (ص١٠٣١) .

(٢) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٥/٧٨) .

(٣) المقصود : ما رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال :(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) أخرجه مسلم، الإمام مسلم، **صحيح مسلم** ، [مرجع سابق]كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (ك٢٥- ب ٣- ح١٦٣١) (٣/١٠١٦) .

(٤) انظر: **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٨٠). والحديث في البخاري، الإمام البخاري، **صحيح البخاري**، [مرجع سابق] كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، [ك٥٤- ب١٩-ح٢٥٨٦] (٢/٩٨٢) .

(٥) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٥/٨٢).

(٦) لم أجده بهذا اللفظ، و أخرج مسلم في صحيحه حديثاً مشابهاً لهذا اللفظ من حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: (ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك) الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، [مرجع سابق] كتاب الزكاة، باب الابتداء في النفقة بالنفس، [ك١٢- ب١٣- ح٩٩٧] (٢/٥٧٤).

وقوله: (صدقتك على رحمك صدقة وصلة)[١]، وقوله: (ثم أدناك فأدناك)[٢])[٣]، (ووقف حفصة الحلي على آل الخطاب) [٤]، (وكون صفية وقفت على أخ لها يهودي)[٥]،وقوله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧])[٦]، وغيرها من الأدلة، وقد أجاب الإمام عليها جواباً وافياً، فذكر أن حديث أبي هريرة ﷺ استدلّ به العلماء على من أنكر الوقف على اليتيم وابن السبيل والمساجد[٧]، أما الذي أنكره الإمام، فهو الوقف الذي فيه تغيير لحدود الله، والتقرب إليه بما لم يشرعه، ولو فهم الصحابة وأهل العلم جواز هذا الوقف من هذا الحديث، لبادروا إليه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث سلمان بن عامر بلفظ: (صدقتك على المسكين صدقةٌ ، وعلى ذي القربى الرحم ثنتان؛ صدقة وصلة)، الإمام أحمد، **مسند الإمام أحمد**، [مرجع سابق] (برقم ١٦٢١٥) (٢٥/٤). وحسنه الألباني، الألباني، **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، [بيروت- المكتب الإسلامي- ط الثانية ١٤٠٥هـ] برقم (٨٨٣) (٣٨٧/٣).

(٢) أخرجه النسائي ، **سنن النسائي** ، بشرح السيوطي [مرجع سابق] (٦٤/٥). كتاب الزكاة، باب أيتهما اليد العليا ، [ك٢٣- ب ٥١ - ح٢٥٣١] وصحح الألباني هذه الرواية، **صحيح سنن النسائي** ، [مرجع سابق] برقم (٢٣٧٢) (٥٣٣/٢).

(٣) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٨٢/٥).

(٤) المرجع السابق (٨٣/٥).

(٥) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) (٨٣/٥).

(٦) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية)، (٨٥/٥).

(٧) ذكر الإمام -رحمه الله- في رسالته إلى أحمد بن مانع (أن مسألة الأوقاف فيها نزاع معروف في كتب المختصرات، ذكر في شرح (الإقناع) في أول (الوقف) أنهم اتفقوا على صحة وقف المساجد والقناطر يعني نفعها لا الوقف عليهما) انظر : حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (٢١١/١).

وأما عمر ﷺ، فإنه قال: لا جنـاح على مـن وليـه- أي ولي الوقـف- أن يـأكل بـالمعروف وإن حفصـة وليتـه، ثـم وليـه عبـد الله بـن عمـر، فكانـا لا يأكلان منه دون الورثة، وإنما يأكلان أجرة عملهما، ثم لوكان الوقـف علـى الورثة جائزاً وهو الأفضل، فما الذي جعل عمر ﷺ يوقف على الفقراء وابن السبيل، ويـترك ورثتـه، وأمـا زيـد وعمـر رضـي الله عنهمـا، وأنهمـا سـكنا داريهما التي وقفا، فلا أحد ينكر هذا، وهو كمن وقف مســجداً وصلـى فيـه وذريته، أو وقف مسقاة، واستقى منها وذريته.

وأما أحاديث تقديم القرابة في البر، فلا إشكال فيها، لكنهـا لا تـدل علـى تغيير حدود الله، ومثل ذلك كمثل رجل لـه خالـة أو عمـة فقـيرة، فتزوجهـا يريد الصلة، واحتج بتلك الأحاديث.

وأما حفصة -رضي الله عنهـا- فإنهـا لم توقـف علـى ورثتهـا، ولم تحـرم أحداً أعطاه الله أو تعطِ أحداً حرمه الله، ووقف صفيــة -رضـي الله عنهـا- على أخيها اليهودي وقف صحيح، لأنه لا يرثها.

وأجاب الإمام علـى اسـتدلالهم بقولـه تعـالى:﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، بأن فعل الخير إنما هو اتباع شرع الله وإبطال ما خالفــه، والإنكـار على من ابتدع في دين الله[١].

وبالجملة، فإن التهم الـتي ألصقـت بالإمـام وأتباعـه ، والشـبه الـتي أثـيرت لتعارض دعوة الإمام، وتصد الناس عـن الاستجابة لدعوتـه أكـثر ممـا ذكـر، ولكني اقتصرت فقط على ما ورد ذكره والردّ عليه ومعالجته في رسائل الإمام

---

(١) انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصية) ، (٥/٧٩ ـ ٨٥) .

ومراسلاته الشخصية، لكن المتأمل لمؤلفات أتباع الإمام وخصومته أثناء حياته وبعد وفاته، يجد العديد من التهم والشبه، فقد اتهم الإمام بأنه مدعٍ للنبوة[1]، وأنه مشبه مجسم[2]، وأنه هو وأتباعه من الخوارج[3]، وغير ذلك، وليس هذا مجال البسط والتفصيل فيه[4].

(١) ممن رمى الإمام بهذه التهمة محمد بن عفالق، وأحمد بن علي القباني، وعلوي الحداد، وحسن بن عمر الشطي، وأحمد بن زيني دحلان، والسمنودي، ومحمد توفيق سوفيه، انظر: عبدالعزيز العبداللطيف، **دعاوى المناوئين**، [مرجع سابق] (ص٨١،٨٤) فقد ذكر عباراتهم بنصها وما قيل في ردّ هذه الشبهة.

(٢) ممن رماه بذلك الزيدي، والحداد والتميمي، واللكنهوري، ودحلان، والنبهاني، والزهاوي، وغيرهم، انظر: المرجع السابق (ص١٢٥-١٢٩).

(٣) ممن أشاع ذلك: ابن عفالق، وسليمان بن عبد الوهاب، والحداد، وعبد الرؤوف، ومحسن الحسيني، واللكنهوري، ومنصور، ودحلان، وغيرهم، انظر: المرجع السابق (ص١٧٨-١٨٣).

(٤) تعرّض الدكتور عبد العزيز العبد اللطيف لهذه الشبه والدعاوى بالعرض والنقض، وذلك في رسالته التي قدّمها لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة، بعنوان: (دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض).

المبحث الرابع

مسائل متنوعة في الفقه وأصوله وعلوم الحديث

تضمنت رسائل الإمام -رحمه الله- مسائل متنوعة في بعض علوم الشريعة؛ منها مسائل فقهية، ومسائل في الاجتهاد والتقليد، ومسائل في السنة وعلومها.

ويمكن تناول هذا المبحث من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول
مسائل في الاجتهاد والتقليد

تعرض الإمام في بعض رسائله لبعض المسائل في الاجتهاد والتقليد، ومن تلك المسائل:

المسألة الأولى:وجوب الأخذ بنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة:

حرص الإمام في رسائله على بيان ما قرره العلماء[(١)]، من أهمية الالتزام في الأحكام بنصوص الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وعدم العدول عنها إلى أقوال وآراء تعارض الدليل، وقال مبيناً مصادره في استنباط الأحكام: (...ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها)[(٢)]، ويبين الإمام أيضاً أنه يأخذ بما (عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد ابن إدريس، وأحمد حنبل، رحمهم الله تعالى)[(٣)].

ويؤكد الإمام أن ذلك لا يمنع من التمذهب، مع مراعاة تقديم النصوص الصريحة على المذهب عند التعارض، ويقول عن نفسه: (... وأما مذهبنا، فمذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة)[(٤)].

---

(١) انظر : ابن القيم ، **أعلام الموقعين** ، [مرجع سابق] (٣٣/١) . والشاطبي ، **الموافقات في أصول الشريعة** ، بتخريج عبدالله دراز ، [بيروت ـ دار الكتب العلمية- ط الأولى ١٤١١هـ] (٢٥٧/٣)، وانظر : محمد مصطفى شلبي ، **أصول الفقه الإسلامي** ، [بيروت -دار النهضة العربية ـ ط الثانية ـ ١٣٩٨هـ] (٦٢/١) .

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(١٠٧/٥) .

(٣) المرجع السابق ، (٩٦/٥)، وانظر المرجع السابق ، (١٠٧/٥) .

(٤) المرجع السابق ، (١٠٧/٥) .

وهذا لا يعني نبذ كتب المتأخرين، بل الواجب على طالب العلم قراءتها والعناية بها والأخذ بما وافق الدليل منها ، يقول الإمام: (... وأما المتأخرون رحمهم الله، فكتبهم عندنا نعمل بما وافق النص منها، وما لا يوافق النص لا نعمل به)[١].

كما أشار الإمام إلى أن أقوال العلماء قد تتعارض، ووضّح -رحمه الله- ماذا ينبغي عند حدوث ذلك، وأحال إلى ما ذكره البهوتي في شرحه للإقناع، حيث قال: (اعلم رحمك الله أن الترجيح إذا اختلف بين الأصحاب، إنما يكون ذلك بقوة الدليل من الجانبين)[٢].

المسألة الثانية: النهي عن (التعصب بالهوى والتقليد الأعمى)[٣]:

حذّر الإمام أشد التحذير من (فتنةٍ عمّت، فأعمَت ورمت القلوب فأصْمَتْ)[٤]، ألا وهي فتنة التعصب بالهوى والتقليد الأعمى، التي أجمع العلماء على أن صاحبها خارج من زمرة العلماء[٥].

وقد أكّد الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في رسائله على خطورة هذه الخصلة، وأنها ربما تقود إلى اتخاذ العلماء أرباباً من دون الله،

---

(١) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة)(١٠٧/٥).

(٢) المرجع السابق، (١٤٠/٥) والبهوتي، **كشاف القناع عن متن الإقناع**، [مرجع سابق] (٢٢/١).

(٣) انظر : ابن القيم ، **أعلام الموقعين** ، [مرجع سابق] (٨/١) .

(٤) كذا وصف ابن القيم ـ رحمه الله ـ فتنة التعصب ، انظر : ابن القيم ، **أعلام الموقعين** ، [مرجع سابق] (٨/١).

(٥) المرجع السابق ، (٧/١، ٨).

ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: (قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وفي حديث عدي بن حاتم أنه قال للنبي ﷺ: (إنّا لسنا نعبدهم، قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم). رواه الإمام أحمد والترمذي وغيره[١]، وقال أبو العالية: إنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فقالوا: (لن نسبق أحبارنا بشيء ، فما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ..)[٢].

ونبّه الإمام إلى أن من وسائل ترك التعصب والتقليد الأعمى ، أن يدرك المرء أن العلماء أنفسهم اعترفوا بإمكان حدوث الخطأ والزلل منهم، واستشهد بقول الشافعي -رحمه الله- (.. لا بد أن تجدوا عني ما يخالف الحديث، فكل ما خالفه، فأشهدكم أني قد رجعت عنه)[٣].كما استشهد بقول شارح الإقناع[٤] (... ومن عثر على شيء مما طغى به القلم، أو زلّت به القدم، فليدرأ بالحسنة السيئة، ويحضر بقلبه أن الإنسان محل النسيان..)[٥].

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص (٢٨٦).

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٣٠٥/٥) وانظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، **الإيمان**، بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، [مكتبة أنس بن مالك ـ ط ١٤٠٠هـ] (ص٦٤) باختصار يسير .

(٣) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٢٥٧/٥).

(٤) هو العلامة : منصور بن يونس البهوتي .

(٥) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (١٤٠/٥ والبهوتي، **كشاف القناع**، [مرجع سابق] (١٠/١).

وحين تقوّل البعض[١] على العلماء، وزعموا أنهم يوجبون التقليد واتباع كتب المتأخرين، ردّ عليهم الإمام -رحمه الله- بأن كتب هؤلاء العلماء موجودة، وقال: إنه (لم يأت عنهم كلمة واحدة أنهم أرخصوا لمن لم يعرف الكتاب والسنة في أمركم هذا، فضلاً عن أن يوجبوه)[٢]، ثم بيّن -رحمه الله- أن المتأخرين أيضاً كلهم على القول بمنع التقليد الأعمى والنهي عنه)[٣]، كما بيّن الإمام أن الواجب عدم التعصب للمذاهب، وعدم الإنكار على أي مذهب ما دام لم يخالف النصوص، ويقول الإمام مبيناً منهجه: (... ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها)[٤].

وأكّد الإمام على ضرورة إعطاء الخلاف في المسائل الفقهية حجمه الطبيعي، وعدم المبالغة في تعظيمه، حتى يفضي إلى الفرقة والعداوة، والعجيب أن البعض[٥] يبالغون في الإنكار على الإمام رغم أن الحق والدليل معه، وهم الذين جانبوا الصواب في هذه المسألة، وزادوا عليها كتم العلم، حتى قال لهم الإمام متعجباً: (... ثم من العجب كفكم عن نفع المسلمين في المسائل

---

(١) منهم عبدالله بن عيسى وابنه عبدالوهاب، انظر : **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٢٧٦).

(٢) المرجع السابق ، (٥/٢٧٧) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٤) المرجع السابق ، (٥/١٠٧).

(٥) عبدالله بن عيسى وابنه عبدالوهاب.

الصحيحة، وتقولون: لا يتعيّن علينا الفتيا، ثـم تبـالغون في مثـل هـذه الأمـور مثل التذكير[١] الذي صرّحَت الأدلة والإجماع وكلام «الإقناع» بإنكاره)[٢].

ووضح الإمام معالم منهجـه في مسـألة الاجتهـاد والتقليـد، وحرصـه علـى اتباع الدليل وعدم التعصب للمذهب، وأقسم قـائلاً: (وأُشـهد الله وملائكتـه أنه إن أتاني منه [أي من عبدالله بن عيسى] أو ممن دونه في هذا الأمـر كلمـة من الحق لأقبلنّها على الرأس والعين ، وأترك قول كل إمام اقتديت به، حاشـا رسول الله ﷺ، فإنه لا يفارق الحق)[٣].

---

(١) سبق التعريف بها في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٣١٤).

(٣) المرجع السابق ، (٥/٢٧٦).

المطلب الثانـي
مسائل في الفقه والأحكام

أشار الإمام في رسائله إلى بعض المسائل الفقهية، فأوجز في بعضها، وفصّل في البعض الآخر. ومن المسائل التي تعرّض لها ما يلي :

١- الوقف:

وقد عرّفه العلماء بأنه تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة(١)، وجاء في رسائل الإمام بعض المسائل المتعلقة بهذا الباب من أبواب الفقه الإسلامي، ومن ذلك:

-الوقف الجائر:

وهو ما أسماه الإمام بوقف (الجنف والإثم)، ويقصد به الإمام بعض صور الوقف التي كانت شائعة في نجد، وكان الغرض منها أن يقسم المرء ماله على هواه، ويفرّ من القسمة الشرعية، كأن يَحْرم امرأته من الميراث، أو يفضّل بعض أولاده على البعض الآخر، وقد فصّل الإمام القول في هذه المسألة، وأفرد لها رسالة كاملة(٢)، وتعرّض لها، وأشار إليها في رسائل أخرى(٣)، فنّد فيها الشبه المتعلقة بهذه المسألة، وبيّن فساد هذا النوع من الوقف(٤).

---

(١) انظر : بهاء الدين المقدسي، **العدّة شرح العمدة**، [مصر- مطبعة المدني- ط الأولى- ١٤١٢هـ] (٣٩٣/١) والحجاوي، **الإقناع** [مرجع سابق] (٣/٢).

(٢) جاءت هذه الرسالة في ثمان صفحات كلها تدور حول هذه المسألة بالذات.

(٣) انظر :حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام**، [مرجع سابق] (١١٢/١، ١٢٤، ٢١٠، ٢١٣).

(٤) سبق تفصيل هذه المسألة في المبحث الثالث من هذا الفصل .

- وقف الأموال التي تصرف على المشاهد والقبور:

أشار الإمام -رحمه الله- في إحدى رسائله إلى إحدى صور الضلاّل التي سادت في ذلك العصر، وهي وقف الأموال على المشاهد والقبور، ونقل -رحمه الله- ما قاله ابن القيم في بيان بطلان هذا النوع من الوقف، وبيان كيفية صرف أمواله ، ومما جاء في رسالة الإمام -رحمه الله- قوله: (قال ابن القيم -رحمه الله- في (الهدي النبوي)[١]، في الكلام على حديث وفد الطائف.... ومنها: جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه الطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين ... وكذا الحكم في وقفها، والوقف عليها باطل، وهو مال ضائع ... فإن الوقف لا يصح إلا في قربة وطاعة الله ورسوله، فلا يصح على مشهد، ولا قبر يسرج عليه ويعظم وينذر له... وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الدين وممن اتّبع سبيلهم...)[٢].

٢- الرشوة :

ذكر العلماء أن الرشوة هي: الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة، وأصلها الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء، فالراشي من يُعْطي الذي يُعينه على الباطل[٣]، وقد

---

(١) يعني كتابه : زاد المعاد في هدي خير العباد .

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٧٣-٧٤) وانظر : ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، بتحقيق شعيب الأرنؤوط ، وعبدالقادر الأرنؤوط [بيروت- مؤسسة الرسالة- ط ٢٦- ١٤١٢هـ] (٣/٦٠١) .

(٣) انظر : ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، بتحقيق محمد الطناحي، وطاهر الزاوي، [بيروت- دار الفكر- ط الثانية- ١٣٩٩هـ] (٢/٢٢٦) .

تضمنت رسائل الإمام -رحمـه الله- تفصيـلاً نافعـاً لإحـدى المسـائل المتعلقـة بموضوع الرشوة؛ وهي مسألة رشوة الحاكم التي ادّعى بعض الخصوم جوازها بحجج واهية، واستدلوا بنصوص لا تدل على ما ذهبوا إليه من إباحتها، وقـد ناقش الإمام جميع تلك الأدلة وفنّد الشبهات التي تعلّق بها المجـيزون في رسـالة مستقلة[١]، أكّد فيها تحريم هذه الرشوة، وقـال: (لا أعلـم أحـداً مـن العلمـاء رخّصَ في مثل هذا)[٢].

٣- التذكير ليلة الجمعة :

وهو رفع الصوت بالصلاة على النبي ﷺ في موضع الأذان ليلة الجمعـة[٣]، وقد بيّـن الإمـام -رحمـه الله- في رسـائله أنـه مـن البـدع المحدثـة، وردّ علـى الشبهات التي تابع أثارها بعض الخصوم للإيهام بإباحته[٤].

(١) جاءت هذه الرسالة في ست صفحات، انظر: حسين بن غنـام ، **روضـة الأفكـار والأفهـام**، [مرجع سابق] (١/٨٤ ، ١٨٩). وسبقت الإشارة إلى هذه المسألة في المبحث الثالث من هـذا الفصل .

(٢) المرجع السابق، (١/١٨٦).

(٣) ذكر صاحب الإقناع وغيره كراهيته في مواضع متعـددة في بـاب الأذان ، انظـر : الحجـاوي، **الإقناع** ، [مرجع سابق] (١/٧٧) .

(٤) انظر مزيداً من التفصيل عن هذه المسألة في المبحث الثالث من هذا الفصل .

المطلب الثالث

مسائل تتعلق بالسنة وعلومها

تدل بعض الشواهد في رسائل الإمام -رحمه الله- على شدة عنايته بالسنة وعلومها، وعنايته بصحيح الحديث وضعيفه، ومن الشواهد على ذلك:

- عدم الجزم بنسبة الحديث للنبي ﷺ قبل التأكد من صحته:

استنكر الإمام -رحمه الله- على أحد المدعوين جزمه بنسبة حديث للنبي ﷺ قبل التأكد من صحته، وقال له: (...السادسة: جزمك بأن النبي ﷺ قال: (اطلبوا العلم ولو من الصين)[١]، فلا ينبغي أن يجزم الإنسان على رسول الله ﷺ بما لا يعلم صحّته، وهو من القول بلا علم، فلو أنك قلت: وروي، أو ذكر فلان، أو ذُكِر في الكتاب الفلاني، لكان هذا مناسباً، وأما الجزم بالأحاديث التي لم تصح، فلا يجوز، فتفطن لهذه المسألة، فما أكثر من يقع فيها)[٢].

- الدّقة في رواية الأحاديث وعدم التحريف أو الزيادة :

حرص الإمام -رحمه الله- على تنبيه أحد المدعوين حين زاد على الرواية الواردة في أحد الأحاديث، وحثّه على التزام الدقة في رواية الأحاديث النبوية،

---

(١) ذكره العجلوني في كتابه **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** ، [بيروت- دار الكتب العلمية- ط الثالثة ١٤٠٨هـ] (ص١٣٨) وقال: رواه البيهقي والخطيب، وابن عبد البر، والديلمي، وغيرهم عن أنس، وهو ضعيف، بل قال ابن حبان: باطل، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات.

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (١٨/٥) .

وقال معلقاً على رسالة أرسلها المدعو: (قولك في سؤال الملكين: والكعبة قبلتي، وكذا وكذا، فالذي علمناه عن رسول الله ﷺ أنهما يسألان عن ثلاث؛ عن التوحيد، وعن الدين، وعن محمد ﷺ[1]، فإن كان في هذا عندكم رابعة، فأفيدونا، ولا يجوز الزيادة على ما قال الله ورسوله)[2].

- عدم الاحتجاج بمراسيل المتأخرين :

الحديث المرسل: هو ما سقط من آخر إسناده مَنْ بَعْدَ التابعي، وصورته: أن يقول التابعي، سواءً كان كبيراً أو صغيراً: قال رسول الله ﷺ كذا[3]،

---

(١) يشير الإمام إلى حديث رواه البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ قال: (نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربُّك ؟ فيقول ربيَ الله ونبيي محمد(ﷺ)، فذلك قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، [مرجع سابق] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها -باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه [ك٥١- ب١٧-ح٢٨٧١] (١٧٤٥/٤). وأخرجه الترمذي بلفظ: (قال ﷺ في قول الله ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قال: في القبر إذا قيل له من ربُّك وما دينك ومن نبيُّك؟) وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. الترمذي، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، [مرجع سابق] كتاب تفسير القرآن- باب تفسير سورة إبراهيم عليه السلام [ك٤٤ -ب١٤- ح٣١٣٣] (٢٩٥/٥).

(٢) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (١٨/٥) .

(٣) انظر : أحمد بن حجر العسقلاني، **نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، اعتنى به الأستاذ إسحاق عزوز [القاهرة- مكتبة ابن تيمية- ط١٤١١هـ] (ص٣٨).

هذا تعريفه عند المحدثين، أما تعريفه عند الفقهاء والأصوليين، فأعمّ من ذلك؛ فعندهم: أن كل منقطع[١] مرسل على أي وجه كان انقطاعه[٢].

وقد أشار الإمام -رحمه الله- في إحدى رسائله إلى حكم الاحتجاج بهذا النوع من الروايات؛ حيث استدرك على من استدلوا برواية فيها انقطاع، وبيّن أنه لا يصح الاحتجاج بها، وعدّ الإمام هذه الرواية المنقطعة من مراسيل المتأخرين[٣] إلى مذهب الفقهاء والأصوليين في التوسع في تعريف المرسل،وقال الإمام بعد أن بيّن موضع الانقطاع في هذه الرواية: (وأجمع العلماء على أن مراسيل المتأخرين لا يجوز الاحتجاج بها، فمن احتج بها، فقد خالف الإجماع)[٤].

ولاشك أن مراسيل المتأخرين -وهي الروايات المنقطعة- تعد روايات مردودة[٥]، ضعيفة بالاتفاق[٦]ولاشك أيضاً أن اهتمام الإمام -رحمه الله- بهذه المسألة الدقيقة يدل على عنايته بعلم مصطلح الحديث، وشدّة اهتمامه بالسنة وعلومها، ومعرفة صحيحها من ضعيفها.

---

(١) المنقطع : ما لم يتصل إسناده، على أي وجه كان انقطاعه، وأكثر ما يستعمل في رواية من دون التابعي عن الصحابي، انظر: السيوطي، **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، بتحقيق د. أحمد عمر هاشم [بيروت- دار الكتاب العربي- ط ١٤١٤هـ] (١/١٧١-١٧٢).

(٢) انظر : د. محمود الطحان ، **تيسير مصطلح الحديث**، [الرياض- مكتبة المعارف- ط الثانية- ١٤٠٧هـ] (ص٧٢) .

(٣) قيّد الإمام المراسيل بأنها (مراسيل المتأخرين) وهذا يعني أن الساقط ليس من بَعْدَ التابعي من المتقدمين كما هو تعريف المرسل عند المحدّثين ، بل الساقط من قبله من المتأخرين، وعلى هذا فالرواية هنا ليست من المرسل- على مذهب المحدثين- بل من المنقطع .

(٤) **مجموع مؤلفات الشيخ** (الشخصيّة) (٥/٨١).

(٥) انظر : أحمد بن حجر العسقلاني ، **نزهة النظر** ، [مرجع سابق] (ص٣٦، ٣٩). وانظر : زين الدين العراقي، **التقييد والإيضاح لما أطلق وأعلق من مقدمة ابن الصلاح**، [بيروت- مؤسسة الكتب الثقافية- ط الثانية ١٤١٣هـ] (ص٧٩).

(٦) انظر : محمود الطحان ، **تيسير مصطلح الحديث**، [مرجع سابق] (ص٧٨).